المملكة العربية السعودية
جامعة أم القرى
معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي
مركز إحياء التراث الإسلامي
مكة المكرمة

معاني القرآن الكريم

للإمام أبي جعفر النحّاس
المتوفى سنة ٣٣٨هـ

تحقيق
الشيخ محمد علي الصابوني
الأستاذ بجامعة أم القرى

الجزء الرابع

الطبعة الأولى

١٤١٠هـ / ١٩٨٩م

حقوق الطبع محفوظة
لجامعة ام القرى

إني لأعجب ممن يقرأ القرآن ، كيف يلتذ بتلاوته ولم يفهم معناه

« الإمام الطبري »

تفسير سورة الحجر

مكية وآياتها ٩٩ آية

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة الحجر وهي مكية[1]

١ ـ **من ذلك قوله جلَّ وعز : ﴿ رُبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ ﴾** [آية ٢] .

روى سفيانُ عن خُصَيْفٍ ، عنْ مجاهد ، عن حمَّاد ، عن إبراهيم، قال : « يدخل قومٌ من الموحِّدينَ النَّارَ ، فيقول لهم المشركون : ما أغنىٰ عنكم إسلامكم وإيمانكم ، وأنتم معنا في النار ؟ فيخْرِجُهمُ اللهُ جلَّ وعزَّ منها ، فعند ذلك **﴿ يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ ﴾**[2] .

ورَوىٰ ابن أبي نجيح عن مجاهد قال : ذلك يوم القيامة[3] .

ورُوِي عن ابن عباس قال : (يقول المشركون لمن أُدخِلَ النَّار من الموحَّدينَ : مانَفعكم ماكنتم فيه ، وأنتم في النار !؟ فيغضبُ اللهُ

---

(١) قال الشوكاني ١٢٠/٣ : سورة الحِجْرِ تسعٌ وتسعون آية ، وهي مكية بالاتفاق . وفي البحر المحيط ٤٤٣/٥ : هذه السورة مكية بلا خلاف ، وكذلك قال ابن الجوزي ٣٧٩/٤ .

(٢) الأثر أخرجه الطبري ٤/١٤ عن مجاهد ، وابن كثير ٤٤٢/٤ والسيوطي في الدر ٩٤/٤ وعزاه إلى الحاكم في الكُنى عن حمَّاد قال : سألتُ إبراهيم عن هذه الآية .. وذكره .

(٣) ذكره السيوطي في الدر المنثور ٩٢/٤ وعزاه إلى ابن أبي حاتم ، والبيهقي في البعث ، عن ابن عباس ، ولفظُه : قال : ذلك يوم القيامة يتمنى الذين كفروا لو كانوا مسلمين يعني موحِّدين . ويُروى عن الضحاك أن ذلك عند الموت .

جلَّ وعزَّ لهم ، فيخرجون إلىٰ نهرٍ يقال له « نهر الحياة » فينبتُونَ فيه ، ثم تبقىٰ علىٰ وجوههم علامةٌ يُعرفون بها ، يُقال هؤلاء « الجهنميُّون » فيسألون اللَّهَ جلَّ وعز أن يُزيل ذلك عنهم ، فيزيلُه عنهم ، ويُدخِلهُم الجنَّةَ ، فيتمنَّىٰ المشركون أن لو كانوا مسلمين)[١] .

وقيل : إذا عاينَ المشركون تمنَّوْا الإسلام[٢] .

فأمَّا معنىٰ (رُبَّ) ها هنا ، فإنَّما هي في كلام العرب للتقليل ، وأنَّ فيها معنىٰ التهديد ، وهذا تستعمله العربُ كثيراً ، لمن تتوعَّدهُ وتتخدَّدهُ ، يقول الرجلُ للآخر : ربَّما ندمتَ علىٰ ما تفعل [و يشكُّون في تندُّمه ولا يقصدون تقليله][٣] بل حقيقةُ المعنىٰ : أنه

---

(١) الحديث روي موقوفاً ورُوي مرفوعاً إلى النبي ﷺ ، والمرفوع أخرجه الطبراني عن أنس بن مالك قال قال رسول الله ﷺ (إنَّ ناساً من أهل « لا إله إلا الله » يدخلون النار بذنوبهم ، فيقول لهم أهلُ اللَّات والعزَّى ـــ يعني المشركون ـــ ما أغنى عنكم قولكم « لا إله إلا الله » وأنتم معنا في النار ؟ فيغضب اللهُ لهم ،فيخرجهم فيلقيهم في نهر الحياة ، فيبرأون من حُرُقهم ، كما يبرأ القمر من خسوفه ، فيدخلون الجنة فيسمُّون فيها الجهنميِّين) وانظر جامع البيان للطبري ٣/١٤ وتفسير ابن كثير ٤٤٣/٤ .

(٢) لم يذكر المصنف مفعول « عاين » وهو القيامة ، أو الموت ، كما نبَّه عليه الزجاج في معانيه ١٧٢/٣ حيث قال : وعايَنَ الكافر القيامة ودَّ لو كان مسلماً ، وقيل : إذا عايَنَ الموت ودَّ لو أنه مسلم .

(٣) في المخطوطة طمسٌ لما بين المعكوفتين ، وقد أثبتناه من تفسير الكشاف ٣١٠/٢ حيث قاربَ كلامَ المصنف ، وربَّما كان الزمخشري قد أخذه عن النحاس لما بينهما من الاتفاق الكبير ، وعبارته في الكشاف : فإن قلتَ : فما معنى التقليل ؟ قلتُ : هو واردٌ على مذهب العرب في قولهم : لعلَّك ستندم على فعلك ، وربما ندم الإنسانُ على ما فعل ، ولايشكُّون في تَندمهِ ، ولا يقصدون تقليله ، ولكنهم أرادوا : لو كان الندم مشكوكاً فيه ، أو كان قليلاً ، لحُقَّ عليك أن لا تفعل هذا الفعل ، لأن العقلاء يتحرَّزون من التعرُّض للغمِّ المظنون كما يتحرّزون من المتيقَّن اهـ وكلامه هنا نفيس .

يقول : لو كان هذا ممَّا يقلُّ ، أو يكون مرةً واحدة ، لكان ينبغي أن لا تفعله .

وأمَّا قول من قال : إنَّ « رُبَّ » تقع للتكثير ، فلا يُعرف في كلام العرب[1] .

وقيل : إن هذا إنما يكون يوم القيامة إذا أفاقوا من الأهوال التي هم فيها ، فإنما يكون في بعض المواطن .

والقولُ الأول أصحُّها .

والدليلُ علىٰ أنه وعيدٌ وتهدُّدٌ قولُه بعد : ﴿ **ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِهِمُ الأَمَلُ ، فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ** ﴾ .

٢ ــ **ثم قال تعالى** : ﴿ **وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَعْلُومٌ** ﴾ [آية ٤] .

أيِ أجلٌ لا يتقدَّمه ولا يتأخَّرهُ .

٣ ــ **وقوله جل وعز** : ﴿ **لَوْ مَا تَأْتِينَا بِالمَلائِكَةِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ** ﴾ [آية ٨] .

---

(١) أنكر الزجاج أن تجيء « ربَّ » للتكثير ، وقال : هذا ضدُّ ما تعرفه العرب ، وقد ردَّ على من زعم أنها للتكثير ، وهي على أصلها للتقليل ، قال : وهذه الآية خارجة مخرج الوعيد ، وانظر البحر المحيط أيضاً ٥/٤٤٤ .

معنىٰ (لَوْ مَا) و (لَوْلَا) و (هَلاَّ) واحدٌ[1] ، وأنشد أهلُ اللغة :

تعدُّونَ عَقْرَ النِّيبِ أفضلَ مجدِكُمْ
بَنِي ضَوْطَرَىٰ لَوْلَا الكَمِيَّ المُقَنَّعَا[2]

أي هلَّا تعدُّون الكمِيَّ المقنَّعَا .

ورویٰ حجاج عن ابن جريج قال : في هذا تقديمٌ وتأخير .

يذهب إلىٰ أن جوابه قولُه تعالىٰ : ﴿ **وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَابَاً مِنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُون** ﴾ يذهب إلىٰ أن هذا متصل بقوله تعالى : ﴿ **لَوْ مَا تَأْتِينَا بِالمَلَائِكَةِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِين** ﴾[3] .

---

(١) قال الطبري ١٤/٦ : العرب تضع موضع « لو ما » لولا ، وموضع « لولا » لَوْ مَا لَقول الشاعر :

لوْمَا الحياءُ ولوْمَا الدِّينُ عِبتكما ... ببعض ما فيكما إذ عِبتُما عَوَري

يريد : لولا الحياءُ ، والظاهر أن لولا في هذا الشاهد هي الامتناعية وليست للتحضيض .

(٢) البيت لجرير يهجو الفرزدق ، وهو في ديوانه ٣٣٨ والنِّيبُ بكسر النون : جمع ناب وهو الناقة المسِنَّة ، و« ضَوْطَرَىٰ » : الرجلُ الضخم اللئيم ، وهي كلمة سبٍّ وذم ، والكميُّ : الشجاع ، والمقنَّعُ : الذي وضع على رأسه المغفر ، يقول : تعدُّون عقر النُّوْقِ المسِنَّة هو المجد والسؤدد لديكم ، فهلاَّ عددتم قتل الشجعان يا أيها اللئامُ هو الفخر والمجد ؟ وانظر الكامل ١٦٣ وشواهد المغني ٢٢٩ والخزانة ١/٤٦١ .

(٣) هذا بعيدٌ ، والأظهر أن الآية مرتبطة بما قبلها ، والمعنى : هلَّا جئتنا بالملائكة ، لتشهد لك بالرسالة ، إن كنت صادقاً في دعواك أنك رسولُ الله ؟ قالوه له بعد أن اتهموه بالجنون ، والافتراءِ على الله ، قاتلهم الله .

٤ ـ ثم قال تعالىٰ : ﴿ مَانُنَزِّلُ المَلَائِكَةَ إِلَّا بِالحَقِّ ﴾ [آية ٨] .

قال مجاهد : أي بالإرسال والعذاب[١] .

٥ ـ ثم قال تعالىٰ : ﴿ وَمَا كَانُوا إِذاً مُنْظَرِينَ ﴾ [آية ٨] .

أي لو نزلت الملائكةُ ماأُمهِلُوا ، ولا قُبِلَتْ توبتهُم ، كما قال تعالىٰ : ﴿ وَلَوْ أَنْزَلْنَا مَلَكاً لَقُضِيَ الأَمْرُ ﴾[٢] .

٦ ـ وقولُه جل وعز : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾[٣] [آية ٩] .

قال ثابت وقتادة : حِفظه اللهُ من أن تزيد الشياطين فيه باطلاً ، أو تُبطل منه حقاً[٤] .

وقال مجاهد : هو عندنا[٥] .

---

(١) الأثر في الطبري ١٤/٧ والدر ٤/٩٤ وعلى هذا القول يكون المعنى : مانـنزِّل ملائكتنا إلَّا بالعذاب لمن أردنا إهلاكه .

(٢) سورة الأنعام آية رقم ٨ .

(٣) في المخطوطة ﴿ إنا نحن نزَّلنا عليك الذِّكر ﴾ بزيادة «عليك» والنصُّ القرآني المجيد كما أثبتناه .

(٤) الأثر في الطبري ١٤/٨ وابن الجوزي ٤/٣٨٤ وفي المخطوطة « بدلاً » وهو تصحيف ، وصوابه « باطلاً » كما في الطبري ، والدر ، وعبارته : حفِظَه فلا يستطيع إبليس أن يزيد فيه باطلاً ، ولا يُنقص منه حقاً ، قال ابن كثير : وهو سبحانه الحافظ له من التغيير والتبديل .

(٥) الأثر عن مجاهد في الطبري ١٤/٨ وفي الدر المنثور ٤/٩٤ .

٧ ـ وقولـه جل وعـز : ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي شِيَعِ الأَوَّلِينَ ﴾ [آية ١٠] .

أي فِرق الأولين .

٨ ـ وقوله جل وعز : ﴿ كَذَلِكَ نَسْلُكُهُ فِي قُلُوبِ المُجْرِمِينَ.لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ ﴾ [آية ١٢] .

روىٰ سفيانُ عن حُميْدٍ ، عن الحسين ، قال : كذلك نسلكُ الشركَ(١) .

وقال أبو عبيد : حدثنا حجَّاج ، عن ابن جُريج ، عن مجاهد ، قال : نسلكُ التكذيب(٢) .

قال أبو جعفر : وهذا القول هو الذي عليه أهل التفسير ، وأهلُ اللغةِ ، إلَّا من شذَّ منهم ، فإنَّ بعضهم قال : المعنىٰ : كذلك نسلكُ القرآن ، واحتجَّ بأنَّ النبيَّ صلىٰ الله عليه وسلم لمَّا تلا القرآن عليهم وأسمعهم إيَّاه ، ووصل إلىٰ قلوبهم ـ وكان ذلك بأمرِ اللَّهِ وقوَّته ـ كان اللهُ عز وجل هو الذي يسلكه في قلوبهم علىٰ هذا المعنىٰ(٣) .

(١، ٢) انظر الآثار في الطبري ١٤/٩ وتفسير ابن الجوزي ٣٨٥/٤ والبحر المحيط ٤٤٨/٥ ورجح الطبري القول الأول فقال والمعنى : كما سلكنا الكفر في قلوب شيع الأولين ، بالاستهزاء بالرسل ، كذلك نفعل ذلك في قلوب مشركي قومك الذين أجرموا . اهـ ومعنى ﴿نسلكُه﴾ نُدخِلُه ، يُقال : سَلَكه ، وأسلكه .

(٣) حكاه في البحر ٤٤٨/٥ بصيغة التضعيف قال : ويحتمل أن يكون الضمير عائداً على القرآن ، =

وقيل : لمَّا خلقهم خِلقة يفهمون بها ما يأتيهم من الوحي ، فإذا خلقهم خلقة يفهمون بها ما يسلك ذلك في قلوبهم فكأنه سلكه .

٩ ــ ثم قال جل وعز : ﴿ وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ الأَوَّلِين ﴾ [آية ١٣] .

أي قد تقدَّمتْ سُنَّتهم في التكذيب بالآيات ، والبراهين وكفرهُم ، فهؤلاء يقتفون آثارهم[1] .

١٠ ــ ثم قال جل وعز ﴿ وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَاباً مِنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُون ﴾ [آية ١٤] .

قال عبدالله بن عباس : أي فظلَّ الملائكة فيه يعرجون . أي : يذهبون ويجيئون[2] .

قال أهل اللغة : عَرَجَ يَعْرُجُ : إذا صَعِد وارتفع ، ومنه قول العامَّةِ عُرِجَ بروح فلانٍ .

= والمعنى هلى هذا القول : كذلك نسلك القرآن في قلوبهم فيكذبون به ، والجمهور على خلافه .

(١) الأظهر أن المعنى : مضت سُنَّة اللهِ بإهلاك الكفار ، حين كذَّبوا رسلهم واستهزءوا بهم ، وهو تهديد لكفار مكة .

(٢) الأثر في الطبري ١٤/١١ وفي الدر المنثور ٩٥/٤ قال القرطبي ٨/١٠ : والمعارجُ : المصاعدُ أي لو صعدوا إلى السماء ، وشاهدوا الملكوت والملائكة ، لأصرُّوا على الكفر ، وقال الضحاك : لو فتحنا على المشركين باباً من السماء ، فنظروا إلى الملائكة تعرج بين السماء والأرض ، لقال المشركون : سحرنا محمد وليس هذا بالحق .

١١ ــ **ثم قال تعالىٰ : ﴿ لَقَالُوا إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا ﴾** [آية ١٥] .

قال ابن عباس : أُخِذتْ[١] .

قال أبو جعفر : والمعروف من قراءة مجاهد والحسن (سُكِرَتْ)[٢] بالتخفيف .

قال الحسن : أي سُحِرَتْ .

وحكىٰ **أبو عُبيدٍ** عن أبي عُبيدةَ أنهُ يقال : سُكِرتْ أبصارهم : إذا غشِيَها سَمَادِيرُ[٣] حتىٰ لا يُبصروا .

وقال الفرَّاءُ : من قرأ (سَكِرتْ) أخذَهُ من سكونِ الريح[٤] .

قال أبو جعفر : وهذه الأقوال متقاربة ، والأصلُ فيها ما قال « أبو عمرو بنِ العلاءِ » يرحمه اللَّهُ قال : هو من السُكْرِ في الشراب .

---

(١) الأثر في الطبري ١٤/١٢ ولفظُه : أُخذت أبصارنا ، وأخرجه ابن كثير عن قتادة عن ابن عباس ٤/٤٤٦ .

(٢) قراءة ﴿ سُكِرتْ ﴾ بضم السين وتخفيف الكاف ، قراءة ابن كثير كما في السبعة لابن مجاهد ٢/٣٠١ وأما قراءة ﴿ سَكِرَتْ ﴾ بفتح العين وكسر الكاف فهي من القراءات الشاذة كما في المحتسب لابن جني ٢/٣ قال (سَكِرَتْ) أي جَرَتْ مجرى السَّكران في عدم تحصيله ، وكذلك حالُ السكران في وقوف فكره ، والاعتراض عليه مما يُحيِّره ويُنغِّصه اهـ .

(٣) السَّمادير : هو ما يتراءى للإنسان من ضعف البصر عند السُّكر من الشراب .

(٤) انظر معاني القرآن للفراء ٢/٨٦ قال : العربُ تقول : قد سَكِرت الريحُ : إذا سكَنَتْ وركَدَتْ .

وهذا قول حسنٌ أي غشيهم ما غطَّى أبصارَهم ، كما غَشيَ السكران ما غطَّىٰ عقلَهُ[1] .

وسكُور الريحِ : سكونُها وفتورها ، وهو يرجع إلىٰ معنىٰ التَّخيير .

١٢ ــ **وقوله جل وعز : ﴿ وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجاً وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ ﴾** [آية ١٦] .

قال مجاهد : يعني الكواكب[2] .

قال أبو جعفر : ومن قال : إنها إثنا عشر برجاً[3] ، فقولُه يرجع إلىٰ هذا ، لأنها كواكبُ عظامٌ .

ومعروفٌ في اللغةِ أن يُقالَ : بَرَج يَبْرُجُ : إذا ظَهَر وارتفع ، فقيل لهذه الكواكِب بروجٌ ، لظهورها وثباتها ، وارتفاعها ، والبَرَجُ : كِبرُ العين[4] .

---

(١) هذا القول حكاه الطبري في جامع البيان ١٢/١٤ عن ابن العلاء قال : هو مأخوذ من سكر الشراب ، ومعناه : قد غشَّى أبصارَنا السُّكْرُ . ثم قال : وأولى الأقوال بالصواب أن معنى الآية : أُخذت أبصارنا وسُحِرت ، فلا تُبصر الشيء على ما هو عليه ، ذهب حدُّ إبصارها ، وانطفأ نوُره .

(٢) الأثر في الطبري ١٤/١٤ وابن كثير ٤٤٦/٤ .

(٣) البروج : منازلُ الشمس والقمر ، وهي الحَمْلُ ، والثَّوْرُ ، والجوزاءُ ، والسَّرطان .. الخ .

(٤) في الصحاح ٢٩٩/١ : البُرْجُ : واحدُ بروج السَّماء ، والبَرَجُ بالتحريك : أن يكون بياضُ العين =

١٣ ـ ثم قال تعالى ﴿ وَحَفِظْنَاهَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ ﴾ [آية ١٧] .

أي : لا يصل إليها ، ولا يَسْمعُ شيئاً من الوحي إلّا مُسارقةً ، وكان هذا من علامةِ نبوَّة محمد ﷺ ولا نعلم أحداً من الشعراء ، شبَّه شيئاً بسرعة الكواكب إلاَّ في الإسلام ، ولو كان هذا قبله لشبَّهوا به[(١)] :

قال ابن جريج : الرجيمُ : الملعونُ[(٢)] .

قال الكسائي : كل رجيم في القرآن فهو بمعنى الشتيم[(٣)] .

وقيل : رجيمٌ بمعنى مرجوم ، أي يُرْجَمُ بالكواكب .

= مُحْدِقاً بالسَّوادِ كلِّه ، لا يغيبُ من سوادها شيءٌ ، ومنه ثوبٌ مبرَّجٌ : للمزيَّن من الحُلَل ، والتبرُّجُ : إظهارُ المرأة زينتَها ومحاسنَها للرجال . اهـ .

(١) هذا ما قاله الزجاج في معانيه فقد قال رحمه الله ١٧٧/٣ : والرميُ بالشُّهب من آيات النبي ﷺ مما حدث بعد مولده ، لأن الشعراء في القديم لم يذكروه في أشعارهم .. الخ ثم قال القرطبي : ولا يبعد أن يُقال : انقضاضُ الكواكب كان في قديم الزمان ، ولكنه لم يكن رجوماً للشياطين ، ثم صار عند مولده ﷺ وانظر أيضاً القرطبي ١٢/١٠ .

أقول : يعارض ماذهب إليه المصنف ما روي في صحيح مسلم أن النبي ﷺ كان جالساً في نفر مع أصحابه ، إذْ رُمي بنجم فاستنار ، فقال : ما كنتم تقولون إذا كان مثل هذا في الجاهلية ؟ .. الحديث فدَّل على أن الرمي بالشهب كان قبل مبعثه صلى الله عليه وسلم ، فالصحيح أن انقضاض الكواكب قديمٌ ، وزاد ببعثته صلى الله عليه وسلم .

(٢) الأثر في الطبري ١٥/١٤ وفي الدر ٩٥/٤ .

(٣) حكاه الطبري في جامع البيان ١٥/١٤ عن القاسم عن الكسائي قال : الرجم في جميع القرآن : الشتم .

١٤ ـ **وقولــه جلَّ وعــز : ﴿ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ ﴾** [آية ١٩] .

روى معاويةُ بنُ صالحٍ عن عليٍّ بنِ أبي طلحةَ ، عن ابنِ عباس ﴿ **وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ** ﴾ .

قال : أي معلومٍ[(١)] .

وكذلك رَوَىٰ عليُّ بنُ الحَكَم عن الضحَّاكِ .

وقال أبو صالح وعكرمة : أي مقدور[(٢)] .

وقال مجاهد : أي مقدَّر بقدرٍ[(٣)] .

ومعناه : مُقَدَّر لا يزيـد علىٰ قَدَرِ الله ، ولا ينـقص ، فكأنـه موزونٌ .

وقيــل : أراد بموزون : ما يُوزن من الـذهب ، والـفضة ، والحديد ، والرصاص ، وشبهِه[(٤)] .

---

(١) رواه الطبري عن ابن عباس ١٥/١٤ .

(٢،٣)الأثران أخرجهما الطبري ١٩/١٤ وابن الجوزي في زاد المسير ٣٩١/٤ .
قال : وعلى قول مجاهد وعكرمة يكون المعنى : معلوم القـدر كأنـه قد وُزن ، لأن أهـل الدنيـا لمَّا كانوا يعلمون قدر الشيء بوزنه ، أخبر تعـالى عن هذا أنـه معلـوم القـدر عنـده بأنـه موزون .
وقال الزَّجاج : المعنى : أنه جرى على وزن من قَدَر اللـه تعـالى ، لايستطيـع أحـد زيـادة فيـه ولا نقصاناً .

(٤) هذا اختيار الفراء في معانيه ٨٦/٢ يريد أن كل ما له وزن كالذهب ، والفضة ، والنحاس أوجـده =

والمعنىٰ علىٰ هذا : وأنبتنا في الجبال من كل شيءٍ موزون .

١٥ ــ **ثم قال تعالىٰ** : ﴿ **وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ** .. ﴾ [آية ٢٠] .

أي في الأرض .

١٦ ــ **ثم قال تعالى** : ﴿ **وَمَنْ لَسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ** ﴾ [آية ٢٠] .

قال مجاهد : يعني الدوابَّ ، والأنعامَ(١) .

وقال غيره : يعني المماليك ، والدواب(٢) .

قال أبو جعفر : وهذا أولىٰ لأنَّ « مَنْ » لا تكون لما لايعقل ، إلَّا أن يختلط معه من يعقل .

والمعنىٰ : وجعلنا لكم المماليك ، والدواب ، والأنعام .

ويجوز أن يكون المعنىٰ : أعشناكم ، وأعشنا من لستم له برازقين(٣) .

= لبني آدم ، وحكاه ابن الجوزي عنه ٣٩١/٤ قال : وهو مرويٌّ عن الحسن ، وعكرمة ، وابن زيد ، وابن السائب ، واختاره الزجاج أيضاً في معانيه ١٧٦/٣ .

(١،٢) انظر الطبري ١٧/١٤ والدر المنثور ٩٥/٤ والبحر المحيط ٤٥٠/٥ واختار الطبري العموم من العبيد ، والإماء ، والدوابِّ ، والأنعام ، وكذلك قال صاحب البحر : والظاهر أن « من » لمن يعقل ، ويُراد به العيالُ ، والمماليكُ ، والخدم ، ويدخل معهم ما لايعقل بحكم التغليب كالأنعام والدواب ، قاله الفراء .

(٣) هذا قول الزجاج في معاني القرآن ١٧٦/٣ قال والمعنى : أعشناكم وأعشنا أُمَماً غيركم ، وكفيناكم مؤونة أرزاق الدواب والعبيد .

١٧ ــ **وقوله تعالىٰ : ﴿ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ .. ﴾** [آية ٢١] .

أخبر أن خزائن الأشياء بيده .

أي أنه جل وعز حافظُها ، والمتولِّي تدبيرَها .

١٨ ــ **وقولُه جلَّ وعز : ﴿ وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ .. ﴾** [آية ٢٢] .

قال عبدالله بن مسعود : تحمل الرِّيحُ الماءَ فتلَقِّح السحابَ ، وتَمْريه ، فيدُرُّ كما تَدُرُّ اللِّقحةُ ، ثم يُمطر(١) .

وقال ابن عباس : تُلَقِّح الرياحُ الشجر ، والسَّحاب ، وتَمْريه(٢) .

وقال أبو رجاء : قلتُ للحسن : **﴿ وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ ﴾** فقال : تلقِّحُ الشجرَ ، قلتُ : والسَّحاب ؟ قال : والسَّحاب(٣) .

وقال أبو عبيدة : ﴿لَوَاقِحَ﴾ أيْ مَلَاقِح ، يذهبُ إلىٰ أنه جمع مُلْقِحة ، ومُلْقِح ، ثم حُذفت منه الزوائد(٤) .

(١،٣)الآثار في الطبري ٢٠/١٤ وزاد المسير ٣٩٤/٤ وتفسير ابن كثير ٤٤٨/٤ ومعنى قوله « وتَمْريِهِ » أي تجعل المطرَ يدرُّ منه ، يُقال : مَرَى النَّاقةَ إذا مسحَ ضَرْعها ، فأَمْرتْ هي أي درَّ لبنُها ، واللِّقْحةُ بكسر اللام وفتحها : الناقةُ القريبة العهد بالنتاج ، واللَّقوحُ : غزيرةُ اللبن ، وكلامُ ابن مسعود على سبيل التمثيل لأثر الرياح في السحاب .

(٤) انظر مجاز القرآن لأبي عُبيدة ٣٤٨/١ قال : لأن الريح مُلقِحة للسحاب ، والعرب قد تفعل هذا فتُلقي الميم ، لأنها تعيده إلى أصل الكلام ، كقول نهشل «وأشعثَ ممن طوَّحتْه الطوائحُ » .

قال أبو جعفر : وهذا بعيدٌ ، وإنما يجوز حذفُ الزوائـد ، من مثل هذا في الشعر ، ولكنَّه جمع لاقحة .

و « لاَقِحٌ » علىٰ الحقيقة بلاحذف ، هو علىٰ أحد معنيين :

يجوز أن يُقال لها لاَقِحٌ علىٰ النَّسَب أي ذات إلقاحٍ كأنها تُلقِّح السحابَ والشجرِ ، كما جاء في التفسير ، وهو قولُ أبي عمرو[1] .

ويجوز أن يُقال لها لاقِحٌ أي حامـلٌ ، والعـرب تقـول للجَنُـوب لاقحٌ وحاملٌ ، وللشمال حائلٌ وعقيم ، وقـال الله جل وعـز : ﴿ **حَتَّىٰ إذَا أَقَلَّتْ سَحَاباً ثِقَالاً** ﴾[2] فأقلَّتْ ، وحَمَلَتْ واحدٌ[3] .

١٩ ــ **وقوله جلَّ وعز** : ﴿ **وَلَقَـدْ عَلِمْنَـا المُسْتَقْدِمِيـنَ مِنْكُـمْ وَلَقَـدْ عَلِمْنَـا المُسْتَأْخِرِين** ﴾ [آية ٢٤] .

رَوَى ابنُ أبي نَجيح عن مجاهد قال : ﴿**المستقدِمُـونَ**﴾ القـرونُ

---

(١) أبو عمْروٍ هو ابن العلاء ، اسمه زبَّـان المازني النحـوي ، المقـرىء ، من كبـار علمـاء اللغـة ، وقـد تقدمت ترجمته ١/١٣٢ .

(٢) سورة الأعراف آية ٥٧ .

(٣) قال في البحر ٥/٤٥١ : « لواقح » جمع لاقِـح ، يُقـال : ريح لاقـح ، وهـي التـي تأتي بخير من إنشاء سحاب ماطر ، كما قيل للتي لا تأتي بخير بل بشرٍّ « ريحٌ عقيمٌ » أو ملاقـح أي حامـلات للمطر . أهـ . وفي البخاري ٦/١٠٠ : لواقح : مَلاَقح مُلْقِحَة .

الأولىٰ ، و ﴿ **المستأخِرُون** ﴾ أمة محمد صلىٰ الله عليه وسلم(١) .

ورَوَىٰ سفيانُ عن أبيه عن عِكرمةَ قال ﴿ **المستقْدِمون** ﴾ كلُّ من خرج ، و ﴿ **المستأخِرُون** ﴾ كلُّ من كان في أصلاب الرجال(٢) .

ورَوَىٰ عليُّ بن الحَكَم عن الضحَّاك قال ﴿**المستقدِمُون**﴾ من مات ، و ﴿**المستأخِرُون**﴾ الأحياءُ(٣) .

ورَوَى سفيان عن أبانَ بنِ أبي عيَّاش ، عن أبي الجوزاء عن ابن عباس : ﴿ **وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنْكُمْ** ﴾ الصفُّ الأول ﴿ **وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ** ﴾ الصفُّ الآخرِ(٤) .

حدثنا محمدُ بنُ إدريسَ ، قال : نا إبراهيم بن مرزوقٍ ، قال نا مسلم بن إبراهيم ، قال : نا نوح بن قَيْسٍ(٥)، قال نا عمروُ بنُ

(١،٤)انظر هذه الآثار كلها في جامع البيان للطبري ٢٣/١٤ وزاد المسير لابن الجوزي ٣٩٦/٤ والدر المنثور للسيوطي ٩٧/٤ وجامع الأحكام للقرطبي ١٩/١٠ وأصحُّ هذه الأقوال ما ذكره الحافظ ابن كثير ٤٤٩/٤ عن ابن عباس قال : المستقدمون : كلُّ من هلك من لدن آدم عليه السلام ، والمستأخرون : من هو حيٌّ ومن سيأتي إلى يوم القيامة ، ورجحه الطبري فقال ٢٦/١٤ : لقد علمنا الأموات من بني آدم الذين تقدم موتهم ، وعلمنا المستأخرين الذين استأخر موتهم ممن هو حيٌّ . اهـ .

أقول : وقد فُسِّرت الآية بثمانية أقوال ، ذكرها صاحب البحر المحيط ، ثم قال : الأولى حملُ هذه الأقوال على التمثيل لا على الحصر .

(٥) هو نوح بن قَيْس بن رباح الأزدي البصري قال أحمد وابن معين : ثقة ، وقال النسائي : ليس به =

مالكٍ ، عن أبي الجَوْزاء ، عن ابن عباس في قول الله تبارك وتعالى : ﴿ **وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنْكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ** ﴾ قال : كانت امرأةٌ جميلة تُصَلِّي مع النبي ﷺ ، فكان رجالٌ يتقدمون حتى لا يَرَوْها ، وكان رجال يتأخرون فإذا ركع النبيُّ ﷺ وضع أحدهم يده على ركبته ، ونظر إليها من تحت ضَبْعه[1] فأنزل الله ﴿ **وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنْكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَأْخِرِين** ﴾[2] .

٢٠ ــ **وقوله جل وعز : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ .. ﴾** [آية ٢٦] .

فيه قولان :

أحدهما : رواه معاويةُ بن صالحٍ ، عن عليِّ بنِ أبي طلحة ،

= بأس ، توفي سنة ١٨٤ هـ وانظر تهذيب التهذيب ٤٨٥/١٠ .

(١) في المصباح المنير ٣/٢ : الضَّبْعُ بالسكون : العضد ، والجمع أضباع مثل فَرْخ وأفراخ . اهـ . وفي رواية المسند : فإذا ركع نظر من تحت إبطيه .

(٢) الحديث أخرجه أحمد في المسند ٣٠٥/١ والترمذي في تفسير سورة الحجر رقم ٥١٢٨ من رواية أبي الجوزاء عن ابن عباس ، قال الترمذي : وروي هذا عن أبي الجوزاء ولم يُذكر فيه عن ابن عباس ، وهذا أشبه أن يكون أصح من حديث نوح . ورواه ابن ماجه في سننه برقم ١٠٤٦ وذكره الحافظ ابن كثير في تفسيره ٤٥٠/٤ وقال : ورد في هذا حديث غريب جداً ، رواه ابن جرير ، وأحمد ، وابن أبي حاتم ، والترمذي والنسائي وابن ماجه من طُرقٍ عن نوح بن قيس ، ثم ذكر الحديث وقال : وهذا الحديث فيه نكارة شديدة . اهـ وهو كما قال ، لأن مثل هذا العمل لا يصدر إلاَّ من الفُسَّاق والفُجَّار ، لا من الصحابة الأطهار ، رضوان الله عليهم أجمعين .

عن ابن عباس قال : الصَّلْصَالُ : الطِّينُ اليابسُ(١) .

ورَوَى مَعْمر عن قتادة : هو الطينُ ييبس ، فتصيرُ له صَلْصَلَةٌ(٢) .

وقال الضحاك : هو الطِّينُ الصُّلبُ(٣) .

والقولُ الآخر : رواه ابنُ نجيحٍ ، وابنُ جريج ، عن مجاهد قال : الصلصالُ : المنتِنُ(٤) .

وقال أبو جعفر : والقولان يحتملان ، وإن كان الأول أبينُ لقول الله جل وعز : ﴿ **خَلَقَ الإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ كَالفَخَّارِ** ﴾(٥) .

وحكى أبو عبيدةَ أنه يُقال للطين اليابس : صَلْصَالٌ ما لم تأخذه النار ، فإذا أخذته النار فهو فخار(٦) .

وأنشد أهل اللغة :

« كَعَدْوِ المُصَلْصِلِ الجَوَّالِ »(٧)

والصَّلصلةُ : الصَّوتُ .

(١، ٤)انظر الآثار في الطبري ١٤/٣٢٨ وابن كثير ٤/٤٥١ والدر المنثور ٤/٩٨ .

(٥) سورة الرحمن آية ١٤ .

(٦) مجاز القرآن لأبي عُبيدة ولفظه قال : الصَّلصالُ : الطِّينُ اليابس الذي لم تصبه نار ، فإذا نقرته صلَّ فسُمعت له صلصلة ، فإذا طُبخ بالنار فهو فخار ، وكلُّ شيءٍ له صوتٌ فهو صلصال سوى الطين .

(٧) هذا عجز بيتٍ للأعشى ، وتمامه كما في ديوانه ص ١٦٥ .

عنتَريسٌ تَعْدُو إذا مسَّها السَّوْ ... طُ كعَدْو المصَلْصِلِ الجَوَّالِ

من قصيدة يمدح فيها الأسود بن المنذر ، ومطلعها : ما بكاءُ الكبير بالأطلال .. يصف فيه الناقة بأنها عنتريس أي صلبة تركض إذا مسَّها السوط ، كما يعدو حمار الوحش الجوَّال ، وانظر الكامل=

وقال الفراء : هو طين حرٌّ يُخلط برملٍ ، فيُسمع له صلصلة[1] .

وأما القول الثاني : فالأصل فيه صِلَالٌ ، ثم أُبدل من إحدى اللّامين صاد .

[وحكىٰ الكسائي أنه يقال : صلَّ اللحمُ ، وأصلَّ : إذا أنتَنَ .

٢١ ـ **ثم قال جل وعز** : ﴿ **مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ** ﴾ [آية ٢٦] .

[فالحمأ ، والحمأة : الطِّينُ][2] الأسود المتغير[3] .

وفي المسنون أربعة أقوال :

رَوَىٰ سفيان عن الأعمش عن مسلم عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : المسنون : المنتن[4] .

وكذلك روىٰ قيس بن الربيع عن الأعمش عن مسلم عن سعيد ابن جبير قال : خُلِقَ الإنسانُ من صلصال من طين لازب ، وهو الجيد ، ومن حَمَإٍ مسنون وهو المنتن[5] .

وروىٰ ابن أبي نجيح عن مجاهد قال : هو المنتنُ[6] .

= ٤٨٩ واللسان ، والتاج مادة صلصل .

(١) انظر معاني القرآن للفراء ٨٨/٢ وفي المخطوطة « طير حر » وهو تصحيف وصوابه طين حرٌّ .

(٢) ما بين الحاصرتين ساقط من المخطوطة ، وأثبتناه من الهامش .

(٣) قال القرطبي ٢١/١٠ : والحَمَأُ : الطين الأسود ، وكذلك الحَمْأَةُ بالتسكين ، وقال أبو عُبيدة : الحَمْأَةُ مثل الكَمْأة والجمع حَمْأٌ ، مثل تَمْرَةٍ ، وتمرٌ ، والمسنونُ المتغيرُ .

(٤،٦) انظر هذه الآثار في جامع البيان للطبري ٢٩/١٤ وتفسير ابن الجوزي ٣٩٤/٤، والدر المنثور ٩٨/٤ .

وذهب إلىٰ هذا القول من أهل اللغةِ الكسائيُّ ، وأبو عمروٍ الشيباني ، وزعم أبو عمروٍ الشيباني أن قول الله ﴿ **لَمْ يَتَسَنَّهْ** ﴾[1] من هذا ، وأن الأصل فيه (لَمْ يَتَسَنَّنْ) فأبدل من إحدىٰ النونين هاءً ، فهذا قولٌ .

والقولُ الآخر : وهو مذهب أبي عبيدة أن المسنونَ : المصبوب[2] .

ورَوَىٰ معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قال المسنونُ : الرَّطبُ[3] .

فهذا بمعنىٰ المصبوب ، لأنه لا يكون مصبوباً إلاَّ وهو رطب ، وهذا قول حسنٌ لأنه يقال : سَنَنْتُ الشَّيءَ أي صببتُهُ ، وفي الحديث « إنَّ الحسن كان يَسُنُّ الماء علىٰ وجههِ سنَّاً »[4] ولو كان هذا من

---

(١) سورة البقرة آية ٢٥٩ ﴿ فانظر إلى طعامك وشرابك لم يتسنَّهْ ﴾ أي لم يتغير بمرور الزمان ، وقد ردَّ هذا القول أبو حيان في البحر المحيط ٤٥٣/٥ قال :وهو من أسِنَ الماءُ : إذا تغيرّ ،ولايصحُّ لاختلاف المادتين .

(٢) انظر مجاز القرآن لأبي عُبيدة ٣٥١/١ .

(٣) الأثر في الطبري ٣٠/١٤ والبحر المحيط ٤٥٣/٥ وتفسير ابن الجوزي ٣٩٨/٤ وأرجح الأقوال في معنى الآية ما حكاه الطبري عن قتادة وابن عباس ، أن الحمأ المسنون الطين الأسود الرطب الذي قد تغيَّر وأنتن . اهـ . جامع البيان ٢٩/١٤ .

(٤) الأثر ذكره القرطبي في جامع الأحكام ٢٢/١٠ عن عمر رضي الله عنه « أنه كان يَسُنُّ الماءَ على وجهه ، ولا يَشُنُّه » قال : والشنُّ بالشين تفريقُ الماء ، وبالسِّين المهملة صبُّه من غير تفريق .

أَسِنَ الماءُ لكان مؤسِناً[1] .

والقول الثالثُ : قول الفراء وهو المحكوك ، ولا يكون إلاَّ متغيراً ، من سننْتُ الحديدَ[2] .

والقولُ الرابع : أنه المصبوبُ على مثالٍ وصورة ، من سُنَّةِ الوجه[3] .

٢٢ ــ **وقولـه جلَّ وعزَّ : ﴿ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ المُنْظَرِينَ إِلَى يَوْمِ الوَقْتِ المَعْلُومِ ﴾** [آية ٣٨] .

قال سفيان : بلغني أنَّ الوقت المعلوم النفخةُ الأُولى[4] .

٢٣ ــ **وقولُه جلَّ وعز : ﴿ قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ ﴾** [آية ٤١] .

أحدهما : وهو مذهب مجاهد قال : الحقُّ طريقُه عليَّ ، وهو يرجع إليَّ[5] ، كما يقال في التوعُّدِ : طريقكَ عليَّ فاعمل ما شئت ،

---

(١) قال ابن عطية في المحرر الوجيز ٣٠٥/٨ قيل : هو من أسِنَ الماء إذا تغيرَّ ، والتصريف يردُّ هذا القول .

(٢) انظر معاني القرآن للفراء ٨٨/٢ ولفظهُ قال : والمسنونُ : المتغيِّرُ ــ والله أعلمُ ــ أُخِذَ من سَنَنْتُ الحَجَر على الحَجَر ، والذَّي يَخرجُ ممَّا بينهما يُقال له السَّنِينُ . أهـ .

(٤) هذا قول سيبويه كما في القرطبي ٢٣/١٠ قال : المسنونُ : المصوَّر ، أُخذ من سُنَّة الوجه وهو صورتُه . حكاه الطبري ٢٨/١٤ عن بعض نحويِّ البصرة قال : عنى به : حماً مصوَّر تام ، سُنَّ على مثال سُنَّة الوجه أي صورته .

(٤) الأثر في الدر المنثور ٩٩/٤ وعزاه إلى ابن أبي حاتم وابن مردويه .

(٥) انظر جامع البيان للطبري ٣٣/١٤ ولفظه : الحقُّ يرجع إلى الله ، وعليه طريقهُ ، لا يُعرِّج على شيء .

وكما قال تعالى ﴿ إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ ﴾[1] .

والقول الآخر : إن هذا صراط على أمري وتحت إرادتي .

وقرأ قيسُ بنُ عُبادة[2] ﴿ قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلِيٌّ مُسْتَقِيمٌ ﴾[3] وقال أي رفيعٌ ، ومعناه رفيعٌ في الدِّينِ والحقِّ .

٢٤ ــ **وقولُه جلَّ وعزَّ : ﴿ إِلاَّ مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الغَاوِين ﴾** [آية ٤٢] .

أي الضالين .

٢٥ ــ **وقوله جلَّ وعز : ﴿ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ . لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ ﴾** [آية ٤٤] .

أي لكلٍّ منزلٌ منهم من العذاب ، على قدر منزلته في الذنب[4] .

ورَوَى مالك بن مِغْوَل ، عن حُميدٍ ، عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال : « لجهنم سبعةُ أبواب ، بابٌ منها لمن سلَّ سيفه على أمتي ، أو قال على أمة محمد »[5] .

---

(١) سورة الفجر آية ١٤ .

(٢) في المخطوطة : قيس بن عباد ، وصوابه « قيس بن عُبادة » ذكره في الإصابة ٤٨٧/٥ قال ابن منده : لاتصحُّ له صُحبة . اهـ .

(٣) هذه من القراءات الشاذة كما في المحتسب لابن جني ٣/٢ .

(٤) حكاه ابن كثير عن قتادة ٤٥٥/٤ قال : هي واللهِ منازلُ بأعمالهم .

(٥) الحديث أخرجه الترمذي في تفسير سورة الحِجْر ٥٥١/٨ من تحفة الأحوذي ، قال صاحب =

٢٦ ــ وقولُــــه جلّ وعــــزَّ : ﴿ وَنَزَعْنَـــا مَا فِي صُدُورِهِـــمْ مِنْ غِلٍّ .. ﴾ [آية ٤٧] .

الغِلُّ عند أهـل اللغـة : الشحنـاءُ ، والسَّخِيمـة[١] ، والعـداوةُ ، يُقال منه : غَلَّ يَغِلُّ .

ويُقـال : من الغُلـول ــ وهـو السرقـةُ من المغنـم ــ غَلَّ يَغُـلُّ ، ويُغال من الخِيانه أَغَلَّ يُغِل كما قال الشاعر :

جَزَىٰ اللَّـهُ عَنَّـا جَمْـرَةَ ابنــةَ نَوْفَــلٍ
جَزَاءَ مُغِـــلٍّ بالأَمانـــــةِ كَاذِبِ[٢]

٢٧ ــ ثم قال جلَّ وعز : ﴿ إِخْوَاناً عَلَىٰ سُرُرٍ مُتَقابِلِين ﴾ [آية ٤٧] .

روى سفيـان عن ابـن أبي نجيـح عن مجاهـد في قولـه تعـــالى : ﴿مُتَقَابِلِينَ ﴾ قال : لا ينظر أحدهُم إلى قفا صاحبه[٣].

= التحفة : وأخرجه البخاري في تاريخه . ورواه السيوطي في الدر المنثور ٩٩/٤ والحافظ ابن كثير في تفسيره ٤٥٥/٤ وقد ورد في المخطوطـة « على من سلَّ سيفـه على النبـي » وروايـة الترمـذي « على أمتي » وهو الصواب ، وانظر الدر ٩٩/٤ .

(١) في الصحاح مادة « سخم » السَّخيمةُ : الضَّغينةُ والموجِدَةُ في النفس .

(٢) البيت للنمـر بن تَوْلَب ، سبـى امـرأةً من بنـي أسد يُقـال لها « جمزة بنت نوفـل » فأبغضتـه ، فحبسها حتى استقرت عنده وولدت له أولاداً ، ثم ذكرت له أنها اشتاقت إلى أهلها ، فقال لها : أخـاف ألاَّ ترجعـي وأن تغلبينـي على نفسك فعاهدتـه على الرجـوع ، ثم لما وصلت ديـار أهلهـا مكثت فلم ترجع إليه ، فقال هذه الأبيات ، وانظر الأغاني ١٥٩/١٩ . وروايـة التـاج « جَمْـرة » وفي الأغاني حمزة ، ولعل الصواب ما في التاج .

(٣) الأثر أخرجه ابن جرير ٣٨/١٤ وابن كثير ٤٥٧/٤ والسيوطي في الدر ١٠١/٤ .

٢٨ ــ **ثم قال جلَّ وعز : ﴿ لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ ﴾** [آية ٤٨] .

أي تعبٌ .

٢٩ ــ **وقولُه جلَّ وعزَّ : ﴿ نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾** [آية ٤٩] .

أي أَخبِرْ(١) .

ورُوي أن النبيَّ ﷺ خرج على أصحابه وهم يضحكون ، فقال : أتضحكونَ وبين أيديكم الجنة والنار ؟ فشقَّ ذلك عليهم ، فأنزلَ اللهُ **﴿ نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الغَفُورُ الرَّحِيم . وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ العَذَابُ الأَلِيم ﴾**(٢) .

٣٠ ــ **وقوله جلَّ وعزَّ : ﴿ قَالُوا لَا تَوْجَل ﴾** [آية ٥٣] .

معناه لاتفزع . والقانطون اليائسون .

---

(١) قال الحافظ ابن كثير ٤٥٨/٤ : أي أَخبِرْ يا محمد عبادي أني ذو رحمة واسعة ، وذو عقابٍ أليم .

(٢) الحديث أخرجه الطبري عن ابن أبي رباح عن رجلٍ من أصحاب النبي ﷺ وسنده ضعيف ، وذكره ابن كثير في تفسيره ٤٥٨/٤ من رواية ابن أبي حاتم وهو مرسلٌ ، وأورده السيوطي في الدر ١٠٢/٤ وعزاه إلى ابن مردويه ، ورواية الطبري : طلع علينا رسول الله ﷺ من الباب الذي يدخل منه بنو شيبة ونحن نضحك ، فقال : ألا أراكم تضحكون ؟ ثم أدبر حتى إذا كان عند الحِجْر ، رجع إلينا القهقرى ، فقال : إني لمَّا خرجتُ جاء جبريل فقال يامحمد : إن الله يقول : لِمَ تُقنِّط عبادي ؟ ﴿ نبئ عبادي أني أنا الغفور الرحيم .. ﴾ الآيات .

٣١ ــ قولـه جلَّ وعـز : ﴿ إِلَّا امْرَأَتَـــهُ قَدَّرْنَـــا إِنَّهـــا لَمِـــنَ الغَابِرِينَ ﴾ [آية ٦٠] .

قيل : « قَدَرْنَا » بمعنى علمنا ، وقدَّرنا على بابه ، أي هو في تقديرنا وفيما أخبرناه به هكذا .

والغابرُ : الباقي ، وقد يُستعمل للذاهب ، والمعنى:إنها لمن الباقين في الهلاك ،

وأنشد أهل اللغة :

لا تَكْسَعِ الشَّوْلَ بِأَغْبَارِهَـــا
إِنَّكَ لا تَدْرِي مَنِ النَّاتِـــجُ[1]

الأغبارُ : بقايا اللَّبن .

٣٢ ــ **وقولُه جلَّ وعز : ﴿ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ ﴾** [آية ٦٢] .

قال مجاهد : أنكرهم لوط صلى الله عليه وسلم[2] .

وقيل : أنكرهم إبراهيم صلى الله عليه وسلم لأنهم لم يأكلوا من

(١) البيت للحارث بن حِلِّزَةَ ، واستشهد به القرطبي في جامع الأحكام ٣٧/١٠ يريد : لا تضربْ الماء البارد على ضرع الناقة ليجفَّ لبنها ، فيكون أقوى لها على الحمل في العام القابل ، فإنك لا تدري ، ما يحدث ، ومن يلي أمر نتاجها ، وانظر لسان العرب ٣٧٣/٢ .

(٢) الأثر في الطبري ٤١/١٤ وفي الدر المنثور للسيوطي ١٠٢/٤ .

طعامه[1] ، وكانوا يُنكرون أمرَ الضَّيف إذا لم يأكل .

٣٣ ــ ثم قال جلَّ وعزَّ : ﴿ قَالُوا بَلْ جِئْنَاكَ بِمَا كَانُوا فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴾ [آية ٦٣] .

قال مجاهد : بالعذاب[2] .

قال أبو جعفر : المعنى : بل جئناك بما كانوا يشكُّون من نزول العذاب بهم[3] .

٣٤ ــ وقوله تعالى : ﴿ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ .. ﴾ [آية ٦٥] .

السُّرىٰ لا يكون إلَّا بالليل[4] ، إلا أن قوله تعالى ﴿بِقِطَعٍ﴾[5] يدلُّ على ذهابِ كثيرٍ من الليل .

٣٥ ــ ثم قال تعالى : ﴿ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ .. ﴾ [آية ٦٥] .

---

(١) هذا القول ضعيف لأن الآية صريحة في أن المراد بها لوط عليه السلام ، لقوله سبحانه ﴿ فلمَّا جاء آل لوطٍ المرسلون . قال إنكم قوم منكَرُون ﴾ فهذا من كلام لوط لا إبراهيم .

(٢) الأثر في الطبري ٤١/١٤ قال ابن جرير : والمعنى : جئناك بما كان فيه قومك يشكُّون من عذاب الله أنه نازل بهم ، وقال الزجاج : المعنى : جئناك بالعذاب الذي كانوا يشكُّون في نزوله . اهـ .

(٣) كلام المصنف تفسيرٌ للامتراء ، وهكذا قال ابن الجوزي ٤٠٦/٤ : أي أتيناك بالأمر الذي لاشك فيه من عذاب قومك .

(٤) في المصباح المنير ٢٩٤/١ : سريتُ الليلَ ، وسَرَيْتُ به سَرْياً : إذا قطعته بالسير ، وأسريتُ بالألف لغةٌ حجازية .

(٥) قراءة الجمهور ﴿ بقِطْعٍ ﴾ بسكون الطاء ، وأمَّا قراءة « قِطَع » بفتح الطاء فقد ذكرها في البحر ٤٦١/٥ عن فرقة ، وليست من القراءات السبع .

قيل : نهى عن الإلتفات إلى ما في المنازل ، لئلا يقع الشُّغلُ به عن المضيِّ[1] .

٣٦ ــ **وقوله جلَّ وعزَّ : ﴿ وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الأَمْرَ ﴾** [آية ٦٦] .

أي أخبرناه به ، ثم بيَّنه فقال تعالى : **﴿ أَنَّ دَابِرَ هَؤُلَاءِ مَقْطُوعٌ مُصْبِحِينَ ﴾** [آية ٦٦] .

أي إن آخرهم مستأصل[2] .

وقال الفراء : الدَّابرُ : الأَصلُ[3] .

٣٧ ــ **وقولُه تعالى : ﴿ قَالُوا أَوَلَمْ نَنْهَكَ عَنِ العَالَمِين ﴾**؟ [آية ٧٠] .

يُروى أنهم كانوا نَهَوْه أن يُضيف أحداً[4] .

٣٨ ــ **ثم قال جلَّ وعزَّ : ﴿ قَالَ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي إِنْ كُنْتُم فَاعِلِين ﴾** [آية ٧١] .

---

(١) قال القرطبي ١٠/٣٨ : نُهوا عن الالتفات ليجِدُّوا في السير ، ويتباعدوا عن القرية قبل أن يفاجئهم الصبح .

(٢) هذا كلام الزجاج كما حكاه ابن الجوزي في زاد المسير ٤/٤٠٧ قال : والمعنى : إن آخر من يبقى منكم يهلك وقت الصبح .

(٣) انظر معاني الفراء ٢/٩٠ .

(٤) هذا قول قتادة كما في الطبري ١٤/٤٣ وعبارته : قالوا : ألم ننهك أن تُضيف أحداً . وقال ابن الجوزي ٤/٤٠٧ : أي ألم ننهك عن ضيافة العالمين .

هذا الجواب محمول على المعنى ، والمعنى : أنهم أرادوهم للفساد ، فقال لهم لوط ﷺ : هؤلاء بناتي فتزوَّجوا[1] .

وأحسنُ ما قيل في هذا : أن أزواج كلِّ نبيٍّ بمنزلة أمهات أمته ، وأولادُ أمته بمنزلة أولاده[2] .

٣٩ ـ **وقولُه جل وعز : ﴿ لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾** [آية ٧٢] .

رَوَى معاويةُ بن صالحٍ ، عن علي بن أبي طلحةَ ، عن ابن عباس ، قال : **﴿لَعَمْرُكَ ﴾** لَعيشُكَ[3] .

وروىٰ أبو الجوزاء عن ابن عباس قال : لحياتكَ[4] .

وروي أن إبراهيم النخعي كرِهَ أن يقول الرجل لَعَمْري ، قال : لأنَّ معناه : وحياتي[5] .

وكذلك هو عند أهل اللغة .

---

(١) لم يقصد لوط عليه السلام بقوله ﴿هؤلاء بناتي﴾ بناته من صلبه ، إنما قصد بنات البلد ، فكأنه يقول : هؤلاء النساء فتزوجوا بهن ، ولا تركنوا إلى الحرام إن كنتم تريدون قضاء الشهوة .

(٢) هذا ما اختاره الطبري ، وابن كثير ، وأبو حيان ، وجمهور المفسرين ، قال الحافظ ابن كثير ٢٦٨/٤ : يرشدهم إلى نسائهم ، فإن النبي للأمة بمنزلة الوالد ، فأرشدهم إلى ما هو أنفع لهم في الدنيا والآخرة ، ويؤيده قوله سبحانه ﴿ أتأتون الذُّكْرانَ من العالمين . وتذرون ما خلق لكم ربكم من أزواجكم ﴾ ؟ وانظر البحر ٢٤٦/٥ .

(٣،٥)الآثار في الطبري ٤٤/١٤ وابن الجوزي ٤٠٨/٤ والدر المنثور ١٠٣/٤ .

قال سيبويه : العَمْرُ ، والعُمْرُ واحدٌ ، ولا يستعملون في القَسَم إلاَّ الفتح لِخفَّته(١) ، وحُكيَ : لَعُمْري ، وكلُّه بمعنى العُمْر .

وهذه فضيلةٌ للنبي ﷺ ، أقسم الله جلَّ وعزَّ بحياته .

قال أبو الجوزاء : ما سمعتُ اللّهَ جلَّ وعز حلف بحياة أحد غيره صلى الله عليه وسلم(٢) .

قال سفيان : سألتُ الأعمش عن قوله تعالى : ﴿ **لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ** ﴾ .

فقال : أقسَمَ بالنبيِّ إنهم لفي غفلتهم يتردَّدون(٣) .

٤٠ ـ **وقولُه جلَّ وعز** : ﴿ **فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ** ﴾ [آية ٧٣] .

---

(١) قال ابن الأنباري : وفي العَمْرِ ثلاثُ لغات : عَمْرٌ ، وعُمْرٌ ، وعُمُرٌ ، وهو عند العرب البقاءُ ، وحكى الزجّاج أن الخليل وسيبويه وجميع أهل اللغة قالوا : العَمْرُ والعُمْرُ في معنى واحد ، فإذا استُعمل في القسم فُتِح لاغيرُ ، وإنما آثروا الفتح في القسم لخفَّته ، والمعنى : لعمرك قسمي أي أقسم اهـ . وانظر زاد المسير ٤/٤٠٨ ومعاني الزجّاج ١٨٤/١ .

(٢) الأثر أخرجه الطبري عن أبي الجوزاء عن ابن عباس ٤٤/١٤ ورواه السيوطي في الدر ١٠٣/٤ عن ابن عباس ولفظُه قال : ماخلق اللهُ ، وما ذرأ وما برأ نفساً أكرم على الله من محمد ﷺ ، وما سمعتُ الله أقسم بحياة أحدٍ غيره قال ﴿ لعمرك إنهم لفي سكرتهم يعمهون ﴾ يقول : وحياتك يا محمد ، وعُمْركَ وبقائك في الدنيا ، إنهم لفي غفلتهم يتردَّدون . وانظر ما ذكره القرطبي في تفسيره ٤١/١٠ . حول هذه الآية الكريمة ، ففيه بيانٌ وإبداع .

(٣) انظر الأثر في جامع البيان للطبري ٤٤/١٤ والدر المنثور ١٠٣/٤ .

أي فأخذتهم الصيحة بالعذاب ، وقتَ إشراق الشمس[1] .

٤١ ــ **وقولُه جلَّ وعز : ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِلْمُتَوَسِّمِينَ ﴾** [آية ٧٥] .

قال مجاهد : أي للمتَفرِّسِينَ[2]

قال الضحاك : أي للناظرين[3] .

قال أبو جعفر : وحقيقتُه توسَّمتُ الشيءَ : نظرتُ نَظَر متثِّبت ، حتى تثبتَ حقيقة سِمَةِ الشيء[4] .

٤٢ ــ **وقولُه عزَّ وجل : ﴿ وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُقِيمٍ ﴾** [آية ٧٦] .

يجوز أن يكون المعنى : وإنَّ الآيات ،

ويجوز أن يكون المعنى : وإن مدينة قوم لوطٍ .

---

(١) قال أبو حيان في البحر ٥/٤٦٢ : والصيحةُ : صيحةُ الهلاك . أي أخذتهم صيحةُ العذاب المهلكة المدمرة وقت شروق الشمس .

(٢،٣)انظر الآثار في الطبري ١٤/٤٥ وابن كثير ٤/٤٦١ والدر المنثور ٤/١٠٣ .

(٤) هذا قول أهل اللغة ، قال ابن قُتيبة : يُقال : توسَّمْتُ في فلانٍ الخير أي تبيَّنتُهُ ، وقال الزجَّاجُ : المتوسِّمون في اللغة : النُّظَّارُ المتثبِّتون في نظرهم حتى يعرفوا حقيقة سِمَة الشيء اهـ . زاد المسير ٤/٤٠٩ وقال الحافظ ابن كثير ٤/٤٦١ : أي إن آثار هذه النِّقم ظاهرة على تلك البلاد ، لمن تأمل ذلك وتوسَّمه بعين بصره وبصيرته .

قال **مجاهد** : ﴿ **لَبِسَبِيلٍ مُقِيمٍ** ﴾ لبطريق مَعْلَم ، أي واضح[1] .

٤٣ ــ **وقولُه جلَّ وعز** : ﴿ **وَإِنْ كَانَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ لَظَالِمِينَ** ﴾ [آية ٧٨] .

قال الضحاك : الأيكةُ : الغَيْضَةُ ذاتُ الشجر[2] .

قال أبو جعفر : وكذلك هو في اللغة ، يُقال للشجرة أيكةٌ ، وجمعُها أَيْكٌ[3] .

ويُروى أن شَجَرهم كان دُوْماً[4] .

وأما روايةُ من روى أنَّ « لَيْكَةَ » اسمُ القريةِ التي كانوا فيها ، و « الأيكةُ » البلاد كلُّها ، فلا يُعرف في اللغةِ ولا يصحُّ[5] .

٤٤ ــ **وقولُه جلَّ وعزَّ** : ﴿ **فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُبِينٍ** ﴾[آية ٧٩].

(١، ٢)انظر الطبري ١٤/٤٨ وتفسير ابن الجوزي ٤/٤١٠ .

(٣) في المصباح المنير ١/٣٨ : الأَيْكُ شجرٌ يُقال من الأراك ، الواحدة أَيكةٌ ، مثل تَمْرٍ ، وتَمْرَة . اهـ .

(٤) حكاه القرطبي ١٠/٤٥ قال : ويُروى أنَّ شجرهم كان دُوْماً وهو المُقْلُ . اهـ .
قال الزجاج : الأيكُ : الشجر الملتفُّ ، والفصل بين واحده وجمعه الهاءُ . قال المفسرون : هم قوم شعيب ، كان مكانهم ذا شجر ، فكذَّبوا شعيباً فأُهلكوا بالحر . انظر زاد المسير ٤/٤١٠ .

(٥) انظر جامع الأحكام للقرطبي ١٠/٤٥ فقد ادَّعى أن هذا قول أبي عُبيدة ، وأنه بمنزلة بكة من مكة .

قال الضحاك : أي لبطريقٍ مستبين[1] ، أي يمرُّون عليها في أسفارهم .

قال أبو جعفر : ومعروف في اللغة أن يقال للطريق : إمامٌ ، لأنه يُؤتَمُّ به ، ويُتَّبع .

٤٥ ــ وقولُه جلَّ وعز : ﴿ وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَابُ الحِجْرِ المُرْسَلِينَ ﴾ [آية ٨٠] .

وروى معمرٌ عن قتادة قال : الحِجْرُ : الوادي ، يذهب إلى أنه اسم له[2] .

٤٦ ــ وقولُه جل وعز : ﴿ وَكَانُوا يَنْحِتُونَ مِنَ الجِبَالِ بُيُوتاً آمِنِينَ ﴾ [آية ٨٢] .

أي آمنين أن تَسْقُط .

٤٧ ــ وقولُه جلَّ وعز : ﴿ فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الجَمِيلَ ﴾ [آية ٨٥] .

قال مجاهد : هذا قبل أن يُؤمر بالقتال[3]

---

(١) الأثر في الطبري ٤٩/١٤ قال ابن جرير : والضميرُ في « وإنهما » للمدينتين أي وإن مدينة أصحاب الأيكة ، ومدينة قوم لوطٍ ، لبطريقٍ واضح يأتمون به في أسفارهم ويهتدون ، وإنما جُعل الطريق إماماً لأنه يُؤَمُّ ويُتَّبع . اهـ .

(٢) الطبري عن قتادة ٤٩/١٤ والحجرُ : مساكن ثمود . وقال ابن الجوزي ٤١١/٤ : الحِجْرُ : اسم الوادي الذي كانوا به ، قاله قتادة ، والزجاج .

(٣) الأثر في الطبري ٥١/١٤ يذهب مجاهد إلى أن الآية منسوخة بآية القتال ، وانظر الدر المنثور ١٠٤/٤ .

٤٨ ــ وقوله جل وعز : ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعَاً مِنَ المَثَانِي ﴾ [آية ٨٧] .

روى عبدُ خَيْرٍ[١] ، عن عليٍّ بنِ أبي طالب ، أنه قال في قوله تعالى ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعَاً مِنَ المَثَانِي ﴾ يعني فاتحة الكتاب[٢] .

وكذلك قال أبو هريرة : هي فاتحةُ الكتاب ، وليس فيها بسم الله الرحمن الرحيم[٣] .

وكذلك روى أبو يحيى عن مجاهد ، وكذلك روى معْمَرٌ عن قتادة[٤] .

ورَوَى سفيانُ بن منصور ، عن مجاهد عن ابن عباس قال : ﴿ آتَيْنَاكَ سَبْعَاً مِنَ المَثَانِي ﴾

قال : السبع الطُّوَل[٥] .

وكذلك روى شعبةُ عن أبي بِشْرٍ عن سعيد بن جُبير : ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعَاً مِنَ المَثَانِي ﴾ .

قال : السبع الطُّوَل : « البقرةُ ، وآلَ عمرانَ ، والنِّساءُ ، والمائدةُ ، والأنعامُ ، والأعرافُ ، ويونس »[٦] .

---

(١) هو عبد خير بن يزيد « أبو عُمارة » الكوفي ، روى عن ابن مسعود ، وعلي ، وزيد بن أرقم ، قال يحيى بن معين : عبدُ خيرٍ ثقةٌ ، وانظر ترجمته في التهذيب ١٢٤/٦ والجرح والتعديل ٣٧/٦ .

(٢،٩) هذه الآثار كلُّها عن السلف ذكرها المفسرون ، الطبري في جامع البيان ٥٢/١٤ والقرطبي في جامع الأحكام ٥٤/١٠ والسيوطي في الدر المنثور ١٠٥/٤ وابن الجوزي في زاد المسير ٤١٣/٤ =

كذلك في الحديث ، وكذلك قال الضحاك هي السبعُ الطُّوَل ، وكذلك روى ابن أبي نجيح عن مجاهد أنه قال : « السبع المثاني والقرآنُ العظيم : أمُّ القرآن »(٧)

قال الضحاك : ﴿ **القرآنُ العظيم** ﴾ سائِرُهُ(٨) .

وقد صحَّ عن عليٍّ بن أبي طالب أنه قال : السبعُ المثاني الحمدُ ، وقال به قتادة(٩) .

وفسَّر معناه قال : لأنَّ فاتحة الكتاب تُثَنَّى في كل ركعة ، فريضةً أو نافلةً .

والمعنى على هذا القول : ولقد آتيناك سبعَ آياتٍ مما يُثَنَّى في الصلاة .

و (**مِنْ**) **ها هنا لبيان الجنس** على هذا القول ، كما قال

= وابن كثير في تفسيره ٤/٤٦٥ وأرجح هذه الأقوال وأصحُّها أن السبع المثاني هي « سورة الفاتحة » لأنها سبع آيات باتفاق ، وهي تثنَّى أي تُقرأ وتكرَّر تلاوتها في كل فريضة ونافلة ، وممَّا يؤيد هذا القول ما رواه البخاري ٦/١٠١ من حديث سعيد بن المعلَّى أن النبي ﷺ قال له : لأعلمنَّك أعظم سورة في القرآن قبل أن أخرج من المسجد ، فلما أراد أن يخرج من المسجد ذكَّرته فقال : ﴿ الحمدُ لله رب العالمين ﴾ هي السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أوتيته » وهذا الحديث نصٌّ صريح في أنها فاتحة الكتاب ، واختاره ابن جرير ، وابن كثير ، وجمهور المفسرين ، وانظر تفصيل الأقوال في زاد المسير ٤/٤١٣ وعلى هذا القول يكون عطف « القرآن » على المثاني ، من باب عطف العام على الخاص لمزيد من الاهتمام بالخاص .

تعالى : ﴿ **فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الأَوْثَانِ** ﴾[1] .

ويجوز أن يكون المعنى : مما يثنى به على اللّه ، لأن في الحمد ثناءً على الله ، وذكرَ توحيده ، وملكَهُ يومَ الدين ، وتكون (مِنْ) على هذا القول لبيان الجنس أيضاً[2] .

ويجوز أن تكون للتبعيض ، ويكونُ المعنى : ولقد آتيناك سبَع آيات من المثاني أي من القرآن ، الذي يُثَنَّى فيه الآياتُ ، والقصصُ ، ويُثْنَى فيه على اللّهِ[3] .

وهذا أحسنُ ، وهو مذهب أبي مالك ، لأنه قال ﴿**المثاني**﴾ : القرآنُ .

وأمَّا من قال : هي السَّبعُ الطُّوَلُ ، فقد فسر سعيد بن جبير مذهبه ، فقال : لأنه تثنَّى فيها الحدودُ ، والفرائض ، فتكون (من) على هذا لبيانِ الجنس[4] .

(١) سورة الحج آية ٣٠ والشاهد أن « من » للبيان ، أي اجتنبوا الرِّجس الذي هو الأوثانُ كما تجتنب الأنجاس .

(٢،٤)انظر توضيح هذه الأقوال في المحرر الوجيز لابن عطية ٣٥٢/٨ وتفسير ابن الجوزي ٤١٥/٤ وجامع الأحكام للقرطبي ٥٥/١٠ والبحر المحيط لأبي حيان ٤٦٦/٥ قال ابن الجوزي : قال ابن الأنباري : والمعنى : آتيناك السبع الآيات التي تُثنَّى في كل ركعة ، وإنما دخلت « مِنْ » للتوكيد كقوله تعالى ﴿ ولهم فيها من كل الثمرات ﴾ ثم قال : ومن أعظم فضائل سورة الحمد ، أن الله تعالى جعلها في حيِّزٍ ، والقرآن كلَّه في حيِّزٍ ، وامتنَّ عليه بها كما امتنَّ عليه بالقرآن كلِّه .

ويجوز أن تكون للتبعيضِ ، على ما تقدَّمَ .

وروى أبو عبيد أنَّ سفيانَ بن عُيَيْنَةَ كان يتلو هذه الآية ، يتأولها على حديث النبي ﷺ « ليس منَّا من لَم يَتَغَنَّ بالقرآن »[1] قال أي يستغني به .

قال : فأمر اللَّهُ جلَّ وعز النبي ﷺ أن يستغني بالقرآن عن المال ، فقال تعالى : ﴿ **وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعاً مِنَ المَثَانِي وَالقُرْآنَ العَظِيمَ** ﴾ .

٤٩ ــ **ثم قال جلَّ وعزَّ** : ﴿ **لاتَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجاً مِنْهُمْ ..** ﴾ [آية ٨٨] .

ورُوي عن عبداللَّهِ بن عمر أنه قال : « من حفظ القرآن ، فرأى أن أحداً أُعطِيَ أفضلَ ممَّا أعطي ، فلقد صغَّر عظيماً [وعظَّم صغيراً]»[2] .

(١) الحديث أخرجه البخاري في كتاب التوحيد ١٨٨/٩ من حديث أبي هريرة مرفوعاً ، قال ــ أي البخاري ــ وزاد غيرُه : يجهر به . ورواه أبو داود ٧٤/٢ باب التغنّي بالقرآن ، وهو في سنن الدارمي ٢٨٨/١ ومسند أحمد ١٧٢/١ .
أقول : الحديث مأخوذ من التغنِّي أي تحسين الصوت وتجميله بتلاوة آيات القرآن ، وليس من الاستغناء بمعنى الاكتفاء بالقرآن ولو كان منه لقال « ليس منا من لم يستغن بالقرآن » قال الحافظ ابن كثير ٤٦٦/٤ : ذهب ابن عُيينة إلى أن المعنى : يستغنى به عما عداه ، وهو تفسير صحيح ولكن ليس هو المقصود من الحديث الشريف .

(٢) ما بين الحاصرتين ساقطٌ من المخطوطة وأثبتناه من الهامش ، والأثر رواه ابن جرير ٦٠/١٤ وابن =

قال مجاهد في قوله تعالى ﴿ **لَاتَمُدَّنَ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجاً مِنْهُمْ** ﴾

قال الأغنياءُ الأشباهُ ، أي أمثالٌ في النِّعَمِ .

والأزواجُ في اللغة : الأصنافُ(٢) .

٥٠ ــ **وقولُه جلَّ وعز** : ﴿ **وَقُلْ إِنِّي أَنَا النَّذِيرُ المُبِينُ . كَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى المُقْتَسِمِينَ** ﴾ [آية ٩٠] .

في الكلام حذفٌ ، والمعنى : وقل إنِّي أنا النذير المبينُ عقاباً ، كما أنزلنا على المقتسمين .

وفي المقتسمين أقوال :

أحدها : أنهم قومٌ تحالفوا على عَضَهِ(٣) النبي ﷺ .

= عطية في المحرر الوجيز ٣٥٣/٨ وقد رواه الطبراني مرفوعاً من حديث عبدالله بن عمرو بلفظ « من قرأ القرآن فرأى أنَّ أحداً أُوتي أفضلَ ممَّا أوتي ، فقد استصغر ما عظَّم اللَّهُ » . وانظر الدر المنثور للسيوطي ١٠٦/٤ فقد أورد الأثر السابق وعزاه إلى ابن المنذر .

(١) الأثر رواه الطبري عن مجاهد ٦١/١٤ وهو أيضاً في الدر المنثور للسيوطي ١٠٦/٤ ومراده أن الأغنياء أمثالُ بعضٍ في الغنى ، فهم أزواج .

(٢) في المصباح المنير ٢٧٧/١ : الزَّوجُ : الشكْل يكون له نظيرٌ كالأصناف والألوان . ويؤيده ﴿ سبحان الذي خلق الأزواج كلها ﴾ أي الأصناف .

(٣) قال الجوهري في الصحاح مادة عضة : وعَضَهَهُ عَضْهاً : رماه بالبهتان ، قال الكسائي : العِضَةُ : الكذبُ والبهتان ، وجمعُها عِضُونَ ، مثلُ عِزَة وعِزِينَ ، وأصلُه عِضْوَةٌ من عَضَوْتُه أي فرَّقتهُ ، لأن المشركين فرَّقوا أقاويلهم فيه ، فجعلوه كذباً ، وسحراً ،وكهانة ، وشعراً ، وقيل : العِضةُ في لغة قريش : السِّحرُ . اهـ .

والقولُ الآخر : أنه روى الأعمشُ ، عن أبي ظِبْيانَ ، عن ابن عباس في قوله تعالى ﴿ **كَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى الْمُقْتَسِمِين** ﴾ فقال : اليهودُ ، والنَّصارى ﴿ **الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِين** ﴾ قال : آمنوا ببعضِه ، وكفرُوا ببعضه[(١)] .

وقال الضحاك : ﴿ **المقتسمين** ﴾ : أهلُ الكتاب ، مزَّقوا الكتب وفرحوا بما عندهم منها[(٢)] .

وقال مجاهد : ﴿ **المقتسمين** ﴾ : أهلُ المِلَلِ[(٣)] .

قال ابن جريج وقال عطاء : هم المشركون من قريش ، مزَّقوا القول في القرآن ، فقال بعضهم : هو شِعرٌ ، وقال بعضهم : هو سحرٌ ، وقال بعضهم : هو أساطير الأولين ، فذلك العِضُون[(٤)] .

وقال عكرمة : ﴿ **عِضِين** ﴾ : سحرٌ[(٥)] .

وكان أبو عُبَيدةَ يذهب إلى أن ﴿ **عِضِينَ** ﴾ مأخوذٌ من الأعْضَاءِ[(٦)] .

قال أبو جعفر : وهو قولٌ حسنٌ . أي فرَّقوا القول ، وأنشد :

---

(١) الأثر أخرجه البخاري عن ابن عباس ١٠٢/٦ وابن كثير ٤٦٧/٤ وابن الجوزي ٤١٧/٤ والدر المنثور ١٠٦/٤ .

(٢ـ٥) انظر هذه الآثار في الطبري ٦٢/١٤ وابن كثير ٤٦٧/٤ والبحر المحيط ٤٦٨/٥ .

(٦) انظر مجاز القرآن لأبي عُبيدة ٣٥٥/١ حيث قال : أي عَضَوه أعضاءً أي فرَّقوه فِرَقاً .

« وَلَيْسَ دِينُ اللَّهِ بالمُعَضَّى »[1] .

أي بالمُفَرَّقِ .

وكان الفرَّاءُ يذهب إلى أنه مأخوذٌ من العَضَاهِ وهي شجر[2] .

وكان الكسائي يذهب إلى أنه يجوز أن يكون مأخوذاً منهما .

٥١ ـ وقوله جلَّ وعزَّ : ﴿ فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ المُشْرِكِينَ ﴾ [آية ٩٤] .

قال مجاهد : أي اجهر بالقرآنِ في الصلاة[3] .

قال : ومنه تَصَدَّعَ القومُ : إذا افترقوا .

قال : ومنه الصُّدَاعُ ، لأنه انفراقُ قبائِلِ الرأس .

---

(١) هذا شطر من رجز رؤبه بن العجّاج ، وهو في ديوانه ص ٨١ من قصيدة مطلعها :

دَايَنْتُ أَرْوَى والدُّيونُ تُقضَى
فمطَلَتْ بَعْضاً وأَدَّتْ بَعْضاً
ولَيسَ دِينُ اللَّهِ بالمُعضَّى

يقول : إن دِينَ اللهِ ليس أقساماً ولا أجزاء .. وهو من شواهد الطبري ٦٥/١٤ وفي اللسان ، ومجاز القرآن ٣٥٥/١

(٢) انظر معاني القرآن للفراء ٩٢/٢ ولفظُه : وواحدةُ العِضِين عِضَةٌ ، رفعُها عِضُون ، ونصبُها وخفضها عِضِين ، قال والمعنى ﴿ جعلوا القرآن عِضِين ﴾ أي فرَّقوه إذ جعلوه سحراً ، وكَذباً ، وأساطير الأولين . اهـ .

(٣) الأثر في الطّبري ٦٨/١٤ وابن كثير ٤٦٩/٤ والدر المنثور ١٠٦/٤ وعزاه إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم .

قال أبو جعفر : ومعروفٌ عند أهل اللغة أنه يقال : صَدَع بالحق : إذا أَبانَهُ وأظهره ، وكأنَّه: أَبِنْ ، وأَظْهِرْ[1] .

وأنشد أبو عُبيدة لأبي ذؤيبٍ يصف عِيراً وَأُتُناً ، وأنه يحكم فيها :

وكَأَنَّهُنَّ رِبابَةٌ وكأَنَّه

يَسَرٌ يُفِيضُ على القِدَاحِ ويَصْدَعُ[2]

ومن هذا قيل للصُّبحِ : صَدِيعٌ ، كما قال :

« كأنَّ بَيَاضَ لَبَّته صَدِيعُ »[3]

وأبو العباس[4] يذهب إلى أن المعنى : فاصدَعْ الباطلَ بما تُؤمر به أي افرُقْ .

---

(١) في الصحاح ١٢٤١/٣ : الصَّدْعُ : الشَقُّ ، والصَّديعُ : الصبحُ ، وصَدَعْتُ الشيءَ : أظهرتُه وأبنتُه ، يُقال : صدعتُ بالحقِّ إذا تكلمت به جهاراً . اهـ .

(٢) البيت لأبي ذُؤيب وهو في ديوان الهذليين ٦/١ وفي الطبري ٦٧/١٤ وفي اللسان والتاج مادة صدع ، وفي مجاز القرآن ٣٥٥/١ والقرطبي ٦١/١٠ يصف فيه حمار الوحش والأُتُن يطردها ويسوقها أمامه ، والرِّبابة : الخِرقة التي تُلفُّ بها القِداح ، وقيل : هي القِداح نفسها . واليَسَرُ : واحدُ الأيسَار وهو الذي يضرب بالقِداح ، ومعنى يُفيض على القداح أي يدفعها ويضرب بها .

(٣) هذا عجز بيتٍ لعمرو بن معد يكرب ، وهو في حاشية المحرر الوجيز لابن عطية ٣٥٩/٨ وصدرُه :

تَرَى السِّرْحَانَ مفترشاً يديه   كأنَّ بياض لبَّتِه صديع

أي كأنه صبحٌ يشقُّ الظلام ويفلقه ، والسِّرحانُ بكسر السين : الذئبُ .

(٤) أبو العباس هو الإمام المبرِّد ، وقد تقدمت ترجمته .

٥٢ ــ **وقولُه جلَّ وعز : ﴿ إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ ﴾** [آية ٩٥] .

حدثنا «أبو بكرٍ» أحمد بن محمد بن نافع ، قال : نا سلمةُ بن شُعَيب بن عبدالرزاق ، عن مَعْمر ، عن قتادة ، وعثمانُ الجَزَري عن مَقْسم ، عن ابن عباس ، في قوله تعالى **﴿ إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ ﴾** قالا : «المستهزءون» : الوليدُ بن المغيرة ، والعاصُ بن وائل ، وعَدِيُّ بن قيس ، والأسودُ بن عبد يغوث ، والأسودُ بن المطلِّب .. مَرُّوا رجلاً رجلاً على النبي ﷺ ومعه جبريل عليه السلام ، فإذا مرَّ رجلٌ منهم قال له جبريل : كيف تجدُ هذا ؟ فيقول : بئسَ عبدُ الله ، فيقول جبريل : كفَيْنَاكَهُ .

فأمَّا الوليد ابن المغيرة فتردَّى فتعلَّق سهمٌ بردائه فذهب يجلس فقطع أكحله فنزف فمات .

وأما الأسود بن عبد يغوث فأُتِيَ بغصنٍ فيه شوك ، فضُرِب به وجهُهُ فسالت حَدَقتاه على وجهه ، وكان يقول : دعوتُ على محمد دعوةً ، ودعى عليَّ دعوةً ، فاستُجيب لي ، واستُجيب له . دَعَا عليَّ أن أعمى فعميتُ ، ودعوتُ عليه أن يكون وحيداً طريداً في أهل يثرب فكان كذلك .

وأما العاص بن وائل فوطِئَ على شوكة ، فتساقط لحمه عن عظامه حتى هلك .

وأما الأسود بن المطلِّب ، وعَدِيُّ بنُ قيس فإنَّ أحدهما قام في

الليل ، وهو مطمئن ليشرب من جرة ، فلم يزل يشرب حتى انفتق بطنه فمات ، وأما الآخر فلدغته حيَّةٌ فمات(١) .

٥٣ ــ وقولُه جلَّ وعزَّ : ﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ ﴾ [آية ٩٨] .

أي كنْ من المصلِّين(٢) .

٥٤ ــ وقولُه جلَّ وعزَّ : ﴿ وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ﴾ [آية ٩٩] .

قال سالمُ بنُ عبدالله(٣) ومجاهد : أي الموتُ(٤) .

---

(١) الأثر أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان ١٤/٦٩ بزيادةٍ في الرواية ، ورواه ابن كثير في تفسيره ٤/٤٧٠ من رواية محمد بن إسحق ، قال : كان عظماء المستهزئين خمسة نفر ، كانوا ذوي أسنانٍ وشرفٍ في قومهم .. وذكر الرواية بأوسع مما ذكرها المصنف ، وهو في الدر المنثور للسيوطي ٤/١٠٧ وذكره ابن الجوزي في زاد المسير ٤/٤٢٢ وهو في القرطبي ١٠/٦٢ وفي البحر المحيط ٥/٤٧٠ قال ابن الجوزي : أتى جبريلُ رسولَ الله ﷺ والمستهزئون يطوفون بالبيت ، فمرَّ الوليدُ بنُ المغيرة ، فقال جبريل يا محمد : كيف تجد هذا ؟ فقال : بئس عبدالله ، قال : قد كُفيتَ وأومأ إلى ساق الوليد .. وذكر الأثر كاملاً .

(٢) أطلق السجود وأراد به الصلاة ، وهذا من باب إطلاق الجزء وإرادة الكل ، وهو مجاز مشهور ، والمعنى : سبِّح ربك فيما نالك من مكروه ، وكن من المصلِّين ، يكفك الله ما أهمَّك ، قال الطبري ١٤/٧٣ : وهذا نحو الخبر الذي رُوي عن رسول الله ﷺ ، أنه كان إذا حَزَبه أمرٌ فزِع إلى الصلاة اهـ . وكذلك قال ابن كثير ٤/٤٧١ : وعبادته التي هي الصلاة .

(٣) « سالم بن عبدالله » هو ــ كما قال الحافظ ابن كثير ٤/٤٧١ ــ سالم بن عبدالله بن عمر ، توفي سنة ١٠٦ هـ كان من فقهاء المدينة ، يشبه أباه في العلم ، والتُّقى ، والعبادة قال العِجْلي : مدنيٌّ تابعيٌّ ثقة ، وقال أحمد بن حنبل : أصحُّ الأسانيد : الزهري عن سالم عن أبيه ، وانظر ترجمته في التهذيب ٣/٤٣٦ .

(٤) الأثر أخرجه الطبري ١٤/٧٤ وابن كثير ٤/٤٧١ وابن الجوزي ٤/٤٢٣ قال : وهو قول ابن =

قال أبو جعفر : ونظيرُ هذا ﴿ **وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَادُمْتُ حَيًّا** ﴾[1] .

والفائدةُ في هذا أنه لو قال : واعبدْ ربَّك مطلقاً ، ثم عَبَده مرَّةً واحدةً كان مطيعاً ..

وإذا قال ﴿ **مَادُمْتُ حَيًّا** ﴾ أو أبداً ، أو ﴿ **حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ** ﴾[2] كان معناه : لا تُفارق هذا .

تمت سورة الحِجر

* * *

= عباس ، ومجاهد ، والجمهور اهـ . أقول : وأخرجه البخاري في صحيحه في كتاب التفسير ٦/١٠٢ ولفظه : ﴿ واعبدْ ربَّك حتى يأتيكَ اليقينُ ﴾ قال سالمٌ : الموتُ .

(١) سورة مريم آية ٣١ .

(٢) كذلك قال الزجاج إن المعنى : اعبدْ ربك أبداً ، وقال في البحر ٥/٤٢٣ : وحكمةُ الغاية ﴿ حتى يأتيك اليقينُ ﴾ وهو الموتُ ، أنه يقتضي ديمومة العبادة مادام حياً ، والمقصودُ ألّا يُفارق العبادة حتى يموت . اهـ قال الحافظ ابن كثير ٤/٤٧٢ : ويُستدلُّ بهذه الآية على تخطئة من ذهب من الملاحدة ، إلى أن المراد باليقين : المعرفةُ ، فمتى وصل أحدهم إلى المعرفة سقط عنه التكليف عندهم ، وهذا كفر وضلال وجهل ، فإن الأنبياء عليهم السلام ، أعلم الناس بالله ، وأعرفهم بحقوقه وصفاته ، وما يستحق من التعظيم ، وكانوا مع هذا أعبد الناس ، وأكثر الناس عبادة ، ومواظبةً على فعل الخيرات إلى حين الوفاة ، وإنما المراد باليقين هنا الموت اهـ .

تفسير سورة النحل

مكية وآياتها ١٢٨ آية

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة النحل وهي مكية[1]

قال عبدالله بن عباس : إلَّا ثلاث آيات ، نزلْنَ بين مكة والمدينة ، حين رجع النبيُّ ﷺ من أُحُد — وقد قُتِل حمزةُ ومُثِّل به — فقال النبي « لأُمثلنَّ بثلاثين منهم ، وقال المسلمون : لَنمثِّلنَّ بهم » فأنزل الله ﴿ **وَإِنْ عَاقَبْتُم فعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقبْتُم بِهِ** ﴾ إلى آخر ثلاث آيات[2] .

١ — **قولُه جلَّ وعز** : ﴿ **أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ** .. ﴾ [آية ١] .

قال بعضهم : ﴿أتى﴾ بمعنى يأتي ، لأنه قد عُرِف المعنى فصار مثل قولك : إنْ أكرمتني أكرمتُك .

وقيل : أخبارُ اللهِ بالماضي والمستقبل شيءٌ واحدٌ ، لأنه قد عُلِم

---

(١) في البحر ٤٧٢/٥ : قال الحسنُ ، وعطاء ، وعكرمة ، وجابر ، هي كلُّها مكية ، وقال ابن عباس : هي مكية إلَّا ثلاث آيات منها نزلت بالمدينة في شأن قتلى أحد ، وانظر الدر المنثور ١٠٩/٤ .

(٢) انظر تفسير ابن عطية ٣٦٣/٨ وجامع الأحكام للقرطبي ٦٥/١٠ .

أنه يكون فهو بمنزلة ما قد كان(١) .

وقولٌ ثالثٌ ــ وهو أحسنُها ــ وذلك أنهم استبعدوا ماوعدهم اللهُ من العقاب ، فأخبر اللهُ جلَّ وعز أن ذلك قريبٌ فقال ﴿ **أَتَىٰ أَمْرُ اللَّهِ** ﴾(٢) .

أي هو في القرب بمنزلة ما قد أتى ، كما قال تعالى : ﴿ **اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ** ﴾ وكما يُقال : أتاكَ الخبرُ ، أي قَرُبَ منك .

وقال الضحاك : أي جاء القرآن بالفرائِض ، والأحكامِ ، والحدود(٣) .

٢ ــ **وقوله جلَّ وعز** : ﴿ **يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ..** ﴾ [آية ٢] .

---

(١) عبَّر بصيغة الماضي عن المستقبل ، لتحقق وقوع الأمر وتيقنه ، فإنه مقطوع بمجيئه قال الفخر الرازي ٢١٨/١٩ : لمَّا كان واجب الوقوع لا محالة عبَّر عنه بالماضي ، كما يُقال للمستغيث : جاءك الغوثُ فلا تجزع . اهـ . وانظر أيضاً تفسير ابن كثير ٤٧٣/٤ .

(٢) قال ابن عباس : لمَّا نزل قوله تعالى ﴿ اقتربت الساعة ﴾ قال الكفار بعضهم لبعض : إن محمداً يزعم أن القيامة قد اقتربت ، فأمسكوا عن بعض ما كنتم تعملون حتى ننظر ما يأتي من العقاب ، فلما امتدَّت الأيام قالوا يامحمد : ما نرى شيئاً مما كنت تخوِّفنا به ، فأنزل الله ﴿ أتى أمر اللهِ فلا تستعجلوه .. ﴾ وانظر أسباب النزول للواحدي ص١٥٩ وزاد المسير ٤٢٦/٤ .

(٣) هذا القول غريب وبعيد ، حكاه عن الضحاك الطبري ٧٦/١٤ والقرطبي ٦٥/١٠ وابن كثير ٤٧٣/٤ قال الحافظ : وقد ذهب الضحاك في تفسير الآية إلى قولٍ عجيب فقال ﴿ أتى أمرُ اللَّهِ ﴾ أي فرائضه وحدوده ، وقد ردَّه ابن جرير فقال : لا نعلم أحداً استعجل الفرائض والشرائع قبل وجودها ، بخلاف العذاب فإنهم استعجلوه استبعاداً وتكذيباً اهـ .

روى **هُشَيْمٌ** ، عن أبي بِشْرٍ ، عن مجاهد ، عن ابن عباس ، قال : الرُّوحُ : خلقٌ من خلق اللَّهِ ، وأمرٌ من أمره ، صُوَرُهم على صُوَر بني آدم ، لاينزل في السماء مَلَكٌ إلاَّ ومعه واحدٌ منهم[1].

وروى **ابن جريج** عن مجاهد قال : لاينزل مَلَك إلاَّ ومعه روح[2] .

وقال **إسماعيلُ** بنُ أبي خالد : سألت أبا صالح عن الرُّوح ، فقال : لهم صُوَرٌ كصُوَر بني آدم ، وليسوا منهم[3] .

وقال **الحسن** : تنزل الملائكة بالروح أي بالنبوَّة[4].

وروى **مَعْمر** عن قتادة : تنزل الملائكة بالروح قال : بالوحي والرحمة[5].

قال **أبو جعفر** : وهذا قول حسنٌ ، وقد رواه عليٌّ بن أبي طلحة عن ابن عباس

أي يُنزلهم بما هو بمنزلة الروح والحياة ، كما قال تعالى : ﴿ **فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ** ﴾[6] .

(١-٥) انظر هذه الآثار عن السلف في جامع البيان للطبري ١٤/٧٧ وفي زاد المسير لابن الجوزي ٤/٤٢٨ وفي الدر المنثور للسيوطي ٤/١١٠ وأرجح الأقوال ما رُوي عن ابن عباس وقتادة أنه القرآن والوحي ، كما قال سبحانه ﴿ وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا ﴾ سُمِّي الوحي روحاً لأنه تحيا به القلوب ، كما تحيا بالأرواح الأجساد ، قال الزجاج : الروح ما تحيا به القلوب من هداية الله تعالى لها ، واستحسنه ابن عطية وقال : وكأن اللفظ على التشبيه فهو كالروح للجسد .

(٦) سورة الواقعة آية ٨٩ وتمامها ﴿ فأما إن كان من المقرَّبين فرَوْح وريحانٌ وجنَّةُ نعيم ﴾ .

وقيل معناه : رحمة(١) .

٣ ــ **وقوله جلَّ وعز : ﴿ والأَنْعَامَ خَلَقَها لكُمْ فِيهَا دِفءٌ ومَنَافِعُ وَمِنْهَا تأْكُلُونَ ﴾** [آية ٥] .

رَوَى اسرائيلُ عن سِماكِ بنِ حربٍ ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : النَّسْلُ(٢) .

وروى ابنُ جُريجٍ عن مجاهد قال : الدفء : لباسٌ يُنسج ، والمنافع : الرُّكوبُ ، واللَّبنُ ، واللحمُ (٣).

قال أبو جعفر : وهذا قول حَسَنٌ : أي ما يُدفىء من أوبارها وغير ذلك ، وأحسِبُ مذهبَ ابنِ عباس أنَّ المنافع النسلُ ، لا الدفء ، على أن الأمويَّ(٤) قد رَوَى أنَّ الدفءَ عند العرب نتاجُ الإبل ، والانتفاع بها ، فيكون هذا فيه .

---

(١) هذا قول الحسن ، وقتادة ، كما حكاه ابن الجوزي ٤/٤٢٨ في تفسيره .

(٢) الأثر أخرجه الطبري عن ابن عباس ١٤/٧٩ وابن الجوزي ٤/٤٣٠ وهذا القول تفسير للمنافع لا للدفء .

(٣) الأثر عن مجاهد في الطبري ١٤/٧٩ وابن كثير ٤/٤٧٦ وتفسير ابن الجوزي ٤/٤٣٠ .

(٤) حكى ابن فارس اللغوي عن الأموي قال : الدِّفء : عند العرب : نِتَاجُ الإبِلِ وألبانها اهـ زاد المسير ٤/٤٣٠ وفي الصحاح للجوهري ١/٥٠ : الدِّفءُ : نتاج الإبل وألبانها وما يُنتفع به منها ، وفي الحديث « لنا من دِفْئهم وصِرَامهم ما سلَّموا بالميثاق » أي إبلهم وغنمهم . اهـ أقول : والمشهور أن الدِّفْءَ مايُستدفأُ به من اللباس من الصوف والوبر ، والمنافع هي منافع النسلِ والدرِّ ، واللَّحم ، وركوب الظهر .

٤ ــ وقوله جلَّ وعزَّ : ﴿ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ﴾ [آية ٦] .

رَوَى معمَرٌ عن قتادة قال : إذا راحتْ أعظمَ ما تكون أسنمةً من السِّمَنِ ، وضروعُها محفّلةٌ[١] .

قال أبو جعفر : والمعنى عند أهل اللغة : وتُريحونها بالعشيِّ ، يقال : أَرحْتُ الإبلَ إذا انصرفتَ بها من المرعى الذي تكون فيه بالليلِ ، ويُقال للموضع المُرَاحُ ، وفي الحديث : « إذا سَرَقها من المُرَاح قُطِع »[٢] .

ومعنى : ﴿ تَسْرَحُون ﴾ تَغْدون بها إلى المرعى ، سَرَحْتُ الإبلَ أَسْرَحُها سَرْحاً وسُروحاً ، إذا غدوتَ بها إلى المرعى فخلَّيتها ترعى ، وسَرَّحتُ هي في المتعدي واللازم واحدٌ[٣] .

---

(١) الأثر في الطبري ١٤/٨٠ ولفظُهُ عن قتادة : إذا راحت كأعظم ما تكون أسنمةً ، وأحسن ما تكون ضُروعاً .

(٢) الحديث أخرجه ابن ماجه في سننه رقم ٢٥٩٦ بلفظ « وما كان في المراح ففيه القطع » قال في النهاية ٢/٢٧٣ : والمُراح بالضم : الموضع الذي تروح إليه الماشيةُ ، أي تأوي إليه ليلاً ، وأما بالفتح فهو الموضع الذي يروح إليه القومُ أو يروحون منه اهـ .

(٣) في الصحاح ١/٣٦٨ : أراح إبلَه : ردَّها إلى المُرَاح ، ولا يكون ذلك إلاَّ بعد الزوال ، وسَرَحت الماشية بالغداة ، وراحتْ بالعشيِّ أي رجعتْ ، والمُراح بالضمِّ حيث تأوي إليه الإبلُ والغنم بالليل اهـ وقال القرطبي ١٠/٧١ : ﴿حين تُريحون وحين تسرحُون﴾ : وذلك في المواشي حين تروح إلى المراعي وتسرح عليه ، والرَّواحُ رجوعها بالعشي من المرعى ، والسَّراح بالغداة إذا غدوت بها إلى المرعى فخلَّيتها ، وسَرَحت هي ، المتعدي واللازم واحد .

٥ ــ **وقولُه جلَّ وعزَّ : ﴿ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَى بَلَدٍ لَمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الأَنْفُسِ ﴾** [آية ٧] .

رَوَى **ابنُ جريجٍ** عن مجاهد قال : إلَّا بمشقة(١) .

وقال غيره : المعنى : لولا الإِبلُ لم تبلغوا البلدان إلَّا بمشقَّة .

وقد قُرِىء ﴿ إِلَّا بِشَقِّ الأَنْفُسِ ﴾(٢) وهي بمعنى الأول ، إلَّا أنه مصدر .

٦ ــ **وقولُه جلَّ وعز ﴿ وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً .. ﴾** [آية ٨] .

تأوَّل هذا جماعةٌ منهم : عبدُاللَّهِ بنُ عباس على أنه لايحلُّ أكلُ هذه ، لقوله في الإِبل **﴿ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴾** ولم يقل هذا في « الخيل ، والبغال ، والحمير »(٣) .

---

(١) الأثر في الطبري ١٤/٨٠ وتفسير ابن الجوزي ٤/٤٣٠ وهو قول الأكثرين ، قال الطبري : والمعنى : لم تكونوا بالغيه إلَّا بجهد من أنفسكم شديد ، ومشقة عظيمة ، وهو قول قتادة وعكرمة .

(٢) هذه من القراءات الشاذة كما في المحتسب ٢/٧ قال : الشَّقُّ بفتح الشين بمعنى الشِّقِّ بكسرها ، وكلاهما المشقَّةُ ، وهما من الشقِّ في العصا ونحوها ، ومنه قراءة أبي جعفر وعمرو بن ميمون ﴿ بشَقِّ الأنفس ﴾ بفتح الشين ، وأمَّا الجزري فعدَّها من القراءات العشر ٢/٣٠٢ .

(٣) انظر تفصيل الأقوال في جامع الأحكام للقرطبي ١٠/٧٦ فقد ذكر أقوال الفقهاء وأدلتهم ، وعلَّل ودلَّل بما فيه مقنع على جواز أكل لحوم الخيل .

٧ ــ **وقوله جلَّ وعزَّ ﴿ وَيَخْلُقُ مَالَا تَعْلَمُونَ ﴾** [آية ٨] .

وظاهرهُ عام ، إلاَّ أن عبدالرحمن بنَ معاوية القُرشي حدثنا قال : حدثنا موسى بن محمد ، عن ابن السدي عن أبيه في قوله تعالى **﴿ وَيَخْلُقُ مَالَا تَعْلَمُونَ ﴾** قال : السوس في الثياب(١) .

٨ ــ **وقوله جل وعز ﴿ وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ ﴾** [آية ٩] .

قال الضحاك : أي تبيينُ الهدى والضلالة(٢) .

وقال مجاهد : أي طريقُ الحق(٣) . وهذه تشبه **﴿ قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ ﴾**(٤) .

أي على منهاجي وديني . وكذا **﴿ وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ ﴾** أي القصدُ فيها ما كان على دين الله .

وقيل : هو تبيينُ الحقِّ ، والبراهينِ ، والحُجَج(٥) .

---

(١) أخرجه ابن عساكر عن مجاهد وحكاه في الدر المنثور ١١٢/٤ وهو قول شاذٌ وغريب ، فالآية وردت مورد الامتنان بما خلق الله عز وجل من وسائل النقل لراحة الإنسان ، والسُّوسُ ليس من أسباب الراحة ، والأظهر أن المعنى : ويخلق في المستقبل ما لا تعلمونه الآن من وسائل النقل ، كالسيارات ، والقطارات ، والطائرات النفاثة وغيرها من الوسائل ، وهي من تعليم الله للإنسان ، حتى لايقول الناس : إنما استخدم آباؤنا الخيل والبغال والحمير فلا نستخدم سواها .

(٢ــ٣) الآثار عن الضحاك ومجاهد رواها الطبري ٨٤/١٤ والسيوطي في الدر ١١٢/٤ .

(٤) سورة الحِجْر آية ٤١ .

(٥) هذا قول الزجاج كما في زاد المسير ٤٣٢/٤ قال المعنى : وعلى اللهِ تبيينُ الطريق المستقيم ، والدعاء إليه بالحجج والبراهين .

وقيل : إنه يراد بالسبيل ها هنا الإسلام[1].

٩ ـــ ثم قال جل وعز ﴿ وَمِنْهَا جَائِرٌ ﴾ [آية ٩] .

أي ومن السُّبُل جائرٌ ، أي عادلٌ عن الحقِّ ، وأنشدني أبو بكر ابن أبي الأزهر ، قال أنشدنِي بُنْدار :

لَمَّا خَلَطْتُ دِمَاءَنَا بِدِمَائِهَا
سَارَ الثِّقَالُ بِهَا وجَارَ العَاذِلُ

ورُوى عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قرأ ﴿ ومنكُمْ جَائِرٌ ﴾[3] .

وكذلك قرأ عبدالله بن مسعود ذا ، على التفسير .

١٠ ـــ ثم قال تعالى : ﴿ وَلَوْ شَاءَ لَهَداكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ [آية ٩] .

أي لو شاء لأنزل آية تضطركم إلى الإيمان[4] ، ولكنه أراد أن يُثيبَ ويعاقب .

---

(١) هذا قول الفراء في معانيه ٢/٩٧ .

(٢) لم أعثر على قائل هذا البيت ، وفي المخطوطة « دماءها بدمائنا » وصوابه دماءَنَا .

(٣) هذه القراءة شاذة وليست من القراءات المتواترة ، وهي محمولة على التفسير كما قال المصنف ، وقد ذكرها ابن عطية ٨/٣٧٨ في المحرر الوجيز ، ويوجد في المخطوطة طمس لجملة في السطر الأول لم نستطع معرفتها ولا قراءتها .

(٤) هذا التفسير على مذهب المعتزلة ، وأما أهل السنة الذين يرون أن الهدى والضلال بيد الله عزَّ وجل فيقولون المعنى : لو أراد الله هدايتكم لهداكم ، فالأمر لمشيئته وإرادته جلَّ وعلا .. وهذا القول الذي حكاه المصنِّف هو قول الزجاج ، وقد ردَّه ابن عطية في المحرر الوجيز ٨/٣٨٧ =

١١ ــ وقولُه جلَّ وعز ﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ ، وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴾ [آية ١٠] .

قال قتادة والضحَّاك : ﴿ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴾ فيه ترعون[1] .

قال أبو جعفر : وكذا هو في اللغة ، يُقال : أَسَمتُ الإبلَ : أي رعيتُها فأنا مُسيمٌ ، وهي مُسَامَةٌ ، وسَائِمةٌ .

١٢ ــ وقولُه جلَّ وعز ﴿ وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الأَرْضِ مُخْتَلِفاً أَلْوانُهُ .. ﴾ [آية ١٣] .

قال قتادةُ : من الدوابِّ ، والأشجار ، والثِّمار[2] .

١٣ ــ وقولُه جلَّ وعز ﴿ وَتَرَى الفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ .. ﴾ [آية ١٤] .

قال الضحاك : تذهب وتجيءُ[3] .

والمَخْرُ في اللغة : الشَقُّ ، يقال : مَخَرتِ السفينةُ تمخَرُ وتمخُرُ إذا شقَّتِ الماءَ ، وسمعتَ لها صوتاً وذلك عند هبوب الرياح ، ومَخْرُ

= فقال : وهذا قولُ سوءٍ لأهل البِدَع ، الذين يرون أن الله لا يخلق أفعال العباد ، وقع فيه الزجَّاج رحمه الله من غير قصد .. الخ قال أبو حيان في البحر ٤٧٧/٥ : لم يعرف ابنُ عطية أن الزجَّاج معتزلي فلذلك تأوَّل عليه أنه وقع فيه من غير قصد . اهـ أقول : قول أبي حيان عن الزجَّاج إنه معتزليٌّ فيه نظر ، وهو يتنافى مع بعض أقواله في معاني القرآن ١٩٧/٣ حيث قال عند قوله تعالى ﴿ لو شاء اللهُ ما عبدنا من دونه من شيء ﴾ : وقد اتفقت الأمة على أن الله لو شاء ألاَّ يُعبد غيرُه مشيئة اضطرار إلى ذلك ، لم يقدر أحد على غير ذلك ، ولكنَّ الله جل ثناؤه تعبَّد العباد فوفَّق من أحبَّ توفيقه ، وأضلَّ من أحبَّ إضلاله .

(١ــ٣) انظر الآثار عن السلف في الطبري ٨٦/١٤و٨٧ وابن كثير ٤٧٩/٤ والدر المنثور ١١٢/٤ .

الأرضِ ، إنما هو شقُّ الماءِ إياها[1] .

١٤ ـــ وقوله جلَّ وعزَّ ﴿ وأَلْقَى فِي الأَرْضِ رَوَاسِيَ ﴾ [آية ١٥]

قال الحسن : أي جبالاً[2] .

قال أبو جعفر : يقـال : رَسَا يرسُو ، إذا ثبت وأقـام . ثم قال تعالى **﴿ أَن تَمِيدَ بِكُمْ ﴾** .

قال ابراهيم : أي تكفأ[3] .

قال أبو جعفر : يُقال : مَادَ يميدُ إذا تحرَّك ومالَ .

وروى معمرٌ عن قتـادة قال سمعت الحسَن يقـول : لمَّـا خلـق اللهُ الأرض كادت تميد فقالوا : لاتُقِرُّ هذه عليها أحداً ، فأصبحـوا وقـد خلق الله الجبالَ ، ولم تدر الملائكة ممَّ خُلقتِ الجبالُ[4] .

١٥ ـــ ثم قال جل وعز ﴿ وأَنْهَاراً وسُبُلاً ﴾ [آية ١٥]

---

(١) في الصحاح ٨١٢/٢ : مخَرَت السفينةُ تمخَرُ وتمْخُر ، مَخْـراً ومخُـوراً : إذا جرتْ تشقُّ الماء مع صوتٍ ، وقولُـه تعـالى ﴿ وتـرى الفُـلْكَ مواخِـرَ فيـه ﴾ أي جواري ، ويُقـال : مخرتُ الأرضَ أي أرسلتُ فيها الماء . اهـ .

(٢ـــ٤) الآثار عن السلـف أخرجهـا الـطبري في جامـع البيـــان ٩٠/١٤ وابـــن الجوزي في زاد المسير ٤٣٥/٤ والقرطبي في جامع الأحكام ٩٠/١٠ والسيوطي في الدر المنثـور ١١٣/٤ وابـن كثير في تفسيره ٤٨١/٤ قال ابن الجوزي : أي نصب فيها جبالاً لئلا تميد بكم ، وكراهة أن تميد بكـم ، يُقال : مَادَ ، يَميدُ ، مَيْداً : إذا أُديربـه ، والميْـدُ : الحركَـةُ والمَيْـلُ ، وفـلانٌ يَميـدُ في مشيتِـه أي يتكفَّأُ . اهـ .

أي : وجعل فيها أنهاراً وسُبُلاً .

قال قتادة : أي طُرُقاً[1] .

١٦ ــ **ثم قال جلَّ وعزَّ ﴿ وعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴾** [آية ١٦] .

رَوَى سفيان ، عن منصور ، عن ابراهيم قال : من النجوم علامات ، ومنها مايُهتدى به[2] .

وقال الفراء : الجديُ ، والفرقدان[3] .

قال أبو جعفر : والذي عليه أهل التفسير ، وأهل اللغة سواه ، أن النَّجم ها هنا بمعنى النجوم[4] .

وخلق الله النجوم زينةً للسماء ، ورجوماً للشياطين ، وليعلم بها عدد السنين والحساب ، ولُيهتدى بها[5] .

١٧ ــ **وقولُه جلَّ وعزَّ ﴿ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئاً وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴾** [آية ٢٠] .

يعني الأوثان .

(١ ــ ٢) الطبري ٩١/١٤ والدر المنثور ١١٤/٤ .

(٣) انظر معاني الفراء ٩٨/٢ .

(٤) هذا هو الصحيح ، وهو قول الجمهور ، وأما القول بأن المراد بالنجم الجبال فهو غير مشهور ، وهو ضعيفٌ لمخالفة المعروف الظاهر ، المتبادر إلى الذهن .

(٥) هذا قول قتادة حكاه عنه الطبري في جامع البيان ٩١/١٤ .

وقرأ محمد اليماني ﴿ والذين يُدْعَوْنَ منْ دونِ اللَّهِ ﴾ بضم الياء وفتح العين[1] .

١٨ ــ **وقوله جل وعز ﴿ أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ ﴾** [آية ٢١] .

أي : هم أمواتٌ غير أحياء ﴿ **وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُون** ﴾ .

يجوز أن يكون المعنى : وما تشعر الأصنام .

ويجوز أن يكون المعنى : وما يشعر المشركون متى يُبعثون[2] .

١٩ ــ **وقوله جلَّ وعز ﴿ لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ .. ﴾** [آية ٢٥] .

الوزرُ في اللغة : الحِمْلُ الثقيل ، وقيل للإثم وزرٌ على التمثيل[3] .

٢٠ ــ **ثم قال تعالى ﴿ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِيْنَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْر عِلْمٍ ﴾** [آية ٢٥] .

---

(١) في هذه الآية ثلاث قراءات ﴿ والَّذِينَ تدعون ﴾ بالتاء وهي قراءة الجمهور ، وقرأ عاصم ﴿ والذين يَدْعُون ﴾ بالياء ، وهما قراءتان سبعيتان كما في السبعة لابن مجاهد ص٣٧١ وأمَّا قراءة « يُدْعون » بالضم فشاذة .

(٢) القولان ذكرهما الطبري في تفسيره جامع البيان ٩٤/١٤ وعلى القول الأول يكون المعنى : وما تشعر هذه الأصنام متى يُبعث عابدوها ، وفيه تهكُّم بالمشركين في عبادتهم لجمادات لا تُحسُّ ولا تشعر .

(٣) أي هو كالحمل الثقيل على ظهر الفاجر ، قال في الصحاح ٨٤٥/٢ : الوِزْرُ : الإثمُ والثِّقلُ ، وقوله تعالى ﴿ ولا تَزِر وازرةٌ أُخرى ﴾ أي لاتحمل حمل أخرى ، تقول : وَزِرَ يَوْزَرُ ، ووَزَر يَزِر فهو موزورٌ .

قال مجاهد : يُحَمَّلون إثـمَ من أضلُّوه ، ولا يُنْقص من إثـمِ المضَلِّ شيءٌ[1] .

٢١ ـ وقوله جلَّ وعز ﴿ **قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَأَتَى اللَّهُ بُنيانَهُم مِن القَواعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِم السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ** ﴾ [آية ٢٦] .

وقرأ الأعرجُ ﴿ **السُّقُف** ﴾ .

قال مجاهد : يعني بهذا « نَمْرودَ بنَ كَنْعان » الذي حَاجَّ إبراهيم في ربه ، ويُروى أنه بنى بنياناً عظيماً فخرَّ[2] .

وقد قيل : هذا تمثيلٌ ، أي أهلكهم الله فكانوا بمنزلة مَنْ سقط عليه بنيانُه وهلك[3] .

وقيل : أحبط الله أعمالهم ، فكانوا بمنزلة من سقط عليه بنيانُه .

والفائدةُ في قوله تعالى ﴿ مِنْ فَوْقِهِمْ ﴾ أنه قد يُقال : سقَطَ

(١ـ٢) الآثار عن مجاهد في الطبري ٩٥/١٤ والقرطبي ٩٦/١٠ وابن كثير ٤٨٤/٤ .

(٣) هذا قول ابن قتيبة كما حكاه ابن الجوزي عنه في زاد المسير ٤٤١/٤ وكذلك قال في الكشاف ٣٢٦/٢ : وهذا تمثيلٌ لإفساد ما أبرموه من المكر بالرسل ، يعني أنهم نصبوا منصوبات ليمكروا بها ، فجعل الله هلاكهم في تلك المنصوبات ، كحال قومٍ بنوْا بنياناً وعمَّدوه بالأساطين ، فأتى الله البنيان من أساسه ، بأن ضُعضعت الأساطين ، فسقط عليهم السقفُ وهلكوا ، وهذا نحو قولهم « من حفر لأخيه جُبًّاً وقع فيه منكبّاً » .

عليَّ منزلُ كذا إذا كان يملكه ، وإن لم يكن وقع عليه(٥) .

٢٢ ـ **وقولُه جلَّ وعز ﴿ ثُمَّ يَوْمَ القِيَامَةِ يُخْزِيهِمْ وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِي الَّذِينَ كُنْتُمْ تُشَاقُّونَ فِيهِمْ﴾** [آية ٢٧] .

المعنى : أين الذين كنتم تدَّعون أنهم شركائي ؟ أي أين شركائي على قولكم !؟ واللهُ جلَّ وعز لاشريك له(٢) .

٢٣ ـ **وقولُه جلَّ وعز : ﴿ فَأَلْقَوُا السَّلَمَ ﴾** [آية ٢٨] .

أي الإستسلام ، أي أذعنوا واستسلموا .

٢٤ ـ **وقولُه جلَّ وعز ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ المَلَائِكَةُ﴾**[آية ٣٣]

أي لقبضِ أرواحهم ، **﴿ أَوْ يَأْتِيَ أَمْرُ رَبِّكَ ﴾** أي بالعذاب [والزلزلة والخسف](٣) .

٢٥ ـ **وقولُه جلَّ وعز : ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَاعَبَدْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ نَحْنُ وَلَا آبَاؤُنَا ﴾** [آية ١٠٢] .

---

(١) قال ابن الأنباري : « إنما قال ﴿ من فوقهم ﴾ ليُنبِّه على أنهم كانوا تحته ، إذ لو لم يقل ذلك لاحتمل أنهم لم يكونوا تحته ، لأن العرب تقول : سقط علينا البيتُ ، وخرَّ علينا الحانوت ، وتداعت علينا الدار ، وليسوا تحت ذلك » اهـ زاد المسير ٤/٤٤١ .

(٢) قال في البحر ٥/٤٨٥ : أضاف تعالى الشركاء إليه والمعنى : شركائي في زعمكم ، فهي إضافة على سبيل الاستهزاء .

(٣) ما بين الحاصرتين طمس في الأصل ، وأثبتناه من تفسير القرطبي لأنه كثيراً ما ينقل كلام الإمام النحاس ، وكذلك وقع في الصفحة التالية طمس وأثبتناه من القرطبي .

[قال قومٌ : ذمَّ اللـــه هؤلاء الذين جعلوا شركهم عن مشيئته].
وقال قوم : من قال هذا فقد كفر .

قال أبو جعفر : هذا غَلَطٌ في التأويل ولا يُقبل في التفسير ، على أنهم قالوا هذا على جهة الهزء ، كما قال قوم شعيب لنبيهم : ﴿ **إنَّكَ لَأَنْتَ الحَلِيمُ الرَّشِيدُ** ﴾[1] ؟ أي إنك أنت الحليم الرشيد على قولك ؟

وقد تبيَّن هذا بقوله ﴿ **إنْ تَحْرِصْ عَلَى هُدَاهُمْ ، فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ يُضِلُّ** ﴾ وفي قراءة أُبيٍّ ﴿ **فإن اللَّهَ لا هادي لمن أضَلَّ اللَّهُ** ﴾[2] وهو شاهدٌ لمن قرأ ﴿ **لا يُهْدَى** ﴾ وهي القراءة البيِّنةُ كما قال ﴿ **وَمَا تَوْفِيقِي إلاَّ باللَّهِ** ﴾ .

ورُوِي عن عبدالله بن مسعود أنه قرأ ﴿ **لايَهِدِّي مَنْ يُضِلُّ** ﴾ وأحسنُ ما قيل في هذا[3] : ما رواه أبو عُبَيد عن الفراء ، أنه يقال : هَدَى يَهْدي بمعنى : اهتدى يهتدى ، قال تعالى ﴿ **أَمَّنْ لايَهْدِي إلاَّ أَنْ يُهْدَى** ﴾ بمعنى يَهْتدي[4] .

---

(١) سورة هود آية ٨٧ .

(٢) هذه من القراءات الشاذة ، حكاها ابن عطية في المحرر ٨/٤١٤ والفراء في معانيه ٢/٩٩ .

(٣) قال ابن مجاهد في السبعة في القراءات : واختلفوا في فتح الياء وضمِّها من قوله تعالى ﴿ لا يَهْدي مَنْ يُضِلُّ ﴾ فقرأ ابن كثير ، ونافع ، وابنُ عامر ﴿ لأيُهْدَى ﴾ برفع الياء وفتح الدال ، وقرأ عاصم وحمزة والكسائي ﴿ لا يَهْدي ﴾ بفتح الياء وكسر الدَّال ، ولم يختلفوا في ﴿ يُضِلّ ﴾ أنَّها مرفوعة الياء مكسورة الضاد اهـ .

(٤) يوجد طمس في المخطوطة جهدنا لمعرفته بالاستعانة بكتب التفسير ، والله أعلم بالصواب .

قال أبو عبيد : ولا نعلم أحداً روى هذا غير الفراء ، وليس بمتَّهمٍ فيما يحكيه[1] .

قال أبو جعفر : حكي لي عن محمد بن يزيد ، كأنَّ معنى ﴿ **لايَهْدِي مَنْ يُضِلُّ** ﴾ مَنْ عَلِمَ ذلك منه ، وسَبَق له ذلك عنده ، قال : ولا يكونُ « يَهْدي » بمعنى يَهْتدي ، إلاَّ أن تقول : يَهَدِّي ، أو يَهِدِّي[2] .

٢٦ ـ **وقوله جلَّ وعز** : ﴿ **لِيُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذي يَخْتَلِفُون فِيْهِ** ﴾ [آية ٣٩] .

يحتملُ معنيين :

أحدهما : أن يكون متعلقاً بفعل محذوف ، دلَّ عليه جملة الكلام ، وهو أن يكون المعنى : بل يبعثهم ليبيِّن لهم الذي يختلفون فيه .

والقول الآخر : أن يكون متعلقاً بقوله ﴿ **ولقَدْ بَعَثْنا في كلِّ أُمَّةٍ رَسُولاً** ﴾ فيكون المعنى : ولقد بعثنا في كل أمةٍ رسولاً ، ليبيِّن لهم الذي يختلفون فيه ، وليعلم الذين كفروا أنهم كانوا كاذبين[3] .

٢٧ ـ **وقولُه جلَّ وعز** ﴿ **والَّذِينَ هَاجَرُوا في اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا** ﴾ [آية ٤١] .

---

(١) انظر معاني القرآن للفراء ، فقد فصَّل فيه القول أحسن تفصيل ، ووجَّه القراءات .

(٢) انظر جامع الأحكام للقرطبي ١٠/١٠٤ .

(٣) ذكر القولين الزجاج في معانيه ، والقول الأول أرجح ، وهو اختيار الإمام الطبري ، وانظر جامع البيان ١٤/١٠٥ وزاد المسير لابن الجوزي ٤/٤٤٧ .

يُقال : إنه يُراد به بلالٌ ، وصُهيب ، والذي يوجب جملة الكلام أن يكون عاماً[1] .

ويُروى أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان إذا دفع إلى المهاجرين أُعْطِياتِهم ، قال لهم : هذا ما وعدكم اللهُ في الدنيا ، وما ذخر لكم في الآخرة[2] أكثر ، ثم يتلو ﴿ **والَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلأَجْرُ الآخِرَةِ أَكْبَرُ** ﴾[3]

ورَوَى هُشيمٌ عن داود ابن أبي هند ، عن الشعبي في قوله ﴿ **لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً** ﴾ قال : المدينة[4] .

وكذا قال الحسنُ .

وقال الضحاك : يعني بالحسنة : النَّصرَ ، والفتحَ ﴿ **وَلأَجْرُ الآخِرَةِ أَكْبَرُ** ﴾ الجنة[5] .

وروَى ابن جُريج عن مجاهد ﴿ **لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً** ﴾ قال : لسانَ صدقٍ[6] .

---

(١) قال القرطبي : نزلت في صهيب ، وبلال ، وعمار ، وخبَّاب ، عذَّبهم أهل مكة حتى قالوا لهم ما أرادوا ، فلما خلَّوهم هاجروا إلى المدينة ، وبوَّأهم دار الهجرة ، وجعل لهم أنصاراً من المؤمنين ، والآية تعمُّ جميع المهاجرين اهـ جامع أحكام القرآن ١٠/١٠٧ .

(٢) في المخطوطة : وماذَخَر لكم في الأرض ، وهو خطأ ، وصوابه ما أثبتناه « وما ذخر لكم في الآخرة أكثر » كما في الطبري والقرطبي .

(٣) الأثر أخرجه الطبري ١٤/١٠٧ والقرطبي ١٠/١٠٧ وابن كثير ٤/٤٩١ والسيوطي في الدر المنثور ٤/١١٨ .

(٤ــ٦) انظر الآثار في الطبري ١٤/١٠٧ وابن كثير ٤/٤٩١ والدر المنثور ٤/١١٨ .

٢٨ ــ وقوله جلَّ وعزَّ : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالاً نُوحِي إِلَيْهِمْ .. ﴾ [آية ٤٣] .

قيل لهم هذا ، لأنهم قالوا ﴿ أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَراً رَسُولًا ﴾(١) ؟

٢٩ ــ ثم قال تعالى ﴿ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [آية ٤٣] .

قيل : يعني به أهل الكتاب ، لأنهم مقرُّون أن الرسل من بني آدم .

وقال وكيع : سألتُ سفيانَ عن قوله ﴿ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ ﴾ فقال : سمعنا أنَّهم مَنْ أسلم من أهل التوراة والإنجيل(٢) .

ثم قال تعالى ﴿ بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ ﴾ أي بالبراهين ، والكُتُب(٣) .

---

(١) سورة الإسراء آية ٩٤ .

(٢) الأثر أخرجه الطبري ١٤/١٠٨ والسيوطي في الدر المنثور ٤/١١٨ قال الحافظ ابن كثير ٤/٤٩١ : « لما بعث الله محمداً رسولاً ، أنكرت العربُ ذلك ، وقالوا : اللهُ أعظم من أن يكون رسولُه بشراً ، فنزلت الآية ردّاً عليهم ، والغرضُ أن هذه الآية أخبرت أن الرسل الماضين قبل محمد ﷺ كانوا بشراً ، فمن شكَّ في كون الرسل كانوا من البشر ، فلْيسأل أصحاب الكتب المتقدمة عن الأنبياء السالفين ، هل كانوا بشراً أو ملائكة ؟

(٣) المراد البيِّنات : الحجج والبراهين الدالة على صدقهم ، والمراد بالزُّبر : الكتب المقدَّسة ، قاله ابن عباس ، ومجاهد ، والضحاك ، وغيرهم ، وانظر تفسير ابن كثير ٤/٤٩٣ .

٣٠ ـ **وقولُـه جلَّ وعـزَّ ﴿ أَوْ يَأْخُذَهُـمْ فِي تَقَلُّبِهِـمْ فَمَـا هُـمْ بِمُعْجِزِينَ ﴾** [آية ٤٦] .

رَوَى معمرٌ عن قتادة قال : في أسفارهم(١) .

ورَوَى عليُّ بنُ الحَكَم عن الضحَّاكِ قال : بالليل والنهار(٢) .

٣١ ـ **ثم قال تعالى ﴿ أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَى تَخَوُّف ﴾** [آية ٤٧] .

قال الضحاك : آخـذُ طائفـةً وأدَعُ طائفـة ، فتخـاف الطائفـة الباقية أن ينزل بها ما نزل بصاحبتها(٣) .

ورَوَى عطاء الخراساني عن ابـن عبـاس **﴿ أَوْ يَأْخُذَهُـمْ عَلَى تَخَوُّفٍ ﴾** قال : على تَنقُّصٍ وتَفزُّع(٤) .

وَرَوَى ابن جريج عن ابن كثير عن مجاهد قال : تنقُّصاً(٥) .

قال أبو جعفر : وهـذا القـول هو المعروف عنـد أهـل اللغـة ، يُقال : أَخَذَهم على خَوْفٍ ، وعلى تَخوُّفٍ : إذا تنقَّصهم ، كما قال ابن عباس ومجاهد .

ومعنى التنقص : أن ينقصهـم في أمـوالهم ، وفي زروعهـم ، وفي

---

(١) الأثر في الطبري ١١٢/١٤ والدر ١١٩/٤ ونسبه إلى ابن المنذر ، وابن أبي حاتم .

(٢ـ٥) انظر الآثار في الطبري ١١٢/١٤ وابـن كثير ٤٩٤/٤ وزاد المسير ٤٥٢/٤ والـدر المنثـور ١١٩/٤ وقد أورد البخاري في كتاب التفسير ١٠٣/٦ : ﴿ على تخوُّف ﴾ على تنقُّص ، قال الطبري : وذلك بنقصٍ من أطرافهم ونواحيهم ، الشيء بعد الشيء حتى يُهلك جميعهم ، يُقال : تخوَّف مالَ فلانٍ الإنفاقُ إذا انتقصه قال الشاعر :

تخوَّفَ الرَّحْـلُ منها تَامِكـاً قَرِداً ... كما تخوَّفَ عُودَ النَّبْعَـةِ السَّفَـنُ

خيرهم شيئاً بعد شيء ، حتى يهلكهم .

وقال الليثُ[١] : على تخوُّف : سمعتُ أنه على عَجَل[٢] .

وقولُ الضحاك ﴿ **عَلَى تَخَوُّفٍ** ﴾ أي يأخذ هذه القرية ، ويَدَعُ هذه عندها ، أي فتخاف[٣] .

٣٢ ــ **وقولُه جلَّ وعز** ﴿ **يَتَفَيَّؤُا ظِلَالُهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ سُجَّدًا لِلَّهِ** ﴾ [آية ٤٨] .

قال قتادة : الفيءُ : الظلُّ[٤] .

وقال غيره : التفيُّؤُ : رجوعه من موضع إلى موضع ، خاضعاً منقاداً ، وكذلك معنى السجود .

وقال قتادة : ﴿ **عَنِ اليَمِينِ** ﴾ : بالغداة ، وقوله ﴿ **والشَّمائِلِ** ﴾ بالعشي[٥] .

٣٤ ــ **ثم قال الله جلَّ وعز** ﴿ **وَهُمْ دَاخِرُونَ** ﴾ [آية ٤٨] .

قال قتادة : أي صاغرون[٦] .

---

(١) هو الليثُ بنُ سعد بن عبدالرحمن الفَهْمي « أبو الحارث » ثقةٌ ، ثَبْتٌ ، فقيه ، إمام مشهور ، من السابعة مات سنة ١٧٥ هـ انظر تقريب التهذيب ١٣٨/٢ .

(٢) حكاه أبو حيان في البحر المحيط عن الليث بن سعد ٤٩٥/٥ وهو قولٌ غير مشهور في اللغة .

(٣) الأثر في الطبري ١١٤/١٤ عن الضحاك قال : يأخذ العذابُ طائفةً ويترك أخرى ، ويُعذِّب القرية ويهلكها ، ويترك أخرى إلى جنبها . اهـ .

(٤ــ٦) انظر الآثار في الطبري ١١٦/١٤ وابن كثير ٤٩٤/٤ وزاد المسير ٤٥٣/٤ والدر المنثور ١٢٠/٤ قال الأخفش ٦٠٦/٢ : لمَّا وصفهم بالطاعة أشبهوا الإنس في الفعل .

٣٤ ــ **وقولُه جلَّ وعزَّ ﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ ما في السَّمَاوَاتِ وَمَا في الأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ ، والمَلَائِكَةُ .. ﴾** [آية ٤٩] .

قيل : المعنى : ولِلّهِ يسجد ما في السَّمَوات من الملائكة ، وما في الأرض من دابة ، والملائكةُ أي والملائكة الذين في الأرض ، والله أعلم بما أراد .

وقال الضحاك : كُلُّ شيءٍ فيه روحٌ : دابةٌ يسجدُ للّهِ عزَّ وجلَّ(١).

٣٥ ــ **وقولُه جلَّ وعزَّ ﴿ وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ ﴾** [آية ٥١].

أي لا تعبدوا من دون الله شيئاً ، وإن كنتم تتقرَّبون بعبادته إلى اللّه ، وجاء باثنين توكيداً(٢) .

وقيل : المعنى : لا تتَّخذوا اثنين إلَٰهينِ .

٣٦ ــ **وقوله جلَّ وعز ﴿ وَلَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأرض وَلَهُ الدِّينُ وَاصِباً ﴾** [آية ٥٢] .

---

(١) الأثر أخرجه السيوطي في الدر بنحوه ١٢٠/٤ قال في البحر ٤٩٨/٥ : والظاهر أن السجود هنا عبارةٌ عن الانقياد ، وجريانها على ما أراد اللهُ من مَيَلان تلك الظِّلال ودورانها ، كما يقال لمن حنى رأسه إلى الأرض ، على جهة الخضوع : ساجدٌ .. وقال ابن الجوزي ٤٥٣/٤ : الساجدون على ضربين : **أحدهما** : من يعقل فسجوده عبادة . **والثاني** : من لايعقل ، فسجودُه بيانُ أثر الصَّنعة فيه ، والخضوع الذي يدلُّ على أنه مخلوق . اهـ .

(٢) قال الزجاج : ذكرُ الإثنين توكدٌ ، كما قال تعالى ﴿ إنما هو إلهٌ واحدٌ ﴾ اهـ زاد المسير ٤٥٥/٤ .

رَوَى عكرمةُ عن ابن عباس قال : واجباً[1] .

وقيل : الطاعةُ على كلِّ الأحوال ، وإن كان فيها الوَصَبُ ، وهوَ التعبُ ، وهذا معنى قول الحسن[2] .

وَرَوَى مَعْمرٌ عن قتادة ﴿**وَلَهُ الدِّينُ وَاصِباً**﴾ قال دائماً ، أَلَا تسمع إلى قوله ﴿**وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ**﴾[3]؟ أي : دائم . وكذا قال ميمونُ بن مهران .

وروى ابنُ جُريج عن مجاهد ﴿**وَلَهُ الدِّيْنُ وَاصِباً**﴾ قال : الإخلاصُ ، والواصب : الدائم[4] .

وهذا هو المعروف في اللغة ، يقال : وَصَبَ يَصِبُ وُصُوباً : إذا

---

(١) الأثر عن ابن عباس أخرجه الطبري ١٤/١٢٠ وابن كثير ٤/٤٩٥ .

(٢) هذا القول عن الحسن ذكره ابن الجوزي ٤/٤٥٦ وهو قول مرجوح ، وخلاف الظاهر ، ولم يحكه الطبري وابن كثير وغيرهما ، وإنما هو وجه عند ابن الأنباري والزجاج ، قال ابن الجوزي : ومعنى هذا القول : وله الدينُ مُوصِباً أي مُتعباً ، لأن الحقَّ ثقيلٌ ، وهو كما تقول العرب : هَمٌّ نَاصِبٌ أي مُنْصِبٌ ، قال الزجاج : ويجوز أن يكون المعنى : وله الدِّينُ والطاعةُ رضي العبدُ وسَهُل عليه أو لم يَسْهُل ، فله الدِّينُ وإن كان فيه الوَصَبُ ، والوَصَبُ : شَدَّةُ التَّعب . اهـ وهو قولٌ فيه تكلُّف .

(٣) سورة الصافات آية ٩ قال تعالى ﴿ ويُقْذفون من كلِّ جانب . دحوراً ولهم عذابٌ واصب ﴾ أي دائم مستمر .

(٤) الأثر أخرجه الطبري في جامع البيان ١٤/١١٩ والسيوطي في الدر ٤/١٢٠ وابن كثير في تفسيره ٤/٤٩٥ وجمع ابن جرير بين أقوال السلف فقال ﴿ وله الدِّينُ واصباً ﴾ أي له الطاعة والإخلاصُ ، دائماً ، ثابتاً ، واجباً .

دام[1] ، والدِّيـنُ : الطاعـةُ ، والمعنـى : أن كلَّ من يُطـاع تزول طاعتـهُ بهلاكٍ أو زوال ، إلاَّ اللهُ جلَّ وعزَّ .

٣٧ ــ **ثم قال تعالى ﴿وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ﴾** [آية ٥٣] .

أي ما يكن بكم من سَعَة في رزقٍ ، أو صحةٍ في بَدَنٍ ، فمـنَ اللَّهِ ﴿ **ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ** ﴾ وهو البلاءُ والمشقَّةُ ﴿**فَإِلَيْـهِ تَجْـأَرُونَ**﴾ أي تَدْعُون وتستغيثون .

يُقـالُ : جَأَرَ ، يَجْـأَرُ ، جُؤَاراً : إذا رفـع صوتـه مستغيثـاً من جُوعٍ أو غيره[2] .

٣٨ ــ **وقوله جل وعز ﴿ثُمَّ إِذَا كَشَفَ الضُّرَّ عَنْكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْكُـمْ بِرَبِّهِـمْ يُشْرِكُونَ . لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ﴾** [آية ٥٤] .

قيل : المعنى : ليجعلوا النِّعمة سبباً إلى الكفـر ، كما قال تعـالى ﴿**رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ**﴾[3] .

---

(١) في الصحـاح ٢٣٣/١ : وصَبَ الشيءُ يَصِبُ وُصُوبـاً : أي دَامَ ، وَوَصَب الرجـل على الأمـر إذا واظب عليه ، وقال الفراء : واصباً أي دائماً اهـ .

(٢) انظـر الصحـاح للجوهـري وفي القامـوس : جَأَر كمنـع جَأْراً ، وجُـؤاراً : رفـع صوتـه بالدعـاء وتضرَّع . وفي الزجـاج ٢٠٤/٣ : يُقـال : جأَرَ الرجـل يجأرُ جؤاراً ، والأصواتُ مبنيَّـةٌ على « فُعَال » و« فعيـل » فأمَّا فُعَـال فنحـو الصُّراخ ، والجُـؤار ، والبكـاء ، وأمـا « فعيـل » فنحـو العويل ، والزئير ، والفُعال أكثر . اهـ .

(٣) سورة يونس آية ٨٨ وهي من دعاء موسى على فرعون وتمامها ﴿ وقال موسى ربَّنا إنك آتيتَ فرعونَ وملأَهُ زينةً وأموالاً في الحياة الدنيا ، ربنا ليُضِلُّوا عن سبيـلكَ ، ربنـا اطـمسْ على أمـوالهم ، واشدد على قلوبهم ، فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم ﴾ والشاهد في الآية أن الـلام فيها « لام العاقبـة » أي لتكون عاقبتهم أن يُضلُّوا عن سبيلك .

وقيل : ليجحدوا النعمةَ التي أنعم عليهم ، كما قال الشاعر :

« والكفرُ مَخْبثَةٌ لنفسِ المُنْعِمِ »(١)

٣٩ ــ ثم قال تعالى ﴿ فَتَمَتَّعُوا فسوفَ تَعْلَمُونَ ﴾ [آية ٥٥] .

وهذا على التهديد ، كما قال تعالى ﴿**فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ ، وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُر**﴾(٢) فإنَّا قد أرسلنا الرسل ، وبينَّا وأنذرنا ، فمن شاءَ فليكفر بعد هذا ، فإنَّ العقوبةَ حالَّةٌ به .

٤٠ ــ ثم قال جلَّ وعز ﴿ وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيباً مِمَّا رَزَقْنَاهُم ﴾ [آية ٥٦] .

يعني : ما كانوا يجعلونه لأصنامهم ، من زرعهم وأنعامهم ، كما قال تعالى ﴿**فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ ، وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا** ﴾(٣) .

٤١ ــ ثم قال جلَّ وعز ﴿ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ وَلَهُمْ مَايَشْتَهُونَ ﴾ [آية ٥٧] .

---

(١) هذا عجز بيتٍ من معلَّقة عنترة ، التي مطلعها : « هل غادر الشعراءُ من مُتَردَّم » وصدرُ البيت :

نُبِّئتُ عَمْراً غيرَ شاكِرِ نِعْمتي والكفْرُ مَخْبثةٌ لنَفْسِ المُنْعمِ

يريد أن كفران النعمة يُنفِّر نفس المنعمِ عن الإنعام ، وانظر شرح المعلقات العشر للزَّوزني ص ٢٥٣ وجامع الأحكام للقرطبي ١١٥/١٠ .

(٢) سورة الكهف آية ٢٩ .

(٣) سورة الأنعام آية ١٣٦ وتمامها ﴿ وجعلوا للّهِ مما ذَرَأ من الحرث والأنعام نصيباً ، فقالوا هذا للّهِ بزعمهم .. ﴾ الآية .

أي ولهمُ البنون(١) .

٤٢ ـ ثم قال جلَّ وعز ﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنْثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا ﴾ [آية ٥٨] .

أي ظلَّ كئيباً مغموماً ، والعربُ تقول هذا لكلِّ مغمومٍ ، قد تغيَّر لونُه من الغمِّ : اسودَّ وجهُه(٢) .

٤٣ ـ ثم قال جلَّ وعز ﴿ وَهُوَ كَظِيْمٌ ﴾ [آية ٥٨] .

الكظيمُ : الحزينُ الذي يُخفي غيظَه ، ولا يشكو مابِهِ .

٤٤ ـ ثم قال جل وعز ﴿يَتَوَارَى مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ ﴾ [آية ٥٩] .

يُروى أن أحدهم كان إذا وُلِدَ له ، يتوارى في ذلك الوقت ، أو قَبْلَه ، فإنْ وُلِدَ له ذكرٌ سُرَّ بهِ ، وإن وُلِدتْ له أنثى استَتَر ، وربَّما وَأَدَها(٣) .

---

(١) عبارة القرطبي ١١٦/١٠ : أي يجعلون لأنفسهم البنين ، ويأنفون من البنات . اهـ وقال ابن كثير ٤٩٦/٤ : أي يختارون لأنفسهم الذكور ، ويأنفون من البنات التي نسبوها إلى الله ، تعالى الله عن قولهم عُلواً كبيراً .

(٢) هذا قول الزجاج كما في معاني القرآن ٢٠٦/٢ ولفظهُ : أي متغيِّراً تغيُّر مغتمٍّ ، يُقال لكل من لقى مكروهاً : قد اسودَّ وجهه غمَّاً وحَزَناً . اهـ .
أقول : لاأيراد بالسواد الذي هو ضدُّ البياض ، وإنما هو كناية عن غمِّه بالبنت .

(٣) روى ابن جرير ١٢٣/١٤ عن قتادة قال : « هذا ضيعُ مشركي العرب ، أخبرهم تعالى بخبث=

٤٥ ـ ثم بيَّن ذلك بقوله تعالى ﴿ أَيُمْسِكُهُ عَلَى هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ ﴾ [آية ٥٩] .

وقرأ الجحدريُّ ﴿أَمْ يَدُسُّهَا في التُّرَابِ﴾(١) يردُّها على قوله « بالأنثى » ويلزمُهُ أن يقرأ ﴿أيمسكُهَا﴾ .

وقرأ عيسى بن عمر ﴿أيمسكُهُ عَلى هَوَانٍ﴾(٢) وقال : هَوَانٌ وهُونٌ واحد .

وقرأ الأعمشُ : ﴿أيمسكُهُ على سُوءٍ﴾(٣) .

وحَكَى أبو عبيد عن الكسائي قال : في لغة قريش : الهُوْنُ والهَوَانُ ، بمعنىً واحدٍ ، وقال : لغة بني تميم يجعل الهون مصدرَ الشيء الهيِّن(٤) .

٤٦ ـ ثم قال جل وعز ﴿أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ [آية ٥٩] .

= صنيعهم ، فأما المؤمنُ فهو حقيق أن يرضى بما قسم الله له ، وقضاءُ الله خيرٌ من قضاء المرء لنفسه ، ولعمري ما يدري ما هو خير ، فربَّ جاريةٍ خيرٌ لأهلها من غلام ، وإنما أخبركم الله بصنيعهم لتجتنبوه وتنتهوا عنه ، وكان أحدهم يَغْذُو كلبه ، ويئدُ ابنته » .

(١ ـ ٣) هذه القراءات التي أوردها المصنف ، ذكر أبو حيان في البحر المحيط ٥٠٤/٥ وابن الجوزي في زاده ٤٥٩/٤ وابن عطية في المحرر الوجيز ٤٤٧/٨ وجميعها من القراءات الشاذة ، ولا يُقرأ إلا بالمتواتر من القراءات ، وإنما يُستأنس بها في التفسير ، وانظر البحر ٥٠٤/٥ فقد قال عن قراءة الأعمش : وهي عندي تفسيرٌ لا قراءة ، لمخالفتها السَّواد المجمع عليه . اهـ .

(٤) انظر البحر المحيط ٥٠٤/٥ وجامع الأحكام للقرطبي ١١٧/١٠ .

لأنهم جعلوا للّهِ البناتِ ، وهم يكرهونها هذه الكراهية .

٤٧ ــ **ثم قال جلَّ وعز : ﴿ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ مَثَلُ السَّوْءِ ، وَلِلَّهِ المَثَلُ الأَعْلَى ﴾** [آية ٦٠] .

رَوَى مَعْمر عن قتادة : قال : **﴿المَثَلُ الأعلى﴾** : لا إلـه إلاَّ الله(١) .

ورَوَى سعيد عن قتادة قال : **﴿المثَلُ الأعلى﴾** : الإخلاصُ ، والتوحيدُ(٢) .

والمعنيان واحد ، أي للَّهِ جلَّ وعزَّ التوحيدُ ونفيُ كلِّ معبودٍ دونه(٣) .

٤٨ ــ **وقولُه جلَّ وعزَّ ﴿ وَلَو يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِم مَاتَرَكَ عَلَيْهَا مِنْ دَابَّةٍ ﴾** [آية ٦١] .

أي على الأرض ، ولم يَجْرِ لها ذكرٌ ، لأنه قد عُرِف المعنى(٤) .

(١ ــ ٢) انظر الآثار في الطبري ١٢٥/١٤ والقرطبي ١١٩/١٠ والدر المنثور ١٢١/٤ .

(٣) قال ابن الجوزي ٤٥٩/٤ : ﴿ وللهِ المثلُ الأعلى ﴾ أي الصفة العليا من تنزُّهه وبراءته عن الولد . وقال ابن جرير ١٢٥/١٤ : وهو الأفضلُ ، والأطيبُ ، والأحسنُ ، والأجملُ ، وذلك التوحيدُ والإذعان له بأنه لا إله غيرُه . اهـ .

(٤) قال في البحر ٥٠٦/٥ : والضمير في ﴿ عليها ﴾ عائدٌ على فير مذكور ، ودلَّ أنه الأرضُ قوله سبحانه ﴿من دابة﴾ لأن الدَّبيب من الناس لايكون إلاَّ في الأرض ، فهو كقوله تعالى ﴿فأَثَرْنَ بِهِ نَقْعاً ﴾ أي بالمكان ، لأن الخيل لاتعدو إلاَّ في مكان ، وكذلك الإثارة والنقع . اهـ .

٤٩ ــ **وقوله جلَّ وعز ﴿وَيَجْعلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ﴾** [آية ٦٢] .

يعني البنات .

ثم قال تعالى : **﴿ وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ الكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ الْحُسْنى ﴾** [آية ٦٢] .

قال مجاهد : هو قولهم : لنا البنون(١) .

وقال غيرُه : الحسنى : الجنة(٢) .

٥٠ ــ **ثم قال جلَّ وعز ﴿ لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ النَّارَ وَأَنَّهُمْ مُفْرَطُونَ ﴾** [آية ٦٢] .

وقيل : « لا » رَدٌّ لكلامهم ، وجَرَمَ بمعنى : وَجَبَ ، وحقَّ(٣) .

قال أبو جعفر : وقد استقصينا القول فيه(٤) .

٥١ ــ **ثم قال تعالى : ﴿وأَنَّهُمْ مُفْرَطُونَ﴾** [آية ٦٢] .

(١ــ٢) انظر الطبري ١٤/١٢٧ وابن كثير ٤/٤٩٨ وابن الجوزي ٤/٤٦٠ والدر المنثور ٤/١٢١ .

(٣) على هذا القول الذي ذهب إليه بعض علماء اللغة ، تكون « لا » ردًّا لقولهم ، وتمَّ الكلامُ ، أي ليس الأمر كما تزعمون ﴿ جَرَمَ أن لهم النَّارَ ﴾ أي حقاً أنَّ لهم النار ، وقال الخليل وسيبويه : ﴿ لاجَرَم ﴾ كلمة واحدة بمعنى حقاً ، وهذا القول هو الراجح والمختار عند المفسرين .

(٤) تقدَّم القول حول قوله تعالى ﴿ لاجرم ﴾ في إعراب القرآن للنحاس .

كذا قرأ الحسنُ ، ومجاهـد ، وسعيـدُ بن جبير ، بفتـــح الــــراء والتخفيف (١) .

واختلفوا في تفسيره : فقـال الحسنُ : ﴿مُفْرَطُونَ﴾ مُعَجَّلـون إلى النَّار (٢) .

وقـال هُشيم : أخبرنا أبـو بِشرْ ، وحُصَيـنٌ ، عن سعيـدِ ابـنِ جُبيرٍ ﴿وأَنَّهمْ مُفْرَطُونَ﴾ قال : متروكُون منسِيُّون (٣) .

وَرَوَى ابـــن جريج عن مجاهـــــد قال : ﴿مفرطـــــون﴾ : منسيُّون (٤) .

قال أبو جعفر : وقولُ الحسَنِ أشهرُ في اللغةِ وأعرفُ .

وحكَى أهلُ اللغـة هو فَارِطٌ وفَـرَطٌ ، وفي حديث النبـي ﷺ : « أنا فَرَطكُم على الحَـوْضِ » (٥) أي متقدِّمكُـمْ إليـه حتـى تَرِدُوا علـيَّ ، وأفرطته : إذا قدَّمته ، وأنشد جماعةٌ من أهل اللغة :

---

(١) هذه قراءة السبعة غير نافع ، فقد قرأ الجمهور ﴿ مُفْرَطُون ﴾ بفتـح الـراء وتخفيفهـا ، من أفرِطـوا بمعنى عُجِّلوا إلى العذاب ، وقـرأ نافـع ﴿ مُفْرِطُـون ﴾ بكسر الـراء خفيفـة من أفـرطتُ ، وانظـر السبعة لابن مجاهد ص٣٧٤ .

(٢ــ٤) انظـر الآثار في الطبري ١٢٧/١٤ وابـن كثير ٤٩٨/٤ والقرطبـي ١٢١/١٠ والـدر المنثـــور ١٢١/٤ ورجح الطبري قول سعيد بن جبير أن المعنى : أنهم متروكـون في النـار ، منسيُّـون فيها ، وجمع ابن كثير بين القولين فقال : معجَّلون إلى النار ، ويُنسون فيها أي يُخلَّدون .

(٥) هذا طرف من حديث أخرجه البخاري في الرقاق ١٤٨/٨ ومسلم رقم ٢٣٠٤ في الفضائل .

فَاسْتَعْجَلُونا وكانُــوا من صَحَابتِنَـــا
كَمَـــــا تعجَّـــــل فُرَّاطٌ لِوُرَّادِ[1]

وقـال بقولِ سعيد بن جبيرٍ ومجاهدٍ « أبو عبيدة ، والكسائيُّ ، والفرَّاءُ »[2] .

قال أبـو جعفـر : فعلى قول الحسن : معجَّلُونَ مقدَّمـــون إلى النَّار ، وعلى قول سعيد بن جبير ومجاهد متروكُون في النَّار .

وقرأ **عبدالله بن مسعود** وابـن عبـاس ﴿**وَأَنَّهُـمْ مُفْرِطُـونَ**﴾[3] مبالغـون في الإساءة ، كما يُقـال : فَرَطَ فلانٌ على فلانٍ إذا أربى عليـه ، وقال له أكثرَ ممَّا قال من الشَّرِّ .

وقـرأ **أبـو جعفـر** والسُّدِّي ﴿**وأنَّهُـــم مُفَرِّطُـــونَ**﴾[4] ومعنـــاه

---

(١) البيت للقُطَامي وهـو في ديوانـه ص ٩٠ بلفـظ « واستعجلونـا » واستشهـد به الـطبري في جامـع البيان ١٢٨/١٤ والقرطبي في جامع الأحكـام ١٢١/١٤ وفي البحـر المحيـط ٥٠٦/٥ وهـو في اللِّسان ، والصحاح مادة فرط ، قال الجوهري : فرطتُ القومَ سبقتهم إلى الماء ، فأنا فارطٌ والجمعُ فُرَّاط أي متقدِّمون إلى الوادي والماء .

(٢) انظر معاني القرآن للفراء ١٠٨/٢ ومجاز القرآن لأبي عُبيدة ٣٦١/١ .

(٣) هذه قراءة نافع في رواية ورش ﴿ مُفْرِطُون ﴾ وهـي من القـراءات السبـع ، ومعنـاه : مسرفـون في الذنوب والمعصيبة ، وانظر القرطبي ١٢١/١٤ .

(٤) هذه قراءة أبي جعفر ، وابن أبي عبلة كما في زاد المسير ٤٦١/٤ ، قال الزجاج ومعناها : أنهم فرَّطوا في الدنيا فلم يعملوا فيها للآخرة ، وتصديقُ هذه القراءة ﴿ أن تقول نفسٌ ياحسرتـا على مافـرَّطتُ في جنب الله ﴾ .

مضيِّعون ، أي كانوا مضيِّعين في الدنيا .

٥٢ ــ **وقولُه جلَّ وعزَّ ﴿وإنَّ لَكُمْ في الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسقِيْكُمْ مِمَّا في بُطُوْنِهِ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبناً خَالِصاً .. ﴾** [آية ٦٦] .

الفَرْثُ : ما يكونُ في الكَرِشِ ، يُقال : أفرثتُ الكرِشَ ، إذا أخرجت ما فيها(١) ، والمعنى : أنَّ الطعام يكون فيه ما في الكَرِش ، ويكون منه الدَّمُ ، ثم يخلص اللَّبنُ من الدَّمِ .

ثم قال تعالى : ﴿ سَائِغاً لِلشَّارِبِينَ ﴾ [آية ٦٦] .

أي سهلاً لايَشْجَى به من شَرِبه(٢) .

٥٤ ــ **ثم قال جلَّ وعز : ﴿ وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ والْأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَراً ورِزْقاً حَسَناً .. ﴾** [آية ٦٧] .

رَوَى عَمْرُو بنُ سفيان ، عن ابن عباس قال : السَّكَرُ : ما حَرم من ثمرتها ، والرِّزقُ الحسنُ : ما كان حلالاً من ثمرتها(٣) .

ورَوَى شعبةُ عن مغيرةَ عن إبراهيم والشعبي قالا : السَّكَرُ ما حُرِّمَ ، وقد نُسخ(٤) .

---

(١) الفَرْثُ : الزبلُ الذي ينزلُ إلى الكَرِش ، فإذا خرج لايُسمَّى فَرْثاً ، وانظر الصحاح ٢٨٩/١ وتفسير القرطبي ١٢٤/١٠ .

(٢) أي لايغصُّ به شاربه ، قال في الصحاح : أشجاه يُشْجيه : إذا أغصَّه ، والشَّجي : مايَنْشَب في الحلْق من عظم وغيره اهـ الصحاح مادة شجا .

(٣ـ٧) انظر الآثار في جامع البيان ١٣٤/١٤ وزاد المسير ٤٦٤/٤ وتفسير ابن كثير ٥٠٠/٤ =

وَرَوَى معمرٌ عن قتادة قال : السَّكَرُ : نبيذٌ للأعاجم وقد نسخت[٥] .

وَرَوَى عليٌّ بنُ الحَكَم عن الضحَّاكِ قال : السَّكَر قد حُرّم[٦] .

وقال مجاهد : السَّكر : ما حُرِّم من الخمر ، والرزقُ الحَسَنُ : ماأُحلَّ من التَّمر والعنب[٧] .

قال أبو جعفر : الأَوْلى أن تكون الآيةُ منسوخةً ، لأنَّ تحريم الخمر كان بالمدينة ، والنَّحلُ مكيّةٌ[٨] .

والروايةُ عن ابن عباس ، كأنَّ معناها أن الآية على الإخبار ، بأنهم يفعلون ذلك ، لا أنه أذن لهم في ذلك ، وذلك معناه .

وهي روايةٌ تضعفُ من جهةِ « عَمْرِو بنِ سفيان»[٩] .

= والقرطبي ١٢٨/١٠ والدر المنثور للسيوطي ١٢٢/٤ .

(٨) قال القرطبي ١٢٨/١٠ : الجمهورُ على أن السَّكَر الخمرُ ، وكذا قال أهل اللغة : السَّكَر اسمٌ للخمر وما يُسْكِر ، وأنشدوا :

بِئسَ الصُّحاةُ وبِئسَ الشَّرْبُ شَرْبُهم   إذَا جَرَى فيهُم المُذَّابُ والسَّكَرُ

فالسَّكَرُ ما حرَّمه الله من ثمرتيهما ، والرزقُ الحسنُ ما أحلَّه الله من ثمرتيهما ، وقد قال ابن عباس : نزلت هذه الآية قبل تحريم الخمر . اهـ .

(٩) قال في التهذيب ٤٠/٨ : عمروُ بن سفيان الثقفي روى عن أبيه وابن عباس وابن عمر ، ذكره ابن حبان في الثقات ، قال : وصحَّح الحاكم من رواية عمرو بن سفيان عن ابن عباس حديثاً علَّقة البخاري بالجزم في تفسير السكر من سورة النحل ، ثم قال ابن حجر : وقال أبو جعفر =

قال أبو جعفر : وفي معنى السَّكر قول آخر ، قال أبو عبيدة : السَّكَرُ : الطُّعْمُ ، وأنشد :

« جَعَلْتَ عَيْبَ الأكْرَمينَ سَكَرَا »[1]

أي جعلتَ ذمَّهم طُعْماً .

قال أبو جعفر : قال الزجاج : وقولُ أبي عُبيدة هذا لا يُعرف ، وأهلُ التفسير على خلافِهِ ، ولا حجةَ له في البيت الذي أنشده ، لأن معناه عند غيره أنه يصف أنها تتخمرُّ بعيوب الناسِ[2] .

٥٥ ــ **وقولُه جلَّ وعزَّ : ﴿ وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الجِبَالِ بُيُوتاً .. ﴾** [آية ٦٨] .

رُوي عن الضحَّاك أنه قال : ألهمها[3] .

= النحاس في معاني القرآن له : هي روايةٌ ضعيفة لأجل راويها «عمرو بن سفيان»، وقد فرَّق بعض المحدثين بين روايته عن ابن عباس ، وروايته عن أبيه ، وانظر تفصيل القول في تهذيب التهذيب .

(١) انظر مجاز القرآن لأبي عُبيدة ٣٦٣/١ فهو من شواهده ، وهو للمثنَّى بن جندل الطُّهوي ، وهو في الطبري ١٣٨/١٤ وفي القرطبي ١٢٩/١٠ وفي لسان العرب بلفظ « جعلتَ أعراضَ الكِرَامِ سَكَراً » أي جعلت ذمَّهم طُعماً لك .

(٢) انظر لسان العرب ٣٧٤/٤ فقد نقل عن الزجاج قوله : هذا بالخمر أشبه منه بالطعام ، والمعنى : جعلتَ تتخمر بأعراض الكرام .. الخ .

(٣) أشار إلى أن المراد بالوحي هنا الإلهام ، والأثر في الطبري ١٣٩/١٤ قال : ألهمها إلهاماً ، وأخرجه السيوطي في الدر ١٢٢/٤ عن مجاهد قال : ألهمها إلهاماً ولم يرسل إليها رسولاً ، وقال القرطبي ١٣٣/١٠ : ولا خلاف بين المتأولين أن الوحي هنا بمعنى الإلهام .

وأصلُ الوحي في اللغةِ : الإعلانُ بالشيء في سترةٍ ، فيقع ذلك بالإلهام ، وبالإشارة ، وبالكتابة ، وبالكلام الخفي[1] .

٥٦ ـ وقوله جلّ وعز ﴿ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلاً ﴾ [آية ٦٩] .

رَوَى معمرٌ وسعيدٌ عن قتادة قال : مطيعة[2] .

قال أبو جعفر : ويحتمل في اللغةِ أن يكون قولُه ﴿ ذُلُلاً ﴾ للسُّبلِ ، لأنه يقال : سبيلٌ ذلولٌ وسُبُل ذُلُل ، أي سهلة السُّلوك[3] .

ويحتمل أن يكون للنَّحل أي هي منقادةٌ مسخَّرة .

٥٧ ـ وقوله جلَّ وعزَّ ﴿ يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ ﴾ [آية ٦٩] .

فيه قولان :

أحدهما : أن المعنى في القرآن شفاءٌ للناس .

وهذا قول حَسَنٌ ، أي فيما قصصنا عليكم من الآيات

---

(١) انظر لسان العرب ، والصحاح مادة وحى ، فقد قال الجوهري : الوحيُ : الإشارةْ ، والرسالةُ ، والإلهامُ ، والكلامُ الخفيُّ ، قال العجاج : أوحى لها القرار فَاستقرَّت ، وانظر معاني الزجاج ١٠٩/٣ .

(٢) الأثر أخرجه الطبري ١٤٠/١٤ وابن كثير ٥٠٠/٤ والسيوطي في الدر ١٢٢/٤ ورجح ابن كثير قول مجاهد أن المراد بالآية : اسلكي الطرق مذلَّلةً لكِ ، فلا يتوعر عليك مكانٌ سلكتِهِ ، قال : وهذا القول أظهر .

(٣) هذا القول هو الصحيح ، وهو اختيار الزجاج ، ورجحه الحافظ ابن كثير ٥٠٠/٤ .

والبراهين شفاءٌ للنَّاسِ .

وقيل : في العسل شفاءٌ للنَّاسِ ، وهـذا القـولُ بيِّـنٌ أيضاً ، لأن أكثر الأشربة والمعجوناتِ التي يتعالج بها ، أصلُها من العسل[1] .

٥٨ ــ **وقوله جل وعز ﴿ وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ ﴾** [آية ٧٠] .

أي يهرم حتى ينقص عقله .

٥٩ ــ **ثم قال جل وعز ﴿ لِكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعدَ عِلْمٍ شَيْئاً ﴾** [آية ٧٠] .

أي حتى يعود بعد العلم جاهلاً ، أي لتعلمـوا أنَّ الـذي ردَّه إلى هذه الحالِ ، قادرٌ على أن يميته ثم يُحييه .

٦٠ ــ **وقولُه جلَّ وعز ﴿ وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الـرِّزْقِ ، فَمَـا الَّذِيـنَ فُضِّلُـوا بِرَادِّي رِزْقِهِمْ عَلَـى مَا مَلَـكَتْ أَيْمَانُهُـم ، فَهُـمْ فِيْـهِ سَوَاءٌ .. ﴾** [آية ٧١] .

---

(١) القول الأول أن المراد به القرآن ، حكاه الطبري عن مجاهـد ١٤/١٤٠ ورجـح ابـن جريـر ، وابـن كثير القول الثاني ، وهو أن الضمير يعود على العسل ، قال الحافـظ ابـن كثير ٤/٥٠١ : وقـول مجاهدٍ صحيـحٌ في نفسه ، ولكـنْ ليس هو الظاهـر ها هنـا ، والدليـلُ على أن المراد بقولـه تعـالى ﴿ فيه شفـاءٌ للنـاس ﴾ هو الـعسلُ ، الحديث الـذي رواه البخـاري ومسلـم أن رجـلاً استطلـق بطنـه ، فقـال الـرسول ﷺ لأخيـه : اسقـه عسلاً ، فسقـاه فزاد استطلاقـاً .. الحديث ، وفيـه قوله : « صدقَ اللهُ وكذب بطنُ أخيك ، اذهب فاسقه عسلاً » فسقاه فبرىء .

قال بعض العلماء : لو قال تعـالى «فيه الشفاءُ للناس» لكـان دواء لكـل داء ، ولكـن قال ﴿ فيه شفاءٌ للناس ﴾ أي يصلح دواءً لأكثر الناس ، فهو محمول على الأغلب .

رَوَى سعيدٌ عن قتادة قال : هذا مَثَلٌ ضربه اللهُ ، أي إذا كان لأحدكم مملوكٌ لم تَسْغُ نفسُه أن يعطيه ممَّا يملك ، واللهُ جَلَّ وعَزَّ أولى أن يُنزَّه عن هذا[1] .

ومعنى هذا القول : أنهم عمدوا إلى رزق اللَّهِ فجعلوا للأصنام منه نصيباً ، وله نصيباً ، والمعنى : إنكم كلكم بشر ، ويكون لأحدكم المملوك فلا يَرُدُّ عليه مما يملك شيئاً ، ولا يساويه فيه ، فكيف تعمدون إلى رزق الله ، فتجعلون منه نصيباً وللأوثان نصيباً[2] ؟ .

٦١ ــ ثم قال جل وعز ﴿ أَفَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴾ [آية ٧١] .

أي أفأَنْ أنعمَ اللَّهُ عليهم جحدوا بالنعمة وجعلوا ما رزقهم لغيره ؟

وقيل : المعنى : أفَأَن أنعم عليهم بالبيان والبراهين جحدوا نِعَمه[3] .

---

(١) الأثر أخرجه ابن جرير ١٤/١٤٣ وابن كثير ٤/٥٠٥ والسيوطي في الدر ٤/١٢٤ وعزاه إلى ابن أبي حاتم ، وابن المنذر ، ولفظه عن قتادة : قال : هذا مثلٌ ضربه الله ، فهل منكم من أحدٍ يشارك مملوكه في زوجته وفي فراشه ؟ أفتعدلون بالله خلقه وعباده ، فإن لم ترض لنفسك بهذا ، فاللهُ أحقُّ أن تبرِّئه من ذلك ، ولا تعدل بالله أحداً من عباده وخلقه .

(٢) قال ابن عباس : لم يكونوا يُشركون عبيدهم في أموالهم ونسائهم ، فكيف يشركون عبيدي معي في سلطاني ؟ وقال الحافظ ابن كثير ٤/٤٠٤ : يقول تعالى منكراً عليهم : إنكم لا ترضون أن تُساووا عبيدكم فيما رزقناكم ، فكيف يرضى تعالى بمساواة عبيده له في الإلهية والتعظيم ؟! .

(٣) ذكر المعنيين ابن الجوزي في تفسيره ٤/٤٦٨ .

قال الضحَّاكُ : هذا المثلُ للَّهِ جلَّ وعزَّ وعيسى ، أي أنتم لاتفعلون هذا بعبيدكم ، فكيف ترضون لي باتِّخاذ بشرٍ ولداً[1] ؟ تعالى اللهُ عما يقولون علوًّا كبيراً .

٦٢ ــ **وقولُه جلَّ وعز ﴿ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجاً .. ﴾** [آية ٧٢] .

رَوَى سعيد عن قتادة في قوله **﴿ واللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجاً ﴾** قال : خلق حواء من ضلع آدم[2] ..

وقال غيره : **﴿ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجاً ﴾** أي من جنسكم[3] .

٦٣ ــ **ثم قال جلَّ وعز ﴿ وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً .. ﴾** [آية ٧٢] .

رَوَى سفيانُ الثوري ، عن عاصم ، عن زِرٍّ ، عن عبدالله بن

---

(١) الأثر أخرجه الطبري ١٤٢/١٤ والقرطبي في جامع الأحكام ١٤١/١٠ عن ابن عباس .

(٢) الأثر أخرجه الطبري ١٤٣/١٤ وابن الجوزي ٤٦٩/٤ والسيوطي في الدر ١٢٤/٤ ونسبه إلى ابن المنذر ، وعبد بن حُميد ، ولفظه كما في الطبري : قال قتادة : والله خلق آدم ، ثم خلق زوجته منه ، ثم جعل لكم بنين وحفدة .

(٣) هذا قول ابن زيد كما في زاد المسير ٤٦٩/٤ ولفظهُ ﴿ مِنْ أَنْفُسِكُمْ ﴾ قال : أي من جنسكم ، من بني آدم . وهو أظهر ، وهو ما رجحه ابن كثير .

مسعود ، قال : الحَفَدةُ : الأَخْتَانُ[1] .

وروى **سفيانُ** بنُ عُيَينة عن [عاصم عن] زرٍّ عن عبدالله قال : الحَفَدةُ : الأصهارُ[2] .

ورَوى **شُعبةُ** عن زرٍّ قال : سألني ابنُ مسعودٍ عن الحَفَدةِ ، فقلت : هم الأعوانُ ، قال : هم الأَخْتَانُ[3] .

وقال **عَلْقمةُ** وأبو الضحى : الحَفَدةُ : الأَخْتانُ[4] .

وقال **إبراهيم**[5] : الحَفَدةُ : الأصهارُ .

قال أبو جعفرٍ : وقد اختُلِفَ في الأَخْتَانِ والأصهار ، فقال محمد بنُ الحسن ، الخَتَنُ : الزوجُ ومن كان من ذوي رَحِمَه ، والصِّهرُ: من كان من قِبَلِ المرأة ، نحو أبيها وعمَّتها وخالها .

(١-٣) انظر الآثار كلها في الطبري ١٤/١٤٤ وابن كثير ٤/٥٠٦ والدر المنثور ٤/١٢٤ وتفسير ابن الجوزي ٤/٤٦٩ وما بين الحاصرتين سقط من المخطوطة وأثبتناه من الهامش .
أمَّا « عاصم » فهو كما في تقريب التهذيب ١/٣٨٣ : عاصمُ بن بَهْدلة ، وهو ابنُ أبي النَّجود ، الأَسَديُّ ، الكوفي ، المقرىء « أبو بكر » قال ابن حجر : صَدُوقٌ له أوهامٌ في القراءة مات سنة ١٢٨هـ .

(٤) الأَخْتَانُ : جمع خَتَنٍ وهم أهلُ الزوجة وأقاربها ، قال الجوهري في الصحاح ٥/٢١٠٧ : الختَنُ بالتحريك : كلُّ من كان من قِبَل المرأة مثلُ الأب ، والأخ ، هكذا عند العرب ، وأما عند العامَّة فَخَتَنُ الرجلِ : زوجُ ابنته .

(٥) هو إبراهيم النَّخعي بن « يزيد بن قيس » أبو عمران ، الكوفي ، الفقيه ، ثقةٌ ، مات سنة ٩٦ هـ وانظر تقريب التهذيب ١/٤٦ .

وقال ابن الأعرابي ضد هذا في الأختان والأصهار .

وقال الأصمعي : الخَتَنُ : من كان من قِبَلِ المرأة مثل أبيها وأخيها وما أشبههما ، والأصهار منهما جميعا ، يقال : أصْهَرَ فلانٌ إلى بني فلانٍ وَصَاهَر .

وقولُ عبدالله بن مسعود : همُ الأُخْتَانُ ، يحتمل المعنيين جميعاً ،

يجوز أن يكون أراد أبا المرأة ، وما أشبهه من أقربائها .

ويجوز أن يكون أراد : وجعل لكم من أزواجكم بنين وبنات تُزوِّجونهم ، فيكون لكم بسببهنَّ أُخْتَانٌ .

وقد قيل في الآية غير هذا .

قال عكرمة : الحَفَدة : ولدُ الرجل من نَفَعه منهم(١) .

وقال الحسن وطاووس ومجاهد : الحَفَدةُ : الخَدَمُ(٢) .

(١ــ٢) اختلفت أقوال السلف في تفسير « الحَفَدة » اختلافاً كبيراً ، فقال بعضهم : إنهم الأصهارُ ، أصهارُ الرجل على بناته وهو قول ابن مسعود وابن عباس ، وقال بعضهم : الخدمُ والأعوان ، وهو قول عكرمة ، وقال بعضهم : هم الأبناء من الصلب وأبناؤهم وهو مروي عن مجاهد وابن عباس ، وهناك أقوال أخرى ذكرها ابن الجوزي ، والطبري ، وابن كثير تصل إلى خمسة أقوال ، قال القرطبي ١٤٢/١٠ : قال الأزهري : قيل الحَفَدةُ أولادُ الأولاد ، ورُوي هذا عن ابن عباس ، وما قاله الأزهري من أن الحفدة أولادُ الأولاد هو ظاهر القرآن بل نصُّه ، ألا ترى أنه قال ﴿ وجعل لكم من أزواجكم بنين وحَفَدة ﴾ !! فجعل الحَفَدة والبنين منهنَّ ، وقال ابن العربي : الأظهر عندي أن البنين أولاد الرجل لصلبه ، والحَفَدةُ أولادُ أولاده ، ويكون تقدير الآية : وجعل لكم من أزواجكم بنين ، ومن البنين حفدة .اهـ وهو كلام نفيس ، وهو أظهر الأقوال .

قال أبو جعفر : وأصلُ الحَفَدة في اللغة : الخدمة ، والعمل ، يقال : حفد يحفِدُ حَفْداً وحفوداً وحَفَداناً ، إذا خَدَمَ وعمل[1] ، ومنه « وإليكَ نَسْعى ونَحْفِدُ »[2] : ومنه قولُ الشاعر :

حَفَدَ الوَلَائِدُ حولَهُنَّ وأُسْلِمَتْ
بأكُفِّهِنَّ أَزِمَّةُ الأَجْمَالِ[3]

وقول من قال : هم الخَدَمُ حسنٌ على هذا ، إلاَّ أنه يكون منقطعاً مما قبله عند أبي عُبيد ، ويُنْوَى به التقديمُ والتأخيرُ ، كأنه قال : وجعلَ لكم حَفَدةً ، أي خَدَماً ، وجعل لكم من أزواجكم بنين[4] .

٦٤ ــ وقوله جلَّ وعز ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ مَا لَا يَمْلِكُ لهمْ رِزْقاً مِنَ السَّماوَاتِ وَالْأَرْضِ شَيْئاً ﴾ [آية ٧٣] .

---

(١) انظر تهذيب اللغة للأزهري ، ولسان العرب لابن منظور ، والصحاح للجوهري مادة حفد .

(٢) هذا طرف من الدعاء المأثور في القنوت الذي كان يدعو به الفاروق عمر رضي الله عنه « اللهُّم إنَّا نستعينك ، ونستهديك ، ونستغفرك ، ونتوب إليك .. ومنه : اللهم إياكَ نعبد ، ولك نصلي ونسجد ، إليك نسعى ونحفِد .. » الأثر ومعناه : نُسرع في طاعتك ومرضاتك .

(٣) البيت لجميل بثينة العذري ، وهو من شواهد أبي عُبيدة في مجاز القرآن ٣٦٤/١ وفي تفسير ابن عطية ٤٦٧/٨ وفي الطبري ١٤٤/١٤ والقرطبي ١٤٣/١٠ والجمهرة ١٢٣/٢ وفي اللسان ، والتاج مادة حفد ، ونسبه ابن دُريد إلى الفرزدق ، والصواب أنه لجميل العذري كما قال أبو عُبيدة ، والبيتُ يُصوِّر ما تقوم به الولائد من خدمةٍ وسعي ، ومن إمساك بأزمَّة الأجمال .

(٤) قال ابن الأنباري : وعلى هذا القول أن المراد بالحفدة : الخدمُ والمماليك يكون معنى الآية : وجعل لكم من أزواجكم بنين ، وجعل لكم حفدةً من غير الأزواج . اهـ زاد المسير ٤٧٠/٤ .

أي : لا يملكون أن يرزقوهم شيئاً .

٦٥ ـ **ثم قال جلَّ وعز ﴿ وَلَا يَسْتَطِيْعُونَ . فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ ﴾** [آية ٧٤] .

قال الضحَّاك : لا تعبدوا من دونه ما لا ينفعكم ، ولا يضركم ، ولا يرزقكم(١) .

٦٦ ـ **وقوله جلَّ وعز ﴿ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً عَبْدًا مَّمْلُوكاً لَّا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ ، وَمَنْ رَّزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقاً حَسَناً فَهُوَ يُنْفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَّجَهْراً ﴾** [آية ٧٥] .

هذه الآية مشكلةٌ وفيها أقوال :

قال مجاهد والضحّاك : هذا المثلُ للهِ جلَّ ذكره ، ومن عُبِد من دونِه(٢) .

وقال قتادة : هذا المثل للمؤمن والكافر(٣) .

---

(١) الأثر في الطبري ١٤/١٤٨ وابن كثير ٤/٥٠٧ والدر المنثور ٤/١٢٥ .

(٢) الأثر أخرجه ابن جرير ١٤/١٤٩ وابن الجوزي ٤/٤٧٢ وابن كثير ٤/٥٠٧ والسيوطي في الدر ٤/١٢٥ .

(٣) القول الأول هو الأظهر ، وهو ما رجحه الجمهور ، قال ابن القيم رحمه الله : « وهذا مثلٌ ضربه الله تعالى لنفسه ، والآلهةِ التي تعبد من دونه ، فالله هو المالك لكل شيء ، يُنفق كيف يشاء على عبيده ، سرًّا وجهاراً ، وليلاً ونهاراً ، والأوثانُ مملوكةٌ عاجزة لا تقدر على شيء ، فكيف يجعلونها شركاء إليَّ ويعبدونها من دوني ، مع التفاوت العظيم ، والفرق المبين ؟ وانظر البحر المحيط ٥/٥١٩ وتفسير ابن عطية ٨/٤٧٦ ففيهما تبيينٌ وتوضيح .

يذهب قتادةُ إلى أن العبدَ المملوكَ هو الكافرُ ، لأنـه لايَنتفـع في الآخرة بشيءٍ من عبادتـه ، وإلى أن معنـى ﴿ **وَمَـنْ رَزَقْنَـاهُ مِنَّـا رِزْقَـاً حَسَنَاً** ﴾ المؤمنُ .

وقال بعض أهل اللغة : القولُ الأول أحسنُ[(١)] ، لأنه وقـع بين كلامين ، لانعلـم بين أهـل التـفسير اختلافـاً ــ إلاَّ من شذَّ منهم ــ أنهمـا للَّـهِ جلَّ وعـز ، وهما ﴿ **فَلَا تَضْرِبُـوا لِلَّـهِ الأَمْثَـالَ** ﴾ وبعــده ﴿ **وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً رَجُلَيْنِ أَحَدُهُما أَبْكَمُ لا يَقْـدِرُ عَلَـى شَيْءٍ وَهُـوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلَاهُ** ﴾ يعني الوثنَ ، لأنه كَلٌّ على من عنده وثِقْلٌ .

والمولى : الوليُّ .

٦٧ ــ **ثم قال جلَّ وعز** ﴿ **هَلْ يَسْتَـوِي هُوَ وَمَـنْ يَأْمُرُ بِالْعَـدْلِ وَهُـوَ عَلَـى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ** ﴾ [آية ٧٦] .

يعني نفسَه جلَّ وعزَّ .

وكذا قال قتادة : اللهُ جلَّ وعز يأمرنا بالعدلِ ، وهـو على صراط مستقيم[(٢)] .

---

(١) يريـد المصنـف أن الكـلام متنـاسقٌ بين الآيتين ، فهمـا مثـلان ضربهمـا اللـه عز وجـل لنـفسه ، وللأصنام التي عُبدت من دونه ولو جعلنا المثل الأول للمؤمن والكافر كما قال قتادةلاختـلَّ التنـاسق والإنسجام بين المثل الأول وقوله سبحانه ﴿ فلا تضربوا للَّهِ الأمثالَ ﴾ الذي ورد بصيغة الجمع .

(٢) الأثر في الـطبري ١٤/١٥٠ وابـن كثير ٤/٥٠٧ وزاد المسير ٤/٤٧٣ قال ابـن جرير : « وهـذا مثلٌ ضربه الله تعالى لنفسه والآلهة التي تُعبد من دونه ، ويعني بالأبكم : الصنم الذي لايسمع ولا =

والمعنى على هذا في قوله جلّ وعزّ ﴿ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً عَبْداً مَمْلُوكاً ﴾ أنه يعني به ما عُبِد من دونه ، لأنه لايملك ضرًّا ولا نَفْعاً و ﴿ مَنْ رَزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقاً حَسَناً فَهُوَ يُنْفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْراً ﴾ وهذا للَّهِ جل وعز ، لأنه الجوادُ الرازقُ للإنسان ، من حيث يعلم ، ومن حيث لايعلم .

ورُوِي عن ابن عباس ــ وهذا لفظُه المرويُّ عنه ــ قال : « نزلت هذه الآيةُ ﴿ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً عَبْداً مَمْلُوكاً لَايَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ ﴾ في « هشام بنِ عَمْرو »[1] وهو الذي ينفق منه سرًّا وجهراً ومولاه أبو الجواب الذي كان ينهاه ، وقيل : نزلَتْ في رجلين ﴿وَضَرَبَ اللهُ مَثَلاً رَّجُلَيْنِ ﴾ الأبكمُ منهما ، الكلُّ على مولاه « أسيد بن أبي العاص » والذي يأمر بالعدل وهو على صراط مستقيم هو « عثمان بن عفان »[2] رحمة الله عليه ، كان عثمان يكفل مولاه ، فعثمان الذي ينفق

= ينطق ، إمَّا لأنه خشب منحوتٌ ، أو نحاسٌ مصنوع ، لا يقدر على نفعٍ ولا دفع ضر ، هل يستوى هذا الأبكمُ ، الكلُّ على مولاه ، الذي لايأتي بخير ، ومن هو ناطقٌ متكلِّمٌ ، يأمر بالحق ، وهو اللهُ الواحد القهار » ؟! .

(١) هو « هشام بن عمرو بن الحارث » وانظر تفسير القرطبي ١٤٩/١٠ .

(٢) هذا القول ذكره ابن الجوزي ٤٧٣/٤ والقرطبي ١٤٩/١٠ والطبري ١٥١/١٤ وذكره أبو حيان في البحر المحيط ٥١٩/٥ وردَّه حيث قال : ولا يقتضي ضربُ المثل لشخصين موصوفين بأوصافٍ متباينة تعيينُهما ، بل ما رُوي في تعيينهما من أنهما « عثمان بن عفان » وعبدٌ له ، أو أنهما « أبو بكر الصدِّيق » و« أبو جهل » لا يصحُّ إسناده .

بالعدل وهو على صراط مستقيم ، والآخر الأبكم .

وقال الحسن : ﴿ **عَبْداً مَمْلُوكاً** ﴾ هو الصنم .

وأولى الأقوال في هذا قول ابن عباس رواه عنه حمَّادُ بن سَلَمة ، عن عبدالله بن عثمان بن خُثَيم ، عن ابراهيم عن عكرمة ، عن ابن عباس ، فبيِّن ابنُ عباس رحمه لله ، أنَّ هذه الآية نزلت في عبدٍ بعينِه ، لم يكن له مالٌ ، ولا يُقال في كل عبد (لايقدر على شيء) !! فنزلت فيه وفي سيِّد كان له مال ينفق منه ، وأن الآية الأخرى نزلت في رجلٍ بعينه ، لم يكن له مالٌ ، وكان كَلَّاً على مولاه ، أي ابن عمه أو قريبه(١) .

وضرب الله هذه الأمثال ليعلم أنه إله واحدٌ ، وأنه لا ينبغي أن يُشبَّه به غيرُه .

ولا يصحُّ قولُ من قال : إنه صنم ، لأن الصنم لايقع عليه اسم عبد(٢) .

---

(١) يرجّح المصنف أن الآية نزلت في « عثمان بن عفان » وعبدٍ له كان يُنفق عليه ، وهو خلاف المشهور .

(٢) هذا غير مسلَّم ، فإن جمهور المفسرين ذهبوا إلى أن المراد بالمثل « الصنمُ » وهو قول مجاهد ، وقتادة ، وابن السائب ، ومقاتل ، وإليه ذهب الطبري ، وابن كثير ، وابن القيم رحمهم الله ، قال ابن القيم في أعلام الموقعين : وأما المثلُ الثاني فالصنم الذي يُعبد من دون الله ، بمنزلة رجل أبكم ، لايعقل ولا ينطق ، بل هو أبكم القلب واللسان ، ومع هذا لايقدر على شيء ، أينما أرسلته لا يأتيك بخير ، ولا يقضي لك حاجة ، والله سبحانه حي قادر ، متكلم ، يأمر بالعدل وهو على صراط مستقيم . اهـ .

٦٨ ــ وقوله جلَّ وعزَّ : ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ..﴾ [آية ٧٧] .

[أي علم ما غاب فيهما عن العباد] .

ثم قال ﴿ وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ ﴾ .

قال قتادة : هو أن يقول جلَّ وعزَّ « كُنْ » فذلك كلمح البصر ، أو هو أقرب(١) .

وقال غيره : المعنى : أو هو أقربُ عندكم ، ولم يُرد أنها على هذا القرب ، وإنّما أراد أن يُعرِّفنا قدرته(٢) .

٦٩ ــ وقوله جلَّ وعز : ﴿ أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوِّ السَّمَاءِ ﴾ [آية ٧٩] .

الجوُّ : الهواءُ البعيد ، وأبعدُ منه السُّكَاكُ ، الواحدةُ سُكَاكة(٣) .

٧٠ ــ وقولُه جلَّ وعز : ﴿ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَناً ﴾ [آية ٨٠] .

---

(١) الأثر رواه ابن جرير ١٥٢/١٤ والسيوطي في الدر ١٢٦/٤ .

(٢) هذا قول الزجاج قال : لم يُرد أن الساعة تأتي في لمح البصر ، وإنما وصف سرعة القدرة على الإتيان بها متى شاء . اهـ جامع الأحكام للقرطبي ١٥٠/١٠ وقال ابن الجوزي ٤٧٤/٤ : المراد بالساعة القيامة ، واللمحُ : النظر بسرعة ، والمعنى : إن القيامة في سرعة قيامها وبعث الخلائق كلمح العين ، لأن الله تعالى يقول للشيء كن فيكون .

(٣) قال ياقوت : السُّكاكُ ، والسُّكاكةُ : الهواء بين السماء والأرض اهـ معجم البلدان ٢٢٩/٣ .

أي موضعاً تسكنون فيه .

٧١ ـ ثم قال جلّ وعز : ﴿ وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتاً ﴾ [آية ٨٠] .

يعني بيوت الأَدَمِ[١] وما أشبهها ، والأنعامُ : الإِبلُ ، والبقر ، والغنمُ .

٧٢ ـ ثم قال تعالى ﴿ تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ ﴾ [آية ٨٠] .

أي يَخفُّ عليكم حملُها ، في سفرِكمْ وإقامتكُم .

٧٣ ـ ثم قال تعالى ﴿ وَمِنْ أَصْوَافِهَا ، وَأَوْبَارِهَا ، وَأَشْعَارِهَا ، أَثَاثاً وَمَتَاعاً إِلَى حِينٍ ﴾ [آية ٨٠] .

فالأصواف للضأنِ ، والأوبارُ للإبلِ ، والأشعارُ للمعز .

قال قتادة : الأثاث : المالُ[٢] .

وقال الضحَّاكُ : الأثاث : المالُ والزينةُ[٣] .

والأثاثُ عند أهل اللغة : متاع البيت نحو الفُرُشِ ، والأكسية ،

---

(١) في المصباح ١٣/١ : الأديمُ : الجلدُ المدبوغ ، والجمعُ أَدَمٌ بفتحتين ، وبضمتين أيضاً « أُدُمٌ » وهو القياسُ ، مثل : بريد وبُرُد . اهـ .

(٢ ـ ٣) انظر الآثار في جامع البيان للطبري ١٥٤/١٤ وزاد المسير لابن الجوزي ٤٧٧/٤ .

وقد أثَّ يئِثُّ أثًّا : إذ صار ذا أثاث ، قال أبو زيد : واحد الأثاث أَثَاثَةٌ(١) .

ثم قال تعالى ﴿ وَمَتَاعاً إلى حِيْنٍ ﴾ .

روى معمرٌ عن قتادة : إلى أجلٍ وبُلْغةٍ(٢) .

٧٤ ــ وقوله جلَّ وعزَّ ﴿ واللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِمَّا خَلَقَ ظِلالاً ﴾ [آية ٨١] .

يعني ظلالَ الشَّجرِ ، واللهُ أعلم .

٧٥ ــ ثم قال تعالى ﴿ وجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الجِبَالِ أَكْنَاناً ﴾ [آية ٨١] .

أي ما يُكِنُّكُمْ ، الواحدُ كِنٌّ(٣) .

٧٦ ــ ثم قال تعالى ﴿ وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيْكُمُ الحرَّ ﴾ [آية ٨١] .

رَوى معمرٌ عن قتادة قال : يعني قُمُص الكُتَّانِ(٤) .

٧٧ ــ ثم قال تعالى ﴿ وَسَرَابِيْلَ تَقِيكُمْ بَأْسَكُمْ ﴾ [آية ٨١] .

قال قتادة : يعني الدروع(٥) .

---

(١) قال في الصحاح ٢٧٢/١ : الأثاثُ : متاعُ البيت ، قال الفراء : لا واحد له ، وقال أبو زيد : الأثاثُ : المالُ أجمعُ ، الإبل ، والغنمُ ، والعبيدُ ، والمتاع ، الواحدةُ : أَثَاثَةٌ . اهـ وأبو زيد أحد كبار علماء اللغة البارزين .

(٢) الأثر في الطبري ١٥٥/١٤ والدر المنثور ١٢٦/٤ وعزاه إلى ابن المنذر .

(٣) في الصحاح ٢١٨٨/٦ : الكِنُّ: السُّترةُ، والجمعُ أكنانٌ، والأكِنَّةُ: الأغطيةُ الواحد كِنَانٌ .اهـ

(٤ــ٥) انظر الطبري ١٥٥/١٤ والبحر المحيط ٥٢٤/٥ وقال أبو حيان : السِّربالُ : مالُبِس على البدن من قميصٍ ، ودرعٍ ، وجوشن ، ونحو ذلك من صوفٍ ، وكتان ، وقطن ، وغيرها .

ورَوَى **عثمان بن عطاء** عن أبيه قال : إنما خوطبوا بما يعرفون ، قال جلَّ وعز ﴿ **وَجَعَل لَكُمْ مِنَ الجِبَالِ أكْنَاناً** ﴾ وما جعل لهم من السهل أكثرُ وأعظم ، ولكنهم كانوا أصحاب جبال ﴿ **وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الحَرَّ** ﴾ وما يقي البرد أكثر ، ولكنهم أصحابُ حرٍّ[١] .

وقال الفرَّاءُ « يحي بنُ زِيادٍ »[٢] : المعنى : تقيكم الحرَّ ، وتقيكم البرد ، ثم حذف ، كما قال الشاعر :

فَمَا أَدْرِي إذَا يَمَّمتُّ وَجْهاً
أُرِيدُ الخَيْرَ أَيُّهُمَا يَلِيني[٣]

---

(١) وضَّح هذا القول القرطبي في جامع الأحكام ١٠/١٦٠ فقال : إن قال قائل : كيف قال تعالى ﴿ وجعل لكم من الجبال أكناناً ﴾ ولم يذكر السَّهل ؟ وقال ﴿ تقيكم الحَرَّ ﴾ ولم يذكر البرَدَ ؟ فالجوابُ أن القوم كانوا أصحاب جبال ولم يكونوا أصحاب سهل ، وكانوا أهل حرٍّ ولم يكونوا أهل برد ، فذكر تعالى لهم نِعمَه التي تختص بهم ، وأيضاً فذكرُ أحدهما يدل على الآخر . اهـ .

(٢) الفَّراء هو يحيى بن زياد « أبو زكريا » صاحب كتاب معاني القرآن المتوفي سنة ٢٠٧هـ وقد تقدمت ترجمته .

(٣) البيت للمثقِّب العبدي وهو في ديوانه ص ٢١٢ تحقيق حسن الصيرفي ، وهو من قصيدته المشهورة التي مطلعها :

أفاطمُ قَبْلَ بَيْنِكِ مَتِّعِيني ومَنْعُكِ ما سَأَلْتِ كأن تَبِيني

وهو من شواهد الفراء ٢/١١٢ وفي الطبري ١٤/١٥٧ والمحرر الوجيز لابن عطية ٨/٤٨٤ وجامع الأحكام للقرطبي ١٠/ وهو في الطبري والقرطبي بلفظ « إذا يمَّمتُ أرضاً » وفي حاشية الطبري ، والمحرر الوجيز أن البيت لسحيم بن وثيل الرياحي ، والصواب أنه للمثقب العبدي كما في ديوانه .

والمعنى : أي الخيرَ والشرَّ ، لأنه إذا أراد الخير اتَّقى الشرَّ .

٧٨ ـ ثم قال تعالى : ﴿ كَذَٰلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ ﴾ [آية ٨١] .

رُوي عن ابن عباس ﴿ لَعَلَّكُمْ تَسْلَمُونَ ﴾(١) وقال : أي من الجراحات ، وإسناده ضعيفٌ ، رواه عبَّاد بن العوَّام عن حنظلة ، عن شَهْرِ بنِ حوشب ، عن ابن عباس .

وظاهرُ القرآن يدلُّ على الإسلام ، لأنه عدَّد النِّعم ، ثم قال ﴿ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ ﴾(٢) .

٧٩ ـ ثم قال جلَّ وعزَّ ﴿ فَإِنْ تَوَلَّوا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ البَلَاغُ الْمُبِينُ . يَعْرِفُوْنَ نِعْمَةَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُوْنَهَا ﴾ [آية ٨٢] .

رَوَى سفيانُ عن السُدِّي قال : يعني محمداً صلى الله عليه وسلم(٣) .

قال أبو جعفر : وهذا القول حسنٌ ، والمعنى : يعرفون أن أمر

---

(١) ليست هذه القراءة من السبعة المتواترة ، بل هي شاذة ردَّها ابن جرير ١٤/١٥٦ .

(٢) المراد من قوله ﴿ لعلَّكُم تُسْلِمون ﴾ الاستسلامُ والانقياد ، والمعنى : كي تنقادوا وتستسلموا لدينه وشرعه ، شكراً له على نعمائه .

(٣) الأثر أخرجه الطبري ١٤/١٥٧ وابن الجوزي ٤/٤٧٩ والدر المنثور ٤/١٢٧ واختاره ابن جرير الطبري حيث قال : وأولى الأقوال بالصواب أنه عنى بالنعمة التي ذكرها ، النعمة عليهم بإرسال محمد ﷺ داعياً إلى ما بعثه الله بدعائهم إليه ، لأنه الآيتين كلتاهما خبرٌ عن رسول الله ﷺ .

النبي صلى الله عليه وسلم حقٌّ ثم ينكرونه .

ورَوَى ورقاء ، عن ابنِ أبي نجيح ، عن مجاهد ، قال : يعني المساكنَ ، والأنعامَ وما يُرزقون منها ، والسرابيلَ من الحديدِ والثياب ، أنعمَ اللهُ بذلك عليهم ، فلم يشكروا ، وقالوا إنما كان لآبائنا وورثناها عنهم[(١)] .

٨٠ ــ **وقوله جلَّ وعز : ﴿ وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيداً ... ﴾** [آية ٨٤] .

يُروى أن نبيَّ كل أمّةٍ شاهدٌ عليها[(٢)] .

٨١ ــ **وقوله جلَّ وعزَّ : ﴿ فَأَلْقَوا إِلَيْهِمُ الْقَوْلَ إِنَّكُمْ لَكَاذِبُونَ ﴾** [آية ٨٤] .

أي جحدتم آلهتهم كما قال تعالى **﴿ سَيَكْفُرونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدّاً ﴾**[(٣)] .

٨٢ ــ **ثم قال جلَّ وعزَّ ﴿ وَأَلْقَوْا إِلَى اللَّهِ يَوْمَئِذٍ السَّلَمَ ، وضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴾** [آية ٨٧] .

---

(١) هذا الرأي هو الأظهر أن الآية على العموم ، أي أنهم يعرفون نعم الله التي أنعم بها عليهم ، ويعترفون بأنها من عند الله ، ثم ينكرونها بعبادتهم غير المنعم ، وهو ما اختاره الحافظ ابن كثير ٥١٠/٤ .

(٢) هذا مروي عن قتادة كما ذكره ابن جرير ١٥٩/١٤ قال ابن الجوزي ٤٧٩/٤ : وشاهدُ كلِّ أمةٍ نبيُّها ، يشهد عليها بتصديقها وتكذيبها .

(٣) سورة مريم آية ٨٢ .

رَوَى سعيدٌ عن قتادة قال : استسلموا وذلُّوا ﴿ **وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ** ﴾ أي يشركون[1] .

٨٣ ــ **وقوله جلَّ وعزَّ** ﴿ **الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ زِدْنَاهُمْ عَذَاباً فَوْقَ الْعَذَابِ** ﴾ [آية ٨٨] .

رَوَى مسروقٌ عن عبدالله[2] قال : زيدوا عقاربَ أنيابُها كالنخلِ الطِّوال[3] .

٨٤ ــ **وقوله جلَّ وعزّ** ﴿ **وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَاناً لِكُلِّ شَيْءٍ** ﴾ [آية ٨٩] .

رَوَى أَبانُ بن تَغْلب ، عن مجاهد قال : تبياناً للحلال من الحرام[4] .

٨٥ ــ **وقوله تعالى** ﴿ **وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا** ﴾ [آية ٩١] .

قال مجاهد : يعني تغليظ اليمين[5] .

---

(١) الأثر أخرجه الطبري ١٦٠/١٤ والدر المنثور ١٢٧/٤ .

(٢) هو عبدالله بن مسعود رضي الله عنه وهو من كبار المفسرين من الصحابة .

(٣) الأثر أخرجه الطبري ١٦٠/١٤ وابن كثير ٥١٣/٤ وعزاه إلى الحافظ أبي يعلي ، ورواه السيوطي في الدر المنثور ١٢٧/٤ ولفظه عن ابن مسعود قال : زيدوا عقارب لها أنيابٌ كالنخل الطوال . ورواه ابن الجوزي في زاد المسير ٤٨٢/٤ وفي رواية أخرى أنها حيات كأمثال الفِيلَة ، وعقارب كأمثال البغال .

(٤ــ٥) انظر الأثرين في تفسير الطبري ١٦١/١٤ وابن كثير ٥١٣/٤ قال ابن الجوزي ٤٨٤/٤ : أي بعد تغليظها وتشديدها بالعزم والعقد على اليمين ، بخلاف لغو اليمين ، ووكَّدت الشيء توكيداً ، لغةُ أهل الحجاز ، فأمَّا أهل نجد فيقولون : أكدَّته تأكيداً ، قال الزجاج : هما لغتان جيدتان .

٨٦ ـ وقولـه جلَّ وعزَّ ﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثاً ، تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلاً بَيْنَكُمْ ، أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ ﴾ [آية ٩٢] .

هذه آيةٌ مشكلةٌ تحتاج إلى تدبُّر .

قال قتادة : الدَّخَلُ : الخيانةُ(١) .

وقال غيرُه : المعنـى : لاتحلفـوا أو تؤكـدوا عليكـم الأيمان ، ثم تحنثوا ، فتكونوا كامرأةٍ غَزَلتْ غَزْلاً ، فأبرمتْهُ وأحكمتْهُ ، ثم نقضته(٢) .

والأنكاثُ : ما نُقِضَ من الخزِّ والوبر وغيرهما ، ليُغْزل ثانية ، ومنه قيل : ناكثٌ .

ورُوي في التفسير أنَّ امرأة يقـال لها رَبْطَـةُ ابنـة سعـد ، كانت تغزل بمغزل كبير ، فإذا أبرمته وأتقنته أمرت جارتها فنقضته(٣) .

---

(١) الأثر في الطبري ١٤/١٦٧ والدر المنثور ٤/١٢٩ ولفظُه عن قتادة قال : لوسمعتم بامـرأةٍ نقضت غزلها من بعد إبرامه لقـلتم : ما أحمقَ هذه ؟ وهـذا مثـلٌ ضربـه الله لمن نكث عهـده ، وفي قولـه ﴿ تَتَّخِذُونَ أَيْمانَكُم دَخَلاً بينكم ﴾ قال : خيانةً وغدراً .

(٢) هذا قول ابن قتيبة كما في زاد المسير ٤/٤٨٥ يقول : لا تؤكِّدوا على أنفسكم الأيمان والعهـود ، ثم تنـقضوا ذلك وتحنثـوا فيـه ، فتكونـوا كامـرأة غَزَلتْ ونَسَجتْ ، ثم نَقَضتْ ذلك النَّسج فجعلتـه أنكاثاً أي أنقاضاً . اهـ قال البخاري ٣/١٠٣ عن ابن عيينه : ﴿ أنكاثاً ﴾ هي خرقاء ، كانت إذا أبرمتْ غزلَها نقضتْه .

(٣) انظر الطبري ١٤/١٦٦ وجامع الأحكام للقرطبي ١٠/١٧١ .

قال الضحاك في قوله تعالى ﴿ أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَى مِنْ أُمَّةٍ ﴾ أي أكثر ، قال : فأُمروا بوفاء العهد ، وإن كانوا كثيراً(١) .

وروَى ابن أبي نجيح عن مجاهد قال : كانوا يحالفون القوم ويعاهدونهم ، فإذا علموا أن غيرهم أكثر منهم وأقوى ، نقضوا عهدهم ، وحالفوا غيرهم ، فنهاهم الله جلَّ ذكره عن ذلك(٢) .

والمعنى عند أهل اللغة : لأن تكون أمة وبأن تكون أمَّةٌ هي أربى من أُمَّة ، أي هي أغنى وأكثر . أي لا تعاهدوا قوماً ، فإذا أمنوا نقضتم العهد ، ليكون أصحابكم أغنَى وأقوى .

٨٧ ــ **وقوله جلَّ وعز ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً ، وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَاكَانُوا يَعْمَلُوْنَ ﴾** [آية ٩٧] .

رُوي عن ابن عباس أنه قال : الحياةُ الطيبة : الرزقُ الحلال ، ثم

(١ ــ ٢) انظر الأثرين في جامع البيان للطبري ١٤/١٦٦ والدر المنثور للسيوطي ٤/١٢٩ .

يصير إلى اللَّهِ ، فيجزيه أجْرَهُ بأحسنِ ما كان يعمل[1] .

ورُوي عن ابن عبَّاسٍ ــ رواه الحَكَمُ عن عكرمةَ عنه ــ أنه قال : الحياة الطَّيبةُ : القناعة[2] .

ورَوَى ابنُ كثير عن سعيد بن جبير في قوله تعالى ﴿ **فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً** ﴾ قال : في الآخرة يُحييه حياةً طيِّبةً[3] .

ورَوَى عوفٌ عن الحسن : ليس لأحدٍ حياة طيِّبةٌ إلاَّ في الجنة[4] .

٨٨ ــ وقولُه جلَّ وعز ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمْ ﴾ [آية ٩٨] .

(١ــ٤) انظر هذه الآثار في جامع البيان للطبري ١٧١/١٤ وجامع الأحكام للقرطبي ١٧٤/١٠ والدر المنثور للسيوطي ١٣٠/٤ وزاد المسير لابن الجوزي ٤٨٩/٤ قال ابن الجوزي : واختلفوا أين تكون هذه الحياة الطيِّبة على ثلاثة أقوال : **أحدها** : أنها في الدنيا ، **والثاني** : أنها في الآخرة ، **والثالث** : أنها في القبر .. الخ .

أقول : الظاهر أن الحياة الطيبة في الدنيا ، وهو قول الجمهور ، ويدلُّ عليه قوله سبحانه ﴿ ولنجزينهم أجرهم ﴾ يعني في الآخرة ، لأن العطف يقتضي المغايرة ، وهذا ما رجحه الطبري ، وابن كثير ، وابن عطية ، قال الحافظ ابن كثير ٥٢٠/٤ : هذا وعدٌ من الله تعالى لمن عمل صالحاً من ذكر وأنثى ، وقلبه مؤمنٌ بالله ورسوله ، بأن يحييه الله حياةً طيبة في الدنيا ، وأن يجزيه بأحسن عمله في الدار الآخرة . وقال ابن عطية ٥٠٦/٨ : وظاهر هذا الوعد أنه في الدنيا ، وطيب الحياة للصالحين ، إنما هو بنشاط نفوسهم ، وقوة رجائهم ، والرجاءُ للنفس أمر لذيذ ، فبهذا تطيب حياتهم ، لأنهم احتقروا الدنيا فزالت همومها عنهم ، فإذا انضاف إليه مال حلال ، وصحة وقناعة ، فذلك كمال .

المعنى : إذا أردت أن تقرأ ، وهذا كما تقول : إذا أكلت فقل : بسم الله ، ومثله في كتاب الله عز وجل ﴿ **يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ** ﴾[١] .

٨٩ ـ **وقوله جلَّ وعز** ﴿ **إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ** ﴾ [آية ١٠٠] .

رَوَى ابنُ نجيح عن مجاهد قال ﴿ **سُلْطَانُهُ** ﴾ حجَّتُه ، قال ﴿ **وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ** ﴾ : يَعْدِلُونه بربِّ العالمين[٢] .

وقال غيرُ مجاهد : لو كان المعنى على أنهم أشركوا بالشيطان ، لكانوا مؤمنين ، ولكنَّ المعنى : والذين هم من أجله مشركون ، كما تقول : صار فلانٌ بكَ عالماً ، أي من أجلك[٣] .

---

(١) هذه آية الوضوء وهي في سورة المائدة رقم ٦ والشاهد فيها أن المعنى : إذا أردتم القيام إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم ، وليس معناها أن يتوضأ بعد أن يشرع في الصلاة ، فكذلك هنا : إذا أردتم قراءة القرآن فاستعيذوا بالله .

(٢) الأثر في الطبري ١٤/١٧٥ وتفسير ابن الجوزي ٤/٤٩٠ والدر المنثور ٤/١٣٠ .

(٣) هذا قول ابن قتيبة كما في زاد المسير ٤/٤٩١ وقال ابن الأنباري : والمعنى : والذين هم بإشراكهم إبليس في العبادة ، مشركون بالله تعالى ، وإليه ذهب أبو حيان في البحر المحيط ٥/٥٣٥ .
أقول : ومعنى الآية الكريمة ﴿ إنه ليس له سلطانٌ على الذين آمنوا ﴾ أي ليس له تسلُّطٌ وقدرة على المؤمنين بالإغواء والكفر ، لأنهم في حمى الرحمن ﴿ إنما سلطانُه على الذين يتولونه ﴾ أي إنما تسلُّطه وسيطرته على الذين يطيعونه ويتخذونه ولياً ﴿ والذين هم به مشركون ﴾ أي والذين هم بسبب إغوائه أصبحوا مشركين بالله في عبادتهم وحياتهم .

٩٠ ــ **وقوله جلَّ وعز : ﴿ وَإِذَا بَدَّلْنا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ ﴾** [آية ١٠١] .

رَوَى ابنُ أبي نجيح عن مجاهد قال : رفعناها ، وجعلنا موضعها غيرها(١) .

وقال غيره : أي نسخنا آيةً بآيةٍ هي أشدُ عليهم منها **﴿ قَالُوْا إنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ ﴾** أي كاذبٌ ، فقال جلَّ وعز **﴿ إنَّما يَفْتَرِي الكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ﴾** أي الَّذينَ إذا رأوا آيةً ، لايأتي بها إلَّا نبيٌّ ، كذَّبوا بها ، فهؤلاء أكذبُ الكاذبين .

٩١ ــ **وقوله جلَّ وعز ﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ ، لِسَانُ الَّذِيْ يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ ، وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ ﴾** [آية ١٠٣]

رَوَى سفيانُ عن حَبيبِ بنِ أبي ثابت عن عكرمة قال : هو غلامٌ لبني عَامرِ بنِ لُؤيٍّ ، يُقال ــ أُرَى ــ له يعيشُ(٢) .

ورَوَى عليُّ بنُ الحَكَم عن الضحاك قال : هو «سلمانُ الفارسيُّ » رحمه الله(٣) .

ورَوَى ابنُ أبي نجيح عن مجاهد هو « عبدُ اللهِ بنُ الحَضْرمي » وهو روميٌّ ، كان يُحسِنُ الكتابة(٤) .

قال أبو عبيد : وقال غير مجاهد : اسمهُ « جَبْرٌ »(٥) .

---

(١) أنظر الأثر في الطبري ١٧٦/١٤ وابن كثير ٥٢٢/٤ .

(٢ــ٥) هذه الأقوال عن السلف مذكورة كلُّها في كتب التفسير ، الطبري ١٧٨/١٤ وابن كثير في تفسيره ٥٢٣/٤ وابن الجوزي ٤٩٢/٤ والدر المنثور ١٣١/٤ وذكر ابنُ الجوزي في زاده تسعة أقوالٍ في اسم البشر ، قال : وأما ما رُوي عن الضحاك أنهم عَنَوْا به « سَلْمانَ الفارسيَّ » ففيه بُعْدٌ ، من جهة أن « سَلْمان » أسلم بالمدينة ، وهذه الآية مكيَّة ، وكذلك ضعَّفه ابن عطية .

قال أبو جعفر : وهذه الأقوال ليست بمتناقضة ، لأنه يجوز أن يكونوا أومأوا إلى هؤلاء جميعاً ، وزعموا أنهم يُعلِّمونه ، وأصل الإلحاد في اللغة : المَيْلُ[1] .

٩٢ ــ وقولُه جلَّ وعزَّ ﴿ مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيْمانِهِ إلاَّ مَنْ أُكْرِهِ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ ﴾ [آية ١٠٦] .

أهلُ التفسير أن هذه الآية نزلت في « عمَّار بنِ ياسر » رحمهُ اللهُ ، لأنه قارَبَ بعضَ ماندبوه إليه[2] .

٩٣ ــ ثم قال تعالى ﴿ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْراً فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ ﴾ [آية ١٠٦] .

---

(١) قال في الصحاح ٢/٥٣٤ : ألْحَدَ في دينِ الله أي حاد عنه وعدل ، ولَحَد لغةٌ فيه ، والْتَحَد مثلُه ، وقُرِىء ﴿ لسان الذي يَلْحدون إليه﴾ اهـ قال ابن عطية في المحرر ٨/٥١٠ : قرأ ابن كثير ونافع ﴿ يُلْحِدون ﴾ بضم الياء ، ومن الحدَ إذا مال ، وقرأ حمزة والكسائي ﴿ يَلْحَدونَ ﴾ بفتح الياء والحاء ، من لَحَدَ ، وهما بمعنى واحد .

(٢) رُوي عن ابن عباس أن المشركين أخذوا « عمَّار بن ياسر » وأباه وأمه « سُميَّة » وصُهيباً ، وبلالاً ، وخبَّاباً فعذَّبوهم ، ورُبطت سُمية بين بعيرين ، وطعن أبو جهلٍ قُبُلها بحربة وقال لها : إنك أسلمتِ من أجل الرجال ، فقُتلت وقُتل زوجها ياسر ــ وهما أول قتيلين في الإسلام ــ وأمَّا عمَّار فأعطاهم ما أرادوا بلسانه مكْرهَا ، فشكا ذلك إلى رسول الله ﷺ ، فقال له رسول الله ﷺ : كيف تجد قلبك ؟ قال : مطمئنٌ بالإيمان ، فقال له الرسول : فإن عادوا فعد ، فأنزل الله ﴿ من كفر بالله .. ﴾ الآية وانظر جامع الأحكام للقرطبي ١٠/١٨٠ وتفسير ابن كثير ٤/٥٢٥ وتفسير ابن عطية ٨/٥١٦ .

أي من فتَحَ صدرَه لقبوله .

٩٤ ــ **وقولُه جلَّ وعزَّ ﴿ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِيْـنَ هَاجَـرُوا مِنْ بَعْـدِ مَا فُتِنُـوا ثُمَّ جَاهَدُوْا وَصَبَرُوا ﴾** [آية ١١٠] .

هذا كله في عمَّار ، والمعنى : وصبروا على الجهاد .

٩٥ ــ **وقولُـه جلَّ وعـز ﴿ يَوْمَ تَأْتِـي كُلُّ نَفْسٍ تُجَـادِلُ عَنْ نَفْسِهَا .. ﴾** [آية ١١١] .

يُرْوَى أن كعباً قال لعمَرَ بنِ الخطَّابِ رحمه الله : تَزفر جهنم يوم القيامـة زفـرةً ، فلا يبقـى مَلَكٌ مقـرَّبٌ ، ولا نبـيٌّ مُرْسَلٌ ، إلاَّ جثَـا على ركبتيه ، يقـول : ياربِّ نفسي ، حتـى إن ابراهيـمَ خليـلُ الـرحمن ، ليجثو على ركبتيـه ، ويقـول : لاأسألك إلاَّ نفسي ، ثم قال كعب : إن هذا لفـي كتـاب اللَّـهِ ، وتـلا **﴿ يَوْمَ تَأْتِـي كُلُّ نَفْسٍ تُجَـادِلُ عَنْ نَفْسِهَا ﴾**(١) .

وقـال غيره : يدلُّ على هذا **﴿ يَوْمَ يَفِرُّ الْمَـرْءُ مِن أَخِيـهِ . وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ ﴾**(٢) .

---

(١) انظر الأثر في جامع الأحكام للقرطبي ١٩٣/١٠ والـدر المنثـور للسيوطـي ١٣٣/٤ وقـد عزاه في الدر إلى أحمد في الزهد ، وعبد بن حميد ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم عن كعب .

(٢) سورة عبس آية ٣٤ ، ٣٥ .

٩٦ ــ **وقولُه جلَّ وعز ﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً ﴾** [آية ١١٢] .

رَوَى معمر عن قتادة قال : هي مكة[1] .

وقال غيره : كان أهلُها في أمنٍ ودَعَةٍ ، ثم ابتلاهم الله بالقتل والجوع سبع سنين[2] ، قال تعالى **﴿ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ ﴾** وأصلُ الذوق بالفم ، ثم استعمل للابتلاء وللاختبار[3] .

٩٧ ــ **وقولُه جلَّ وعز ﴿ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ ﴾** [آية ١١٥] .

قال أبو جعفر : قد ذكرناه في سورة البقرة .

ورُوي عن ابن عباس أنه قال : من أكل الميتة وهو غير مضطر

---

(١) الأثر في الطبري ١٨٦/١٤ والدر المنثور ١٣٣/٤ عن ابن عباس ومجاهد قالا : هي مكة ، ألا ترى إلى قوله سبحانه ﴿ ولقد جاءهمْ رسولٌ منهم فكذَّبوه فأخذهُم العذابُ ﴾ ؟ أخذهم الله بالجوع والخوف ، والقتل الشديد .

(٢) قال ابن الجوزي ٥٠١/٤ قال المفسرون : عذَّبهم الله بالجوع سبع سنين ، حتى أكلوا الجِيف والعظام المحترقة ، والمراد بالقرية أهلُها ، ولذلك قال ﴿ بما كانوا يصنعون ﴾ يعني بتكذيبهم لرسول الله ﷺ وإخراجهم إياه .

(٣) أشار المصنف إلى أن هذا من باب « الاستعارة المكنية » حيث شبَّه ما أصابهم الله به من القحط والجدب ، باللباس الذي يحيط بصاحبه ، ويشتمل على لابسه ، فإنه لمَّا باشرهم الجوع والخوف صار لهم كاللباس ، كما قال الشاعر :

لقد لبستْ بَعْدَ الزُّبَيْرِ مُجَاشِعٌ ... ثيابَ التي حاضَتْ ولم تغْسِلِ الدَّما

كأن العار لمَّا باشرهم وأُلصق بهم ، جعلهم كأنهم لبسوه ، وانظر الكشاف ٣٤٦/٢ وتفسير ابن عطية ٥٢٨/٨ .

إليها ، فهو باغٍ عادٍ[1] .

وروى عن سعيد بن جبير ومجاهد أنهما قالا إذا أخاف السبيل ، وقطع الطريق ، لم تحلل له الميتةُ[2] . هذا معنى قولهما .

٩٨ ــ **وقوله جلَّ وعز ﴿ وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الكَذِبَ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ ﴾** [آية ١١٦] .

قال مجاهد : يعني البحائر ، والسُّيَّب[3] .

٩٩ ــ **وقوله جل وعز ﴿ وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا مَاقَصَصْنَا عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ ﴾** [آية ١١٨] .

قال قتادة : هو قوله تعالى **﴿ وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٍ ﴾**[4] .

١٠٠ ــ **وقوله جل وعز ﴿ إِنَّ إِبْراهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتاً لِلَّهِ ﴾** [آية ١٢٠] .

رَوَى الشعبيُّ عن مسروق قال : تلا عبدالله بن مسعود رحمه

(١ــ٢) انظر جامع البيان للطبري ١٤/١٨٨ والدر المنثور ٤/١٣٤ وتفسير ابن عطية ٨/٥٣٤ .

(٣) ذكره القرطبي في جامع الأحكام ١٠/١٩٦ ولفظُه ﴿ هذا حلالٌ ﴾ إشارة إلى ميتة بطون الأنعام وكلِّ ما أحلُّوه ، ﴿ وهَذَا حَرَامٌ ﴾ إشارة إلى البحائر ، والسوائب ، وكلِّ ما حرَّموه . اهـ .

(٤) سورة الأنعام آية ١٤٦ والأثر أخرجه الطبري في جامع البيان ١٤/١٩٠ قال : هو ما قصَّه الله تعالى في سورة الأنعام حيث قال ﴿ وعلى الذين هادوا حرَّمنا كل ذي ظفر .. ﴾ الآية وذكره السيوطي في الدر ٤/١٣٤ .

الله ﴿ **إنَّ إبْرَاهِيم كَانَ أُمَّةً قَانِتاً لِلَّه** ﴾ فقال : إن « معاذ بن جبل » كان أمةً قانتاً للَّهِ ، أتدرون ما الأُمَّة ؟ هو الذي يُعلِّم الناس الخير ، أتدرون ما القانت ؟ هو المطيعُ[1] .

قال أبو جعفر : لم يُقل في هذه الآية أحسن من هذا ، لأنه إذا كان يُعلِّم الناس الخير فهو يُؤتَمُّ به ، وهذا مذهب أبي عبيدة[2] ، والكسائي .

القنوت : القيام ، فقيل للمطيع قانت لقيامه بطاعة الله .

وروى أبو يحيى عن مجاهد ﴿**إنَّ ابراهيم كان أمة قانتاً لله**﴾ قال : كان مؤمناً وحده والناس كلهم كفار ، وقال بعض أهل اللغة : يقوِّي هذا حديث النبي ﷺ أنه ذكر زيد بن عمرو بن نفيل ، فقال : كان أمة وحده .

وقوله ﴿**وآتَيْنَاهُ فِي الدُنْيَا حَسَنَةً**﴾ قال مجاهد : لسان صدق .

١٠١ ــ وقوله جل وعز ﴿ إنَّما جُعِلَ السَّبْتُ عَلَى الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيْهِ ﴾ [آية ١٢٤] .

---

(١) الأثر أخرجه ابن جرير الطبري ١٤/١٩١ والقرطبي ١٠/١٩٧ .
(٢) انظر مجاز القرآن لأبي عُبيدة ١/٣٦٩ قال ﴿ أمة قانتاً ﴾ أي إماماً مطيعاً لله .

روى سعيدُ بن جُبَيرٍ عن قتادةَ قال : أحلَّهُ بعضُهم ، وحرَّمه بعضُهُم[1] .

وقال مجاهد : تركوا الجُمُعة ، واختاروا السبتَ[2] .

١٠٢ ـ وقوله جلَّ وعز : ﴿ أُدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالحِكْمَةِ وَالمَوْعِظَةِ الحَسَنَةِ ، وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ .. ﴾ [آية ١٢٥] .

﴿ وَجَادِلْهُمْ بِالتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ هي منسوخة[3] .

١٠٣ ـ وقوله جل وعز : ﴿ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ .. ﴾ [آية ١٢٦] .

قال قتادة : لمَّا مَثَّلوا بحمزةَ رضي الله عنه ، قالوا : لنمثلنَّ بهم ، فأنزل اللهُ جلَّ وعزَّ هذه الآية[4] .

ورَوَى عليُّ بن الحَكَم عن الضحَّاكِ قال : نزلت هذه الآيةُ قبل القِتالِ ، وقَبْلَ سورةِ براءة .

---

(١) و(٢) انظر الأثرين في الطبري ١٤/١٩٤ والقرطبي ١٠/١٩٨ وتفسير ابن كثير ٤/٥٢٦ .

(٣) ذهب بعض المفسرين ، إلى أن الآية منسوخةٌ بآية القتال ، والأظهر ما قاله الحافظ ابن كثير : أن من احتاج منهم إلى مناظرة وجدال ، فليكن بالوجه الحسن ، برفقٍ وليـنٍ وحسن خطاب ، وهو ما رجحه ابن عطية في المحرر الوجيز ٨/٥٤٦ .

(٤) أخرجه الترمذي في كتاب التفسير رقم ٣١٢٨ وقال : هذا حديث حسنٌ غريب من حديث أُبيٍّ بن كعب ، وانظر جامع الأصول ٢/٢٠٨ .

قال أبو جعفر : وهـذا القـولُ أولى ، وقـد قال زيـدُ بنُ أسلَـمَ نحوَه .

قال : لمَّـا قدم رسول الله ﷺ المدينـــة ، أُذِنَ لهُ في جهـــادِ المشركينَ ، والغِلظةِ عليهم .

ويـدلُّكَ على أن هذا نَزَل بمكـة ، قولُـه تعـالَى ﴿ **وَلَاتَكُ فِي ضَيْـقٍ مِمَّـا يَمْكُـرُونَ** ﴾ وأكثـرُ مكرِهـم ، وحزنِـهِ ﷺ عليهِمْ كان بمكة[1] .

فأمَّا حديثُ أبي هريرةَ ، وابنِ عبَّاسٍ « لمَّا قُتِل حمزةُ ــ رحمةُ اللهِ عليهِ ــ قال النبيُّ ﷺ : لأُمثِلَنَّ بسبعينَ منهم ، فنـزلت ﴿ **وإنْ عاقبتُمْ فعاقِبُوا بمثلِ ما عُوقبتُم به** ﴾ فإسنادهما ضعيفٌ[2]

---

(١) قال ابن عطية في المحرر الوجيز ٨/٥٤٦ : أطبق أهل التفسير على أن هذه الآية مدنيـة ، نزلت في شأن التمثيل بحمزة رضي الله عنه في يوم أحد ، ووقع ذلك في صحيح البخاري ، وفي كتـاب السير ، وذهب النحاس إلى أنها مكية . اهـ .

(٢) إنما كان الإسنـاد ضعيفـاً لوجـود « صالح بن بشير المريِّ » فإنـه ضعيـف عنـد الأئمـة ، وقـال البخاري : هو منكر الحديث .
والحديث أخرجـه الإمـام أحمد في المسنـد ٥/١٣٥ ولفظـه : « لما كان يومُ أحــد ، قُتــل من الأنصار أربعة وستون رجلاً ، ومـن المهاجريـن ستـة ، فقـال أصحـاب رسول اللـه ﷺ : لئـن كان لنا يومٌ مثـلُ هذا مع المشركين ، لنربيـنَّ عليهم ــ أي لنزيـدنَّ عليهم في القتـل والتمثيـل ــ فلمـا كان يومُ الفتـح قال رجـلٌ لا يُعـرف : لا قريشَ بعـد اليـوم ، فنـادى منــادي رسول الله ﷺ : قد أَمِنَ الأسودُ والأبيضُ ، إلاَّ فلاناً وفلاناً ــ ناساً سمَّاهم ــ فأنزل الله تبـارك وتعـالى ﴿ وإن عاقبتُمْ فعاقِبُوا بمثلِ ما عُوقبتم بِهِ ، ولئن صبرتُـمْ لهو خيـرٌ للصَّابريـنَ ﴾ فقـال رسول الله =

١٠٤ ــ وقولُهُ جلَّ اسمُه : ﴿ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا ، وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ ﴾ [آية ١٢٨] .

رُويَ عن الحسنِ أنه قال : اتَّقُوا اللَّهَ جلَّ وعزَّ فيما حَرَّم عليكم ، وأحسنوا في أداءِ فرائضه .

« انتهت سورة النحل »

* * *

= ﷺ : نصبرُ ، ولا نعاقبُ » .

ورُوي عن عطاء بن يَسَارٍ قال : نزلت سورةُ النحل كلُّها بمكة ، وهي مكيةٌ إلاَّ ثلاث آيات من آخرها ، نزلت بالمدينة بعد أُحُدٍ ، حين قُتل حمزةُ رضي الله عنه ومُثِّل به ، فقال رسول الله ﷺ : لئن أظهرني الله عليهم لأمثلنَّ بثلاثين رجلاً منهم ، فلما سمع المسلمون ذلك قالوا : واللهِ لئن ظهرنا عليهم لنمثلنَّ بهم مُثْلةً لم يمثِّلها أحدٌ من العرب بأحدٍ قطُّ ، فأنزل الله ﴿ وإن عاقبتم ... ﴾ الآية . قال الحافظ ابن كثير ٥٢٧/٤ : وهذا إسناد مرسل ، وفيه رجل مبهمٌ لم يُسمَّ .. ثم روى روايةً أخرى عن الحافظ البزار من طريق صالح المري عن أبي هريرة ، ثم عقَّب ذلك بقوله : وهذا إسنادٌ فيه ضعف ، لأن صالحاً هو ابن بشير المري ضعيفٌ عند الأئمة . اهـ . ولهذا قال المصنف : إسناده ضعيف ، والله أعلم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم .

تفسير سورة الإسراء

مكيـــة وآياتها ١١١ آيـــة

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة الإسراء وهي مكية[1]

١ ــ **من ذلك قولُه تعالَى جَدُّه ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلاً .. ﴾** [آية ١] .

يُرْوى أن النبي ﷺ سُئل عن معنى ﴿ **سُبْحَانَ** ﴾ فقال : إنزاهُ اللَّهِ من السُّوءِ[2] .

وفي بعض الحديث : براءةُ اللهِ من السُّوءِ[3] .

قال سيبويه : وغيره : معناه : براءةُ اللَّهِ من السُّوءِ ، وأنشد :

(١) سورة الإسراء مكيــة بإجماع ، قيــل : إلا آيــتين ﴿ وإن كادوا ليفتنــونك ﴾ ﴿ وإن كادوا ليستفزونك ﴾ كما في البحر ٣/٦ وتسمى أيضاً سورة بني إسرائيل .

(٢ــ٣) الحديث أخرجه ابن جرير ١٥/٢ عن موسى بن طلحة عن النبي ﷺ ، ورواه السيوطي في الدر ١٣٦/٤ عن ابن عباس أن نافع بن الأزرق سأله عن قوله تعالى ﴿ سبحان الذي أَسرَى ﴾ قال : تنزيهُ الله تعالى الذي أسرى بمحمد ﷺ .. الحديث ، ورواه القرطبي ٢٠٤/١٠ عن طلحة بن عُبيد الله الفياض أنه سأل النبي ﷺ عن معنى « سبحان الله » فقال : « تنزيهُ اللَّهِ من كل سُوء » .

أَقُـــولُ لمَّـــا جَاءنِـــــي فَخْـــرُهُ
سُبْحَـــانَ من عَلْقَمَـــةَ الفَاخِـــرِ[1]

ورَوَى مَعْمرٌ عن الزُّهـرِيِ عن أبي سلمـة عن جابـر عن النبـي ﷺ قال : « قمتُ في الحِجْرِ لمَّـا كذَّبنِـي قومـي ، ليلـةَ أُسريَ بي ، فأثنـيتُ على ربـيِّ ، وسألتُـه أن يُمثِّـل لي (بـيتَ المقـدس) فرُفِــعَ لي ، فجعلتُ أنعتُ لهم آياتِهِ »[2] .

ورَوَى **سفيانُ** عن الأعمشِ ، عن إبراهيم التَّيمْي ، عن أبيه عن أبي ذَرٍّ قال : « قلت يارسولَ اللهِ : أي مسجدٍ وُضِع أوَّلُ ؟ فقـال : المسجـدُ الحرام ، قلتُ : ثم أيٌّ ؟ قال : ثمَّ المسجـدُ الأقصى ، قلت : كم بينهمـا ؟ قال : أربعـون سنـة ، ثم قال : أينما أدركـتك الصَّلاةُ فصلِّ فهو مسجد »[3] .

---

(١) البيت للأعشى يهجو فيه علقمة بن عِلَاثة الجعفري وهو في ديوانه ص٩٤ دار صادر بلفظ « الفاجر » وروايته :
أقـــولُ لمَّـــا جـاءني فَجْـــرُهُ سُبْحـــانَ من عَلْقمـــةَ الفَاجِـــرِ
يريد لما جاءني مخالفته وفجوره ، وقد استشهد به القرطبي في جامع الأحكام ٢٠٤/١٠ بلفظ « فخرُهُ ، والفاخر » بالخاء ، كما في رواية المصنف وهذه هي الرواية الصحيحة ، لأنه ينزِّهه عن الفخر لا عن الفجور ، فهو يهجو عَلقمة ، ويفضِّل عليه عامراً .

(٢) الحديث أخرجه البخاري في التفسير ١٠٤/٦ بلفظ « لما كذَّبتني قريش قمتُ في الحِجْر ، فجلَّى اللهُ لي بيت المقدس ، فطفقتُ أخبرهم عن آياته وأنا أنظر إليه » وأخرجه مسلم برم ١٧٠ في الإيمان ، والترمذي برقم ٣١٣٢ في التفسير وقال : حديث حسن صحيح .

(٣) انظر تخريجه في حاشية الصفحة التالية رقم ١ .

٢ ــ وقوله جلَّ وعز : ﴿ مِنَ المَسْجِدِ الحَرَامِ إِلَى المَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ ﴾ [آية ١] .

﴿ منَ المسْجِدِ الحَرَامِ ﴾ يعني مكة ﴿ إلى المسْجِدِ الأَقْصَى ﴾ يعني بيت المقدس ﴿ الَّذي باركْنَا حولَهُ ﴾ قيل : فجَّر حولَه الأنهارَ ، وأنبتَ الثِّمار[1] .

٣ ــ ثم قال جل وعز ﴿ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ ﴾ [آية ١] .

﴿ لِنُرِيَهُ منْ آياتِنَا ﴾ ما رأى من الأنبياء وآثارهم[2] .

٤ ــ وقوله جلَّ وعز : ﴿ وآتَيْنَا مُوسَى الكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ هُدَىً لِبَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾ [آية ٢] .

أي دللناهم بِهِ على الهُدى .

---

(١) الحديث أخرجه مسلم في كتاب المساجد رقم ٥٢٠ عن أبي ذر الغفاري بلفظ « أيُّ مسجدٍ وُضِعَ في الأرضِ أوَّل » ؟ وأخرجه أحمد في المسند ٥/١٥٠ و١٦٦ من رواية أبي ذرٍّ أيضاً بلفظ « ثم حيثما أدركتَ الصَّلاة فصلِّ فكلُّها مسجد » وفي رواية له أخرى « فصلِّ فثَمَّ مسجد » .

(٢) هذا بعض ما رأى ﷺ من العجائب تلك الليلة ، فحين وصل بيت المقدس رأى الأنبياء في انتظاره ، فقدَّموه فصلَّى بهم إماماً ، ثم لمَّا عُرج به رأى آدم في السماء الأولى ، ويحيى وعيسى في السماء الثانية ، ويوسف في السماء الثالثة ، ورأى موسى في السادسة ، وإبراهيم في السابعة ، كما ورد في الصحاح ، ورأى سدرة المنتهى ، والجنة والنار ، والبيت المعمور ، ونهر الكوثر ، وشاهد من عجائب المُلْك والملكوت ، ما لم يطَّلع عليه أحد من الرسل غيره ، فكلُّ هذا من الآيات الباهرة التي رآها رسول الله ﷺ .

٥ ـ **ثم قال جلَّ وعز ﴿ أَلاَّ تَتَّخِذُوا مِنْ دُونِي وَكِيلاً ﴾** [آية ٢] .

ويُقرأ ﴿ أَنْ لَا يتَّخِذُوا ﴾[1] على إضمارٍ ، بمعنى : وعهدنا إليهم .

ورَوَى وَرْقاءُ[2] عن ابنِ أبي نجيح **﴿ أَلاَّ تَتَّخِذوا من دُوني وَكِيلاً ﴾** قال : شريكاً .

قال أبو جعفر : وذلك معروفٌ في اللغة أن يُقال لكل من قام مقام آخر في أيِّ شيء كان : هو شريكه .

وقال الفراء : ﴿ أَلاَّ تَتَّخِذُوا منْ دُوني وَكِيلاً ﴾ أي كافياً[3] .

٦ ـ **وقوله جلَّ وعز : ﴿ ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ .. ﴾** [آية ٣] .

رَوَى ابن أبي نجيح عن مجاهد أنه قال : على النِّداء ، أيْ ذُرِّيَّةَ من حملنا[4] .

---

(١) هذه قراءة أبي عمروٍ وهي من القراءات السبع المتواترة ، وقرأ الباقون ﴿ تتخذوا ﴾ وانظر السبعة لابن مجاهد ص٣٧٨ .

(٢) هو ورقاء بن عمر البشكري « أبو بشر » الكوفي ، نزيل المدائن ، قال عنه أحمد : ثقةٌ صاحب سُنَّة ، قال حرب : قلتُ لأحمد : ورقاء أحبُّ إليك في تفسير ابن أبي نجيح أو شيبان ؟ قال : كلاهما ثقة ، وورقاء أوثقهما .. وانظر ترجمته في التهذيب ١١/١١٣ .

(٣) انظر معاني الفراء ٢/١١٦ فقد جاء فيه ﴿ وكيلاً ﴾ يُقال : رباً ، ويقال : كافياً .

(٤) الأثر ذكره ابن الجوزي عن مجاهد ٥/٦ قال : هو نداء : ياذُرِّية من حملنا .

قال أبو جعفر : « أَيْ » حرفُ نداء مثل « يا »[1] .

وروى سفيانُ عن حُميد عن مجاهد أنه قرأ ﴿ **ذَرِّيَةَ** ﴾ بفتح الذَّال ، وتشديد الراء والياء[2] .

ورُوِي عن زيد بن ثابت ﴿ **ذِرِّيَةَ** ﴾ بكسر الذَّال ، وتشديد الرَّاء والياء[3] .

فأمَّا عامرُ بنُ عبدالواحد ، فحكَى أن زيداً قرأ ﴿ **ذَرِّيَةَ** ﴾ بفتح الذال وتشديد الراء والياء[4] .

٧ ـــ **ثم قال جلَّ وعز** ﴿ **إِنَّهُ كَانَ عَبْدَاً شَكُورَاً** ﴾ [آية ٣] .

روى معمر عن قتادة قال : « كان إذا لبس ثوباً قال : « بسم الله » وإذا نزعه قال : « الحمدُ للَّهِ »[5] .

وَرَوى مَعْمرٌ عن منصور عن إبراهيم قال : شكرُه أنه إذا أكل قال : بسم الله ، فإذا فرغ من الأكل قال : الحمدُ للهِ[6] .

---

(١) في الصحاح ٦/٢٢٧٧ : و«أيْ » مثل « كَيْ » حرفٌ يُنادى به القريب دون البعيد ، تقول : أيْ زيدُ أقبلْ ، وهي أيضاً كلمة تتقدم التفسير ، تقول : أي كذا ، بمعنى : تريد كذا . اهـ .

(٢ـــ٤) انظر هذه القراءات جميعها في البحر المحيط لأبي حيان ٦/٧ وهي وجوه لغوية ، وانظر المحتسب ١/١٥٦ .

(٥ـــ٦) هما في الطبري ١٥/٢٠ والدر المنثور ٤/١٦٢ والبحر المحيط ٦/٧ .

٨ ـ وقولـه جل وعـز : ﴿ وَقَضَيْنَـا إِلَـى بَنِـي إِسْرَائِيـلَ فِي الكِتَابِ .. ﴾ [آية ٤] .

قال سفيان : أي على بني إسرائيل(١) .

قال ابن عباس : ﴿ قَضَيْنَا ﴾ : أعلمنا(٢) .

٩ ـ وقوله جلّ وعز : ﴿ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولاَهُمَا .. ﴾ [آية ٥] .

أي أولى المرّتين(٣) .

﴿ بَعَثْنَا عَليكُمْ عِبَادَاً لَنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ ﴾ [آية ٥] .

رَوَى ابنُ ابي نجيح عن مجاهد ، قال : جاءوا من ناحية فارس أول مرّة ، ومعهم « بختنصَّر » فهزمهم بنو إسرائيل ، ثم رجعوا في

---

(١) هذا مروي عن ابن عباس ، رواه العوفي عنه ، وبه قال قتادة كما في زاد المسير ٥/٧ .

(٢) الأثر ذكره الطبري عن ابن عباس ١٥/٢١ ورواه البخاري في التفسير ٦/١٠٣ قال : ﴿ وقضينا إلى بني إسرائيل ﴾ أخبرناهم أنهم سيفسدون ، قال البخاري : والقضاء على وجوه : ﴿ وقَضَى ربُّك ﴾ أمَرَ ربُّك ، ومنه الحُكْمُ ﴿ إن ربَّك يَقْضي بينهم ﴾ ومنه الخلقُ ﴿ فقَضَاهُنَّ سبعَ سَموات ﴾ . اهـ قال ابن الجوزي في زاده ٥/٧ : في قوله تعالى ﴿وقضينا إلى بني إسرائيل ﴾ قولان : أحدهما : أخبرناهم رواه الضحاك عن ابن عباس . والثاني : قضينا عليهم رواه العوفي عنه ، فعلى الأول تكون « إلى » على أصلها ، وعلى الثاني : تكون « إلى » بمعنى « على » . اهـ .

(٣) المراد به عقوبة أولى المرّتين ، كما قال ابن الجوزي ٥/٩ والطبري ١٥/٢٧ لأنهم أفسدوا مرّتين ، فعاقبهم الله مرتين .

الثانية ، فقتلوا بني إسرائيل ، ودمَّروهم تدميراً[١] .

وقال قتادة : بعث عليهم في أول مرة « جالوت » وفي الثانية « بختنصَّر »[٢] .

١٠ ـ **ثم قال جل وعز ﴿ فَجَاسُوا خِلاَلَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْداً مَفْعُولاً ﴾** [آية ٥] .

رَوَى معاويةُ بن صالح عن عليٍّ بن أبي طلحة عن ابن عباس قال ﴿ **جَاسُوا** ﴾ : مَشَوْا[٣] .

قال أبو جعفر : المعروفُ عند أهل اللغة أنه يُقال : جُسْنَا دُورَ بنِي فلانٍ ، وجِسْنَاها : إذا قهروهم وغلبوهم[٥] .

١١ ـ **وقوله جل وعز : ﴿ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الكَرَّةَ عَلَيْهِمْ ﴾** أي الدَّوْلة **﴿ وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيراً ﴾** [آية ٦] .

---

(١) في المخطوطة « فقتلوا بن إسرائيل ودمَّرهم تدميراً » وصوابه « ودمَّروهم تدميراً » لأن الضمير يعود على الجمع ، والأثر أخرجه الطبري ١٥/٣٠ وابن الجوزي ٥/٩ .

(٢) الأثر في الطبري ١٥/٢٨ وابن الجوزي ٥/٩ والدر المنثور ٤/١٦٥ .

(٣) الأثر أخرجه ابن جرير ١٥/٢٧ وابن الجوزي ٥/٩ عن ابن عباس قال : مشَوْا بين منازلهم ، وقال مجاهد ﴿ فجاسوا خلال الديار ﴾ يتجسَّسون أخبارهم ، واختار الطبري الأول قال : والمعنى : تردَّدُوا بين الدُّور والمساكن ، وذهبوا وجاءوا .

(٤) قال الزجاج : ﴿ جاسوا ﴾ طافوا ، والجَوْسُ : الطواف بالليل والتردُّد والطلبُ مع الاستقصاء . وقال الجوهري ٣/٩١٥ : الجوْسُ مصدرُ قولك : جاسوا خلال الديار أي تخلَّلوها فطلبوا ما فيها كما يجوس الرجل الأخبار ، أي يطلبها ، والجَوَسان : الطَّوفانُ بالليل . اهـ .

يجوز أن يكون ﴿ نَفِيرَاً ﴾ بمعنى نافر ، مثل قدير ، وقادر[1] .

ويجوز أن يكون جمع نَفْرٍ ، مثل عَبِيدٍ ، وكَلِيبٍ ، ومعَيزٍ ، وأصلُه من ينفر مع الرجل من عشيرته وأصحابه[2] .

١٢ ـ وقولُه جلَّ وعز : ﴿ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ ﴾ [آية ٧] .

﴿ فإذا جَاءَ وعدُ الآخرةِ ﴾ أي من المرَّتين **﴿ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ ﴾** .

رَوَى زائدة عن الأعمش قال : اللَّهُ ليسوءَ وجوهكم[3] .

---

(١) قال ابن الجوزي ١٠/٥ : ﴿ أكثر نفيراً ﴾ أي أكثر عدداً وأنصاراً منهم ، قال ابن قتيبة : النَّفيرُ والنَّافر واحدٌ ، كما يُقال : قديرٌ وقادر ، وأصلُه من ينفر مع الرجل من عشيرته وأهل بيته . وانظر البحر ١٠/٦ .

(٢) هذا قول الزجاج في معانيه كما حكاه في البحر ١٠/٦ قال : يجوز أن يكون جمع نَفْرٍ كَكَلْبٍ ، وكَلِيبٍ ، وعَبْدٍ وعَبِيدٍ ، وهم المجتمعون للمصير إلى الأعداء ، وقيل : النفير مصدرٌ أي أكثر خروجاً إلى الغَزْو . اهـ . وقال البخاري في كتاب التفسير ١٠٤/٦ : ﴿ نفيراً ﴾ من ينفر معه . وفي تفسير الشوكاني ٢١٠/٣ : النَّفيرُ من ينفر مع الرجل من عشيرته . اهـ .

(٣) هذا القول على قراءة من قرأ بالتوحيد ﴿ ليسوءَ وجُوهَكُمْ ﴾ وهي قراءة سبعية ، قرأ بها عاصمٌ في رواية ابن عامر وحمزة ، كما في السبعة لابن مجاهد ص٣٧٨ قال الطبري ٣١/١٥ : المعنى : ليسوء مجيء ذلك الوعد للمرة الآخرة وجوهكم فيقبِّحها ، وهذا أحد وجهين في قراءة من قرأ ﴿ ليسوءَ وجوهَكُم ﴾ والوجه الآخر منهما ليسوء اللهُ وجوهَكم ، وفي الكلام محذوف تقديره : فإذا جاء وعدُ الآخرة بعثناهم ليسوءَ الله وجوهكم . اهـ

وقال غيره : ليسوءَ الوعدُ وجوهكم .

ويُروى عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قرأ ﴿ **لنسوءَ وجوهكم** ﴾ بالنون ، وهي قراءة الكسائي[1] ، وفي الكلام حذفٌ ، والمعنى : فإذا جاء وعدُ الآخرة بعثناهم لنسوء وجوهكم .

ورُوي عن أُبيٍّ بن كعب أنه قرأ ﴿ **فإذا جاء وعدُ الآخرة لَنَسُوءَنْ وجوهَكُمْ** ﴾[2] بالنون الخفيفة ، واللاَّم المفتوحة ، والوقف عليه لنسوءَا مثل : لنسفعًا ، وهو على غير حذفٍ .

ومن قرأ ﴿ **لِيسُوءُوا** ﴾ فالمعنى عنده للعباد ، وفيه حذفٌ

١٣ ــ **وقولُه عزَّ وجل ﴿ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيراً ﴾** [آية ٧] .

قال ابن جريج : ليدمِّروا تدميراً ، كذا قال ابن عباس[3] .

قال أبو جعفر : وكذلك هو في اللغة يُقال : تَبَّر الشيءَ : إذا

---

(١) هذه من القراءات السبع ، قال ابن مجاهد في السبعة ص٣٧٨ : اختلفوا في قوله تعالى ﴿ ليسوءوا وجوهكم ﴾ فقرأ ابن كثير ونافع وحفص عن عاصم ﴿ ليسوءوا ﴾ بالياء جماعٌ ــ أي على الجمع ــ وقرأ ابن عامر وحمزة ﴿ ليسوء ﴾ بالياء على واحد ، وقرأ الكسائي ﴿ لنسوء ﴾ بالنون . اهـ .

(٢) هذه من القراءات الشاذة كما في المحتسب لابن جني ١٥/٢ .

(٣) انظر الطبري ٤٣/١٥ والدر المنثور ١٦٥/٥ وكذلك قال البخاري في التفسير ١٠٤/٦ ﴿ وليتَبِّروا ما عَلَوْا ﴾ يدمِّروا ما عَلَوْا ، قال ابن جرير والمعنى : وليدمِّروا ما غلبوا عليه من بلادكم تدميراً .

كَسَره ، ومنه التِّبْرُ[1] .

١٤ ــ **وقوله جلَّ ذكره : ﴿ وَإِنْ عُدْتُمْ عُدْنَا .. ﴾** [آية ٨] .

رَوَى مبارك عن الحسن قال : « إن عدتم إلى المعصية ، عُدْنا إلى العقوبة »[2] .

١٥ ــ **وقولُه جلَّ وعزَّ ﴿ وَجَعَلْنَا جَهَنَّمُ لِلْكَافِرِينَ حَصِيراً ﴾** [آية ٨] .

قال مجاهد : أي يُحصرون فيها[3] .

وقال الحسن : فراشاً ومعاداً[4] .

ورَوَى مَعْمرٌ عن قتادة : قال : مَحْبَساً[5] .

قال أبو جعفر : ومعروف في اللغة أن يُقال : حصرتُ الرجل أي حبستُه ، ويُقال للموضع الذي يُحبسُ فيه « حَصِيرٌ » ويُقال : أحصَرَه المرضُ ، والأصلُ فيه واحدٌ[6] .

---

(١) قال الزجاج : يُقال لكلِ شيءٍ ينكسر من الزجاج والحديد والذهب : تِبْرٌ ، كذا في زاد المسير ١١/٥ وفي الصحاح ٦٠٠/٢ : التِّبارُ : الهلاك ، وتبَّره تتبيراً أي كسّره وأهلكه ، والتِّبْرُ : ما كان من الذهب غير مضروب ، فإذا ضُرِب دنانير فهو عينٌ ، ولايُقال تِبْرٌ إلاَّ للذهب . اهـ .

(٢) هذا القول ذكره ابن جرير ٤٤/١٥ قال : إن عدتم يابني إسرائيل لمعصيتي وخلاف أمري ، عدنا عليكم بالقتل وإحلال الذلِّ والصغار ، فعادوا فعاد الله عليهم بعقابه ، وحكاه في البحر ١١/٦ .

(٣ــ٥) انظر الآثار في الطبري ٤٥/١٥ وابن كثير ٤٥/٥ والبحر المحيط ١١/٦ وفي الدُّر المنثور ١٦٦/٤ وفي كتاب التفسير في البخاري ١٠٤/٦ ﴿ حَصِيراً ﴾ مَحْبساً ، مَحْصَراً .

(٦) انظر الصحاح للجوهري مادة حبس ، وتهذيب اللغة للأزهري .

١٦ ــ **وقولـه جلَّ وعـز : ﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ .. ﴾** [آية ٩] .

[المعنى : يهدي للحال التي هي أقومُ][(١)] والحالُ التي هي أقوَمُ : توحيدُ اللهِ ، واتِّباعُ رسله ، والعملُ بطاعته[(٢)] .

١٧ ــ **وقولُه جلَّ وعز : ﴿ وَيَدْعُ الإِنْسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ وَكَانَ الإِنْسَانُ عَجُولاً ﴾** [آية ١١] .

رَوَى معمرٌ عن قتادة قال : يدعو الإنسان على نفسه ، بما لو استُجيب له لَهَلَكَ ، ويدعو على ولده وماله[(٣)] .

ثم قال تعالى **﴿ وَكَانَ الإِنْسَانُ عَجُولاً ﴾ قيل** : يُعْجَل بالدُّعاءِ على نفسه ، ولا يَعْجلُ اللّهُ بالإجابة .

ورُوي عن سلمان[(٤)] أنه قال : أولُ ما خلق اللهُ من آدم

---

(١) ما بين الحاصرتين ساقطٌ من الأصل ، وأثبتناه من هامش المخطوطة .

(٢) قال ابن الأنباري : « التي » وصفٌ للجمع ، والمعنى : يهدي إلى الخِصالِ التي هي أقومُ الخِصال ، وهي توحيدُ اللّهِ ، والإيمانُ به وبرسله ، والعملُ بطاعته . اهـ وكذلك قال الزمخشري في تفسيره الكشاف ٢/٢٥٣ فقد نبَّه إلى وجود حذف فقال : والمعنى : للحالة التي هي أقومُ الحالات وأسدُّها ، أو للملَّة أو الطريقة ، وكيفما قدَّرتَ لم تجد مع الإثبات ، ذوقَ البلاغة الذي تجده مع الحذف ، لما في إبهام الموصوف بحذفه ، من فخامةٍ تُفْقَدُ إيضاحه .اهـ .

(٣) الأثر في الطبري ١٥/٤٨ وابن كثير ٥/٤٦ يريد أنه يعجِّل بالدعاء بالشرِّ على نفسه عند الغضب والضجر ، عجلته بالدعاء بالخير .

(٤) المراد بسلمان « سلمان الفارسي » رضي الله عنه ، والأثر أخرجه ابن جرير ١٥/٤٨ وابن كثير =

رأْسَه ، فأقبَلَ ينظرُ إلى سائره يُخْلَق ، فلمَّا دنا المساءُ قال : [ربّ عجِّلْ] قبل الليل ، فقال اللهُ ﴿ **وكان الإنسانُ عجولاً** ﴾ .

١٨ ـ **وقولُه جلَّ وعزَّ : ﴿ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ .. ﴾** [آية ١٢] .

الآيةُ في اللغة : الدَّلالةُ والعلامةُ ، أي جعلناهما دَالَّيْن على أنَّ خالقهما ليس كمثلِهِ شيءٌ ، ودالَّيْن على عَدَدِ السِّنين والحساب .

١٩ ـ **ثم قال جلَّ وعز : ﴿ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً .. ﴾** [آية ١٢] .

روى هشيم عن حُصَيْن عن عكرمة عن ابن عباس ﴿ **فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ** ﴾ قال : هو السَّوادُ الذي ترونه في القمر[1] .

ويُروى أن ابن الكوَّاء[2] سأل « عليَّ بنَ أبي طالب » عن السَّواد الَّذي في القمر ، فقال : لو سألتَ عمَّا ينفعُك في دنياك

= ٤٦/٥ وقد ذكرها الحافظ ابن كثير مفصَّلةً فقال : ذكر سلمان الفارسي ، وابن عباس ، قصة آدم عليه السلام ، حين همَّ بالنهوض قائماً قبل أن تصل الروحُ إلى رجليه ، وذلك أنه جاءته النفخةُ من قِبلَ رأسه ، فلما وصلت إلى دماغه عطس ، فقال الحمدُ لله ، فقال الله : يرحمك ربك يا آدم ، فلما وصلت إلى عينه فتحهما فلمَّا سَرَتْ إلى أعضائه وجسده ، جعل ينظر إليه ويُعجبه ، فهمَّ بالنهوض قبل أن تصل إلى رجليه فلم يستطع ، فقال يارب عجِّلْ قبل الليل» .

(١) انظر الأثر في جامع البيان للطبري ٤٩/١٥ والدر المنثور ١٦٦/٤ والبحر المحيط ١٤/٦ .

(٢) « ابن الكَوَّاء » هو « عبدالله بن الكوَّاء الخارجي » من رءوس وزعماء الخوارج ، أحد الذين كانوا مع عليٍّ في صِفِّين ، ثم فارقوه بعد التحكيم ، قال البخاري : لم يصحَّ حديثه ، وانظر ترجمته في لسان الميزان ٣٢٩/٣ .

وآخرتك !! ذاك أن الله يقول : ﴿ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ والنَّهَارَ آيَتَيْنِ ﴾ إلى آخر الآية ، فآيةُ النَّهار : الشَّمسُ ، وآيةُ اللَّيلِ : القمرُ ، وصَحْوُهُ : السَّوادُ الذي فيه[1] .

٢٠ ــ **وقولُه جلَّ ثناؤه ﴿ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً .. ﴾** [آية ١٢] .

رَوَى الحسنُ عن قتادة قال : منيرةً[2] .

قال أبو جعفر : وهذا مذهبُ الفراء[3] ، فقد قال ﴿ مُبْصِرَةً ﴾ بمعنى : مضيئة .

وقال غيره : هذا على التشبيه أي ذات إبصار ، أي يبصرون بها[4] .

٢١ ــ **وقولـه جلَّ وعزَّ : ﴿ وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ .. ﴾** [آية ١٣] .

---

(١) الأثر أخرجه ابن جرير ١٥/٤٩ وابن كثير ٥/٤٧ وفي رواية الطبري أن علياً رضي الله عنه قال : سلوا عمَّا شئتم ، فقام ابن الكوَّاء فقال : ما السَّوادُ الذي في القمر ؟ فقال : قاتلك اللَّهُ هلاَّ سألتَ عن أمر دينك وآخرتك ؟ ذلك محوُ الليل .

(٢) الأثر عن قتادة في الطبري ١٥/٥٠ وابن الجوزي ٥/١٤ وابن كثير ٥/٤٧ .

(٣) لم أر هذا القول في معاني الفراء ، وإنما ذكره ابن الجوزي عن قتادة ٥/١٤ وقال ابن الأنباري : وإنما صلح وصف الآية بالإبصار ﴿ مبصِرَة ﴾ على جهة المجاز ، كما يُقال : لعب الدهر ببني فلان . اهـ زاد المسير .

(٤) هذا قول ابن قتيبة كما في تفسير ابن الجوزي ٥/١٤ وفي البحر ٦/١٤ ﴿ مبصِرَةً ﴾ أي تُبْصَر فيها الأشياءُ وتُستبانُ .

رَوَى منصورٌ ، وابن أبي نجيح ، وابن جريج ، عن مجاهد قال : عمَلُه[1] .

وقال الضحاك : رِزقُهُ ، وأجلُه ، وشقاؤه ، وسعادتُه[2] .

وروى ابن جُريج عن عطاء الخراساني عن ابن عباس قال ﴿ **طائره** ﴾ : ما قُدِّر عليه ، يكون معه حيثما كان ، ويَزُول معه أينما زال[3] .

وقيل : ﴿ **طَائِرُهُ** ﴾ : حظُّه[4] .

قال أبو جعفر : والمعاني متقاربةٌ ، إنما هو ما يطير من خيرٍ أو شرٍّ ، على التمثيل ، كما تقول : هذا في عُنُقِ فلانٍ ، أي يَلْزمُه كما تَلْزم القلادة[5] .

(١ــ٣) انظر الآثار في الطبري ١٥/٥١ وابن كثير ٥/٤٧ والبحر المحيط ٦/١٥ قال الحافظ ابن كثير : والمقصود أن عمل ابن آدم محفوظ عليه ، قليلهُ وكثيرهُ ، ويُكتب عليه ليلاً ونهاراً ، صباحاً ومساءً . اهـ .

(٤) هذا قول أبي عُبيدة كما في مجاز القرآن ١/٣٧٢ وذكره ابن الجوزي ٥/١٥ عنه بمعنى أن لكل امرىء حظاً من الخير والشر ، قد قضاه الله عليه .

(٥) قال ابن قتيبة : العرب تقول لكل ما لزم الإنسان : قد لزم عنقه ، وهذا لك عليَّ ، وفي عنقي حتى أخرج منه ، وإنما قيل للحظِّ من الخير والشر « طائر » لقول العرب : جرى له الطائر بكذا من الخير ، وجرى له الطائر بكذا من الشر ، فخاطبهم الله بما يستعملون ، وأنه هو الذي يلزمه أعناقهم . اهـ زاد المسير ٥/١٥ .

٢٢ ــ **ثم قال جلَّ وعز : ﴿ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ القِيَامَةِ كِتَاباً يَلْقَاهُ مَنْشُوراً ﴾** [آية ١٣] .

رَوَى جرير بن حازم ، عن حُميد عن مجاهد أنه قرأ **﴿ وَيُخْرِجُ لهُ يَوْمَ القِيَامَةِ كِتَاباً ﴾** قال : يريد يعني : ويُخرج له الطائر كتاباً أي عمله كتاباً[١] .

ورُوِي عن مجاهد ﴿ويُخْرَجُ﴾ وكذلك قرأ أبو جعفر « يزيد بن القعقاع »[٢] .

وقرأ الحسن : ويَخْرُجُ له يوم القيامة كتاباً ، بفتح الياء أيضاً[٣] .

ورُويت هذه القراءةُ عن ابن عباس ، فإنه قال : سيُحوَّل عملُه كتاباً[٤] .

وقرأ الحسنُ ﴿ يُلَقَّاهُ ﴾ بضم الياء ، وتشديد القاف[٥] .

(١ــ٤) هذه وجوه من القراءات ذكرها ابن الجزري في النشر في القراءات العشر ٣٠٦/٢ فقال : قرأ أبو جعفر ﴿ ويُخْرَجُ ﴾ بالياء وضمِّها وفتح الراء ، وقرأ يعقوب بالياء وفتحها وضمِّ الراء ﴿ ويَخْرُجُ ﴾ وقرأ الباقون بالنون وضمِّها وكسر الراء ﴿ ونُخْرِج ﴾ واتفقوا على نصب ﴿ كتاباً ﴾ وهو منصوب على الحال أي ويُخْرِج الطائرُ كتاباً ، فتتفق القراءتان في التوجيه على الصحيح الفصيح .

(٥) هذه قراءة ابن عامر وحده ﴿ يُلَقَّاه ﴾ وهي من القراءات السبع ، كما في السبعة لابن مجاهد ص٣٧٨ .

٢٣ ـــ **وقولــه جلَّ وعــز : ﴿ وَمَــا كُنَّــا مُعَذِّبِيــنَ حَتَّـــى نَبْـــعَثَ رَسُولاً ﴾** [آية ١٥] .

رَوَى معمرٌ عن ابن طاووس عن أبيـه عن أبي هريـرة قال : « إذا كان يومُ القيامـة ، جَمَـع اللَّـهُ أهــلَ الفَتْــرةِ ، والمعتُــوهَ ، والأصمَّ ، والأبكَمَ ، والأخرسَ ، والشيوخ الذيـن لم يُدركـوا الإسلام ، فأرسلَ إليهم رسولاً أنِ ادخُلوا النَّـار ، فيقولـون : كيـفَ ولم يأتنـا رسول ؟ قال : ولـو دخلُوهـا لكـانت عليهم برداً وسلامـاً ـــ فيُــرسِلُ اللـــه عليهم رسولاً ، فيطيعه من كان يريد أن يُطيعه ، ثم قرأ أبو هريرة **﴿ وَمَـا كُنَّـا مُعَذِّبِيـنَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً ﴾**[1] .

وقال غيره : يومُ القيامةِ ليس بيومِ تَعَبُّدٍ ولا محنـة ، فيُرْسَلُ إلى أحـدٍ رسولٌ ، ولكـنْ معنـى الآية : ومـا كنـا معـذِّبين أَحـداً في الدنيـا بالإهلاك ، حتى نبعثَ رسولاً .

---

(١) الأثر أخرجه ابن جرير ١٥/٥٤ عن أبي هريرة موقوفاً ، ورواه أحمد في المسنـد ٤/٣٤ مرفوعـاً إلى النبي ﷺ بلفظ « أربعةٌ يحتجُّون يوم القيامة : رجلٌ أصمُّ لايسمع شيئاً ، ورجـلٌ أحمق ، ورجـلٌ هَرِمٌ ، ورجـلٌ مات في فتـرة ، فأمـا الأصمُّ فيقـول : ربِّ قد جاء الإسلام ومـا أسمع شيئـاً ، وأمـا الأحمقُ فيقول : ربِّ لقد جاء الإسلام والصبيـانُ يحذفـوني ـــ أي يرمـوني ـــ بالبعـر ، وأمـا الهرم فيقول : ربَّ لقد جاء الإسلام وما أعقل شيئاً ، وأمـا الـذي مات في الفتـرة يقـول : ربِّ ما أتـاني لك رسول ، فيأخـذ مواثيقهـم ليطيعنـه ، فيرسل إليهم أن ادخلـوا النـار ، فوالـذي نفسُ محمـــد بيده ، لو دخلوها لكانت عليهم برداً وسلامـاً » وانظـر الـدر المنثـور ٤/١٦٨ وتـفسير ابـن كثير ٥/٥١ .

٢٤ ـــ **وقولُه جلَّ وعز : ﴿ وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا .. ﴾** [آية ١٦] .

يُقرأ هذا الحرفُ على وجوهٍ :

رُوي عن عبدالله بن مسعود أنه قرأ ﴿ **أَمَرْنَا** ﴾ بالقصر والتخفيف[١] ، وكذلك يُروى عن ابن عباس .

ورُوي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قرأ ﴿ **أَمَّرْنَا مُتْرَفِيها** ﴾[٢] وكذلك قرأ أبو عثمان النَّهديُ ، وأبو العالية .

وقرأ الحسنُ ، والأعرج ، وابنُ أبي إسحق ﴿ **آمَرْنا مُتْرَفِيها** ﴾[٣] .

ورُوي ﴿ **أَمِرْنا مُتْرفيها** ﴾ على « فَعِلْنا » عن ابن عباس هذه القراءة أيضاً[٤] .

قال أبو جعفر : من قرأ ﴿ **أَمَرْنا مُتْرفيها** ﴾ ففي قراءته ثلاثة أقوال :

أحدها : وأثبتُها ما قاله ابن جُريج ـــ وزعم أنه قول ابن

(١ ـــ ٤) قال ابن مجاهد في السبعة ص٣٧٩ : لم يختلفوا في قوله تعالى ﴿ أَمَرْنا مُتْرفيهَا ﴾ أنها خفيفة الميم ، إلا ما روى خارجة عن نافع ﴿ آمرنا ﴾ ممدودة مثل آمنًا ، وقرأ أبو عَمْرٍو ﴿ أمَّرنا ﴾ بالتشديد . اهـ وأمّا قراءة « أَمِرنا » بكسر الميم فهي من القراءات الشاذة كما في المحتسب لابن جني ١٦/٢ .

عباس ــ وهو أن المعنى : أمرناهم بالطاعة ففسقوا[1] .

قال محمد بن يزيد : قد عُلِمَ أنَّ اللهَ عزَّ وجل لا يأمر إلاَّ بالعدل والإحسان ، كما قال تعالى ﴿ **إنَّ اللَّهَ يأمُر بالعَدْلِ وَالإحْسَانِ** ﴾[2] فقد عُلِم أن المعنى : أمرنا مترفيها بالطَّاعة ، فعَصَوْا .

قال مجاهد : (مترفوها) : فُسَّاقُها[3] .

وقال أبو العالية : مستكبروها[4] .

والمعنى : أمرناهم بالطاعة ، والفاسقُ إذا أُمِرَ بالطَّاعة عَصَى ، فعصَوْا ، فحقَّ عليهم القولُ بالعصيان ، أي وجب[5] .

---

(١) هذا قول الجمهور وهو الراجح أن المعنى : أمرناهم بالخير والطاعة ، فعصوا وفسقوا ، قال الزجاج : ومثله في الكلام : أمرتُك فعصيتني ، أي أمرتك بطاعتي فخالفت أمري وعصيتني ، فعلى قول ابن عباس ــ وهوالأظهر والأرجح ــ يكون في الكلام وإضمارٌ وحذف ، لأن الله تعالى لا يأمر بالفحشاء ، وإنما حُذف بعض الكلام لدلالة السياق عليه ، ونظيره قولهم : أمرتُه فأساء إليَّ ، ليس المعنى أمرته بالإساءة فأساء إليَّ ، إنما يفهم منه أنه أمره بالإحسان فأساء إليه ، وانظر ما ردَّ به أبو حيان في البحر المحيط ١٧/٦ على الزمخشري صاحب الكشاف ، فقد أجاد فيه وأفاد ، وهو بحث شيِّق .

(٢) سورة النحل آية ٩٠ وتمامُها ﴿وإيتاءِ ذي القُربى ، وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي ، يعظكم لعلكم تذكَّرون ﴾ .

(٣ــ٥) انظر الآثار في الطبري ٥٦/١٥ والقرطبي ٢٣٤/١٠ والبحر المحيط ١٩/٦ قال أبو حيان نقلاً عن الرازي : وكما أن قوله : أمرتُه فعصاني يدلُّ على أن المأمور به شيء غير الفسق ، لأن الفسق عبارةٌ عن الإتيان بضدِّ المأمور به ، فكونُه فسقاً يُنافي كونه مأموراً به ، كما أن كونه معصيةً ينافي كونها مأموراً بها ، فوجب أن يدلَّ هذا اللفظ على أن المأمور به ليس بفسق ، فثبت أن الحقَّ ما ذكره المفسرون ، وهو أن المعنى : أمرناهم بالأعمال الصالحة وهي الإيمانُ والطَّاعةُ ، والقومُ خالفوا ذلك عناداً وأقدموا على الفسق . اهـ .

والقولُ الثاني : في معنى ﴿ أَمَرْنَا ﴾ :

قال مَعْمَرٌ عن قتادة قال ﴿ **أمَرْنا** ﴾ : أكثَرْنا .

قال الكسائي : يجوز أن يكون « أَمَرْنـا » بمعنـى « أمَّرنـا » من الإمارة ، وأنكر أن يكون « أَمَرْنا » بمعنـى أكثَرْنـا ، وقـال : لا يُقـال في هذا إلاَّ آمَرْنَا .

قال أبو جعفر : وهذا القولُ الثالث ــ أعني قول الكسائي ــ يُنكرهُ أهلُ اللغة .

وقد حَكَى أبو زيـد وأبـو عُبيـدة أنـه يُقـال : « أَمَرْنَـا » بمعنـى أكثرنا[1] .

ويُقوِّي ذلك الحديثُ المرفوعُ (خيرُ المال سِكَّةٌ مَأْبُـورةٌ ، ومُهْـرَةٌ مَأْمُورة)[2] .

والسُّكَّةُ المأْبـورةُ : النَّخْـلُ المُلَقَّـحُ ، والمُهْـرةُ المأمـورةُ : الكـثيرةُ النِّتاج .

---

(١) انظر مجاز القرآن لأبي عُبيدة ١/٣٧٢ فقـد قال فيـه ﴿ أَمَرْنـا مترفيها ﴾ أي أكثرنـا متـرفيها من قولهم : أمِرَ بنو فلان أي كثروا ، فخرج على تقدير قولهم : عَلِمَ فلانٌ وأعلمتُه أنا ذلك . اهـ .

(٢) الحديث أخرجه أحمد في المسند ٣/٤٦٨ عن سُويد بن هُبيرة مرفوعاً بلفـظ « خيـرُ مال المرء له ، مُهرَةٌ مأمورة ، أو سِكَّةَ مأبورة » قال أبو عبيد القـاسم بن سلام في كتـاب الغـريب : المأمـورة : كثرة النسل ، والسِّكَة : الطريقة المصطفة من النخل ، والمأبورة من التأبير أي التلقيح .

فأمّا معنى ﴿ أَمَّرْنا ﴾ ففيه قولان :

أحدهما : رواهُ معاويةُ بن صالح ، عن عليٍّ بن أبي طلحة ، عن ابـن عبـاس قال : ﴿ **أمَّرنـا** ﴾ : سلَّطْنـا[1] . وكـذلك قال أبـو عثمان النَّهْدِيُّ .

ورَوَى وكيعٌ عن أبي جعفر الرازي ، عن الربيـع بنِ أنس ، عن أبي العالية أنه قرأ ﴿ **أَمَّرْنا** ﴾ مُثَقَّلة ، أي سلَّطْنا مستكبريها[2] .

والقـولُ الثـاني : رواه الكسائي عن أبي جعفـر الـرازي ، عن الربيع بنِ أنس ، عن أبي العالية ﴿ **أَمَّرْنا** ﴾ أي أكثرنا[3] .

ولـيس بمبعـدٍ ما رواه الـكسائي ، ويكـون مثـل: سَمِـنَ الدَّابـةُ ، وسَمَّنتُه ، وأسمنتهُ .

قال أبـو جعفـر : وهـذا أَوْلَـى ، قال جلَّ وعـزَّ ﴿ **فَفَسَقُـوا فيها** ﴾ فوصف أنهم جماعة ، والقريةُ الواحـدة لا تُوصف إنَّ فيها جماعـة أمراء[4] .

---

(١) الأثـر في تفسير ابـن كثير ٥/٥٨ قال والمعنـى : سلَّطنـا أشرارهـا فعصَوْا فيها ، فإذا فعلـوا ذلك أهلكناهم بالعذاب . اهـ .

(٢ـ٣) انظر الطبري ١٥/٥٦ والبحر المحيط ٦/١٩ قال ابـن جرير : أكثرنـا مترفيها أي جبابـرتها ففسقوا فيها وعملوا بمعصية الله . وهو قول قتـادة والضحـاك ، ويـدل عليـه حديث الصحيحين قالت ــ أي زينب ــ يارسول الله « أنهلكُ وفينا الصالحون ؟ قال : نعم ، إذا كثر الخَبَثُ » .

(٤) قال أبو علي الفارسي : الجيِّدُ في « أمرنا » أن يكون بمعنى كثَّرنا ، واستدلَّ أبو عُبيـدة على صحـة =

إن قيل : يكون واحداً ، فقد قيل : وهذا خصوصٌ ، والهلاكُ بالكثرةِ ، فتكثر المعاصي .

فأما معنى : « ءآمَرْنَا » فأكثرنا كذلك .

قال الحسن : ويحتمل معنى « آمرنا » أكثرنا عَدَهُمْ ، وأكثرنا يَسَارهم ، وحقيقةُ أَمِرَ : كثُرتْ أملاكُهُ من مال ، أو غير ذلك من حاله ، ومنه ﴿ **لَقَدْ جِئْتَ شَيْئاً إِمْراً** ﴾[1] .

قال الكسائي : عظيماً[2] .

وقال هارون في قراءةِ أُبيٍّ ﴿ وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً بَعَثْنَا فيها أكَابِرَ مجرميها ، فمكَرُوا فيها ، فحقَّ عليها القَوْلُ ﴾[3] .

= هذه اللغة بما جاء في الحديث « ومُهْرةٌ مأمورة » أي كثيرة النسل ، يُقال : أَمَّر اللهُ المهرة أي كثَّر ولدها ، ومن أنكر أَمَّر اللهُ القومَ بمعنى كثَّرهم ، لم يُلتفت إليه ، لثبوت ذلك لغةً ، ثم قال : وقد يكون « أمَّرنا » بالتشديد بمعنى : ولَّيناهم وصيَّرناهم أمراء ، واللازم من ذلك أَمِرَ فلان : إذا صار أميراً أي وَلِيَ الأمر . اهـ باختصار من البحر المحيط ٦/٢٠ .

(١) سورة الكهف آية ٧١ .

(٢) كذلك هو في الطبري ﴿ إِمْرًا ﴾ أي عظيماً ، قال ابن جرير ١٥/٥٦ : العرب تقول للشيء الكثير : أَمِرَ ، لكثرته ، فأما إذا وُصِف القومُ بأنهم كثروا فإنه يُقال : أَمِرَ بنو فلانٍ ، وأَمِرَ القوم يأمِرُون إمْراً ، وذلك إذا كثروا وعَظُم أمرهُم ، والأَمَرُ المصدرُ ، والإسمُ الإمْرُ ، وحُكي في مثل شرٌّ إمْرٍ أي كثير .

(٣) هذه من القراءات الشاذة ، وهي محمولة على التفسير ، لا على أنها قراءة سبعية فتنبَّهْ .

فأمَّـا معنى « آمَرْنَا » فلا يكـاد يُعرف ، لأنـه إنما يُقـالُ : أَمِـرَ القـومُ : إذا كَثُـروا ، وآمَرَهُـمُ اللَّـهُ أي أَكْثَرَهـم ، ولا يُعْـرفُ « أَمِرَهُـم اللَّهُ »[1] .

٢٥ ــ **وقولُه جلَّ وعزَّ : ﴿ مَنْ كَانَ يُرِيدُ العَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَآءُ ﴾** [آية ١٨] .

﴿ العَاجِلَةُ ﴾ أي الدنيا **﴿ عجَّلنا لَهُ فِيها مانَشاءُ ﴾** وتُقرأ « مايَشآءُ »[2] .

قال أبو جعفر : والمعنيان واحدٌ ، أي ما شاءَ اللهُ .

ويجوز أن يكون لِـ « مَنْ » .

٢٦ ــ **وقولُه جلَّ وعزَّ ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومَاً مَدْحُوراً ﴾** [آية ١٨] .

أي مُبَاعَداً . يُقـال : دَحَـرَه ، يدْحَـرُه ، دَحْـراً ، ودُحُـوراً : إذا أبعَدَه[3] .

---

(١) أنظر البحر المحيط ٢٠/٦ فقد خالف رأي المصنف فيما ذهب إليه .

(٢) لم أرها في القراءات السبع المتواترة ، وهي من حيث اللغة محتملة .

(٣) قال ابن جرير ٥٩/١٥ ﴿ مدحوراً ﴾ أي مُبْعَداً مُقْصَى في النار . وفي البحر ٢١/٦ : ﴿ مذموماً ﴾ إشارةٌ إلى الإهانة ﴿ مدحوراً ﴾ إشارةٌ إلى البُعد ، والطرد من رحمة الله .

ثم أخبر تعالى أنه يرزقُ المؤمنَ والكافر ، فقال : ﴿ كُلًّا نُمِدُّ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ ﴾ .

٢٧ ــ وقوله جلَّ ذكره ﴿ وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ .. ﴾ [آية ٢٣] .

رَوَى مباركٌ عن الحسن قال : ﴿ قَضَى ﴾ : أَمَرَ ألاَّ تعبدوا إلاَّ إيَّاه(١) .

ورَوَى سفيان عن الأعمش قال : قرأ عبدُ الله بن مسعود « ووصَّى ربُّك ألاَّ تعبدوا إلا إيَّاه »(٢) .

٢٨ ــ ثم قال تعالى : ﴿ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا .. ﴾ [آية ٢٣] .

أي وأمر أن تحسنوا بالوالدين إحساناً .

٢٩ ــ وقوله جلَّ وعز ﴿ فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ .. ﴾ [آية ٢٣] .

---

(١) الأثر في الطبري ١٥/٦٢ وزاد المسير ٥/٢١ عن ابن عباس ، ورواه ابن جرير عن الحسن بلفظ : «جاء رجلٌ إلى الحسن ، فقال : إنه طلَّق امرأته ثلاثاً ، فقال : إنك عصيتَ ربك ، وبانتْ منك امرأتك ، فقال الرجل : قَضَى الله ذلك عليَّ ، قال الحسن ــ وكان فصيحاً ــ: ماقضى الله أي ما أمر الله وتلا الآية .

(٢) هذه من القراءات الشاذة ، لأنها مخالفة لسواد المصحف ، وينبغي أن تُحمل على التفسير كما قال في البحر ٦/٢٥ .

رُوي عن مجاهـد أنـه قال : لاتَسْتَقـذِرْهما كما كانـا لايستقذرانك[1] .

والمعنى عن أهل اللغـة : لاتستثقِلْهُمـا ، ولا تُغْلِـظ عليهمـا في القول ، والناسُ يقولون لمَا يستثقِلُونهُ « أفٍّ له » .

وأصلُ هذا أنَّ الإنسان إذا وقع عليـه الغبـارُ ، أو شيءٌ يَتَـأَذَّى به نَفَـخَه فقال : أُفّ .

وقيـل : إنَّ « أفّ » : وسَخُ الأظفـار ، وإن « التُّـفَّ » الشيءُ الحقيرُ ، نحو وَسَخ الأذن[2] ، والقولُ الأوَّلُ أَعْرفُ .

٣٠ ــ **ثم قال جلَّ وعـز ﴿ وَلَا تَنْهَرْهُمَـا ﴾** أي لا تُكلِّمهمـا بصيـاحٍ ، ولا بضَجَر .

يُقال : نَهره ، وانتَهره ، بمعنىً واحدٍ[3] .

وبيَّن هذا بقوله ﴿ **وَقُلْ لَهُمَا قَوْلاً كَرِيمَاً** ﴾ [آية ٢٣] .

---

(١) الأثر أخرجه ابن جرير ٦٤/١٥ والسيوطي في الدر ٤١/٤ وعزاه إلى ابن أبي حاتم ، وابن المنذر ، ولفظـه ﴿ فلا تَقُـل لهمـا أُفٍّ ﴾ فيمـا تُميـط عنهمـا من الأذى ، من الخلاء والبـول ، كما كانـا لايقولانه فيما كانا يميطان عنك من الخلاء والبول .

(٢) قال الطبري ٦٤/١٥ : اختلـف أهـل المعرفـة في معنـى « أُفّ » فقـال بعضهـم : معنـاه كلُّ ما غَلُظَ من الكلام وقَبح ، وقال آخرون : الأُفُّ : وسخُ الأظفار ، والتُّفُ : كلُّ شيءٍ حقيـرٍ رفعتـه بيدك من الأرض .

(٣) في المصباح المنير : نهرتُه نَهراً من باب نَفَعَ وانتهَرتُه : زجَرْتُه .

٣١ ــ وقولُـه جلَّ وعـز : ﴿ وَاخْـفِضْ لهمـا جنـاح الـذُّلِّ من الرحمة .. ﴾ [آية ٢٤] .

قرأ **سعيدُ بنُ جُبير** ، ويحيى بنُ وثَّاب ، وعاصم الجحدري ﴿ وَاخْفِضْ لهُمَا جَنَاحَ الذِّلِ من الرَّحْمةِ ﴾ بكسر الذَّال[1] .

ومعنى الضمِّ : كنْ لهما بمنزلة الذَّليل المقهور ، إكراماً ، وإعظاماً ، وتبجيلاً .

وروَى **هِشَامُ** بنُ عُرْوَةَ عن أبيه ــ وبعضُهم يقول عن عائشة ــ ﴿ وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ ﴾ هو أن يطيعهما ، ولا يمتنع من شيءٍ أراداه[2] .

وقال عطاء : لا ترفع يدك عليهما[3] .

وقال سعيد بن المسيب : هو قولُ العبد المذنبِ ، للسيِّدِ الفظِّ الغليظ[4] .

---

(١) هذه من القراءات الشاذة كما في المحتسب لابن جني ١٨/٢ وقال : الذِّلُ في الدابة ضدُّ الصعوبة ، والذُّلُّ للإنسان ، وهو ضدُّ العِزِّ ، اهـ وكذلك قال الطبري : إنها بالكسر من الذّلول من قولهم : دابة ذلول .

(٢) في المخطوطة أراده ، وصوابه « أراداه » لأنه مثنًّى ، والأثر في الطبري ٦٦/١٥ قال : لاتمتنعْ من شيءٍ أحبَّاه .

(٣ــ٤) انظر الآثار في الطبري ٦٥/١٥ والدر المنثور ١٧١/٤ .

ويُقال : ذَلَّ ، يَذِلُّ ، ذُلّاً ، وذِلَّةً ، ومَذَلَّةً ، فهو ذالٌّ .. وذليلٌ[1] .

ومعنى الذِّل بالكسر : السَّمحُ عنهما يُقال : رجلٌ ذليلٌ بيِّنُ الذِّلِ : إذا كان سَمْحاً ليِّناً مواتياً .

وكذلك يُقال : دابَّةٌ ذَلولٌ : بَيِّنُ الذِّلِ ، إذا كان مواتياً ، ومنه ﴿ **وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلاً** ﴾[2] .

٣٢ ـ وقوله جلَّ وعز : ﴿ رَبُّكُمْ أعلَمُ بِكُمْ إنْ تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلأَوَّابِينَ غَفُوراً ﴾ [آية ٢٥] .

رَوَى شعبةُ عن أبي بِشْرٍ ، عن سعيدِ بنِ جُبير قال : الأَوَّابون : الراجعون إلى الخير[3] .

كما في قول الله ﴿ **إنَّه أوَّابٌ** ﴾[4] .

قال أبو جعفر : قُرِئ على الفِرْيابيِّ عن قتيبةَ قال : حدَّثنا ابن

---

(١) في الصحاح ١٧٠١/٤ : الذُّل : ضدُّ العزِّ ، ورجل ذليلٌ : بيِّن الذُّلِّ والمذلَّةِ ، والذِلُّ بالكسر : اللِّينُ ، وهو ضدُّ الصعوبة ، يُقال : دابة ذَلُولٌ : بيِّنةُ الذِلِّ ، ومنه قولهم : « بعضُ الذِلِّ أبقى للأهل والمال » اهـ .

(٢) سورة الإنسان آية ١٤ .

(٣) الأثر في الطبري ٧٠/١٥ والدر المنثور ١٧٢/٤ وعزاه السيوطي إلى البيهقي في شعب الإيمان .

(٤) سورة ص آية رقم ١٧ وتمامها ﴿ واذكر عبْدَنا داودَ ذَا الأَيْدِ إنَّهُ أَوَّاب ﴾ .

لَهِيعَة[1] ، عن أبي هُبَيْرَةَ ، عن حَنَشِ بنِ عبدالله ، عن ابن عباس أنه قال : الأَوَّابُ : الحفيظُ ، الذي إذا ذَكَرَ خطاياه استغفر منها[2] .

ورَوَى سفيانُ ، عن منصورٍ ، عن مجاهد ، عن عُبيد بنِ عُمير في قوله تعالى ﴿ **إِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غَفُوراً** ﴾ قال : هم الذين يذكرون ذنوبهم في الخلا ، ثم يستغفرون اللّه[3] .

ورَوَى يحيى بن سعيدٍ ، عن سعيدِ بنِ المسيِّب ﴿ **الأَوَّابُ** ﴾ : الذي يُذنب ثم يتوب ، ثم يُذنب ثم يتوب ، ثم يُذنب ثم يتوب[4] .

قال أبو جعفر : وهذه الأقوال متقاربة ، والأصلُ في هذا أنه يُقال : آبَ ، يئوبُ : إذا رَجَع ، فهو آيبٌ ، و« أوَّابٌ » على التكثير[5] .

---

(١) هو « عبدالله بن لَهِيعَة » قال في التقريب ١/٤٤٤ : لَهِيعَة : بفتح اللّام وكسر الهاء ، ابن عُقبة الحضرمي ، أبو عبدالرحمن المصري ، صدوقٌ ، من السابعة ، خلط بعد احتراق كتبه ، مات سنة ١٧٤ هـ وانظر تفصيل الأقوال فيه في تهذيب التهذيب ٥/٣٧٣ ..

(٢ــ٤) انظر الآثار في جامع البيان للطبري ١٥/٧٠ وزاد المسير لابن الجوزي ٥/٢٦ والدر المنثور للسيوطي ٤/١٧٢ .

(٥) قال الزجاج : الأَوَّابُ : هو التوَّابُ المقلِعُ عن جميع ما نهاه الله عنه ، يُقال : آبَ ، يئوبُ ، أوباً : إذا رجع . وقال الطبري ١٥/٥١ : الأَوَّابُ هو التائب من الذنب ، الراجع من معصية الله إلى طاعته ، لأن الأوَّابَ « فعَّال » من قول القائل : آب فلانٌ من كذا إذا رجع ، قال الشاعر : « وغائبُ الموت لايئوب » أي لايرجع .

٣٣ ــ **وقولُه جلَّ وعز : ﴿ وَآتِ ذَا القُرْبَى حَقَّهُ ﴾** [آية ٢٦] .

قال عكرمةُ : أي صِلَته التي تريدُ أن تصِلَه بها[1] .

٣٤ ــ **ثم قال تعالى ﴿ وَالْمِسْكِينَ ، وابْنَ السَّبِيلِ ، وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيراً ﴾** [آية ٢٦] .

رَوَى حُصينٌ عن عكرمةَ عن ابن عباس قال : التَّبذيرُ : النَّفقةُ في غير طاعة الله[2] .

وكذلك رُوِي عن عبدالله بن مسعود .

﴿ إنَّ المبَذِّرِينَ كانُوا إخْوَانَ الشَّيَاطِينِ ﴾ .

معنى « إخوانَ الشياطين » أي في المعصية .

لمَّا عَصوْا وعَصَا أولئك ، جمعتهم المعصيةُ ، فسُمُّوا إخواناً ، وكلَّما جمعتَ شيئاً إلى شيء ، فقد آخيتَ بينهما ، ومنه إخاءُ النبي ﷺ بين أصحابه[3] .

٣٥ ــ **وقوله جلَّ وعز : ﴿ وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ابْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِنْ رَبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُلْ لَهُمْ قَوْلاً مَيْسُوراً ﴾** [آية ٢٨] .

(١ــ٢) انظر الطبري ١٥/٧١ والقرطبي ١٠/٢٤٧ والبحر المحيط ٦/٣٠ والدر المنثور ٤/١٧٦ .
(٣) هذا عند الهجرة لمَّا آخى ﷺ بين المهاجرين والأنصار ، وهذا أمر مشهور .

قال قتادة : أي عِدْهم[1] .

وقال عكرمة : إن أعرضتَ عنهم لرزقٍ تنتظره ، فِعِدْهُم ، وقل لهم : سيكون ، فإذا جاءنا شيء أعطيناكم[2] .

وقال الحسن : ﴿ **قَوْلاً مَيْسُوراً** ﴾ أي ليِّناً[3] .

والمعنى عند أهل اللغة : يسِّر فقرهم عليهم ، بدعائك لهم[4] .

٣٦ ــ **ثم قال جلَّ وعز** : ﴿ **وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ ، وَلَا تَبْسُطْهَا كل البسط ، فتقعد ملوماً محسوراً** ﴾ [آية ٢٩] .

قال قتادة : ﴿ **وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إلى عُنُقِكَ** ﴾ أي لاتمتنعْ من النَّفقة في الطاعة [﴿ **ولاتبسطها كلَّ البسط** ﴾][5] أي لاتنفق في معصية .

(١ــ٣) في الدر : ﴿ قولا ميسوراً ﴾ أي ليِّناً سهلاً ، سيكون إن شاء الله . اهـ وقال البخاري في التفسير ٦/٤–١٠ ﴿ ميسوراً ﴾ ليِّناً .
٦/١٠٤ ﴿ ميسوراً ﴾ ليِّناً .

(٤) قال في البحر ٦/٣٠ : نزلت في قومٍ كانوا يسألون رسول الله ﷺ فيأبى أن يعطيهم ، لأنه كان يعلم منهم نفقة المال في فساد ، فكان يُعرض عنهم لئلا يعينهم على فسادهم ، فأمره تعالى أن يقول لهم قولاً ميسوراً يتضمن الدعاء لهم والإصلاح ، قال ابن زيد : والرحمةُ يرادُ بها الأجر والثواب . اهـ وقد ذكر هذه الرواية الطبري ، ورجحَّ أن المراد الرفق بالسائل إن لم يكن عنده شي .

(٥) ما بين الحاصرتين سقط من المخطوطة ، وأثبتناه ليستقيم الكلام ، وفي المخطوطة ﴿ وَلَا تُبَذِّرْ تبذيراً ﴾ أي لاتنفق في معصية ، فتقعد ملوماً محسوراً ، وآيةُ التبذير قد تقدَّمت وليس هنا مكانها ، ولذلك وقع الخلط بين الآيتين .

﴿ **فَتَقْعُدَ مَلُومَاً مَحْسُورَاً** ﴾ قال عكرمة وقتادة : أي نادماً .

وروى ابنُ أبي نجيح عن مجاهد ﴿ **فَتَقْعُدَ مَلُومَاً** ﴾ قال : مذنباً أو آثماً ﴿ **محسوراً** ﴾ قد انقُطِع بك[(١)] .

قال أبو جعفر : وكذلك المحسورُ في اللغة ، يُقال : حَسَره السَّفَرُ ، إذا انقطع به ، وكذلك البعيرُ حسيرٌ ، ومحسورٌ : إذا انقطع ووقَفَ ، وهو أشدُّ من الكَلَال[(٢)] .

٣٧ ــ وقوله جل وعز : ﴿ وَلَاتَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ .. ﴾ [آية ٣١] .

الإملاقُ : الفقرُ ، وكانوا يئدون بناتِهم .

---

(١) الآية وردت مورد التمثيل كما قال أهل البيان ، فقد مثَّل للبخيل بالذي حبست يده عن الإعطاء ، وشدَّت بحبل إلى العنق ، بحيث لايقدر على مدِّها ، وشُبِّه المسرفُ بمن بَسَط كفَّه وأنفق ما فيها بحيث لم يحفظ شيئاً ، والمعنى كما قال المفسرون : لاتكن بخيلاً منوعاً لاتعطي أحداً شيئاً ، ولامسرفاً مبذِّراً لاتترك في يديك شيئاً . فتصبح مذموماً من الله والناس ، منقطعاً من المال ، كالمسافر الذي انقطع في سفره ، بفقد ماله وانقطاع مطيته .

(٢) قال الزجاج : المحسورُ : الذي قد بلغ الغاية في التَّعب والإعياء . وقال ابن قتيبة : ﴿ مَحْسُوراً ﴾ منقطعاً ، تحسرك العطيَّةُ وتقطعكَ ، كما يحسِرُ السَّفرُ البعيرَ فيبقى منقطعاً به . اهـ قال القاضي أبو يعلي : وهذا الخطابُ أُريد به غير الرسول ﷺ ، لأنه لم يكن يدَّخر شيئاً لغدٍ ، وكان يجوع حتى يشدُّ الحجر على بطنه ، وقد كان كثيرٌ من فضلاء الصحابة ينفقون جميع ما يملكون ، فلم ينههم اللهُ ، لصحَّة يقينهم ، وإنما نَهى من خيفَ عليه التحسُّرُ على ما خرج من يده ، فأمَّا من وثق بوعد الله تعالى فهو غير مرادٍ بالآية . اهـ زاد المسير ٥/٣٠ .

٣٨ ــ **وقوله جل وعز : ﴿ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْآءً كَبِيراً ﴾** [آية ٣١] .

بكسر الخاء ، والمدِّ .

ورُوي عن الحسن : « كَانَ خَطَآءً » بفتح الخاء ، والمدِّ .

قال أبو جعفر : وأعرفُ هذه القراءاتِ عند أهلِ اللُّغةِ **﴿ كان خِطْأً كَبِيراً ﴾**[1] .

قالَ ابن جُريجٍ ــ وزعم أنهُ قولُ ابنِ عبَّاسٍ ــ وهو قولُ مجاهد : الخِطْأُ : الخطيئةُ .

قال أبو جعفر : وهذا المعروف في اللغة ، يُقال : خَطِىءَ ، يَخْطَأُ ، خِطْأً : إذا أَثِمَ وتعمَّد الذَّنب ، وقد حُكي في المصدر خَطْأً .

وأخطَأ ، يُخْطِىءُ ، إخطاءً ، والإِسمُ الخَطَأ : إذا لم يتعمد الذنب[2] .

---

(١) قرأ ابن كثير ﴿ كان خِطَاءً ﴾ وقر ابن عامر ﴿ كان خَطأً ﴾ بغير مدٍّ ، وقرأ الجمهور ﴿ كَانَ خِطْأً ﴾ بكسر الخاء مع القصر ، وانظر السبعة لابن مجاهد ص ٣٨٠ .

(٢) هذا هو المشهور عند علماء اللغة ، أنَّ خَطِىء يَخْطَأ بمعنى أذنَبَ ، ومنه قوله تعالى ﴿ لا يأكلُه إلاَّ الخاطئون ﴾ وأمَّا أخطأ يخطىء فهو مايفعله الإنسان خطأً بدون قصد ، فهذا هو الفارق بين الخاطىء والمخطىء ، وانظر معاني الأخفش ٦٦١/٢ وفي البخاري في كتاب التفسير ١٠٤/٦ ﴿ خِطْأً ﴾ : إثماً ، وهو اسمٌ من خَطِئتُ ، والخطأُ مفتوحٌ مصدره من الإثم ، خطِئْتُ بمعنى أخطأت اهـ .

فأما قراءة من قرأ « كان خِطَاء »[٤] بالكسر والمدّ ، والفتح والمدّ ، فلا يُعرف في اللغة ، ولا في كلام العرب .

٣٩ ــ **وقوله جلَّ وعز : ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ .. ﴾** [آية ٣٣] .

بيَّن هذا الحديث (لايحلُّ دمُ امرىءٍ مسلم إلاَّ بإحدى ثلاث خِلَال : شركٌ بعد إيمان ، أو زنىً بعد إحصان ، أو قتلُ نفسٍ بغير نفس)[٢] .

٤٠ ــ **ثم قال جلَّ وعز : ﴿ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُوماً فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَاناً .. ﴾** [آية ٣٣] .

اختلف المتقدِّمونَ من العلماء في « السُّلطانِ » الَّذي جُعِلَ للوليِّ ؟

---

(١) هذه قراءة ابن كثير ، وما ورد من القراءات عن رسول الله ﷺ بطرق متواترة كالقراءات السبع ، حاكمٌ على اللغة ، فتنبَّه له فإنه دقيق .

(٢) الحديث أخرجه البخاري في الديات ٩/٦ ومسلم في القسامة رقم ١٦٧٦ وأبو داود في الحدود رقم ٤٣٥٢ والترمذي في الديات رقم ١٤٠٢ والنسائي ٩٠/٧ في تحريم الدم ، ولفظ الصحيحين (لا يحلُّ دمُ امرىءٍ مسلم ــ يشهد أن لا إله إلا اللَّهُ وأني رسولُ الله ــ إلاَّ بإحدى ثلاث : الثيِّب الزاني ، والنَّفس بالنَّفس ، والتارك لدينه المفارق للجماعة) .

فَرَوَى خُصَيف عن مجاهد قال : حُجَّتهُ التي جُعِلتْ له ، أن يَقْتلَ قاتِلَه[1] .

وذهب جماعةٌ من العلماءِ ، إلى أنَّ هذا هو السلطانُ الذي جُعل له ، وأنه ليس له أن يأخذ الدِّيَة ، إلاَّ أن يشاءَ القاتِلُ .

وقال الضحاك في السُّلطان الذي جُعل له : إن شاء قَتَل ، وإن شاء أَخَذَ الدِّيَةَ ، وإن شَاءَ عفا[2] .

والقولُ عند أهلِ المدينة وأهلِ الكوفة[3] ، قولُ مجاهد : إنَّ السلطان ههنا القَوَدُ خاصَّةً ، لا ما سواه .

وذهب الشافعي رحمه الله إلى قول الضحاك ، غير أنه قال : كان يستحقُّ إذا عفا أَخْذَ الدِّية ، اشترط ذلك أو لم يشترطه ، والحجَّةُ له ﴿ **فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ** ﴾[4] .

(١ ـ ٢) انظر الآثار في جامع البيان للطبري ١٥/٨١ والقرطبي ١٠/٢٥٥ وزاد المسير ٥/٣٢ ورجح ابن جرير قول الضحاك ، وهو أيضاً قول ابن عباس ، فقال : « وأولى التأويلين بالصواب ما قاله ابن عباس أن لوليِّ القتيل ، القتل إن شاء ، وإن شاء أخذ الدية ، وإن شاء العفو ، لصحة الخبر بذلك عن رسول الله » .

(٣) المراد بأهل الكوفة أصحاب الإمام أبي حنيفة ، والمراد بأهل المدينة أصحاب مالك ، رحمهما الله تعالى .

(٤) سورة البقرة آية (١٧٨) والشاهد فيها قوله تعالى ﴿ فمن عُفي له من أخيه شيء فاتِّباعٌ بالمعروف وأداءٌ إليه بإحسانٍ ﴾ أي له حق المطالبة بالدية ، وعلى القاتل أن يدفعها بإحسان ، بلا مطلٍ ولا بخس ، فقد أوجبت الآية له الدية .

والحديث « وليُّ المقتولِ بأحَدِ النَّظرَيْنِ »[1] .

٤١ ــ ثم قال جلَّ وعز : ﴿ فَلَا يُسْرِفْ فِي الْقَتْلِ .. ﴾ [آية ٣٣] .

رَوَى **خُصَيفٌ** عن مجاهد قال : لا يقتُلْ غيرَ قاتِلِهِ[2] .

ورَوَى **منصورٌ** عن طَلْقِ بنِ حَبيبٍ قال : لا تَقتُل غيرَ قاتلك ، ولا تُمثِّلْ به[3] .

ورَوَى **خُصَيفٌ** عن سعيد بن جُبير قال : لايقُتَل اثنين بواحد[4] .

ورَوَى **علي بن الحَكَمِ** عن الضحَّاك قال : لايقتُل أبَا القاتِلِ ولا ابنه[5] .

وقرأ **حُذيفة** ﴿ فَلَا تُسْرِفْ فِي الْقَتْلِ ﴾[6] بالتَّاء .

---

(١) الحديث أخرجه البخاري في الديات ٦/٩ باب من قتل له قتيلٌ فهو بخير النظرين ، والنسائي في القسامة ٣٧/٨ ولفظ النسائي (من قتل له قتيل فهو بخير النظرين : إما أن يُقاد ، وإمَّا أن يُفدَى) وانظر الروايات مفصلة في جامع الأصول ٢٤٥/١٠ .

(٢ ــ ٥) انظر الآثار في الطبري ٨٢/١٥ والقرطبي ٢٥٥/١٠ وزاد المسير ٣٣/٥ والدر المنثور ١٨١/٤ وتفسير ابن كثير ٧١/٥ .

(٦) هذه قراءة حمزة والكسائي وابن عامر ﴿ فلا تُسرفْ في القتل ﴾ بالتاء ، وقرأ الباقون بالياء مجزوماً ﴿ فلا يُسرفْ في القتل ﴾ والقراءتان سبعيتان ، وانظر السبعة لابن مجاهد ص ٣٨٠ والنشر في القراءات العشر ٣٠٧/٢ وأما قراءة ﴿ فلا يُسرفُ ﴾ بالرفع ، فعدَّها ابن جني في المحتسب ٢٠/٢ من القراءات الشاذة .

وروى **العَلاءُ** بنُ عبدِ الكريم عن مجاهد قال : هو للقاتل الأول .

والمعنى عنده على هذا : فلا تُسرِفْ أيُّها القاتلُ .

٤٢ ــ **ثم قال جلَّ وعزَّ** : ﴿ **إِنَّهُ كَانَ مَنْصُوراً** ﴾ [آية ٣٣] .

رَوَى ابن كثير عن مجاهد قال : « إنَّ المقتول كان منصوراً ، ومعنى قولِهِ : أنَّ الله نَصرَه بولِيِّه »(١) .

ورُوي أنه في قراءة أُبيٍّ ﴿ **فلا تُسْرِفُوا فِي القَتْلِ** ﴾(٢) إنَّ وليَّ المقتول كان منصوراً .

قال أبو جعفر : الأبينُ بالياء ، وتكونُ للوليِّ ، لأنه إنما يُقال « لا يُسْرِفْ » لمن كان له أن يَقْتُلَ ، فهذا للوَليِّ .

---

(١) الأثر ذكره الطبري في تفسيره ١٥/٨٣ عن عبدالله بن كثير عن مجاهد ، ورواه في الدر المنثور ٤/١٨١ وعزاه إلى ابن المنذر ، وابن أبي حاتم ، ورجح ابن جرير القول الأول أن الضمير راجع للولي فقال : « وأشبهُ ذلك بالصواب عندي قول من قال : عُنيَ بها الوليُّ ، وعليه عادت ، وهي إلى ذكره أقرب من ذكر المقتول ، وهو المنصور أيضاً ، لأن الله جلَّ ثناؤه قضى في كتابه المنزل ، أن سلَّطه على قاتل وليِّه ، وحكَّمه فيه ، بأن جعل إليه قتله إن شاء ، واستبقاءه على الدية إن أحبَّ ، والعفو عنه إن رأى ، وكفى بذلك نُصرةً له من الله جلَّ ثناؤه » .

(٢) هذه ليست من القراءات السبع ، وهي قراءة شاذة ، محمولة على التفسير .

وقد يجوز بالتاء ، ويكونُ للوليِّ أيضاً ، إلاَّ أنه يُحتاج فيه إلى تحويل المخاطبة(١) .

٤٣ ــ وقوله جلَّ وعزَّ : ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ .. ﴾ [آية ٣٤] .

قال محمد : سألتُ عَبِيدَة عن قوله تعالى ﴿ وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ ﴾(٢) .

فقال : يستقرِضُ ، فإذا استغنى رَدَّ ، ثم تَلَا ﴿ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهِدُوا عليهِمْ ﴾ .

وقال أبو العالية نحواً من هذا .

وقال عمرُ بن الخطاب ــ رحمةُ اللهِ عليه ــ ما يُقوِّي هذا .

حدَّثنا أبو جعفر « أحمدُ بنُ محمَّدٍ النَّحْوِيُّ » قال : حدَّثنا الحسنُ بن غُلَيْبٍ قال : نا يوسف بنُ عَدِيٍّ ، قال : نا أبو الأَحْوص ، عن أبي إسحَقَ ، عن يَرْفَا ــ مولى عمر ــ قال : قال عمر بنُ

(١) أي على هذه القراءة ﴿ فَلَا تُسْرِفْ ﴾ بالتاء ، يكون في الآية التفاتٌ ، من الغيبة إلى الخطاب ، اهتماماً بالأمر .

(٢) سورة النساء آية رقم (٦) وتمامها ﴿ ومن كان غنياً فليستعفف ومن كان فقيراً فليأكل بالمعروف فإذا دفعتم إليهم أموالهم فأشهدوا عليهم وكفى بالله حسيباً ﴾ .

(٣) الأثر أخرجه الطبري في جامع البيان ٤/٢٥٥ عن محمد بن سيرين عن عَبيدة السَّلْماني .

الخطاب رضوان الله عليه : يا يرفا إني أنزلتُ مالَ اللّـهِ منـيٍّ بمنزلـةِ مالِ اليـتيم ، إذا احتـجْتُ أخـذتُ منـه ، فإذا أيْسَرتُ ردَدْتُـه ، وإنِّـــي إنِ استَغْنيتُ استعفَـفْتُ عنـه ، فإني قد وَلِـيتُ من أمـرِ المسلـمين أمــراً عظيماً(٤) .

وقـال سعيـدُ بنُ المسيب : لايُشْربُ الماءُ من مالِ اليـتيم ، قال فقلت له : إنَّ الله يقول ﴿ **وَمَنْ كَانَ فَقِيراً فَلْيَأْكُـلْ بِالمَعْـرُوفِ** ﴾ ؟ قال فقال : إنَّما ذلك لخدمتِهِ ، وغَسْلِ ثوبه(٢) .

ورَوَى أبـو يحيـى ، ولَـيْثٌ ، عن مجاهـد قال : لا تقـربْ مال اليتيم إلَّا للتِّجارة ، ولا تستقرضْ .. قال : فأمَّا قولُه تعالى ﴿ **وَمَنْ كَانَ فَقِيراً فَلْيَأْكُلْ بالمَعْرُوفِ** ﴾ فإنما معناه : فليـأكل من مالِـهِ بالمعـروف ، يعني من مال نفسه(٣) .

وقال بهذا جماعةٌ من الفقهـاء ، وأهـل النظـر ، حتـى قال أبـو

---

(١) الأثر أخرجه ابن جرير ٢٥٥/٤ وابن كثير ١٩٠/٢ قال الحافظ ابن كثير : « قال الفقهـاء : له أن يأكل من مال اليتيم أقلَّ الأمرين : أجرةَ مثله ، أو قدر حاجته ، واختلفوا هل يردُّ إذا أيسر على قولين : أحدهما : لا ، لأنه أكل بأجرة عملـه وكان فقيراً ، وهـذا هو الصحيـحُ عنـد الشافعي ، لأن الآية أباحت الأكل من غير بدل . والثـاني : نعـم ، لأن مال اليـتيم على الحظـر ، وإنما أبيـح للحاجة فيردُّ بدله » اهـ .

(٢) انظر جامع البيان للطبري ٢٥٧/٤ والدر المنثور للسيوطي ١٢١/٢ .

(٣) انظر جامع البيان لابن جرير ٢٥٩/٤ وابن كثير ١٩٠/٢ والسيوطي في الدر ١٢١/٢ .

يوسف : لعلَّ قوله ﴿ وَمَنْ كَانَ غنِيّاً فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَنْ كَانَ فَقِيراً فَلْيَأْكُلْ بِالمَعْرُوفِ ﴾ منسوخٌ(١) بقوله ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالبَاطِلِ ﴾(٢) .

٤٤ ـ ثم قال جلَّ وعز ﴿ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ .. ﴾ [آية ٣٤] .

وبيانُ هذا في قوله ﴿ حَتَّى إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ ﴾(٣) .

قال مجاهد : أي الحُلُمَ(٥) .

٤٥ ـ وقوله جلَّ وعزَّ : ﴿ وَأَوْفُوا الكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ المُسْتَقِيمِ .. ﴾ [آية ٣٥] .

رَوَى ابن جُريج عن مجاهد قال : القِسْطَاسُ : العَدْلُ(٥) .

وقال الضحَّاكُ : هو الميزانُ(٦) .

٤٦ ـ ثم قال تعالى : ﴿ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً ﴾ [آية ٣٥] .

---

(١) في المخطوطة « منسوخاً » وهو خطأ ، وصوابُه « منسوخ » وقد كتبت الكلمةُ على هامش المخطوطة .

(٢) سورة النساء آية رقم ٢٩ .

(٣) سورة النساء آية ٦ وأوَّلُها ﴿ وابتلوا اليتامى حتى إذا بلغوا النكاح ﴾ .

(٤) انظر الأثر في الطبري ٢٥٢/٤ وابن كثير ١٨٧/٢ والدر المنثور ١٢١/٢ .

(٥ـ٦) انظر الآثار في الطبري ٨٥/١٥ وزاد المسير ٣٤/٥ وتفسير ابن كثير ٧١/٥ والدر المنثور للسيوطي ١٨٢/٤ وفي رواية عن مجاهد أنه القَبَّانُ ، وقال ابن الجوزي : القسطاسُ : الميزانُ روميٌّ معرَّبٌ . اهـ أقول : الصحيح أن كل ما في القرآن عربي ، وهذا مما توافقت فيه اللغاتُ ، كما نبه عليه أهل التحقيق لقوله سبحانه ﴿ بلسانٍ عربي مبين ﴾ .

قال قتادة : أي أحسنُ عاقبةً[1] .

أي ما يئول إليه الأمرُ ، في الدنيا والآخرة .

وقيل : أحسنُ من النُّقصانِ .

٤٧ ــ **وقولُه جلَّ وعزَّ : ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ .. ﴾** [آية ٣٦] .

رُوي عن ابن عباس قال : لاتَقُلْ ما ليس لك به علمٌ **﴿ إِنَّ السَّمْعَ وَالبَصَرَ وَالفُؤَادَ كُلُّ أولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولاً ﴾** قال : يُسأل أكانَ ذاك أم لا[2] ؟ .

وقال ابنُ الحنفيِّة ــ رحمةُ اللهِ عليه ــ: هذا في شهادة الزُّور[3] .

ورَوَى حجَّاجٌ عن ابن جُرَيج ، عن مجاهد قال : **﴿ لَا تَقْفُ ﴾** لاتَرْم[4] .

---

(١) الأثر في الطبري ٨٥/١٥ وابن كثير ٧١/٥ والدر المنثور ١٨٢/٤ وعزاه إلى ابن المنذر ، وابن أبي حاتم ، ولفظُه « خير ثواباً وعاقبة » وقال ابن كثير : أي خيرٌ مآلاً ومنقلباً في آخرتكم .

(٢ــ٤) انظر الآثار في الطبري ٨٦/١٥ وابن كثير ٧٢/٥ والبحر المحيط ٣٦/٦ قال أبو حيَّان : لمَّا أمر تعالى بثلاثة أشياء : الإيفاء بالعهد ، والإيفاء بالكيل ، والوزن بالقسطاس المستقيم ، أتبع ذلك بثلاثةِ مَنَاهٍ « ولاتَقْفُ » « ولا تمشِ » « ولا تجعل » ومعنى : ولا تَقْفُ : لاتتَّبِعْ ما لا علم لك به من قول أو فعل ، فنهى تعالى أن نقول ما لا نعلم ، وأن نعمل بما لانعلم ..» اهـ

قال أبو جعفر : وهذه الأقوالُ ترجع إلى معنىً واحدٍ ، وهو من قَفَوتُ الشَّيءَ : أي اتَّبعتُ أَثَره[1] ، والمعنى : لا تُتبِعنَّ لسانَك ما لم تعلَمْهُ ، فتتكلَّمَ بالحَدْسِ والظَّنِّ .

وحكَى الكِسائيُّ : ﴿ **وَلَا تَقُفُ** ﴾ من القيافة ، وهو بمعنى الأول ، على القلب[2] .

٤٨ ــ **وقولُه جلَّ وعزَّ** : ﴿ **وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا** .. ﴾ [آية ٣٧] .

أي متكبِّراً ، مُتَبَذِّخاً[3] .

٤٩ ــ **ثم قال جلَّ وعز** : ﴿ **إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا** ﴾ [آية ٣٧] .

فيه لأهل اللغة قولان :

---

(١) في الصحاح ٢٤٦٦/٦ : قفَوْتُ أَثَره قَفْواً : أي اتَّبعتُه ، وقَفَّيْتُ على أَثَره بفلانٍ أي أتبعتُه إيَّاه . اهـ .

(٢) ردَّ هذا القول ابن جرير في جامع البيان ٨٧/١٥ فقال : « وزعم بعض أهل العربية من أهل الكوفة أن أصله القيافة ، وهي اتِّباع الأثر ، وعلى هذا القول يجب أن تكون القراءة ﴿ ولا تَقُفْ ﴾ مثل : لاتَقُل ، والعرب تقول :قفوتُ أثَره ، وقُفْتُ أثَره ، مثل عاث وعثى ، وقاعَ الجملُ الناقةَ إذا ركبها وقعاها .. ثم قال : وأولى الأقوال أن المعنى : لاتقل للناس وفيهم ما لاعلم لك به ، فترميهم بالباطل ، وتشهد عليهم بغير الحقِّ ، فذلك هو القَفْوُ » . اهـ .

(٣) في الصحاح ٤١٨/١ : البَذَخُ : الكِبْرُ ، وتَبَذَّخ : أي تكبَّر وعَلَا ، وشَرَفٌ باذخٌ أي عالٍ .

أحدهما : أن المعنى : إنك لن تنقب الأرضَ(١) .

والآخر : لن تقطعها كلَّها .

قال أبو جعفر : وهذا أبينُ ، كأنه مأخوذٌ من الخَـرْقِ ، وهـو الصحراء الواسعةُ(٢) .

ويُقال : فلانٌ أخرقُ من فُلانٍ ، أي أكثرُ سَفَراً ، وغَزْوَاً منه .

٥٠ ــ **وقولُــه جلَّ ثنـــاؤه : ﴿ كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئُـــهُ عِنْـــدَ رَبِّكَ مَكْرُوهَاً ﴾** [آية ٣٨] .

ويُقرأ ﴿ سَيِّئَةً عند ربِّكَ مَكْروهاً ﴾(٣) .

---

(١) هذا القولُ رجَّحه القرطبي في تفسيره جامع الأحكـام ٢٦٢/١٠ حيث قال : والمراد بخرق الأرض هنا نقبُها لا قطعُها بالمسافة . اهـ ورجَّح الطبري القول الثـاني ٨٨/١٥ فقـال : والمعنـى : لاتمشِ في الأرض مختالاً مستكبراً ، فإنك لن تقطع الأرض باختيالك ، وهو ما ذهب إليه المصنف ، وأبـو عبيدة في مجاز القرآن ٣٨٠/١ أقول : والأظهرُ ما ذهب إليـه القرطبـي ، لأن الغرض من الآية ذمُّ المتكبر ، والسخرية والتهكم به ، ومعنى الآية : لا تمشِ مختالاً مِشية المُعْجَبِ المتكبر ، فأنت أيها الإنسانُ ضئيلٌ هزيلٌ ، لايليق بك التكبر ، كيـف تتكبَّـر على الأرض ، ولـن تجعـل فيها خَرْقـاً أو شقاً بمشيك عليها ؟ وكيف تتطاولُ وتتعظَّـمُ على الجبـال ، وأنت قِزْمٌ بالنسبـة لها ؟ ومهمـا طالت قامتك فلـن تبلغهـا طولاً ، فكيـف تتـكبر وتتعـالى وتختـال ، وأنت أضعـفُ من الأرض والوهـاد والجبال ؟ ففيه تهكم وتقريع للمتكبرين .

(٢) انظر الصحـاح مادة خرق ، فقـد قال الجوهـري : خرقتُ الأرض أي جُبتُهـا ، والخَـرقُ : الأرض الواسعة تتخرَّق فيها الرياح .

(٣) هذه من القـراءات السبـع المتواتـرة ، وهـي قراءة ابـن كثير ، ونافـع كما في السبعـة لابـن مجاهـد ص ٣٨٠ وقرأ عاصم ، وابن عامر ، وحمزة ، والكسائي ﴿ سيِّئُه ﴾ بالإضافة .

وقيل : الأول أَبْيَـنُ ، لأنـه قد تقـدَّم قولـه ﴿ وَآتِ ذَا القُرْبَى حَقَّهُ ﴾ وأشيـاءُ حسنـةٌ وسيِّئـةٌ ، فقـال ﴿ كلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئُـهُ عنـد رَبِّكَ مَكْروهاً ﴾ .

وأيضاً فإنه لم يقل : مكروهةً[1] .

٥١ ــ ثم قال جل وعز : ﴿ ذَلِكَ مِمَّـا أَوْحَى إِلَـيْكَ رَبُّكَ مِنَ الحِكْمَـةِ ، وَلاَتَجْعَـلْ مَعَ اللّـهِ إِلَهَـاً آخَـرَ فَتُلْقَـى فِي جَهَنَّـم مَلُومَـاً مَدْحُوراً ﴾ [آية ٣٩] .

أي مُقْصَىً مُبَاعداً ، ومنه « اللهمَّ ادحَرْ عنَّا الشَّيْطانَ » .

٥٢ ــ ثم قال جلَّ وعزَّ : ﴿ أَفَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُمْ بِالبَنِينَ وَاتَّخَـذَ مِنَ المَلاَئِكَـةِ إِنَاثَاً .. ﴾ ؟[آية ٤٠] .

لأنهم قالوا : الملائكةُ بناتُ اللّهِ[2] .. تعالى اللّهُ .

---

(١) هذا ما رجحه الطبري في جامع البيان ١٥/٨٩ وعلَّل لذلك بوجوه ذكرهـا في تفسيره ، وكـلٌّ من القراءتين سبعية كما أوضحنا ، وقراءة الجمهور أولى من حيث المعنى .

(٢) رُوي عن قتادة أن هذا من قول اليهود قالوا : الملائكةُ بنات اللّهِ حكاه الطبري ، والأظهـر أنـه قولُ مشركي العرب ، لأنهم كانوا يكرهون البناتِ ويزعمون أن الملائكـة بنـاتُ اللـهِ ، وكانـوا يقولـون : أَلحقوا البناتِ بالبنات ، وهذا قول جمهور المفسريـن ، قال الحافـظ ابـن كثير ٥/٧٤ : « يقـول تعالى راداً على المشركين الكاذبين ، الزاعمين أن الملائكة بنات الله ، فقد جعلوا الملائكـة الذيـن هم عباد الرحمن إناثاً ، ثم ادَّعوا أنهم بنات الله ، ثم عبدوهـم من دون اللـه ، فقـال تعـالى منكـراً عليهم : أخصَّصكم ربكم بالذكور واختار لنفسه البنات ؟ » .

٥٣ ـ وقولُه جلَّ وعزَّ : ﴿ قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذاً لَا بْتَغَوْا إِلَى ذِي الْعَرْشِ سَبِيلاً ﴾ [آية ٤٢] .

قال قتادة : المعنى : إذاً لتقرَّبوا إلى اللَّهِ(١) .

وقال سعيدُ بنُ جُبيْرٍ : إذاً لطلبوا إليه طريقاً للوصول ، لِيُزيلوا مُلكه جلَّ وعز(٢) .

٥٤ ـ وقولُه جل وعز : ﴿ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ .. ﴾ [آية ٤٤] .

قيل : تسبيحُهُ : دلالتهُ على قدرةِ اللَّهِ ، وأنهُ خالقُه .

وأكثرُ أهل التفسير منهمْ عكرمة على أن المعنى : وإنْ منْ شيءٍ فيه الرُّوحُ إلَّا يُسبِّح بحمدِهِ(٤) .

(١ ـ ٢) انظر الطبري ١٥/٩١ وابن كثير ٥/٧٥ والقرطبي ١٠/٢٦٥ واختار ابن جرير ، وابن كثير قول قتادة وقولُ سعيد بن جبير أظهر ـ كما يقول العلامَّة أبو السعود ـ وهو المناسبُ للآية ، لأن قوله تعالى بعدها ﴿ سبحانه وتعالى عمَّا يقولون علواً كبيراً ﴾ صريح في الإنكار عليهم ، وأن قولهم فيه محذور عظيم ، وقد رجح هذا القول الشوكاني في فتح القدير ٣/٢٣٠ وذكر في القرطبي أنه قول ابن عباس أيضاً ، والمعنى : لو كان الأمر كما زعم هؤلاء المشركون ، إذاً لطلبوا طريقاً إلى مُغالبة ذي العرش والجلال ، ليسلبوا ملكه ، كما يفعل ملوك الدنيا بعضهم ببعض ، وراموا طريقاً للمغالبة والممانعة .

(٣) هذا رأي جمهور علماء السلف : الضحاك ، وقتادة ، والحسن البصري ، حتى قال عكرمة : الشجرةُ تسبِّح ، والأسطوانة تُسبِّح ، والمعنى كما قال الطبري ١٥/٩٢ : ما من شيءٍ من خلقه إلا يُسبِّح بحمده . اهـ قال بعض المفسرين : كلُّ ما في الوجود شاهد بوحدانية الله جلَّ وعلا ، =

قال أبو جعفر : وهذا القول أولى لأنه قال ﴿ وَلَكِنْ لاتَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ﴾ .

٥٥ ـ وقولـه جلَّ وعـز : ﴿ وَإِذَا قَرَأْتَ القُـرْآنَ جَعَلْنَـا بَيْـنَكَ وَبَيْـنَ الَّذِيـنَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ حِجَاباً مَسْتُوراً ﴾ [آية ٤٥] .

فيه قولان :

أحـدهما : أن الحجـابَ الطبـعُ على قلـوبهم[1] ، ودلَّ على هذا ﴿ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ ﴾ .

والقولُ الآخر : أن الحجابَ منعُ اللهِ إيَّاه منهم .

٥٦ ـ ثم قال جلَّ وعزَّ : ﴿ وَإِذَا ذَكَـرْتَ رَبَّكَ فِي القُرْآنِ وَحْـدَهُ وَلَّـوْا عَلَى أَدْبَارِهِمْ نُفُوراً ﴾ [آية ٤٦] .

قال أبو الجوزاء[2] : الذِّكْرُ قولُ « لا إله إلاَّ اللهُ » .

= ناطقٌ بعظمتـه وجلالـه ، السمـواتُ تسبـح اللـه في زرقتها ، والحقـولُ في خضرتها ، والبساتيـنُ في نُضْرتَها ، والأشجارُ في حفيفها ، والمياهُ في خريرها ، والطيورُ في تغريدهـا ، والشمسُ في شروقهـا وغروبها « وإن من شيء إلا يُسبِّح بحمده ، ولكن لاتفقهون تسبيحهم » .

(١) هذا هو القول الراجح الصحيح ، وهذا الذي اختاره الـطبري ١٥/٩٣ حيث قال : « أي جعلنـا بينك وبينهم حجاباً ، يحجب قلوبهم عن أن يفهموا ما تقرؤه عليهم ، والحجابُ : الساتر » .

(٢) أبـو الجوزاء هو « أوس بن عبدالله الرَّبَعي » البصري قال ابـن حبـان في الثقـات : كان عابـداً فاضلاً ، وقال العَجْلي : بصريٌّ ، تابعيٌّ ، ثقة ، قُتـل سنـة ٨٣ في الجماجـم ، وانظـر ترجمتـه في تهذيب التهذيب ١/٣٨٣ .

٥٧ ــ **ثم قال تعالى ﴿ نَحْنُ أَعْلَمُ بِما يَسْتَمِعُونَ بِهِ ، إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَى .. ﴾** [آية ٤٧] .

أي ذَوُوْ نَجْوةٍ أي سِرَارٍ(١) .

ثم بيَّن ما يتناجون به فقال جلَّ ثناؤه :

﴿ إِذْ يَقُولُ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلاً مَسْحُوراً ﴾ .

في معناه قولان :

قال مجاهد : أي مخدوعاً .

وقال أبو عُبيدة : أي له سَحْرٌ ، والسَّحْرُ والسُّحْرُ . الرِّئةُ(٢) .

والمعنى عنده : « إنْ تَتَّبِعُونَ إلاَّ بَشَرَاً » أي ليس بمَلَكٍ .

قال أبو جعفر : والقولُ الأوَّلُ أنسبُ بالمعنى ، وأعرفُ في كلام العرب ، لأنه يُقال : ما فلانٌ إلَّا مَسْحورٌ أي مَخْدوعٌ كما قال تعالى **﴿ إِنِّي لأَظُنُّكَ يامُوسَى مَسْحُوراً ﴾**(٣) .

---

(١) هذا قول الزجاج كما في زاد المسير ، وقال أبو عُبيدة في مجاز القرآن ١/٣٨١ ﴿ وإذ هم نجوى ﴾ هي مصدر من ناجيتُ ، أو اسم منها وُصف بها القوْم ، والعرب تفعلُ ذلك كقولهم : إنما هم عذابٌ ، وأنتم غمٌّ ، فجاءت في موضع « متناجين » . اهـ .

(٢) انظر مجاز القرآن لأبي عُبيدة ١/٣٨١ وفي الصحاح : السُّحْرُ : الرئةُ وكذلك السَّحْرُ ، يُقال للجبان : قد انتفخ سَحْرُه .

(٣) سورة الإسراء آية ١٠١ .

أي مخدوعاً : قال الشاعر :

أَرَانَــا مُوضِعِيــــنَ لِحَتْـــم غَيْبٍ
وَنُسْحَـرُ بالطَّعَـامِ وبِـــالشَّرَابِ[1]

أي نُعَلَّل بهما فكأنَّما نُخدَعُ ، ويُبيِّنهُ قولُه تعالى ﴿ **انْظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لكَ الأَمْثَالَ** ﴾ !!

وقال في موضعٍ آخر ﴿ **وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعلِّمُهُ بَشَرٌ** ﴾[2] .

٥٨ ــ **وقوله جلَّ وعزَّ : ﴿ وَقَالُوا أَئِذَا كُنَّا عِظَاماً وَرُفَاتاً .. ﴾** [آية ٤٩] .

قال مجاهدٌ : أي تُراباً[3] . وهو قول الفراء[4] .

وقال أبو عُبيدة والكسائي : يُقال منه: رُفِتَ رَفْتاً أي حُطِم[5] .

---

(١) البيت لامرىء القيس وهو في ديوانه ٩٧ وفي مجاز القرآن ٣٨٢/١ وفي جامع الأحكام ٢٧٣/١٠ وفي البيان والتَّبيين ١٨٩/١ وفي الطبري ٩٦/١٥ وأمالي المرتضى ٥٧٧/١ وفي البحر المحيط ٤٤/٦ .

(٢) سورة النحل آية ١٠٣ .

(٣) الأثر عن مجاهد في الطبري ٩٧/١٥ وزاد المسير ٤٤/٥ وابن كثير ٨١/٥ .

(٤) انظر معاني الفراء ١٢٥/٢ فقد قال فيه : الرُّفاتُ : الترابُ لا واحد له ، بمنزلة الدُّقاقِ والحُطام .

(٥) مجاز القرآن لأبي عُبيدة ٣٨٢/١ وزاد المسير لابن الجوزي ٤٤/٥ .

٥٩ ــ ثم قال جلَّ وعز : ﴿ أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقاً جَدِيداً ﴾ ؟ [آية ٤٩] .

أي مجدَّداً .

٦٠ ــ ثم قال جلَّ وعزَّ : ﴿ قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيداً ﴾ [آية ٥٠] .

قال مجاهد : أي ما شئتم ، فستُعادونَ(١) .

قال أبو جعفر : وهذا قولٌ حسنٌ ، لأنهم لايستطيعون أن يكونوا حجارةً ، وإنما المعنى أنهم قد أقرُّوا بخالقهم ، وأنكروا البعث ، فقيل لهم : استشعروا أن تكونوا ما شئتم ، فلو كنتم حجارةً أو حديداً ، لبُعثتم كما خُلقتم أوَّل مرَّة(٢) .

٦١ ــ ثم قال عز وجل : ﴿ أَوْ خَلْقاً مِمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ .. ﴾ [آية ٥٠] .

أي يعظم .

قال ابنُ عمر ومجاهد وعكرمة وأبو صالح والضحاك في قوله

---

(١) الأثر في الطبري ٩٩/١٥ وابن كثير ٨٢/٥ وعبارة الطبري : ما شئتم فكونوا فسيعيدكم اللهُ كما كنتم .

(٢) الأمر هنا للتعجيز ، والمرادُ بيان قدرة اللهِ عز وجل في إعادتهم بعد الموت ، فكأنه يقول لهم : لو كنتم حجارةً أو حديداً لقَدَر اللهُ على بعثكم وإحيائكم ، فضلاً عن أن تكونوا عظاماً ورفاتاً ، وقد ضرب لهم المثل بالحجارة والحديد لأنها أبعدُ شيء عن الحياة ، وهي أصلبُ الأشياءُ ، فلو كانت أجسامكم منها لأعادها الله عز وجل ، فكيف لايقدر على إعادتكم وأنتم تراب ورفات ؟ وهذا مثل قولك للرجل : اصعد إلى السماء فإني لاحقك .

تعالى ﴿ أَوْ خَلْقاً مما يَكْبُر في صُدورِكُمْ ﴾ : هو الموتُ[1] .

وفي الحديث « أنه يُؤتَى بالموتِ يومَ القيامـةِ ، في صُورةِ كَبْشٍ أملَحَ ، فيُذْبحُ بين الجنَّةِ والنَّارِ »[2] .

٦٢ ــ وقوله جلَّ وعزَّ : ﴿ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَى هُوَ ﴾ [آية ٥١] .

أي يُحرِّكونها من فوق إلى أسفلَ ، ومن أسفلَ إلى فوق ، كما يفعل المتعجِّبُ ، المُسْتَبْطِئُ للشيء .

يُقال : أنغَضَ رأسَه فنَغَضَ ، ينغَضُ ، ويَنْغِضُ ، ويَنْغُضُ : أي تحرَّك[3] .

---

(١) الأثر في جامع البيان ٩٨/١٥ وتفسير ابن كثير ٨٢/٥ وزاد المسير ٤٤/٥ قال الحافظ ابن كثير : والمعنى على هذا القول : لو فُرض أنكم صرتم موتاً الذي هو ضد الحياة ، لأحياكم الله إذا شاء ، فإنه لايمتنع عليه إذا أراده .

(٢) الحديث أخرجه البخاري في التفسير ١١٧/٦ ولفظُه « يُؤتى بالموتِ كهيئة كبشٍ أملح ، فينادي منادٍ : يا أهل الجنة ، فيشرئبون ــ أي يمدُّون أعناقهم ــ وينظرون ، فيقول : هل تعرفون هذا ؟ فيقولون : نعم ، هذا الموتُ ، وكلُّهم قد رآه ، ثم يُنادي يا أهل النار ، فيشرئبون وينظرون ، فيقول : هل تعرفون هذا ؟ فيقولون : نعم ، هذا الموتُ وكلُّهم قد رآه ، فيُذْبح ثم يقول : يا أهل الجنة خلودٌ فلا موت ، ويا أهل النار خلود فلا موت » ، ثم قرأ ﴿ وأنذرهم يوم الحسرة ، إذ قُضي الأمرُ وهم في غفلة وهم لا يؤمنون ﴾ ورواه الترمذي ٦٩٢/٤ وقال : هذا حديث حسنٌ صحيح .

(٣) في الصحاح ١١٠٨/٣ : نَغَضَ رأسَه ينغُضُ ، وينغِضُ ، نُغُوضاً أي تحرَّك ، وكلُّ حركةٍ في ارتجافٍ نغضٌ . اهـ وقال أهل التفسير ﴿ فسينغِضُون إليكَ رءوسَهُم ﴾ أي يُحرِّكون رءوسهم متعجبين ومستهزئين .

٦٣ ـ وقولـــه جلَّ وعـــز : ﴿ يَوْمَ يَدْعُوكُـــــمْ فَتَسْتَجِيبُـــــونَ بِحَمْدِهِ .. ﴾ [آية ٥٢] .

قال سفيان : أي بأمره .

والمعنى عند أهل التفسير : مُقِرِّينَ أنه خالقكم .

٦٤ ـ وقوله جل وعز : ﴿ وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزَغُ بَيْنَهُمْ .. ﴾ [آية ٥٣] .

أي يُفسِدُ ويُهيِّجُ[١] .

٦٥ ـ وقولُـه جلَّ وعـز : ﴿ أُولَـئِكَ الَّذِيـنَ يَدْعُـونَ يَبْتَغُـونَ إِلَـى رَبِّهِـمُ الوَسِيلَةَ .. ﴾ [آية ٥٧] .

وقرأ عبدالله بن مسعود ﴿ أولَئِكَ الَّذِينَ تَدْعُونَ يَبتَغُـونَ إِلَـى رَبِّهِمُ الوَسيلَةَ ﴾[٢] .

قال : « هؤلاء من العـرب ، عبـدوا أنـاساً من الجن ، فأسلـم الجِنيُّون ولم يعلم الذين عبدوهم »[٣] .

---

(١) المراد أن الشيطان يُفسد ويهيج بين الناس الشرَّ ، ويُشعل نار الفتنة بالكلمة الغليظة الخشنة .

(٢) هذه القراءة ذكرها أبو حيان في البحر ٥١/٦ وابن الجوزي في زاد المسير ٥٠/٥ وهـي ليست من القراءات السبع ، وقراءة الجمهور ﴿ أولئك الذين يدعون ﴾ باليـاء ، وفيها التفـاتٌ من الخطـاب إلى الغَيْبة ، قال ابن الأنباري : والعرب تفعل ذلك : إذا أمن اللَّبسُ .

(٣) الأثـر أخرجـه ابـن جرير ١٠٥/١٥ وابـن كثير ٨٦/٥ والسيوطـي في الـدر ١٨٩/٤ وأخرجـه البخـاري في كتـاب التـفسير ١٠٧/٦ عن عبدالله بن مسعـود بلفـــظ « كان ناسٌ من الإنس يعبدون ناساً من الجن ، فأسلم الجنُّ وتمسَّك هؤلاء بدينهم » .

ورَوى **شُعبةُ** عن السُدِّي عن أبي صالح عن ابن عباس في قوله تعالى ﴿ **أُولَئِكَ الَّذينَ يَدعُونَ يَبْتَغُون إلى ربِّهِمُ الوسيلَةَ** ﴾ قال : عيسى ، وعُزيرٌ[1] .

وقيل : الملائكةُ الذين عبدوهم : قومٌ من العرب .

٦٦ ــ **وقوله جلَّ وعز** : ﴿ **وَإنْ مِنْ قَرْيَةٍ إلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ القِيَامَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَاباً شَدِيداً** ﴾ [آية ٥٨] .

قال مجاهد : مُبيدوها أو معذِّبوها[2] .

٦٧ ــ **ثم قال جلَّ وعز** : ﴿ **كَانَ ذَلِكَ فِي الكِتَابِ مَسْطُوراً** ﴾ [آية ٥٨] .

أي مكتوباً ، يُقال : سَطَر إذا كتَبَ .

رُويَ عن عبدالله بن عباس أنه قال : « أوَّلُ ما خلق اللهُ القلمَ ، فقال له : اكُتبْ ، فكتَبَ ما هو كائن »[3] .

٦٨ ــ **وقولُه جلَّ وعزَّ** ﴿ **وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بالآيَاتِ إلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الأَوَّلُونَ ..** ﴾ [آية ٥٩] .

هذه آيةٌ مشكلةٌ ، وفي الكلام حذفٌ .

(١ــ٣) انظر هذه الآثار في جامع البيان للطبري ١٠٥/١٥ وجامع الأحكام للقرطبي ١٧٩/١٠ وزاد المسير لابن الجوزي ٥٠/٥ وتفسير ابن كثير ٨٦/٥ والدر المنثور للسيوطي ١٩٠/٤ .

والمعنى : ما منعنا أن نرسل بالآيات التي اقترحتموها ، إلَّا أن تُكذِّبُوا بها فتهلِكُوا ، كما فُعِل بمن كان قبلكم[1] .

وقد أخَّر اللهُ أمر هذه الأمة إلى يوم القيامة ، فقال سبحانه ﴿ **بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ** ﴾[2] .

٦٩ ــ **ثم قال جلَّ وعز** : ﴿ **وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً** .. ﴾ [آية ٥٩] .

قال مجاهد : أي آيةً[3] .

والمعنى : ذاتَ إبصار ، يُبْصَرُ بها ، ويتبيَّنُ بها صدقَ صالح عليه السلام[4] .

---

(١) في الآية حذفٌ كما نبَّه المصنف ، فإن أهل مكة سألوا رسول الله ﷺ بعض الآيات ، واقترحوا عليه بعض الاقتراحات ، منها أن يقلب لهم جبل الصفا ذهباً ، وأن يُزيح عنهم الجبال ، وأن يُجري لهم الأنهار ، فأخبره تعالى أنه إن أجابهم إلى ما طلبوا ، ثم كذَّبوا ولم يؤمنوا استحقوا عذاب الاستئصال ــ أي أن يهلكهم جميعاً ــ كما جرت سنته تعالى في الأمم السابقين ، فإنهم لمَّا طلبوا الآيات ثم كذبوا بها ، أهلكهم الله ودمَّرهم ، فاللهُ لم يجبهم إلى ما طلبوا رحمةً بهم ، ومعنى الآية : وما منعنا أن نرسل بالآيات التي اقترحوها ، إلا خشية أن يكذِّبوا بها فيهلكوا ، كما فُعل بمن كان قبلهم ، وهو خلاصة قول قتادة ، وابن جريج ، وابن عباس ، فحذف من الآية « إلاَّ خشية أن يكذبوا بها » ودلَّ على المحذوف قوله جل وعلا ﴿ إلا أن كذَّب بها الأولون ﴾ اهـ .

(٢) سورة القمر آية ٤٦ وتمامها ﴿ بل السَّاعةُ موعدهُم والساعةُ أدهى وأمرُّ ﴾ .

(٣) الأثر في الطبري ١٠٩/١٥ أي آيةً مبصِرَة .

(٤) قال في البحر ٥٣/٦ : أضاف الإبصار إليها على سبيل المجاز والتقدير : آية مبصرة أي يبصرها الناس ويشاهدونها ، وقال ابن قتيبة : أي بيِّنة يُبصر بها .

٧٠ ــ ثم قال جل وعــز : ﴿ **فَظَلَمُــوا بِهَــا وَمَــا نُرْسِلُ بالآيَاتِ إلاَّ تَخْوِيفاً** ﴾ [آية ٥٩] .

أي فظلموا بتكذيبهم بها .

٧١ ــ وقولُــه جلَّ وعــز : ﴿ **وَإِذْ قُلْنَــا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَــاطَ بَالنَّاسِ ..** ﴾ [آية ٦٠] .

رَوَى شعبــةُ ، عن أبي رجــاء ، عن الحسن قال : عصَمَك منهم[١] .

ورَوَى ابنُ أبي نجيح عن مجاهد قال : هم في قبضتِهِ[٢] .

٧٢ ــ ثم قال جلَّ وعز : ﴿ **وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِــي أَرَيْنَــاك إِلَّا فِتْنَــةً لِلنَّاسِ ..** ﴾ [آية ٦٠] .

قال سعيدُ بنُ جبير ومجاهدٌ ، وعكرمةُ ، والضحَّاكُ : هي الرؤيا التي رآها ليلةَ أُسرى بِه[٣] .

وزاد عكرمة : هي رؤيا يقظة[٤] .

(١ــ٣) انظر الآثار في جامع البيان للطبري ١١٠/١٥ والبحر المحيط ٥٤/٦ وتفسير ابن كثير ٨٩/٥ وزاد المسير ٥٣/٥ والدر المنثور ١٩١/٤ .

(٤) أخرجه البخاري في كتاب التفسير ١٠٧/٦ عن عكرمة عن ابن عباس قال : هي رؤيا عينٍ أُريها رسولُ الله ﷺ ليلة أُسري ، والشجرة الملعونة : شجرةُ الزقوم . اهـ .

قال سعيد بن المسيّب : ﴿ **إلاَّ فِتْنَةً للنَّاسِ** ﴾ : أي إلاَّ بلاءً للنَّاس[1] .

٧٣ ـ **ثم قال جلَّ وعز : ﴿ وَالشَّجَرَةَ المَلْعُونَةَ فِي القُرْآنِ .. ﴾** [آية ٦٠] .

قال سعيدُ بن جبير ومجاهد وعكرمة والضحاك : هي شجرة الزقُّوم[2] .

وقال غيرهم : إنما فُتِنَ الناسُ بالرؤيا وشجرة الزقوم ، أن جماعةً ارتدُّوا وقالوا : كيف يُسْرى به إلى بيت المقدس في ليلةٍ واحدة ؟ وقالوا لمَّا أنزلَ اللهُ ﴿ **إنَّ شَجَرَةَ الزقُّوم . طَعَامُ الأَثِيم** ﴾[3] كيف تكون في النار شجرة ولا تأكلها ؟

فكان ذلك فتنةً لقوم[4] ، واستبصاراً لقوم ، منهم أبو بكر الصدِّيق رضي الله عنه .

---

(١) قال القرطبي في جامع الأحكام ٢٨٣/١٠ : في الآية تقديم وتأخير ، أي ما جعلنا الرؤيا التي أريناك والشجرة الملعونة في القرآن ، إلاَّ فتنةً للناس ، وفتنتُها أنهم لما خُوِّفوا بها قال أبو جهل استهزاء : إن محمداً يتوعدكم بنارٍ تحرق الحجارة ، ثم يزعم أنها تُنبت الشجر ، والنار تأكل الشجر ، وما نعرف الزقوم إلا التمر والزبد ، ثم أمر أبو جهل جاريته فأحضرت تمراً وزبداً ، وقال لأصحابه : تزقَّموا ، فهذا الذي يتوعدكم به محمد .

(٢) انظر جامع البيان للطبري ١١٣/١٥ والدر المنثور ١٩٢/٤ .

(٣) سورة الدخان آية ٤٣ ـ ٤٤ وتمامُها ﴿ كالمُهْلِ يَغْلِي في البطونِ . كَغَلْي الحميم ﴾ .

(٤) أخرج ابن جرير عن الحسن ١١٠/١٥ قال : أُسري برسول الله ﷺ عشاءً إلى بيت المقدس ،

ويُقال : إنَما سُمِّي الصدِّيق ذَلك الوقت[1] .

فإن قال قائل : لم يُذْكَرْ في القرآنِ لعنُ هذه الشجرة ؟

قال أبو جعفر : ففي ذلك جوابان :

أحدهما : أنه لقد لُعِنَ آكلوها .

والجواب الآخر : أنَّ العرب تقول لكل طعامٍ ضَارٍّ ، مكروهٍ [ملعونٌ][2] .

٧٤ ــ وقولُه جلَّ وعز : ﴿ قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ .. ﴾ [آية ٦٢] .

= فصلَّى فيه ، وأراه الله ما أراه من الآيات والعِبر ، ثم أصبح بمكة ، فأخبرهم أنه أُسري به إلى بيت المقدس فقالوا يامحمد : ما شأنُك ؟ أمسيت في بيت المقدس ، ثم أصبحت فينا تخبر أنك أتيتَ بيت المقدس ؟ فتعجبوا من ذلك حتى ارتدَّ بعضهم عن الإسلام .

(١) ذكره القرطبي في جامع الأحكام ٢٨٥/١٠ قال : ثم انصرف رسول الله ﷺ إلى مكة ، فلما أصبح غدا على قريشٍ فأخبرهم الخبر ، فقال أكثر الناس : هذا واللهِ الأمرُ البيِّن ــ يريدون أن الكذب فيه واضح ظاهر ــ واللهِ إن العير لتطَّرد مدبرةً شهراً ، ومقبلة شهراً ، من مكة إلى الشام ، يذهب محمد في ليلة واحدةٍ ويرجع إلى مكة !! فارتدَّ كثير ممن كان أسلم ، وذهب ناس إلى أبي بكر فقالوا : هل لك ياأبا بكر في صاحبك ! يزعم أنه قد جاء هذه الليلة بيتَ المقدس ، وصلَّى فيه ورجع إلى مكة ، فقال أبو بكر : إنكم تكذبون عليه ، فقالوا : بلى ، ها هو في المسجد يُحدِّث به الناس ، فقال أبو بكر : إن كان قد قاله فقد صدق ، والله إني لأصدِّقه بخبر السماء ، فمن يومئذٍ سُمِّي الصدِّيق .

(٢) سقط من المخطوطة وأثبتناه من جامع الأحكام للقرطبي ٢٨٦/١٠ وهو ضروري لأن فيه الشاهد ، وكذلك ذكره ابن الجوزي .

أي فضَّلْتَ : وفي الكلام حذفٌ ، والمعنى : أرأيتَكَ هذا الذي فضَّلْتَ عليَّ لمَ فضَّلته ، وقد خلقتني من نار ، وخلقتَه من طين ؟! ثم حُذف هذا لعلم السَّامع[١] .

٧٥ ـ **ثم قال جلَّ وعز : ﴿ لَئِنْ أَخَّرْتَنِي إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلاً ﴾** [آية ٦٢] .

قال أبو جعفر : أكثر أهل اللغة على أنَّ المعنى : لأستولينَّ [عليهم][٢] ولأستأصلنَّهم ، من قولهم : احتنَكَ الجَرادُ الزَّرْعَ : إذا ذهبَ به كلِّه .

وقيل : هو من قولهم : حَنَكَ الدابَّةَ يَحْنِكُها : إذا ربَطَ حبْلاً في حَنَكِها الأسفلِ ، وسَاقَها[٣] . حكى ذلك ابن السِكِّيت[٤] .

---

(١) هذا قول الزجاج كما هو في زاد المسير ٥٧/٥ قال : أرأيتك في معنى : أخبرني ، والجواب محذوف لأن في الكلام دليلاً عليه ، والمعنى : أخبرني عن هذا الذي كرَّمته عليَّ ، لمَ كرَّمته عليَّ ، وقد خلقتني من نارٍ وخلقته من طين ؟ فحذف هذا ، لأن في الكلام دليلاً عليه .

(٢) هذا قول ابن عباس كما في زاد المسير ٥٧/٥ وهو قول الفراء أيضاً في معانيه ، وقد سقط من المخطوطة « عليهم » وأثبتناها من معاني الفراء ١٢٧/٢ وتفسير القرطبي ٢٨٧/١٠ .

(٣) في الصحاح ١٥٨١/٤ : حنكتُ الفرس أحنُكُهُ وأحنِكُه حَنْكاً : إذا جعلتَ فيه الرَّسَن ، وكذلك احتنكْتُه ، واحتنَكَ الجرادُ الأرض أي أكل ما عليها ، وأتى على نبتها ، وقولُه تعالى ﴿ لأحتنكَنَّ ذريتَهُ ﴾ يريد لأستولين عليهم اهـ .

(٤) ابن السكِّيت هو « يعقوبُ بنُ إسحقَ بنِ السكِّيت » أديبٌ نحويٌ لغويٌ ، عالمٌ بالقرآنِ والشعر ، وصحب الكسائي ، واتصل بالمتوكل العبَّاسي ، فعهد إليه بتأديب أولاده ، وله من التصانيف نحو من عشرين كتاباً توفي سنة ٢٤٤ هـ وانظر ترجمته في سير أعلام النبلاء للذهبي ١٦/١٢ ووفيات الأعيان ٤٠٨/٢ ومعجم الأدباء ٥٠/٢٠ .

وحُكي أيضاً : احتَنَكَ دابَّته مثل حَنَكَ ، فيكون المعنى : لأسوقنَّهم كيف شئتُ .

٧٦ ـ ثم قال جلَّ وعز : ﴿ قَالَ اذْهَبْ فَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاؤُكُمْ جَزَاءً مَوْفُوراً ﴾ [آية ٦٣] .

موفورٌ وموفَّرٌ واحدٌ ، يُقال : وفَرْتُه ووَفَّرْتُه كما قال [الشاعر] :

وَمَنْ يَجْعَلِ المَعْرُوفَ مَنْ دُونِ عِرْضِهِ
يَفِرْهُ وَمَنْ لَا يَتَّقِي الشَّتْمَ يُشْتَمِ[1]

٧٧ ـ ثم قال جلَّ وعز ﴿ وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ .. ﴾ [آية ٦٤] .

أي اسْتخِفَّ[2] .

قال مجاهد ﴿ **بصَوْتكَ** ﴾ : بالغناء والمزامير[3] .

٧٨ ـ ثم قال جلَّ وعز : ﴿ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِي الأَمْوَالِ وَالأَوْلَادِ ﴾ [آية ٦٤] .

---

(١) البيت لزهير بن أبي سُلمى وهو في ديوانه ص٣٠ والشاهد فيه « يَفِرْهُ » أي يجعله وافراً ، وبعده :
ومن لا يَذُدْ عن حوضِهِ بسلاحه يُهدَّم ومن لا يَظْلِم الناسَ يُظْلم

(٢) هذا قول ابن قتيبة كما في تفسير ابن الجوزي ٨٥/٥ والمراد استخفَّ من شئت من الضالين ، وحرِّكه نحو الفساد ، بطرق الغيِّ والإضلال .

(٣) الأثر أخرجه الطبري ١١٨/١٥ وهو في البحر المحيط ٥٨/٦ وتفسير ابن كثير ٩١/٥ عن مجاهد .

رَوَى **سعيدُ بنُ جُبير** ومجاهدٌ عن ابنِ عباس قال : كلُّ خيلٍ سارتْ في معصية اللَّهِ ، وكلُّ رِجْلٍ مَشَتْ في معصيةِ اللَّهِ ، وكلُّ مالٍ أُصِيبَ من حرامٍ ، وكلُّ وَلَدِ غَيَّةٍ[1] فهو للشيطان[2] .

وقال غيرُه : مشاركتُه في الأموال هي : السائبةُ والبَحِيرةُ ، وفي الأولاد قولهم : عبد العُزَّىٰ ، وعبد الحارث .

وقرأ قتادة ﴿ وأَجْلِبْ عليهِمْ بخَيْلكَ ورِجَالِك ﴾[3] .

٧٩ ــ **ثم قال جلَّ وعزَّ ﴿ وَعِدْهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إلاَّ غُرُوراً ﴾** [آية ٦٤] .

هذا أمرٌ فيه معنى التهدُّدِ والوعيد ، كما قال تعالى **﴿ فمنْ شاءَ**

---

(١) « ولد غَيَّةٍ » أي ولد زنى ، قال في المصباح ١١١/٢ : وهو لِغَيَّةٍ بالفتح والكسر : كلمة تقالُ للشتم ، كما يُقال : هو لزنية .اهـ وفي الصحاح مادة غيا : يُقال : فلانٌ لِغَيَّةٍ وهو نقيض قولك : لرَشْدة .

(٢) الأثر أخرجه ابن جرير ١١٩/١٥ عن ابن عباس بنحوه ، وابن الجوزي في زاده ٥٨/٥ والسيوطي في الدر المنثور ١٩٢/٤ وعزاه إلى ابن المنذر ، وابن أبي حاتم ، ولفظُه ﴿ واستفزز من استطعت منهم بصوتك ﴾ قال : « استنزل من استطعت منهم بالغناء والمزامير ، واللهو والباطل ﴿ وأجلبْ عليهمْ بخيلكَ ورَجِلِكَ ﴾ قال : كلُّ راكب وماشٍ في معاصي الله ﴿ وشاركهم في الأموالِ والأولاد ﴾ قال : الأموالُ ما كانوا يحرِّمون من أنعامهم ، والأولادُ أولادُ الزنى » اهـ .

(٣) هذه من القراءات الشاذة كما في المحتسب لابن جني ٢٢/٢ وأما قراءة ﴿ ورَجْلِكَ ﴾ بسكون الجيم فهي سبعية .

فَلْيؤمنْ ، ومن شَاءَ فَلْيكفُرْ ﴾[1] .

٨٠ ـ وقولُـــه جلَّ وعـــز : ﴿ إِنَّ عِبَـــادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِـــمْ سُلْطَانٌ .. ﴾ [آية ٦٥] .

قيـــل : أي خُلَصَائِي ، كما قال تعـــالى ﴿ فَادْخُلِـــي فِي عِبَادِي ﴾[2] .

٨١ ـ ثم قال جلَّ وعز : ﴿ وَكَفَى بِرَبِّكَ وَكِيلاً ﴾ [آية ٦٥] .

أي منجياً لخلصائه من الشيطان .

والفرَّاءُ يذهبُ إلى أن معنى ﴿ وَكِيـلاً ﴾ كافٍ ، وكـذا قال في قوله جلَّ وعز ﴿ أَلَّا تَتَّخِذُوا مِنْ دُونِي وَكِيلاً ﴾[3] .

٨٢ ـ ثم قال جلَّ وعـــز : ﴿ رَبُّكُـــمُ الَّـــذِي يُزْجِـــي لَكُـــمُ الفُلْكَ .. ﴾ [آية ٦٦] .

أي يسوقُ .

٨٣ ـ وقوله جلَّ وعـز : ﴿ أَفَأَمِنْتُمْ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ البَرِّ أَوْ يُرْسِلَ

---

(١) سورة الكهف آية ٢٩ .

(٢) سورة الفجر آية ٢٩ وتمامها ﴿ وادخلي جنتي ﴾ .

(٣) انظر معاني الفراء ١١٦/٢ وقد جاء فيه ﴿ ألاَّ تتخذوا من دوني وكيلاً ﴾ يُقال : ربَّـاً ، ويُقـال : كافياً .

عَلَيْكُمْ حَاصِباً .. ﴾ [آية ٦٨] .

الحاصبُ : الرِّيحُ التي ترمي بالحَصْباءِ وهي : الحصَى الصِّغار(١) .

٨٤ ــ **وقولُه جَلَّ وعز : ﴿ أَمْ أَمِنْتُمْ أَنْ يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَى فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفاً مِنَ الرِّيحِ .. ﴾** [آية ٦٩] .

قال ابن عباس : هي التي تُغرِق(٢) .

قال أبو جعفر : يُقال : قَصَفَه إذا كَسَره ، كأنها من شِدَّتها تكسِرُ الشَّجَر(٣) .

٨٥ ــ **وقوله جل وعز : ﴿ فَيُغْرِقَكُمْ بِمَا كَفَرْتُمْ ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ تَبِيعاً ﴾** [آية ٦٩] .

قال مجاهد : ثائراً(٤) .

قال أبو جعفر : وهو من الثأر ، وكذلك يُقال لكل من طَلَبَ

---

(١) في الصحاح ١١٢/١ : الحصباءُ : الحَصى ، وحصبتُ الرجل أحصِبُه بالكسر : أي رميتُه بالحصباء ، والحاصبُ : الريحُ الشديدة التي تثير الحصباء . اهـ .

(٢) الأثر عن ابن عباس في الطبري ١٢٥/١٥ والدر المنثور ١٩٣/٤ .

(٣) هذا قول ابن قتيبة كما في زاد المسير ٦٢/٥ قال : القاصفُ : الريح التي تقصف الشجر أي تكسره .

(٤) الأثر في الطبري ١٢٥/١٥ وابن كثير ٩٤/٥ والدر المنثور ١٩٣/٤ والمعنى على هذا القول : لن تجدوا من يأخذ لكم بالثأر منا ، أو يطالبنا بتَبِعَةِ إغراقكم !!

بثأرٍ أو غيره : تبيعٌ ، وتَابعٌ ، ومنه قوله تعالى ﴿ فَاتِّبَاعٌ بالمعْرُوفِ ﴾[1] أي مطالبةٌ .

٨٦ ــ **وقوله جلَّ وعز : ﴿ ولقد كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ ، وحَمَلْنَاهُمْ فِي البَرِّ والبَحْرِ ، ورَزَقْنَاهُمْ منَ الطَّيِّبَاتِ ، وفضَّلناهم على كثيرٍ ممن خلقنا تفضيلاً ﴾** [آية ٧٠] .

قال عبدالله بن عباس : فُضِّلوا بأنهم يأكلون بأيديهم ، والبهائم تأكل بأفواهها[2] .

وقال غيره : فُضِّلوا بالفهم والتمييز ، وبما سُخِّر لهم[3] .

٨٧ ــ **ثم قال جل وعز : ﴿ يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإمَامِهِمْ .. ﴾** [آية ٧١] .

---

(١) سورة البقرة آية ١٧٨ والآية ﴿ فمن عُفي له من أخيه شيءٌ فاتِّباعٌ بالمعروف وأداء إليه بإحسان ﴾ .

(٢) الأثر أخرجه ابن جرير في جامع البيان ١٥/١٢٥ قال الطبري : ذُكر لنا أن ذلك تمكنهم من العمل بأيديهم ، وأخذ الأطعمة والأشربة بها ، ورفعها بها إلى أفواههم ، وذلك غير متيسر لغيرهم من الخلق ، وذكره السيوطي في الدر ٤/١٩٣ وعزاه إلى ابن أبي حاتم، وابن مردويه ، والبيهقي في شعب الإيمان .

(٣) هذا القول مرويٌّ عن الضحاك كما في زاد المسير ٥/٦٣ وهو أظهر من القول الأول ، لأن التفضيل بالعقل ، والفهم ، والعلم ، وقد جمع ابن كثير بين القولين ٥/٩٤ فقال : تفضيلهم بخلقهم على أحسن الهيئات وأكملها ، فالإنسان يمشي قائماً منتصباً على رجليه ، ويأكل بيديه ، والحيوانات تمشي على أربع ، وتأكل بفمها ، وجعل الله للإنسان سمعاً وبصراً وفؤاداً ، يفقه بذلك كله وينتفع ، ويفرِّق بين المنافع والمضار .اهـ .

رُوِي عن ابن عباس : أي بنبيِّهم[1] .

وقال الحسن والضحَّاكُ : بكتابهم[2] .

قال أبو جعفر: ويدلُّ على هذا قولُه بعدُ ﴿ **فَمَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَأُولَئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلاً** ﴾ .

الفتيلُ : الذي يكون في شِقِّ النَّواة ، **والنَّقيرُ** : النُّقْرةُ التي فيها ، **والقِطْميرُ** : الفُوقَةُ التي تكون على النواة .

أي لا يُظلمون مقدار هذا الحقير .

٨٨ ــ **ثم قال جل وعز** : ﴿ **وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلاً** ﴾ [آية ٧٢] .

قال عكرمة : « قال رجلٌ لعبد اللهِ بنِ عباس : كيف يكون في الآخرة أعمى ؟

فقال له : أخطأت التأويلَ ، ألا تَرَى أنه جلَّ وعزَّ عدَّد النِّعم ، ثم قال : ﴿ **وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى** ﴾ أي من عميَ عن هذه النِّعم

(١ــ٢) انظر الآثار في جامع البيان للطبري ١٢٦/١٥ وزاد المسير ٦٥/٥ وتفسير ابن كثير ٩٦/٥ وما قاله الحسن والضحاك أظهر ،وقد رجحه ابن كثير ، والمعنى : اذكر اليوم العصيب يوم القيامة حين ننادي كل إنسان بكتاب عمله ليشهد ما سُطِّر فيه ، ويدلُّ على هذا المعنى قوله تعالى في سورة يسن ﴿ وكلَّ شيءٍ أحصيناه في إمامٍ مبين ﴾ .

التي يراها ، وتدلُّه على قدرةِ اللهِ ، فهو فيما لم يَرَهُ من أمرِ الآخرةِ أعمى »[1] . وكذلك قال قتادة .

وقال غيره : ومن كان في الدنيا أعمى وقد فَسَحَ الله له في العُمُر ، ووعده قَبُولَ التوبة ، ودعاه إلى الطاعة فلم يُجب ، وعَميَ عن ذلك ، فهو في الآخرة ــ إذا كان لا تُقبل منه توبةٌ ولا إنابةٌ ــ أعمى وأضلُّ سبيلاً[2] .

٨٩ ــ **ثم قال جلَّ وعز : ﴿ وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ .. ﴾** [آية ٧٣] .

المعنى : كادوا يفتنونك ، لأنَّ « إنَّ » و « اللام » تدلُّ على التوكيد[3] .

---

(١) الأثر في الطبري ١٢٨/١٥ والدر المنثور ١٩٤/٤ وعزاه إلى ابن أبي حاتم والفريابي .

(٢) هذا القول ذكره ابن الجوزي في زاد المسير عن الحسن البصري ٦٦/٥ والقولُ الأول أظهرُ ، وهو اختيار الطبري وابن كثير ، والمعنى على قول ابن عباس وقتادة : من كان في هذه الدنيا أعمى القلب ، عن حجج الله وآياته ، التي قد عاينها ببصره ، وعن عجائب قدرة الله ووحدانيته في آياته الكونية ، فهو فيما غاب عنه من أمر الآخرة ، أشدُّ عماية وضلالة ، وأسوأ حالاً ومصيراً ، قال ابن عطية : أي من كان في دنياه هذه وقت إدراكه وفهمه ، أعمى عن النظر في آيات الله ، فهو يوم القيامة أشد حيرة وعمى .

(٣) قوله ﴿ وإنْ كَادُوا ﴾ « إن » هذه هي المخفَّفة من « إنَّ » الثقيلة واسمها ضمير الشأن ، أي وإنه الحال والشأن كادوا يفتنونك ، وكاد من أفعال المقاربة ، واللام هي الفارقة ، ومن هنا جاء التأكيد ، وانظر البحر المحيط ٦٥/٦ .

ويُروَى أنهم قالوا للنبي ﷺ : اطردْ عنَّا هؤلاء السُقَّاط والموالي ، حتى نجلس معك ، ونستمع منك ، فهمَّ النبي بذلك ، ميلاً منه إلى أن يؤمنوا ، فعُصِمَ ﷺ ، وأنزل اللهُ تبارك وتعالى ﴿ **وإنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ** .. ﴾ إلى قوله ﴿ **إذاً لأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الحَيَاةِ وضِعْفَ المَمَاتِ** ﴾[1] .

قال مالك بنُ دينار : سألتُ جابرَ بنَ زيد عن قوله ﴿ **إذاً لأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الحَيَاةِ وَضِعْفَ المَمَاتِ** ﴾ فقال : إذاً لأذقناك ضعف عذاب الحياة ، وضعف عذاب الممات[2] .

قال أبو جعفر : وكذلك معناه عند أهل اللغة ، وخوطب بهذا النبيُّ ﷺ لأن الثوابَ به جَزُل كما قال تعالى ﴿ **يَانِسَاءَ النَّبِيِّ مَنْ يَأْتِ منكنَّ بفَاحِشَةٍ مُبيِّنَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا العَذَابُ ضِعْفَيْنِ** ﴾[3] ولمشاهدة

---

(١) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير ٦٨/٥ والسيوطي في الدر المنثور ١٩٤/٤ وعزاه إلى ابن أبي حاتم .

(٢) هذا قول الطبري في تفسيره ١٣١/١٥ وهو مرويٌّ عن ابن عباس ، وعلى هذا القول يكون الكلام على حذف مضاف أي ضعف عذاب الحياة ، وضعف عذاب الممات ، كقول الشاعر :

واستبَّ بعدك ياكُلَيْبُ المجلسُ

أي استب أهل المجلس ، قال المفسرون : الرسول ﷺ معصوم ، ولكنه تخويف لأمته لئلا يركن أحد من المؤمنين إلى أحدٍ من المشركين ، في شيء من أحكام الله وشرائعه .

(٣) سورة الأحزاب آية ٣٠ .

الأنبيـاء الملائكـــةَ ، والآياتِ العظـــام ، كان في ذلك الخطـــاب من الفائدةِ ، أنه عُلِـمَ به أَنَّ هذا حكمُ اللهِ ، فيمـن عصاه من الأنبيـاء ، فكيف غيرهم[1] ؟

٩٠ ــ **ثم قال جلَّ وعز : ﴿ وَإِنْ كَادُوا لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ الأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا .. ﴾** [آية ٧٦] .

قيل : المعنى يستفزُّونك بالقتل[2] .

قال عوف عن الحسن : هَمُّوا بإخراج النبـي ﷺ من مكَّـة ، وأراد اللهُ بقـاء أهـل مكـة ، فأمـره أن يخرج منها مهاجـراً إلى المدينـة ، فخـرج بأمـر اللـهِ ، ولـو أخرجـوه لهلكـــوا كما قال سبحانـــه ﴿ **وَإِذاً لَا يَلْبَثُونَ خِلَافَكَ إِلَّا قَلِيلاً** ﴾[3] .

قال أهل التفسير : ﴿ **خِلَافَكَ** ﴾ أي بعدك .

---

(١) قال القرطبي في جامع الأحكام ٣٠١/١٥ : والآية غايةُ الوعيد ، لأنه كلمـا كانت الدرجـة أعلى كان العذاب عند المخالفة أعظم .

(٢) روي هذا عن الحسن كما في تفسير ابن الجوزي ٧٠/٥ وإليـه ذهب الزجَّـاجُ ، والأصحُّ أن معنـى الاستفزاز : الإزعاجُ بسببٍ من الأسباب ، لحمله على الخروج من الوطـن ، فقـد همُّـوا بإخراجـه ﷺ بشتَّى أنواع الوسائل والمضايقات .

(٣) هذا قول الحسن ، ومجاهد ، وقتـادة كما في زاد المسير ٧٠/٥ وهـو في البحـر ٦٦/٦ عن مجاهـد ، قال : أرادت قريش هذا ، ولكنه لم يقـع منها ، لأنـه تعـالى أراد استبقـاء قريش وألاَّ يستأصلهـا ، فأذن لرسوله في الهجرة ، فخرج بإذنـه لا بقهـر قريش ، ولـو أخرجـوه لعُذِّبـوا .اهـ وقـال الإمـامُ الفخر : ما خرج النبي ﷺ بسبب إخراجهم ، وإنما خرج بأمر الله عز وجل ، فلا تعارض .

وحُكيَ عن العرب : جاء فلانٌ خَلْفَ فلانٍ وخِلَافه أي بعده[1] .

وقد يجيء « خلاف » بمعنى مخالفة .

٩١ ـ وقولُه جل وعز : ﴿ أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ .. ﴾ [آية ٧٨] .

رَوَى سفيانُ عن أبي إسحاق عن الأسود عن عبدالله قال : « دلوكُها » : غروبُها[2] .

ورَوَى سفيانُ عن منصور عن مجاهد [عن ابن عباس ﴿ لدلوكِ الشمس ﴾ لغروبها ،

ورَوَى الشعبيُّ عن ابن عباس][3] « دُلوكُها » : زوالُها[4] .

ورَوَى الزُّهريُّ ، عن سالم ، عن ابنِ عمرَ ﴿ دُلُوكِ الشَّمْسِ ﴾ : بعد نصف النهار ، وهو وقتُ الظهر[5] .

ورَوَى مالكٌ والليثُ ، عن نافعٍ عن ابنِ عمرَ قال : ﴿ دُلُوكِ الشَّمْسِ ﴾ : زوالُها[6] .

---

(١) في المصباح المنير ١/١٩٣ : وقعدتُ خلافه أي بعده ، وفي زاد المسير ٥/٧٠ قال الأخفشُ : « خِلافَكَ » في معنى خلفك ، والمعنى : لايلبثون بعد خروجك إلا قليلاً ، أي لو أخرجوك لاستأصلناهم بعد خروجك بقليل .

(٢) الأثر عن ابن مسعود في الطبري ١٥/١٣٤ والدر المنثور ٤/١٩٥ .

(٣) ما بين الحاصرتين غير موجود في المخطوطة ، وأثبتناه من الهامش .

(٤ ـ ٦) انظر الآثار في جامع البيان للطبري ١٥/١٣٥ والدر المنثور للسيوطي ٤/١٩٥ وزاد المسير لابن الجوزي ٥/٧٢ والبحر المحيط لأبي حيان ٦/٦٨ وتفسير ابن كثير ٥/٩٨ .

وكذلك رُوِيَ عن جعفرَ بنِ محمد ، رحمةُ الله عليه .

قال أبو جعفر : الدُّلوكُ في اللغة : الميلُ ، فهي تميلُ عند الزَّوال ، وعند الغروب ، إلاَّ أنَّ الزَّوالَ في هذا أكثرُ على ألسُنِ النَّاسِ [1] .

ويدلُّ عليه أنَّ بعده ﴿ **إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ** ﴾ فيدخل فيه الظهر ، والعصرُ ، والمغربُ ، والعشاءُ وبعده ﴿**وقرآنَ الفَجْرِ** ﴾ فلا يمتنع أن يكون غَسَقُ اللَّيلِ أوَّلَه ، وذلك عند غروبِ الشمسِ ، قال ذلك أبو هريرة .

وهو يُقوِّي قولَ من قال : الدُّلوكُ : ميلُها للزَّوال .

قال ابن عباس : ﴿ **غَسَقُ اللَّيلِ** ﴾ : اجتماعُ الليلِ وظلمتهُ [2] .

وقال قتادة : أوَّلهُ [3] .

---

(١) قال الفراء : رأيتُ العرب تذهب في الدُّلوكِ إلى غيبوبة الشمس ، وأنشدني بعضُهم :
« ذَبَّبَ حَتَّى دَلَكَتْ بَرَاحِ »
يعني الساقي طرد الناس . قال ابن الجوزي ٧٢/٥ : وهذا اختيار ابن قتيبة ، لأن العرب تقول : دلَكَ النَّجمُ : إذا غاب ، قال ذو الرمَّة :
مَصَابيحُ ليستْ باللَّواتي تقودُها نُجُومٌ ولا بالآفِلاتِ الدَّوالِكِ
وتقول في الشمس : دلكَتْ بَرَاح : يريدون : غربت والناظر قد وضع كفَّه على حاجبه ينظر إليها . وقال الأزهري : أصلُ الدلوك الميلُ ، يُقال : مالت الشمسُ للزوال ، ومالت للغروب ، والقول عندي أن دلوك الشمس : زوالُها نصف النهار ، لتكون الآية جامعة للصلوات الخمس ، وإذا جعلت الدلوكَ : الغروب ، كان الأمر في هذا قاصراً على ثلاث صلوات .

(٢ـ٣) انظر الآثار في الطبري ١٣٨/١٥ والبحر المحيط ٧٠/٦ قال الجوهري : الغَسَقُ : أول ظلمة الليل ، غَسَق الليل يَغْسِقُ : أظلم اهـ الصحاح .

٩٢ ـ ثم قال جلَّ وعز : ﴿ وَقُرْآنَ الفَجْرِ .. ﴾ [آية ٧٨] .

فسمَّى الصَّلاةُ « قرآناً » لأنها لا تكون إلاَّ بالقرآن(١) .

٩٣ ـ ثم قال جل وعز : ﴿ إِنَّ قُرْآنَ الفَجْرِ كَانَ مَشْهُودَاً ﴾ [آية ٧٨] .

رَوَى أبو هريرة عن النبي ﷺ قال : « صلاةُ الفجر تحضرُهُا ملائكة الليلِ ، وملائكةُ النَّهارِ ، واقرءُوا إن شئتم ﴿ وقُرْآنَ الفَجْرِ ، إِنَّ قُرْآنَ الفَجْرِ كَانَ مَشْهُودَاً ﴾(٢) .

٩٤ ـ وقولُه عزَّ وجل : ﴿ وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ .. ﴾ [آية ٧٩] .

قال عَلْقمةُ والأسودُ : التهجُّدُ بعد النَّوم(٣) .

---

(١) هذا من باب اطلاق الجزء وإرادة الكل ، فالقراءة جزءٌ مهم من الصلاة ، ولهذا عبَّر عن الصلاة بها . وفي البخاري ١٠٨/٦ قال مجاهد : صلاة الفجر وفي البحر ٧٠/٦ سميت صلاة الصبح ببعض ما يقع فيها . وفي الكشاف ٣٧٢/٢ : ﴿ وقرآن الفجر ﴾ يعني صلاة الفجر ، سُمِّيت قرآناً ـ وهو القراءة ـ لأنها ركنٌ ، كما سُميت ركوعاً ، وسجوداً ، وقنوتاً ، ويجوز أن يكون حثاً على طول القراءة في صلاة الفجر ، ليسمع الناسُ القرآن فيكثر الثواب ، ولهذا كانت الفجر أطول الصلوات قراءة . اهـ .

(٢) الحديث أخرجه أحمد في المسند ٢/ ٤٧٤ وأخرجه البخاري في التفسير ١٠٨/٦ ولفظُه عن النبي ﷺ أنه قال : « فضلُ صلاة الجميع على صلاة الواحد خمسٌ وعشرون درجةً ، وتجتمع ملائكةُ الليل وملائكةُ النهار في صلاة الصبح ، يقول أبو هريرة : واقرءوا إن شئتم ﴿ وقرآن الفجر ، إنَّ قرآن الفجر كان مشهوداً ﴾ ورواه الترمذي والنسائي وابن ماجه وقال الترمذي : حسن صحيح .

(٣) الأثر في جامع البيان للطبري ١٤٢/١٥ وفي الدر المنثور للسيوطي ١٩٦/٤ وعزاه إلى ابن المنذر ومحمد بن نصر .

قال أبو جعفر : التهجُّدُ عند أهل اللغة : التيقُّظُ والسَّهرُ ، والهُجُودُ : النَّومُ ، يُقال : تهجَّد : إذا سَهِرَ ، وهَجَد : إذا نَامَ[1] .

يُروَى عن مجاهد أنَّ هذا للنبي ﷺ خِصِّيصاً ، وأن معنى ﴿ نَافِلَةً لَكَ ﴾ للنبي خاصٌّ ، لأنه قد غُفِر له ذنوبُه ، فهي نافلة من أجل أنه لا يعملها في كفارة الذنوب ، والنَّاسُ يعملون ما سوى المكتوبات لكفارات الذنوب[2] .

وقال غيرُه : ﴿ نَافِلَةً لَكَ ﴾ أي ليست بفرضٍ ، لأن النَّفلَ كلُّ ما لا يجب فعلُه ، والنَّافلةُ في اللغةِ ، الزيادةُ[3] .

٩٥ ـ ثم قال جلَّ وعز : ﴿ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامَاً مَحْمُودَاً ﴾ [آية ٧٩] .

رَوَى داودُ الأَوْديُّ[4] عن أبيه عن أبي هريرة عن النبي ﷺ في قوله تعالى ﴿ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَاماً مَحْمُوداً ﴾ قال : « هو

---

(١) في جامع البيان ١٥/١٤١ : التهجد : التيقُّظُ والسَّهرُ بعد نومةٍ من الليل ، وأما الهجودُ نفسُه : فالنومُ ، قال الشاعر :

أَلَا طَرقَتْنا وَالرِّفاقُ هُجُودُ ... فَباتتْ بِعِلَّاتِ النَّوالِ تَجُودُ

(٢) الأثر في الطبري ١٥/١٤٣ وزاد المسير ٥/٧٥ والدر المنثور ٤/٩٦ .

(٣) انظر الصحاح للجوهري مادة نفل ، ولسان العرب لابن منظور .

(٤) هو داود بن يزيد الأَوْدي ، قال أحمد : ضعيف الحديث ، وكذلك قال ابن معين ، وانظر ترجمته في التهذيب ٣/٢٠٥ .

المقامُ الذي أشفعُ فيه لأمَّتي »(1) .

وروَى **معاويةُ بن صالح** ، عن علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس قال : « كلُّ عَسَى واجبةٌ »(2) .

قال أبو عبيدة : يعني في القرآن(3) .

٩٦ ــ **وقولُه جلَّ وعز : ﴿ وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ ﴾** [آية ٨٠] .

قال الحسن وقتادة : هو دخول المدينة ، وخروجه من مكة(4) .

وقال الضحاك : هو خروجه من مكة ، ودخولُه مكة يوم الفتح آمناً(5) .

---

(١) الحديث أخرجه البخاري في التفسير ١٠٨/٦ بلفظ « إن الناس يصيرون يوم القيامة جُثاً ــ أي جماعاتٍ جماعات ــ كلُّ أمةٍ تتبع نبيَّها ، يقولون يافلان : اشفعْ ، حتى تنتهي الشفاعة إلى النبي ﷺ ، فذلك يوم يبعثه اللهُ المقام المحمود » ورواه السيوطي في الدر المنثور بمثل رواية المصنف ، وعزاه إلى أحمد والترمذي وحسَّنه . وقد جمع الحافظ ابن كثير في تفسيره ١٠٢/٥ طرقاً عديدة للأحاديث الصحيحة في « المقام المحمود » لنبينا ﷺ فارجع إليها ففيها الشفاء .

(٢) الأثر رواه الطبري ١٤٣/١٥ وابن الجوزي في زاده ٧٦/٥ وأبو حيان في البحر المحيط ٧٢/٦ .

(٣) قال المفسرون : « عَسَى » في كلام الله تفيد التحقيق ، لأنه وعدٌ كريم ووعدُ الله لايُخلف ، وهذا معنى قول ابن عباس : « عَسَى من الله واجبة » أو كلُّ « عسى » واجبة ، وانظر جامع البيان للطبري ١٤٣/١٥ .

(٤ــ٩) انظر هذه الآثار في جامع البيان للطبري ١٤٩/١٥ وزاد المسير ٧٧/٥ وتفسير ابن كثير =

وقال **مجاهد** : هو دخولُه في الرسالة وأمرِ اللّهِ جلَّ وعزَّ[٦] .

٩٧ ــ **ثم قال جلَّ وعــــز : ﴿ وَاجْعَـــــلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانَـــــاً نَصِيراً ﴾** [آية ٨٠] .

قال **الشعبيُّ وعكرمة** : أي حُجَّة ثابتة[٧] .

وقال **مجاهد** : أي حُجَّة[٨] .

وذهب **الحَسَنُ** إلى أنه العِزُّ والنصر ، وإظهارُ دينه على الدين كلِّه[٩] .

٩٨ ــ **وقولُـه جلَّ وعـز : ﴿ وَقُـلْ جَاءَ الحَـقُّ وَزَهَـقَ البَاطِـلُ ، إِنَّ البَاطِـلَ كَانَ زَهُوقَاً ﴾** [آية ٨١] .

رَوَى معمـــــرٌ عن قتـــادة قال : ﴿ **الحقُّ** ﴾ القـــرآنُ ﴿ **والباطلُ** ﴾ : الشيطانُ ، قال ﴿ **وَزَهَقَ** ﴾ : هَلَكَ[١] .

= ١٠٨/٥ والدر المنثور للسيوطي ١٦٨/٤ والبحر المحيط لابي حيان ١٩٩/٦ ورجح الطبري قول الحسن وقتادة ١٥٠/١٥ .

(١) الأثر أخرجه الطبري ١٥٢/١٥ وابن الجوزي ٧٨/٥ والسيوطي في الدر ١٩٩/٤ وعزاه إلى عبدالرزاق ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم عن قتادة ، وأخرج البخاري في التفسير ١٠٨/٦ : يزهقُ : يهلك ، وروى عن ابن مسعود قال : « دخل النبي ﷺ مكة ، وحول البيت ستون وثلاثمائة نُصُب ــ أي صنم ــ فجعل يطعنها في عودٍ بيده ويقول ﴿ جاء الحقُّ وزهق الباطلُ إن الباطل كان زهوقاً ﴾ ﴿جاء الحقُّ وما يُبدِىءُ الباطلُ وما يُعيد ﴾ .

٩٩ ــ وقولُه جلَّ وعزَّ : ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ القُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ .. ﴾ [آية ٨٢] .

ليست « مِنْ » ها هنا للتبعيض ، وإنما هي لبيان الجنس .

والمعنى : ونُنزِّلُ ما هو شفاءٌ ورحمةٌ للمؤمنين ، ثمَّ بيَّن فقال ﴿ مِنَ القُرْآنِ ﴾ كما قال سبحانه ﴿ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الأَوْثَانِ ﴾[1] .

١٠٠ ــ وقولُه جلَّ وعز : ﴿ وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَى بِجَانِبِهِ .. ﴾ [آية ٨٣] .

قال مجاهد : أي تباعَدَ منَّا[2] .

وقرأ يزيدُ بنُ القعقاع ﴿ وَنَاءَ بجانبِهِ ﴾[3] الهمزة مؤخَّرة .

واللغةُ الأولى أعرفُ ، وهذا على قلب الهمزة[4] .

١٠١ ــ ثم قال جلَّ وعزَّ : ﴿ وَإِذَا مَسَّهُ الشَرُّ كَانَ يَؤُوساً ﴾ [آية ٨٣] .

---

(١) سورة الحج آية رقم ٣٠ .

(٢) الأثر عن مجاهد أخرجه الطبري ١٥/١٥٣ والسيوطي في الدر المنثور ٤/١٩٩ .

(٣) هذه من القراءات السبع المتواترة ، كما في النشر ٢/٣٠٨ والسبعة في القراءات لابن مجاهد ص٣٨٤ قرأ بها ابن عامر من رواية ابن ذكوان .

(٤) يريد أن أصل الكلمة « نأى » وكلمة « ناء » مقلوبة الهمزة قُلبت الهمزة إلى ياء مقصورة ، فـ « نَاءَ » مقلوب « نأى » والله أعلم .

رَوَى **سعيد** عن قتادة قال : « يَئِسَ » : قَنِطَ[1] .

١٠٢ ــ **وقولُه جل وعز : ﴿ قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ .. ﴾** [آية ٨٤] .

قـال الحسنُ : على نيَّتِهِ[2] .

وقال مجاهد : أي على حِدَتِهِ ، وعلى طبيعته[3] .

وقال الضحاك : على ناحيته[4] .

وهذا يرجع إلى قول الحسن ومجاهد .

وحقيقةُ المعنى ــ واللهُ أعلمُ ــ : كلٌّ يعملُ على النَّحوِ الذي جرتْ به عادتُه وطبعُه[5] !!

والمعنى : وليس ينبغي أن يكون كذلك ، إنما ينبغـي أن يُتَّبـع الحقُّ حيثُ كان ، وقد ظهرت البراهينُ ، وتبيَّنَ الحقُّ .

قال أبو جعفر : وهذا يرجع إلى قول الحسن .

(١ــ٤) انظر الآثار في الطبري ١٥/١٥٤ وفي البحر المحيط ٦/٧٥ وفي الدر المنثور ٤/١٩٩ والقرطبي ١٠/٣٢٢ وزاد المسير ٥/٨٠ .

(٥) هذا قريبٌ مما قاله الزجَّاج أن المعنى : كلٌّ يعمل على طريقته ، وعلى مذهبه .. الخ .
أقول : إن معنى الآية : كلٌّ واحدٍ يعمل على نهجه وطريقته ، وفي الهُـدَى والضَّلال ، فإن كانت نفسُ الإنسان مشرقـةً صافيةً ، صدرتْ عنـه أفعـالٌ حسنـةٌ كريمة ، وإن كانت نفسُه فاجـرةً كافرة ، صدرتْ عنه أفعالٌ شرِّيرةٌ منكرة « وكلُّ إناءٍ بالذي فيه ينضَحُ » .

١٠٣ ــ **وقولُه جلَّ وعز : ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي .. ﴾** [آية ٨٥] .

رُوي عن عبدالله بن مسعود قال : « كنتُ مع النبيِّ ﷺ فسألته اليهُود عن الرُّوحِ ، فسكَتَ ، فحسِبتُ أنه يُوحى إليه ، فتنحَّيْتُ ، فأُنزل عليه **﴿ ويَسْأَلُونك عن الرُّوْحِ ، قلِ الرُّوْحُ من أَمْرِ رَبِّي ، وَمَا أُوتيتُم مِنَ العِلْمِ إلاَّ قَلِيلاً ﴾** .

يعني : اليهودَ ، فقالوا : نجد مثلَه في التَّوراة (قلِ الرُّوحُ من أَمْرِ ربِّي)[١] !!

قال أبو جعفر : وقد تكلَّم العلماءُ في الرُّوح :

فَرَوى عطاءٌ عن ابن عباس قال : « الرُّوحُ » مَلَكٌ له أحَدَ عَشَرَ ألِف جَنَاحٍ ، وألفُ وجهٍ ، يسبِّحُ اللَّهَ إلى يوم القيامة »[٢] .

---

(١) الحديث أخرجه أحمد في المسند ٢٥٥/١ ورواه البخاري في كتاب التفسير ١٠٩/٦ عن عبدالله ابن مسعود ، ولفظُه : « بينا أنا مع النبي ﷺ في حَرْث ، وهو متَّكِيءٌ على عَسِيب ــ أي عصا من النخيل ــ إذ مرَّ اليهودُ فقال بعضهم لبعضٍ : سلوه عن الرُّوح ، وقال بعضهم : لايستقبلكم بشيءٍ تكرهونه ، فقالوا : سَلُوه ، فسألوه عن الرُّوح ، فأمسك النبي ﷺ فلم يُردَّ عليهم شيئاً ، فعلمتُ أنه يُوحى إليه ، فقمتُ مقامي ، فلمَّا نزل الوحيُ قال ﴿ ويسألونك عن الرُّوح ، قل الرُّوحُ من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً ﴾ ورواه مسلم ٢١٥٢/٤ والترمذي رقم ٣١٤١ وقال الترمذي : هذا حديثٌ حسن صحيح .

(٢) الأثر أخرجه الطبري ١٥٦/١٥ بلفظ « هو مَلَكٌ من الملائكة له سبعون ألف وجه ، لكل وجهٍ =

وقال أبو صالح : « الرُّوْحُ خَلْقٌ كخلْقِ بني آدم ، وليسوا بني آدمَ ، لهم أيدٍ وأرجلٌ »[1] .

وقيل : الرُّوحُ : جبريلُ عليه السلام[2] ، واحتجَّ صاحبُ هذا القول بقوله سبحانه : ﴿ **نَزَلَ بِهِ الرُّوْحُ الأَمِينُ** ﴾[3] .

قال محمدُ بنُ إسحقَ : وزعموا أنه ناداهم ـــ يعني النبيَّ ﷺ ـــ الرُّوحُ جبريلُ ، وكذا رُوي عن ابن عباسٍ والحسن[4] .

قال ابن عباس : وجبريل قائمٌ بين يَدَيْ اللَّهِ جل ثناؤه يوم القِيامة .

وقيل : هو عيسى صلَّى الله عليه وسلَّم ، أي هو من أمر اللَّهِ ، وليس كما يقول النَّصارى .

وقيل : الرُّوحُ : القرآنُ لقوله تعالى ﴿ **وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ**

= منها سبعون ألف لسان ، لكل لسانٍ منها سبعون ألف لغة ، يُسبح الله عز وجل بتلك اللغات كلها » وذكره الحافظ ابن كثير ١١٣/٥ وقال : هذا أثر غريب عجيب .

(١) الأثر ذكره الطبري ١٥٦/١٥ في جامع البيان ، والسيوطي في الدر ٢٠٠/٤ وهذا الأثر والذي قبله ، ليس لهما أسانيد قوية ، والله أعلم .

(٢) هذا قول قتادة كما ذكره عنه الحافظ ابن كثير ١١٣/٥ .

(٣) سورة الشعراء آية رقم ١٩٣ .

(٤) انظر زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي ٨٢/٥ فقد ذكر أنه قول الحسن وقتادة .

رُوحاً مِنْ أَمْرِنا ﴾[1] !! واللَّهُ أعلمُ بما أراد ، غير أنه قد أخبرنا أنه من أمرِ اللهِ جلَّ وعزَّ[2] .

فإن قال قائل : كيف قيل لليهود ﴿ **وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ العِلْمِ إلاَّ قَلِيلاً** ﴾ وقد أُوتوا التَّوراة ؟ .

فالجوابُ : أن قليلاً وكثيراً ، إنما يُعرفان بالإضافة إلى غيرهما ، فإذا أُضيفتْ التوارةُ إلى علم الله جلَّ وعز ، كانت قليلاً من كثير ، أَلَا ترى إلى قوله تعالى ﴿ **قُلْ لَوْ كَانَ البَحْرُ مِدَاداً لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ البَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي ، وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَداً ﴾**[3] !؟ .

١٠٤ ـ وقولُه جلَّ وعز : ﴿ وَلَئِنْ شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إلَيْكَ .. ﴾ [آية ٨٦] .

---

(١) سورة الشورى آية ٥٢ .

(٢) خلاصة آراء المفسرين حول هذه الآية ، ما ذكره الحافظ ابن كثير ١١٢/٥ حيث قال رحمه الله : وقد اختلف المفسرون في المراد بالروح ها هنا على أقوال :
أحدها : أن المراد بالروح أرواح بني آدم ، رواه العوفي عن ابن عباس .
وقيل : المراد بالروح هاهنا : جبريل عليه السلام ، قاله قتادة .
وقيل : المراد به مَلَكٌ عظيم بقدر المخلوقات كلها ، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس .
وقيل : المراد طائفة من الملائكة على صور بني آدم . اهـ بإيجاز أقول : وأظهرها وأشهرها القول الأول وهو الذي عليه الجمهور ، أن المراد بالروح ، الروح التي تسري في الجسد ، وهي من الأسرار الخفية التي لايعلمها إلاَّ ربُّ البرية .

(٣) سورة الكهف آية رقم ١٠٩ ..

أي لو شئنا لأذهبناه من الصُّدور ، والكُتُبِ[1]

﴿ **ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِ عَلَيْنَا وَكِيلاً** ﴾ أي من يتوكَّلُ في ردِّه .

قال الحسنُ : أي يمنعك منا إذا أردناك[2] .

١٠٥ ــ **ثم قال جلَّ وعز : ﴿ إِلَّا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ ، إِنَّ فَضْلَهُ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيراً ﴾** [آية ٨٧] .

وهذا استثناءٌ ليس من الأول[3] ، أي لكن اللَّهُ ثبَّته ، رحمةً منه وتفضُّلاً .

١٠٦ ــ **وقوله جلَّ وعز ﴿ قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنْسُ وَالجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا القُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً ﴾** [آية ٨٨] .

قال الحسن : أي مُعِيناً[4] .

---

(١) هذا قول الزجاج قال : لو شئنا لمحوناه من القلوب ، والكتب ، حتى لا يوجد له أثره ، وانظر زاد المسير ٨٣/٥ .

(٢) الأثر أخرجه ابن جرير بنحوه ، وانظر جامع البيان ١٥٧/١٥ .

(٣) يريد أنه استثناءٌ منقطع بمعنى « لكِنْ » أي لكن اللَّهُ ثبَّتك ورحِمَك ، فلم يُذهبْه من قلبك ، قال في البحر ٧٦/٦ : « وهذا امتنانٌ من الله تعالى ببقاء القرآن محفوظاً في صدرك ، بعد المنَّة في تنزيله .

(٤) الأثر أخرجه الطبري ١٥٩/١٥ . قال في البحر ٧٧/٦ : « لما ذكر تعالى إنعامه على نبيِّه ﷺ بالنبوة ، الذي عجز العالم على الإتيان بمثله ، وأنه من أكبر النعم عليه ، وإذا كان فصحاء =

١٠٧ ــ **وقوله جلَّ وعز : ﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا القُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ .. ﴾** [آية ٨٩] .

أي وجَّهنا القول بكل مَثَل ، وهو من قوله : صَرَفتُ إليك كذا : أي عدلتُ به إليك .

١٠٨ ــ **ثم أخبر اللهُ أنَّهم لماَّ عجزوا** أن يأتوا بمثله ، وانقطعت حجتهُم ، اقترحوا الآيات ، فقال جلَّ وعزَّ : **﴿ وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الأَرْضِ يَنْبُوعاً .. ﴾** [آية ٩٠] .

وقد أراهم اللهُ من الآياتِ(١) ما هو أكثرُ من هذا ، من انشقاق القمر ، وغير ذلك .

وقال مجاهد : يَنْبُوعٌ : عُيونٌ(٢) .

قال أبو جعفر : وهو عند أهل اللغةِ : من نَبَعَ ، يَنْبَعُ ، ويَنْبُعُ .

= اللسان وبلغاؤهم ، عجزوا عن الإتيان بسورةٍ واحدةٍ مثله ، فلأن يكونوا أعجز عن أن يأتوا بمثل جميعه ــ ولو تعاون الثقلان عليه ــ من باب أولى » .

(١) معجزاته ﷺ لا حصر لها ، فقد نبع الماء من بين أصابعه ، وسبَّح في يده الحصى ، وسلَّم عليه الحجر ، وانشقَّ له القمر ، واستجيب دعوتهُ بنزول المطر ، إلى آخر ماله من معجزات جمة صلوات الله وسلامه عليه .

(٢) الأثر أخرجه ابن جرير ١٥/١٦٠ والقرطبي ١٠/٣٣٠ عن مجاهد ، قال ابن الجوزي ٥/٨٧ : « الينبوعُ : عينٌ ينبع منها الماءُ ، قال أبو عُبَيْدة : هو يَفْعُولُ من نَبَع الماءُ أي ظَهَر وفار .

ومنه سُمِّي مالُ علي بن أبي طالب رضي الله عنه : يَنْبُع[1] .

١٠٩ ــ **وقولُه جلَّ وعزَّ** : ﴿ **أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفاً** .. ﴾ [آية ٩٢] .

رَوَى **مَعْمرٌ** عن قتادةَ قال : ﴿ **كِسَفاً** ﴾ : قِطَعاً[2] .

وحكى **الفرَّاءُ** أنه سمع أعرابياً يقول : أعطني كِسْفةً من هذا الثوب ، أي قطْعةً[3] .

ويُقرأ : ﴿ **كِسْفاً** ﴾[4] والمعنى على هذه القراءة للسَّماءِ كلِّها ، أي طَبَقاً .

واشتقاقُه من كسَفْتُ الشيءَ : أي غطَّيتُه .

١١٠ ــ **ثم قال جلَّ وعز** ﴿ **أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلاً** ﴾ [آية ٩٢] .

روى مَعْمرٌ وسعيد عن قتادة قال : ﴿ **قَبِيلاً** ﴾ أي عِياناً[5] .

---

(١) قال الحموي في معجم البلدان ٤٤٩/٥ : « يَنْبُع » بالفتح ثم السكون هي من المدينة على سبع مراحل ، وهي لأبناء الحسن بن عليٍّ ، فيها عيونٌ غزيرة عذاب ، وهي قريةٌ غنَّاء ، سميت ينبع لكثرة ينابيعها . اهـ .

(٢) الأثر أخرجه ابن جرير ١٦١/١٥ والسيوطي في الدر المنثور ٢٠٣/٤ عن ابن عباس .

(٣) انظر معاني القرآن للفراء ١٣١/٢ .

(٤) هذه من القراءات السبع ، وانظر النشر في القراءات العشر ٣٠٩/٢ لابن الجزري ، والسبعة لابن مجاهد ص٣٨٥ .

(٥) الأثر في الطبري ١٦٢/١٥ والقرطبي ٣٣١/١٠ والبحر المحيط ٨٠/٦ .

قال أبو جعفر : ذهب إلى أنه من المقابَلةِ .

وقال غيرُه : ﴿ **قَبِيلاً** ﴾ : أي كفيلاً ، يُقال : قَبَلتُ به أي كَفَلتُ به ، وتقبَّل فلانٌ بكذا : أي تكفَّل به[1] .

١١١ ــ **ثم قال جلَّ وعــــز** : ﴿ **أَوْ يَكُـــــونَ لَكَ بَيْتٌ مِنْ زُخْرُفٍ** .. ﴾ [آية ٩٣] .

رَوَى مجاهـد قال : كنَّـا لا ندري ما الزُّخْـرفُ ؟ فرأينــاه في قراءة ابن مسعود « أو يكون لك بيتٌ من ذَهَبٍ »[2] .

وقال أبو جعفر : الزُّخرفُ في اللغـة : الزِّينـةُ ، والـذَّهبُ من الزِّينة[3] .

١١٢ ــ **وقوله جلَّ وعز** : ﴿ **أَوْ تَرْقَى فِي السَّمَاءِ ، وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّى تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَاباً نَقْرَؤُهُ** ﴾ [آية ٩٣] .

أي كتاباً بنبوَّتك .

---

(١) قال في البحر ٨٠/٦ ﴿ قبيلاً ﴾ أي معاينةً كقوله سبحانه ﴿ لولا أُنـزل علينـا الملائكـةُ أو نرى ربَّنا ﴾ وقال غيره : قبيلاً : كفيلا ، من تقبَّله بكذا : إذا كَفِلـه ، والقبيـلُ ، والزعيـمُ ، والكفيـلُ بمعنى واحد وفي المصباح : القبيلُ : الكفيل وزناً ومعنى . والجمع قبلاء .

(٢) الأثر عن مجاهد في الطبري ١٦٣/١٥ وفي الـدر ٢٠٣/٤ وهـذه القـراءة شاذة وهـي محمولـة على التفسير .

(٣) انظر لسان العرب ، والصحاح مادة زخرف ، فقد قال الجوهري : الزخرفُ : الذهب ثم يُشبَّه به كل مموَّهٍ مزوَّر .

فأعلمَ اللَّهُ أنه لو فُعِلَ بهم ذلك ما آمنوا ، فقال تعالى ﴿ **وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَاباً فِي قِرْطَاسٍ ، فَلَمَسُوه بِأَيْدِيهِمْ ، لَقَالَ الَّذِينَ كَفُروا إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ** ﴾[1] .

١١٣ ــ **وقوله جل وعز ﴿ وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الهُدَى ، إِلَّا أَنْ قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَراً رَسُولاً ﴾** [آية ٩٤] .

فأعلمَ اللهُ أن الأَعْدل الأبلغ ، أن يُبعثَ إلى كلِّ خلقٍ من كان من جنسه[2] فقال ﴿ **قُلْ لَوْ كَانَ فِي الأَرْضِ مَلَائِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيهِمْ مِنَ السَّمَاءِ مَلَكاً رَسُولاً** ﴾ فقالوا من يشهد لك بهذا ؟ فقال جلَّ وعزَّ ﴿ **قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيداً بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ** ﴾[3]!!

١١٤ ــ **وقوله جلَّ وعز : ﴿ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ القِيَامَةِ عَلَى وُجُوهِهِمْ عُمْياً ، وَبُكْماً ، وصُمّاً .. ﴾** [آية ٩٧] .

---

(١) سورة الأنعام آية رقم ٧ .

(٢) المراد من الآية أن السبب في امتناع المشركين من الإيمان ، بعد وضوح الحجج والبراهين ، هو استبعادهم أن يبعث الله رسولاً من البشر إلى الخلق ، فلماذا يكون بشراً ولا يكون مَلَكاً ؟ وقد ردَّ تعالى عليهم هذه الشبهة الواهية بقوله ﴿ قل لو كان في الأرض ملائكة يمشون مطمئنين لنزَّلنا عليهم من السماء مَلَكاً رسولاً ﴾ أي لو كان أهل الأرض ملائكة ، لبعثنا لهم نبياً من الملائكة ، وهذا تسفيةٌ وتجهيل لمنطق المشركين .

(٣) سورة الرعد آية ٤٣ وتمامها ﴿ قل كفى بالله شهيداً بيني وبينكم ومَنْ عنده علمُ الكتاب ﴾ .

وفي الحديث عن النبي ﷺ « إن الذي أمشاهم على أرجلهم ، قادر على أن يُمشيهم على وجوههم »(١) .

قال ابن عباس : ﴿ **عُمْيَاً** ﴾ لا يرون شيئاً يَسُرُّهم ﴿ **وَبُكْمَاً** ﴾ لاينطقون بحجة ﴿ **وَصُمَّاً** ﴾ لايسمعون ما يُسرُّون به(٢)

١١٥ ــ **ثم قال جلّ وعز** : ﴿ **مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرَاً** ﴾ [آية ٩٧] .

قال مجاهد : ﴿ **كُلَّمَا خَبَتْ** ﴾ : أي كلَّما طُفِئتْ أُوقِدَتْ(٣) .

وقال الضحَّاك : كلَّما سكنَتْ(٤) .

قال أبو جعفر : يُقالُ : خَبَتِ النَّارُ : إذا سكَنَ لَهَبُها ، فإن سكن لهبُها وعاد الجمرُ رَماداً قيل : كَبَتْ ، فإن طُفِيءَ بعضُ الجَمْرِ ، وسكَنَ اللَّهبُ قيل : خَمَدتْ ، فإن طُفِئتْ كلُّها قيل :

---

(١) الحديث أخرجه البخاري في تفسير سورة الفرقان ١٣٧/٦ ومسلم في صفة القيامة ١٣٥/٨ وأحمد في المسند ١٦٧/٣ عن أنس بن مالك ، ولفظه : « قيل يارسول الله : كيف يحشر الناس على وجوههم ؟ قال : إن الذي أمشاهم على أرجلهم ، قادر على أن يمشيهم على أرجلهم » وزاد في البخاري قال قتادة : بلى وعزَّة ربنا .

(٢) الأثر أخرجه ابن جرير ١٦٧/١٥ والقرطبي ٣٣٣/١٠ والدر المنثور ٢٠٤/٤ وعزاه إلى ابن أبي حاتم ، وابن جرير .

(٣) و(٤) انظر الآثار في الطبري ١٦٨/١٥ والدر المنثور ٢٠٤/٤ والقرطبي ٣٣٤/١٠ .

هَمَدتْ ، تَهْمُدُ ، هُمُوداً[1] .

ومعنى ﴿ زِدْنَاهُمْ سَعِيراً ﴾ : زدناهم ناراً تَسَعَّرُ أي تلتهبُ .

١١٦ ــ وقوله جلَّ وعزَّ : ﴿ قُلْ لَوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذَا لَأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الإِنْفَاقِ .. ﴾ [آية ١٠٠] .

رَوَى حجَّاج عن ابنِ جُريجٍ قال : ﴿ الإنفاق ﴾ الفقرُ عن ابن عباس[2] .

ورَوَى مَعْمَرٌ عن قتادةَ قال : الإنفاقُ : الفقرُ[3] .

وحكَى أهل اللغة : أنفقَ ، وأَصْرَمَ ، وأَعدَمَ ، وأَقْتَرَ : إذا قَلَّ مالُه .

١١٧ ــ ثم قال جلَّ وعز : ﴿ وَكَانَ الإِنْسَانُ قَتُوراً ﴾ [آية ١٠٠] .

---

(١) انظر لسان العرب لابن منظور ، والصحاح للجوهري مادة خبت قال الطبري ١٥/١٦٨ : ويعني بقوله تعالى ﴿ كلما خَبَتْ ﴾ لانتْ وسكنَتْ ، ومنه قول القُطامي : « فيخبو ساعةً ويهبُّ ساعا » .

(٢ــ٣) انظر الآثار في الطبري ١٥/١٧٠ وابن كثير ٥/١٢٢ والدر المنشور ٤/٢٠٤ قال أبو حيان في البحر ٦/٨٤ : « نبَّه تعالى بهذه الآية على سماحته عليه السلام ، وبذله ما آتاه اللهُ ، وعلى امتناع هؤلاء أن يصل منهم شيء من الخير إليه ، فقال : لو ملكوا التصرف في خزائن رحمة الله التي وسعت كل شيء ، كانوا أبخل من كل أحدٍ ، بما أوتوه من ذلك ، بحيث لايصل منهم لأحدٍ شيء من النفع ، إذ طبيعتهم الإقتار ، وهو الإمساك عن التوسع في النفقة » .

رَوَى **حجَّاجُ** عن ابنِ جُريج قال ﴿ **قَتُوراً** ﴾ : بخيلاً عن ابن عباس[(١)] .

١١٨ ــ **وقوله جلَّ وعز : ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ .. ﴾** [آية ١٠١] .

رَوَى شُعبة عن عمروِ بن مُرَّة ، عن عبدالله بن سَلَمةَ ، عن صفوان بنِ عَسَّال أن يهودياً قال لصاحبه : تعالَ حتى نسألَ هذا النبي ﷺ !! فقال له الآخرُ : لا تقل له النبي ، فإنه إن سمعها صارتْ له أربعةُ أعين ، قال : فأتاه فسأله عن هذه الآية ﴿ **وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ** ﴾ فقال : « لا تشركوا باللَّهِ شيئاً ، ولا تقتلوا النفسَ التي حرَّم اللهُ إلا بالحقِّ ، ولا تسرقوا ، ولاتزنوا ، ولا تأكلوا الرِّبا ، ولا تمشوا ببريءٍ إلى سلطان ليقتله ، ولا تَسْحَروا ، ولا تِفرُّوا من الزَّحف ، وعليكم خاصة اليهود ألاَّ تَعْدوا في السبت ، قال : فقبلَّوا يده ، وقالوا : نشهد أنك رسول الله ، قال : فما يمنعكم أن تتَّبعوني ؟ قالوا : إن داود ﷺ دعا ألَّا يزال في ذرِّيته نبيٌّ ، وإنَّا نخشى إذا اتَّبعناك أن تقتلنا اليهود »[(٢)] .

---

(١) الأثر أخرجه ابن جرير في جامع البيان ١٧٠/١٥ وابن كثير ١٢٢/٥ والسيوطي في الدر المنثور ٢٠٤/٤ .

(٢) الحديث أخرجه أحمد في المسند ٢٣٩/٤ والترمذي في التفسير رقم ٣١٤٧ وقال : حسن صحيح ، والنسائي في باب السحر ١١١/٧ وابن ماجه في كتاب الأدب رقم ٣٧٠٥ ورواه ابن جرير في جامع البيان ١٧٣/١٥ والسيوطي في الدر المنثور ٢٠٤/٤ قال الحافظ ابن كثير =

وقال الحسنُ والشعبيُّ ، ومجاهدٌ ، والضحاك في قوله تعالى ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ ﴾ هي : « الطُّوفانُ ، والجرادُ ، والقُمَّلُ ، والضَّفادعُ ، والدَّمُ ، والسِّنُونَ ، ونَقْص من الثَّمرات ، واليدُ ، والعصا »[1] .

هذا معنى قولهم .

١١٩ ـ ثم قال جلَّ وعز : ﴿ فَاسْأَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِذْ جَاءَهُمْ .. ﴾ [آية ١٠١] .

رُوي عن ابن عباس أنه قرأ ﴿ فَسَأَلَ بني إسرائيلَ ﴾[2]

= ١٢٣/٥ : الآيات التسع التي ذكرها الأئمة وهي : اليد ، والعصا ، والسنون ، والطوفان ، والجراد .. الخ هي المرادة هاهنا وهي المعنيَّة بهذه الآية ، وأما الحديث الذي رواه الإمام أحمد عن عبدالله بن سلمة عن صفوان بن عسال ، فهو حديث مشكل ، و « عبدالله بن سلمة » في حفظه شيء وقد تكلموا فيه ، ولعله اشتبه عليه التسع آيات بالعشر الكلمات ، فإنها وصايا في التوراة لاتعلُّق لها بقيام الحجة على فرعون ، فإن هذه الوصايا ليس فيها حجج على فرعون وقومه ، وأيُّ مناسبة بين هذا وبين إقامة البراهين على فرعون ، وما جاء هذا الوهم إلا من قبل ابن سلمة والله أعلم .

(١) الأثر أخرجه ابن جرير الطبري ١٧١/١٥ وابن كثير ١٢٢/٥ قال الحافظ ابن كثير : وهذا القولُ ظاهرٌ جليٌّ ، حسنٌ قويٌّ ، وهو قولُ ابن عباس ، ومجاهد ، وعكرمة ، والشعبي ، وقتادة .

(٢) هذه القراءة ليست من القراءات السبع ، وهي من القراءات الشاذة ، وقد ذكرها الطبري ، والقرطبي ، وأبو حيان في البحر ، قال الطبري ١٧٣/١٥ : والقراءةُ التي لاأستجيز القراءة بغيرها ، هي القراءة التي عليها قُرَّاءُ الأمصار ﴿ فاسأَلْ بني إسرائيل ﴾ لإجماع الحجة من القُرَّاء على تصويبها . اهـ .

والمعنى على هذه القراءة : فسأل بني إسرائيل ، والمعنى : فلم يَرُدَّ فرعونُ ما جاءَ بِهِ موسى ﷺ من الآيات والبراهين ، بأكثَرَ من أنَّه أخبر أنه ظانٌّ أن موسى عليه السلام ساحرٌ فقال : ﴿ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يامُوسَى مَسْحُوراً ﴾ .

١٢٠ ــ وقوله جلَّ وعز : ﴿ قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنْزَلَ هَؤُلَاءِ إِلاَّ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ بَصَائِرَ .. ﴾ [آية ١٠٢] .

ورُوي عن علي بن أبي طالب ــ رحمةُ الله عليه ــ أنه قرأ ﴿ لَقَدْ عَلِمْتُ ﴾(١) بضم التاء ، وقال : واللّهِ ما علمَ فرعون ، وإنما هو موسى الذي عَلِم .

قال أبو جعفر : والقُرَّاءُ كلُّهم على فتح التَّاء ، إلاَّ الكِسائيُ فإنه ضمَّها ، ولو صحَّ الحديث عن عليٍّ رحمهُ اللّهُ ، لم يُحْتَجْ في ذلك إلى نظرٍ ، وكانت القراءةُ به أوْلَى ، ولكنْ إنما رواه أبو إسحق ، عن رجلٍ من مُراد ، عن عليٍّ رحمةُ الله عليه .

وعِلْمُ فرعونَ بذلكَ أوْكدُ في الحُجةِ عليه ، وقد احتج في ذلك عبدالله بنُ عباسٍ بحجةٍ قاطعة فقال : إنما هو ﴿ لَقَدْ

---

(١) قال ابن مجاهد في السبعة ص ٣٨٥ : قرأ الكسائي وحده ﴿ لقد علمتُ ﴾ بضم التاء ، وقرأ الباقون ﴿ لقد علمتَ ﴾ بفتح التاء . اهـ فالقراءتان سبعيتان وانظر النشر في القراءات العشر لابن الجزري ٢/٣٠٩ .

عَلِـمْتَ ﴾ كما قال تعـالى ﴿ **وَجَحَـدُوا بِهَـا وَاسْتَيْقَنَتْهَـا أَنْفُسُهُمْ** ﴾[1] .

حدثنـا إبـراهيم بن شريك قال : نا أحمد بن عبدالله بن يونس ، قال : نا زهير قال : حدثنا أبو إسحق قال سمعتُ أبا عُبيدة يسأل سعد بن عياض عن قوله تعالى ﴿ **لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنْـزَلَ هَؤُلَاءِ** ﴾ قال سعد : هو كقول الرجل لصاحبه وهو يحاوره : لقد علِمْتَ .

قال زهيرٌ قال أبو إسحاق ، وحدَّثني رجل من مراد أنه سمع علياً يقول : واللّهِ ما علمَ عدوُّ اللهِ ، ولكنَّ موسى الذي عَلِم ، قال ﴿ **لَقَـدْ عَلِـمْتُ** ﴾ أنـا ، ثم قال ﴿ **وَإِنِّـي لَأَظُنُّكَ يَا فِرْعَوْنُ مَثْبُوراً** ﴾[2] .

---

(١) سورة النمل آية رقم ١٤ وتتمتها ﴿ ظُلماً وعُلُوّاً فانظر كيف كان عاقبة المفسدين ﴾ .

(٢) حكاه القرطبي فقال ١٠/٣٣٧ : « وقراءةُ العامة ﴿ لقد علمتَ ﴾ بفتح التاء خطاباً لفرعون ، وقرأ الكسائي بضم التاء ، وهي قراءة عليٍّ رضي الله عنه ، وقال : واللهِ ما علم عدُو اللهِ ، ولكنَّ موسى هو الذي علِمَ ، فبلغتْ ابنَ عباس فقال : إنها ﴿ لقد علمتَ ﴾ واحتجَّ بقوله تعالى ﴿ وجحدوا بها واستيَقنَتْها أنفسهُم ظُلماً وعُلُوّاً ﴾ ونسبَ فرعون إلى العناد .

وقال أبو عُبيد : والمأخوذ به عندنا فتح التاء ﴿ لقد علمتَ ﴾ وهو الأصح للمعنى الذي احتج به ابن عباس ، ولأن موسى لايحتج بقوله : لقد علمتُ أنا وهو الرسولُ الداعي ، ولو كان مع هذا كلِّه تصحُّ به القراءة عن علي لكانت حجة ، ولكنْ لاتثبت عنه .. » اهـ .

رَوَى المنهال عن سعيد بن جُبير عن ابن عباس قال : ملعوناً[1] .

ورَوَى ابن جُريج عن مجاهد قال : هالكاً[2] .

ورَوَى معمر عن قتادة قال : مُهْلَكاً[3] .

وروى علي بن الحكم عن الضحاك قال : ملعوناً[4] .

ورَوَى عنه جويبر قال : هالكاً .

قال أبو جعفر : وهذه الأقوال ترجع إلى شيءٍ واحد ، لأنه حكى أهلُ اللغةِ : ما ثَبَركَ عن هذا؟ أي ما منعك منه ، وصَرَفَكَ عنه ، فالمعنى : ممنوعٌ من الخير[5] .

١٢١ ــ ثم قال جل وعز : ﴿ فَأَرَادَ أَنْ يَسْتَفِزَّهُمْ مِنَ الأَرْضِ .. ﴾ [آية ١٠٣] .

أي يُزِيلهُمْ عنها ، إمَّا بقتلٍ ، أو بتَنْحيةٍ[6] .

(١ ــ ٤) انظر الآثار في تفسر الطبري ١٥/١٧٥ والقرطبي ١٠/٣٣٧ والبحر المحيط ٦/٨٦ والدر المنثور ٤٠/٢٠٥ .

(٥) قال في الصحاح ٢/٦٠٤ : ثَبره عن كذا يَثْبُره بالضمِّ ثَبْراً : أي حَبَسَه ، يُقال : ما ثَبَرك عن حاجتك ؟ والثُّبورُ : الهلاكُ والخُسرانُ . اهـ وانظر معاني الفراء أيضاً ٢/١٣٢ .

(٦) قال القرطبي ١٠/٣٣٨ ومعنى الآية : « أراد فرعون أن يُخرج موسى وبني إسرائيل ، من أرض مصر ، إما بالقتل ، أو بالإبعاد ، فأهلكه الله عز وجل وأغرقه » .

١٢٢ ــ **وقوله جل وعز** : ﴿ **وَقُلْنَا مِنْ بَعْدِهِ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ اسْكُنُوا الأَرْضَ ، فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفاً** ﴾ [آية ١٠٤] .

قال مجاهد وقتادة : أي جميعاً[(١)] .

وروى **سفيان** عن منصور عن أبي رَزِينٍ قال : من كلِّ قومٍ[(٢)] .

قال أبو جعفر : وهذا أولى عند أهل اللغة ، لأنه يُقال : لففتُ الشيءَ : إذا خلطتَه[(٣)] .

وقال الأصمعي : اللفيف جمعٌ ليس له واحد ، وهو مثلُ الجميع[(٤)] .

١٢٣ ــ **وقوله جلَّ وعز** : ﴿ **وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ مُبَشِّراً وَنَذِيراً** ﴾ [آية ١٠٥] .

أي تبشِّر المطيعين بالجنَّةِ ، وتُنذِرُ العاصينَ بالنَّار .

---

(١) انظر الآثار في جامع البيان للطبري ١٥/١٧٧ والقرطبي ١٠/٣٣٨ والدر المنثور ٤/٢٠٥ .

(٢) قال الجوهري ٤/١٤٢٧ : اللفيفُ : ما اجتمع من الناس من قبائل شتَّى ، يُقال : جاءوا بلفِّهم ولفيفهم أي وأخلاطهم ، وقوله تعالى ﴿ جئنا بكم لفيفاً ﴾ أي مجتمعين ، وطعام لفيف إذا كان مخلوطاً من جنسين فصاعداً . اهـ .

(٣) انظر جامع الأحكام للقرطبي ١٠/٣٣٨ وجامع البيان للطبري ١٥/١٧٧ .

(٤) كذلك قال الطبري في جامع البيان ١٥/١٧٨ : مبشراً بالجنة من أطاعنا ، ومنذراً لمن عصانا وخالف أمرنا ونهينا .

١٢٤ ــ **وقوله جل وعز : ﴿ وَقُرْآناً فَرَقْنَاهُ .. ﴾** [آية ١٠٦] .

قال أبو عمروٍ[(١)] رحمه الله : ﴿ **فَرَقْنَاهُ** ﴾ : بيَّناه .

١٢٥ ــ **ثم قال تعالى : ﴿ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ .. ﴾** [آية ١٠٦] .

قال مجاهد : أي على تُؤَدَةٍ[(٢)] .

١٢٦ ــ **وقوله جل وعز : ﴿ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ سُجَّداً .. ﴾** [آية ١٠٧] .

قال الحسنُ : أي للجباه[(٣)] .

وقال قتادة : أي للوجوه[(٤)] .

والذَّقنُ عند أهل اللغة : مجتمع اللَّحْيَيْنِ[(٥)] ، وهو أقربُ

---

(١) « أبو عمروٍ » هو أبو عمروِ بن العلاء المازني ، النحوي المتوفي سنة ١٥٤هـ ، من كبار علماء اللغة والقراءات ، وهو أحد الأئمة القراء السبعة ، قرأ القرآن العظيم على حُميد بن قيس الأعرج ، ومجاهد ، وابن جُبير ، قال ابن معين : ثقة ، وانظر ترجمته في التهذيب ١٧٨/١٢ .

(٢) الأثر أخرجه ابن جرير ١٧٩/١٥ والسيوطي في الدر المنثور ٢٠٥/٤ وعزاه إلى ابن المنذر ، وابن أبي حاتم . قال الطبري : وفي المُكْثِ للعرب لغاتٌ : مُكْثٌ ، ومِكْثٌ والقراءةُ بضم الميم .

(٣ــ٤) انظر الآثار في الطبري ١٨٠/١٥ والقرطبي ٣٤١/١٠ والبحر المحيط ٨٨/٦ .

(٥) في الصحاح ٢١١٩/٥ : ذَقَنُ الإنسانِ : مجمعُ لحْيَيْه ، وفي المثل « مثقَلٌ استعانَ بِذَقَنِه » يضرب لرجل ذليلٍ يستعين بآخر مثلِه ، وأصلُه البعيرُ يُحْملُ عليه الحملُ الثقيل ، فلا يقدر على النهوض ، فيعتمد بذقنه على الأرض . اهـ .

الأشياء إلى الأرض من الوجوه ، إذا ابتُدِىء السُّجودُ .

١٢٧ ــ **ثم قال جل وعــز : ﴿ قُلِ ادْعُــوْا اللَّـــهَ أَوِ ادْعُـــوْا الرَّحْمَنَ .. ﴾** [آية ١١٠] .

فيروى أنهم قالوا : ندعو اثنين ؟ فأعلَمَ اللهُ جلَّ جلالُه أنَّه لا يُدعى غيرُه بأسمائه فقال ﴿ **أَيّــاً مَا تَدْعُــو فَلَــهُ الأَسْمَــاءُ الحُسْنَى** ﴾(١) .

١٢٨ ــ **ثم قال جلَّ وعز ﴿ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلاً ﴾** [آية ١١٠] .

فيها وجهان :

أحدهما : رواه الأعمش عن جعفر بن إياس ، عن سعيد بن جُبير عن ابن عباس ، قال : كان رسولُ الله ﷺ يُعلِــنُ إذا قرأ ، فيسبُّ المشركون القرآن ومَنْ أنزله ، ومن جاء به ، فصار يُخفِــي

---

(١) قال ابن جرير ١٨٢/١٥ : « سمع المشركون النبي ﷺ يدعو ربه : ياربنا اللَّهُ ، وياربنا الرحمنُ ، فظنوا أنه يدعو إلهين ، فأنزل الله على نبيه عليه الصلاة والسلام هذه الآية ، احتجاجاً لنبيِّه عليهم » وقال أبو حيان في البحر ٨٩/٦ : « قال ابن عباس : تهجَّد الرسول ﷺ ذات ليلةٍ بمكة ، فجعل يقول في سجوده : يارحمنُ ، يارحيمُ ، فقال المشركون : كان محمد يدعو إلهاً واحداً ، وهو الآن يدعو إلهين إثنين : الله ، والرحمن ، وما الرحمن إلا رحمن اليمامة يعنون مسيلمة الكذاب ، فنزلت الآية .

القراءة فأنزل الله جل وعز ﴿ **وَلَا تَجْهَرْ بِصَلاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا** ﴾[1] .

والقول الآخر : رواه هشام بن عُروةَ عن أبيه قال قالت لي عائشةُ : يا ابن أختي أتدري فيم أنزل ﴿ **وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا** ﴾ ؟ قال قلتُ : لا ، قالت : أُنزل في الدعاء[2] .

قال أبو جعفر : والإسنادان حسنان ، والدعاءُ يسمى صلاةً ، ولا يكاد يقع ذلك للقراءة ، قال الأعشى :

تَقُولُ بِنْتِي وَقَدْ قَرَّبْتُ مُرْتَحِلاً
يَارَبِّ جَنِّبْ أبِي الأَوْصَابَا والوَجَعَا
عَلَيْكِ مِثْلُ الَّذِي صَلَّيْتِ فَاغْتَمِضِي
نَوْماً فَإِنَّ لِجَنْبِ المَرْءِ مُضْطَجَعَاً[3]

---

(١) الحديث أخرجه البخاري في التفسر ١٠٩/٦ ومسلم في الصلاة ٣٤/٢ ولفظه قال : « كان النبي إذا صلى بأصحابه رفع صوته بالقرآن ، فإذا سمعه المشركون ، سبُّوا القرآن ومن أنزله ومن جاء به ، فقال الله لنبيه ﷺ : ﴿ وَلَاتَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ ﴾ أي بقراءتك فيسمعَ المشركون فيسبُّوا القرآن ﴿ وَلَاتُخَافِتْ بِهَا ﴾ عن أصحابك فلا تسمعْهم ﴿ وابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلاً ﴾ ورواه أحمد في المسند ٢٣/١ والسيوطي في الدر ٢٠٦/٤ .

(٢) الأثر أخرجه الطبري ١٨٣/١٥ وابن كثير ١٢٨/٥ والقرطبي ٣٤٤/١٠ وقال : أخرجه مسلم عن عائشة .

(٣) البيتان في ديوان الأعشى ص ١٠٥ وقد تقدم ذكرهما في الكتاب ٨٤/١ .

ويقال : إنه إنما قيل صلاة ، لأنها لا تكون إلاَّ بدعاء ، والدعاءُ صلاةٌ فسميت باسمه .

١٢٩ ــ **وقولُه جل وعز : ﴿ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي المُلْكِ ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذُّلِّ .. ﴾** [آية ١١١] .

أي لم يحتج إلى من ينتصر له .

١٣٠ ــ **ثم قال عز وجل : ﴿ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيراً ﴾** [آية ١١١] .

أي عظِّمه تعظيماً .

* * *

« إنتهت سورة الإسراء ولله الحمد والمنة »

تفسير سورة الكهف

مكية وآياتها ١١٠ آيـــة

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة الكهف وهي مكية[1]

١ — **من ذلك قوله جلَّ وعزَّ : ﴿ الحَمْدُ لِلَّهِ الَّذي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجاً . قَيِّماً .. ﴾** [آية ١] .

في هذا قولان :

أحدهما : أنها على التقديم والتأخير .

والمعنى : الحمدُ للَّهِ الذي أنزل على عبده الكتاب قيِّماً ، ولم يجعلْ له عِوَجاً[2] .

يُروى هذا المعنى عن ابن عباس ، ومجاهد .

---

(١) هذا قول الجمهور أنها مكية جميعُها ، رُوي ذلك عن ابن عباس ، كما حكاه الشوكاني في فتح القدير ٣/٢٦٨ وقال القرطبي ١٠/٣٤٦ : وهي مكية في قول جميع المفسرين ، ورُوي عن فرقة أن أول السورة نزل بالمدينة إلى قوله تعالى ﴿ وإنَّا لجاعلون ما عليها صَعيداً جُرُزاً ﴾ قال : والأول أصح . أهـ .

(٢) هذا ما ذهب إليه الفراء في كتابه معاني القرآن ٢/١٣٣ أن الآية فيها تقديم وتأخير ، وذكره الطبري ورجحه ١٥/١٩٠ فقال : أنزل الكتاب عدلاً قيِّماً ، ولم يجعل له عوجاً ، فالقيِّم مؤخرٌ ومعناه التقديم وروي ذلك عن ابن عباس . اهـ ولم يرتض هذا القول الفخر الرازي في التفسير الكبير ١١/٧٦ حيث قال : ﴿ ولم يجعل له عوجاً ﴾ يدل على كونه كاملاً في ذاته ، وقوله ﴿ قيِّماً ﴾ يدل على كونه مكمِّلاً لغيره ،وكونه كاملاً في ذاته متقدم بالطبع على كونه مكملاً لغيره ، فثبت بالبرهان أن الترتيب الصحيح ماذكره القرآن ، وفساد ما قالوه من التقديم والتأخير .

قال أبو جعفر : حدثنا بكر بنُ سهل قال : نا عبدالله بنُ صالح ، قال : نا معاويةُ بنُ صالح ، قال : حدثني عليٌّ بن أبي طلحةَ عن ابنِ عبّاس ﴿ **وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجاً . قَيِّماً** .﴾ يقول : أنزل الكتاب عَدْلاً قيِّماً ، ولم يجعل له عوجاً ملتبساً[1] .

والقولُ الآخرُ : رواه سعيد عن قتادة قال : في بعض القراءات « الحمدُ لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عِوَجاً ، ولكنْ جعله قيِّماً »[2] .

٢ ــ **وفي قوله تعالى** ﴿ **وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجاً** ﴾ قولان :

أحدهما : أنه لم يجعله مختلفاً كما قال سبحانه ﴿ **وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافاً كَثِيراً** ﴾[3] .

والقول الآخر : أنه لم يجعله مخلوقاً ، كما رُوي عن ابن عباس أنه قال في قوله تعالى ﴿ **قُرْآناً عَرَبِيّاً غَيْرَ ذِي عِوَجٍ** ﴾[4] قال : غير مخلوق[5] .

---

(١) انظر جامع البيان للطبري ١٩٠/١٥ والبحر المحيط لأبي حيان ٩٦/٦ .

(٢) ذكره القرطبي في جامع الأحكام ٣٥١/١٠ ولفظُه : وقال قتادة : الكلام على سياقه من غير تقديم ولا تأخير ، ومعناه : ولم يجعل له عِوَجاً ولكنْ جعَلَه قيماً . اهـ أقول : هذا تفسير وليس بقراءة ، قال في البحر ٩٦/٦ : ويُحمل ذلك على أنه تفسير للمعنى لا أنها قراءة .

(٣) سورة النساء آية رقم ٨٢ .

(٤) سورة الزمر آية رقم ٢٨ .

(٥) هذا القول ذكره القرطبي ٣٥٢/١٠ في جامع الأحكام قال : وقيل : أي لم يجعله مخلوقاً ، كما =

٣ ــ وفي قوله جل وعز : ﴿ قَيِّماً ﴾ : قولان :

أحدهما : رواه جويبر عن الضحاك قال : مستقيماً[(١)] .

والقول الآخر : أنه قيِّماً على الكتب أي يُصدِّقها[(٢)] .

٤ ــ **ثم قال جلَّ وعز : ﴿ لِيُنْذِرَ بَأْسَاً شَدِيداً مِنْ لَدُنْهُ .. ﴾** [آية ٢] .

المعنى : لينذركم بأساً شديداً ، كما قال تعالى ﴿ **إِنَّما ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ** ﴾[(٣)] .

٥ ــ **ثم قال جلَّ وعز ﴿ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلاَّ كَذِباً ﴾** [آية ٥] .

المعنى : كبرت تلك الكلمةُ كلمةً عند الله[(٤)] ، وهي قولُهم ﴿ **اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَداً** ﴾ أي : كبرت من كلمة .

= رُوي عن ابن عباس في قوله تعالى ﴿ قرآناً عربياً غير ذي عِوجَ ﴾ قال : غير مخلوق . اهـ والقول الأول هو الأظهر والأشهر .

(١) الأثر أخرجه الطبري عن الضحاك ١٩٠/١٥ والسيوطي في الدر ٢١١/٤ وعزاه إلى ابن المنذر .

(٢) حكى هذا القول الفراء في معانيه ١٣٣/٢ ورجح الطبري القول الأول ، المرويَّ عن الضحاك وابن عباس فقال ﴿ قيِّماً ﴾ أي مستقيماً لا اختلاف فيه ولا تفاوت ، بل بعضُه يُصدِّق بعضاً . اهـ .

(٣) سورة آل عمران آية ١٧٥ والشاهد في الآية ﴿ يخوِّف أولياءَه ﴾ أي يخوِّفكم أولياءه وهم الكفار لترهبوهم .

(٤) في المخطوطة طمسٌ ، وقد أثبتناه من تفسير القرطبي ، وجامع البيان للطبري ١٩٣/١٥ .

وقيل : فيه معنى التعجب ، كما يُقال لقاضٍ قضى بالحقِّ : ما أقضاه !!

فيكون المعنى : ما أكبرها من كلمة[1] !!

وقرأ الحسن ومجاهد ويحيى بن يَعْمُر ﴿ كَبُرَتْ كَلِمَةٌ تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ ﴾[2] بالرفع .

ومعناه : عَظُمت ، يُقال : كَبُرَ الشيءُ : إذا عَظُمَ ، وكَبِرَ : إذا أسَنَّ .

٦ ـ **وقوله جل وعز : ﴿ فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ .. ﴾** [آية ٦] .

رَوَى سعيدٌ عن قتادةَ قال : قاتلٌ نَفْسَك[3] ، ثم قال : **﴿ عَلَى آثَارِهِمْ ﴾** أي بعدهم[4] .

---

(١) هذا قول أبي عُبيدة ، كما حكاه عنه في البحر ٦/٩٧ قال : هو نصبٌ على التعجب أي أكْبِر بها كلمة أي من كلمة . وقال ابن جرير ١٥/١٩٣ : وكان بعض نحويٍّ أهل البصرة يقول : نصبت « كلمةً » لأنها في معنى أكبِرْ بها كلمة » . اهـ .

(٢) هذه من القراءات الشاذة كما في المحتسب لابن جني ٢/٢٤ .

(٣) الأثر أخرجه ابن جرير ١٥/١٩٤ وابن كثير ٥/١٣٤ ولفظه : قاتلٌ نفسك غضباً وحزناً عليهم.

(٤) قال في البحر ٦/٩٧ وقوله تعالى ﴿ على آثارهم ﴾ استعارة فصيحة من حيث لهم إدبارٌ وتباعد عن الإيمان ، وإعراض عن الشرع ، فكأنهم من فرط إدبارهم قد بعدوا وهو يحزن عليهم .

٧ ــ **ثم قال جلَّ وعزَّ : ﴿ إنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الحَدِيثِ أَسَفاً ﴾** [آية ٦] .

قال قتادة : أي غضباً[١] .

قال مجاهد : أي جَزعاً[٢] .

وهذا أشبهُ ، أي حُزْناً عليهم[٣] .

٨ ــ **وقولُه جلَّ وعزَّ : ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الأَرْضِ زِينَةً لَهَا .. ﴾** [آية ٧] .

قال قطرب[٤] : أي ما على الأرض ممَّا تُزَيَّنُ به .

٩ ــ **ثم قال جل وعز ﴿ لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً ﴾** [آية ٧] .

أي لنختبرهم[٥] .

(١ــ٢) انظر هذه الآثار في الطبري ١٥/١٩٥ والبحر المحيط ٦/٩٨ وابن كثير ٥/١٣٤ .

(٣) معنى الآية : فلعلك يا محمد قاتلٌ نفسَك ومهلكُها غمَّاً وحزناً على تكذيبهم ، وتولِّيهم وإعراضهم عن الإيمان !!

(٤) وجد على هامش المخطوطة العبارة الآتية « الشيخ قُطرب يُقال له ابن المستنير » أقول : هو محمد ابن المستنير بن أحمد البصري أبو علي المتوفي سنة ٢٠٦ هـ وهو أحد أئمة النحو واللغة ، أخذ عن سيبويه وجماعة من علماء البصريين ، وسمَّاه سيبويه قطرباً لأنه كان يُبكِّر في المجيء إليه فقال له : ما أنت إلَّا قطرب ليل .. وانظر ترجمته في شذرات الذهب ٢/١٥ وتاريخ بغداد ٣/٢٩٨ ووفيات الأعيان لابن خلكان ١/٦٢٥ .

(٥) قال الطبري ١٥/١٩٥ : أي لنختبر عبادنا ، أيُّهم أتبعُ لأمرنا ونهينا ، وأعملُ فيها بطاعتنا .

١٠ ـ وقولُه جلَّ وعزَّ : ﴿ وإنَّا لَجاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيداً جُرُزاً ﴾ [آية ٨] .

روى سعيد عن قتادة قال : أي لاشجر فيها ، ولا نبات ، ولا بناء[١]

وقال مجاهد : أي بَلْقَعاً[٢] .

قال أبو جعفر : والصعيدُ في اللُّغةِ : وجهُ الأرض ، ومنه قيل للتراب : صعيدٌ .

والجُرُزُ في اللغةِ : الأرضُ التي لا نبات فيها .

قال الكسائي : يُقال : جَرُزَتِ الأرضُ تَجْرُزُ ، وجَرزَها القومُ يَجْرِزُونَها ، إذا أكلوا كلَّ ما فيها من النَّباتِ والزَّرع ، فهي مَجْروزةٌ ، وجُرُزٌ[٣] .

١١ ـ وقولُه جلَّ وعز : ﴿ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آياتِنا عَجَباً ﴾ [آية ٩] .

(١ ـ ٢) انظر الآثار في جامع البيان ١٩٦/١٥ وابن كثير ١٣٤/٥ والبحر المحيط ٩٩/٦ والمراد أن الله سيجعل ما على الأرض من الزينة والنعيم حُطاماً ورُكاماً ، حتى تصبح كالأرض الجرداء التي لانبات فيها ولا حياة ، بعد أن كانت خضراء بهيجة .

(٣) في الصحاح ٦٦/٣ : أرضٌ جُرُز : لا نبات بها ، كأنه انقطع عنها المطر ، تقول : أجرز القوم كما تقول : أيبسوا ، وأرضٌ مَجْروزةٌ : أُكل نباتُها ، والجُرُز : السَّنةُ المجدبة . اهـ .

قال الضحاك : ﴿ **الكهف** ﴾ الغارُ في الوادي ، و﴿ **الرَّقيمُ** ﴾ الوادي .

وقال يزيدُ بنُ درهم[1] : سُئل أنسُ بن مالكٍ عن الكهفِ ، والرَّقيم فقال : ﴿ **الكهفُ** ﴾ الجَبَلُ ﴿ **والرَّقيمُ** ﴾ الكلبُ[2] .

ورَوَى سفيانُ بنُ سعيدٍ ، عن سِمَاكٍ ، عن عِكْرمةَ ، عن ابن عباس ، أنه سأل كعباً ما الرَّقيمُ ؟ فقال : هو اسمُ القرية التي خرجوا منها[3] .

وقال عكرمة : ﴿ **الرَّقيمُ** ﴾ الدَّواةُ[4] .

وقال مجاهد : ﴿ **الرَّقيمُ** ﴾ الكتابُ[5] .

وقال السُدِّيُّ : الصَّخرةُ[6] .

وقال الفراء : الرَّقِيمُ لوحٌ من رصاصٍ ، كُتبت فيه أسماؤهم ، وأنسابُهم ، ودينهُم ، وممن هربوا[7] .

---

(١) « يزيد بن درهم » أبو العلاء العجمي بصريٌّ ، روى عن أنس بن مالك والحسن ، وثقه بعضهم وقال يحيى بن معين : ليس بشيء . وانظر ترجمته في الجرح والتعديل ٢٦٠/٩ والمغني في الضعفاء ٧٤٨/٢ .

(٢-٦) هذه الآثار كلها ذكرها المفسرون : الطبري في جامع البيان ١٩٨/١٥ وابن كثير ١٣٥/٥ وأبو حيان في البحر ١٠١/٦ والقرطبي ٣٥٧/١٠ والسيوطي في الدر ٢١٢/٤ .

(٧) انظر معاني القرآن للفراء ١٣٤/٢ .

وقال أبو عُبيدةَ : الرَّقيمُ : [الوادي][1] الذي فيه الكهف .

ورَوَى إسرائيلُ ، عن سِمَاك ، عن عِكرمة ، عن ابن عباس قال : « كلُّ القرآن أعلمُ إلاَّ أربعاً : غِسْلِيناً ، وحَنَانَاً ، والأَوَّاهُ ، والرَّقيمُ »[2] .

ورَوَى سفيانُ بنُ حسين ، عن يَعْلي بنِ مُسْلمٍ ، عن سعيدِ بنِ جُبَير ، عن ابن عباس أنه ذكر أصحاب الكهف فقال : « إنَّ الفتية فُقِدوا ، فطلبهم أهلُوهم فلم يجدوهم ، فرُفِعَ ذلك إلى المِلِك ، فقال : ليكونَنَّ لهم نبأٌ ، وأحضَرَ لوحاً من رَصَاصٍ ، فكتب فيه أسماءَهم ، وجعله في خزائنه ، فذلك اللوحُ هو الرَّقيم »[3] .

ورَوَى وكيعٌ عن أبي مَكِينٍ ، عن سعيد بن جُبير قال : الرَّقيمُ : « لوحٌ [فيه أسماءُ فتيةٍ رُقِمت أسماؤهم في الصخرة فذلك الكتاب][4] .

وفي بعض الروايات : أنه كُتِب أسماؤهم وخبرهم في لوحٍ ، وجُعل على باب الكهف .

---

(١) سقط من المخطوطة لفظة « الوادي » وأثبتناها من مجاز أبي عُبيدة ٣٩٤/١ وهي ضرورية .

(٢) الأثر أخرجه ابن جرير ١٩٩/١٥ عن ابن عباس ، ولفظه « كلُّ القرآن أعلمهُ ، إلاَّ حناناً ، والأوَّاهُ ، والرَّقيم » ورُوي عنه أيضاً قوله : « ما أدري ما الرقيم ، أكتابٌ أم بُنيان » ؟ ورواه القرطبي في جامع الأحكام ٣٥٧/١٠ والسيوطي في الدر المنثور ٢١٢/٤ .

(٣) ذكره السيوطي في الدر ٢١٢/٤ ، والقرطبي في جامع الأحكام ٣٥٧/١٠ .

(٤) وجد سقطٌ في المخطوطة ، وهو ما بين الحاصرتين ، وأثبتناه من الدر المنثور ٢١٢/٤ .

قال أبو جعفر : والروايات التـي رُويتْ عن ابـن عبـاس ليست بمتناقضة .

لأن القول الأول إنما سمعه من كعب .

والقولُ الثاني يجوز أن يكون عَرَف الرقيم بعده .

وأحسنُ ما قيل فيه أنه الكتابُ(١) ، وذلك معروفٌ في اللغـة ، يُقال : رقمتُ الشيءَ أي كتبتهُ ،

قال اللَّهُ عزَّ وجلَّ ﴿ كِتَابٌ مَرْقُومٌ ﴾(٢) .

و ﴿ رقيمٌ ﴾ بمعنى مرقوم ، كما يُقال : قتيلٌ بمعنى مقتول(٣) .

ورَوَى ابنُ جُريج عن مجاهد في قوله تعالى ﴿ **كَانُـوا مِنْ آيَاتِنَـا عَجَباً** ﴾ **قال : هم عجبٌ** .

قال أبو جعفر : يذهب مجاهدٌ إلى أنه ليس بإنكـارٍ على النبـيِّ ﷺ أن يكون عنده أنهم عجبٌ .

---

(١) هذا ما رجحه الطبري في جامع البيان ١٥/١٩٩ وذكـره الإمـام البخـاري في صحيحـه ٦/١٠٩ حيث قال : الكهفُ : الفتحُ في الجبل ، والرَّقيمُ : الكتابُ ، مرقومٌ مكتوبٌ من الرَّقم .

(٢) سورة المطفِّفين آية ٩ وقـد ورد في المخطوطـة ﴿ في كتـاب مرقـوم ﴾ وصوابـه ما أثبتنـاه كما هو في النص الكريم .

(٣) قال ابن جرير ١٥/١٩٩ : وأولى الأقوال بالصواب أن يكون معنياً بالرَّقيم : لوحٌ ، أو حَجَرٌ ، أو شيءٌ كُتِبتَ فيـه كتابـةٌ ، والرَّقيـمُ : فعيـلٌ ، أصلُـه مرقـومٌ ، ثم صُرِف إلى فعيـــل ، كما قيـــل للمجروح جريحٌ ، وللمقتول قتيلٌ .

وقد رَوَى ابن أبي نجيح عن مجاهد قال : يقول : ليس هم بأعجب آياتنا[1] !!

١٢ ــ **وقوله جلَّ وعز : ﴿ إِذْ أَوَى الفِتْيَةُ إِلَى الكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّءْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدَاً ﴾** [آية ١٠] .

أي أرشدنا إلى أحبِّ الأشياء إليك .

١٣ ــ **وقوله جلَّ وعز : ﴿ فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ[2] فِي الكَهْفِ سِنِينَ عَدَدَاً ﴾** [آية ١١] .

أي منعناهم من أن يسمعوا ،

والمعنى : أنمناهم ، لأنهم إذا سمعوا انتبهوا ، ثم قال **﴿ سِنِينَ عَدَدَاً ﴾** .

(١) الأثر أخرجه الطبري ١٩٧/١٥ وابن كثير ١٣٤/٥ ولفظه : قد كان من آياتنا ما هو أعجبُ من ذلك .
أقول : الآية واردة على تعظيم الخبر والقصة والمعنى : لاتظننَّ أن قصة أهل الكهف ــ على غرابتها ــ هي أعجب آيات الله ، ففي هذا الكون من العجائب والغرائب ، ما يفوق قصة أصحاب الكهف !!

(٢) قال القرطبي ٣٦٣/١٠ : هذه عبارة عن إلقاء الله تعالى النوم عليهم ، وهذه من فصيحات القرآن التي أقَّرت العرب بالقصور عن الإتيان بمثله قال الزجاج : أي منعناهم أن يسمعوا ، لأن النائم إذا سمع انتبه . اهـ
أقول : اللفظة استعارة بديعة للنوم الثقيل ، فقد شبهت الإنامة الطويلة التي ناموها بضرب الحجب على الآذان كما تُضربُ الخيمةُ على السكان ، وعبَّر بالضرب ليدل على قوة المباشرة .

وفي الفائدة في قوله ﴿ عَدَداً ﴾ قولان :

أحدهما : أنه [توكيدٌ وإفرادٌ من الواحدة .

والآخر : أنه توكيدُ معنى الكثرة](1) لأن القليل لايحتاج إلى عدد ، لأنه قد عُرف(2) .

١٤ ــ وقولُه جلَّ وعزَّ : ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ .. ﴾ [آية ١٢] .

أي من نومهم(3) ، يُقال لمن أُحيِيَ ، أو أُقِيم من نومه : مبعوثٌ ، لأنه كان ممنوعاً من الانبعاث والتصرُّف .

١٥ ــ ثم قال جلَّ وعز : ﴿ لِنَعْلَمَ أيُّ الحِزْبَيْنِ أَحْصَى لِمَا لَبِثُوا أَمَداً ﴾ [آية ١٢] .

---

(1) ما بين الحاصرتين سقط من المخطوطة وأثبتناه من الهامش .

(2) قال القرطبي ١٠/٣٦٣ : ﴿ عدداً ﴾ نعتٌ للسنين أي معدودة ، والقصدُ به العبارة عن التكثير ، لأن القليل لايحتاج إلى عدد ، لأنه قد عُرِفَ .

(3) لا يُراد بالبعث الإحياءُ بعد الموت ، كما يُبعث الخلقُ يوم النشور ، وإنما يُراد به البعث من النوم أي أيقظناهم بعد ذلك النوم الطويل ، لنرى أيَّ الفريقين ، أدقُّ إحصاءً للمدة التي ناموها في الكهف .

قال مجاهد : أي عدداً[1] .

قال أبو جعفر : والأمدُ في اللغة : الغايةُ .

١٦ ــ **وقولُه جلَّ وعزَّ** : ﴿ **وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ** .. ﴾ [آية ١٤] .

قال قتادة : أي بالإيمان[2] .

والمعنى عند أهل اللغة : صبَّرْناهم ، وثبَّتْنَاهم .

١٧ ــ **ثم قال جل وعز** : ﴿ **إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ ، لَنْ نَدْعُوَ مِنْ دُونِهِ إِلَهاً** ﴾ [آية ١٤] .

فأنكروا أن يُعْبدَ مع اللَّهِ غيرُه .

١٨ ــ **ثم قال تعالى** ﴿ **لَقَدْ قُلْنَا إِذاً شَطَطاً** ﴾ [آية ١٤] .

قال قتادة : أي كذباً[3] .

قال أبو جعفر : والشَّطَطُ في اللُّغةِ : التجاوزُ في الجَوْر[4] .

١٩ ــ **ثم قال جلَّ وعز** : ﴿ **هَؤُلَاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً ، لَوْلَا**

(١ ــ ٣) انظر الآثار في الطبري ٢٠٧/١٥ والبحر المحيط ١٠٦/٦ وابن كثير ١٣٦/٥ والدر المنثور ٢١٥/٤ والقرطبي ٣٦٤/١٠ قال أبو حيان في البحر ١٠٥/٦ : ﴿ وربطنا على قلوبهم ﴾ أي ثبَّتناها وقوّيناها على الصبر على هجرة الوطن ، والنعيم ، والفرار بالدّين ، إلى غارٍ في مكانٍ قفر ، لا أنيس به ولا ماء ، ولا طعام .

(٤) الشَّطَطُ : الجورُ والغلوُّ وتعدِّي الحد ، قال الفراء : اشتطَّ في الأمر : جاوز الحدَّ ، وشطَّ المنزِلُ : بَعُدَ ، وقال أبو عمروٍ : الشَّطَطُ : مجاوزةُ القدر في كل شيء . وانظر الصحاح ١١٣٨/٣ .

يَأْتُونَ عَلَيْهِمْ بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ ﴾ [آية ١٥] .

رَوَى ابـن عُيَيْنـةَ عن عمـروِ بنِ دينـارٍ ، عن عكرمـةَ عن ابـنِ عباس : « كلُّ سُلطانٍ في القرآن فهو حجة »[١] .

٢٠ ــ وقولـه جل وعـز : ﴿ وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ .. ﴾ [آية ١٦] .

والمعنـى : اعتـزلتم ما يعبـدون ، إلاَّ اللَّـهَ فإنكـم لم تتركـوا عبادته[٢] .

وروى سعيدٌ عن قتادة قال : في قراءة ابـن مسعـود ﴿ وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾[٣] .

---

(١) الأثر أخرجه البخاري في التفسير عن ابن عباس ٦/١٠٤ بهذا اللفظ « كل سلطانٍ في القرآن فهو حجة » وأخرجه ابن جرير بنحوه عن مجاهد قال والمعنى : ائتونا بحجةٍ على ما تقولون . قال الحافظ ابن كثير ٥/١٣٨ ومعنى الآية : هلَّا أقاموا على صحة ما ذهبوا إليه ، دليلاً واضحاً صحيحاً !؟

(٢) على هذا القول تكون « إلاَّ » بمعنى غير ، وهذا مرويٌّ عن قتادة والمعنى : وإذ اعتزلتم أيها الفتية قومكم ، وما يعبدون من الأوثان غير الله تعالى ، وإلى هذا اذهب الأكثرون ، قال ابن كثير رحمه الله ٥/١٣٨ والمعنى : « وإذْ فارقتموهم وخالفتموهم بأديانكم ، في عبادتهم غير الله ، ففارقوهم أيضاً بأبدانكم » اهـ .

(٣) هذه قراءة شاذة ، ذكرها القرطبي في جامع الأحكام ١٠/٣٦٧ وأبو حيان في البحر المحيط ٦/١٠٦ وذكرها ابن جرير ١٥/٢٠٩ على أنها تفسير ، قال في البحر ٦/١٠٦ : وما في مصحف ابن مسعود إنما أريد به تفسير المعنى ، وليس ذلك قرآناً لمخالفتها لسواد المصحف ، ولأن المستفيض عن عبدالله بل هو متواتر ، ما يثبت في السواد وهو ﴿ وما يعبدون إلاَّ الله ﴾ .

٢١ ــ **ثم قال جل وعز ﴿ فَأْوُوا إِلَى الكَهْفِ .. ﴾** [آية ١٦] .

أي صيِّروه مأواكم(١) .

ثم قال جل وعز ﴿ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيُهَيِّءْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مِرْفَقاً ﴾ [آية ١٦] .

[قُرِىء بفتح الميم وكسرها ، وهو ما يُرتفق به ، وكذلك مِرْفَقُ الإِنسانِ ومَرْفِقهُ ، ومنهم من يجعل المَرْفِق بفتح الميم وكسر الفاء من الأمر ، والمُرْفق من الإنسان ،

وقد قيل : المَرْفِق بفتح الميم : الموضع كالمسجد ، وهما لغتان](٢) .

....

....

٢٢ ــ **وقوله جلَّ وعز ﴿ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَداً إِلاَّ أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ .. ﴾** [آية ٢٣] .

[رُوي أن النبي ﷺ سُئل عن] فتيةٍ مَضَوْا في الزَّمنَ الأول ،

---

(١) قال في البحر ١٠٦/٦ : أي اجعلوه مأوى لكم تقيمون فيه وتأوون إليه .

(٢) ما بين الحاصرتين سقط من المخطوطة ، وما أثبتناه من تفسير القرطبي ٣٦٧/١٠ لأنه كثيراً ما ينقل عن الإمام النحاس ، كما يوجد سقطٌ لبعض الآيات ، لانعلم هل ترك المصنف رحمه الله تفسيرها ، أو سقطت من المخطوطة ، وهي في حدود سبع آيات .

وعن رجلٍ طوّاف ، وعن الروح ، فقال رسول الله ﷺ : غداً أخبركم عن ذلك ، ولم يَسْتَثْنِ ، فمكث عنه جبريل بضع عشرة ليلة ، ثم جاءه بسورة الكهف ، ونزل في قوله : أخبركم به غداً ﴿ **وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَداً إِلاَّ أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ** ﴾[1] .

٢٣ ــ **ثم قال جل وعز : ﴿ وَقُلْ عَسَى أَنْ يَهْدِيَنِ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَداً ﴾** [آية ٢٤] .

أي عسى أن يعطيني من الآيات والدلائل ، ما هو أرشدُ وأبْيَنُ من خبر أصحاب الكهف .

٢٤ ــ **ثم قال جل وعز : ﴿ وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسَعاً ﴾** [آية ٢٥] .

في معناه ثلاثة أقوال :

---

(١) الأثر أخرجه الطبري ٢٢٨/١٥ وأخرجه ابن كثير من رواية ابن إسحاق عن ابن عباس ١٣٣/٥ قال : بعثت قريش إلى أحبار اليهود ، يسألونهم عن محمد هل هو نبيٌّ ؟ فقالوا لهم : سلوه عن ثلاثة نأمركم بهن ، فإن أخبركم عن اثنتين ، وأمسك عن الثالثة فهو نبيٌّ ، فاتَّبعوه ، وإن لم يخبركم فهو رجل متقوِّل ــ أي مفترٍ على الله ــ سلوه عن فتيةٍ ذهبوا في الدهر الأول ، ما كان من أمرهم ، فإنهم قد كان لهم حديث عجيب ؟ وسلوه عن رجل طوّاف بلغ مشارق الأرض ومغاربها ، وسلوه عن الروح ما هو ؟ فسألوه عما أمروهم به فقال ﷺ : أخبركم غداً بما سألتم عنه ولم يستثن ــ أي لم يقل إن شاء الله ــ فانصرفوا عنه ، ومكث رسول الله ﷺ خمس عشرة ليلةً لا يُحدث اللهُ له في ذلك وحياً ، ولا يأتيه جبريل عليه السلام ، حتى أرجف أهل مكة ، ثم جاءه جبريل عليه السلام بسورة أصحاب الكهف وفيها معاتبتُه ﴿ ولا تقولن لشيء إني فاعل ذلك غداً إلا أن يشاء الله ﴾ وانظر زاد المسير أيضاً .

أ ــ **قال مجاهد** : هذا عددُ ما لبثوا[1].

ب ــ **وقال قتادةُ** : في قراءة ابنِ مسعود « وَقَالُوا لَبِثُوا في كَهْفِهِمْ »[2] .

جـ ــ **والقولُ الثالث** : أن اللَّهَ خبَّر بما لبثوا ، إلى أن بُعثِوا من الكهف ، ولا نعلم كم مُذْ بُعثوا إلى هذا الوقتِ ، فقال سبحانه ﴿ **قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا** ﴾ أي من أي وقت مبعثهم إلى هذا الوقت .

قال أبو جعفر : وأحسنُ هذه الأقوال الأوَّل ، وإنما يقع الإشكالُ فيه لقوله جلَّ وعزَّ ﴿ **قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا** ﴾ ففرَّ قومٌ إلى أن قالوا : هو معطوفٌ على قوله تعالى ﴿ سَيَقُولُونَ .. ﴾[3] .

قال أبو جعفر : وإنما اخترنا القولَ الأوَّلَ ، لأنه أبلغُ ، وأن

(١ــ٢) قال الحافظ ابن كثير ١٤٧/٥ : رواية قتادة قراءة ابن مسعود منقطعةٌ ، ثم هي شاذة فلا يُحتج بها ، والأثر عن مجاهد أخرجه ابن الجوزي في زاد المسير ٩١/٥ .

(٣) خلاصة القول في هذه الآية : أن المفسرين اختلفوا فيها على قولين :

الأول : أن هذا حكاية عمَّا قال الناسُ في حقهم ، وليس بمقدار لبثهم ، رُوي هذا عن ابن عباس ، واستدل عليه فقال : لو كانوا لبثوا ذلك ، لما قال الله تعالى ﴿ اللهُ أعلم بما لبثوا ﴾ وكذلك قال قتادة : هذا قول أهل الكتاب .

الثاني : أنه مقدار ما لبثوا ، والمعنى : لبثوا هذا القدر ، من يوم أن دخلوا الكهف ، إلى أن بعثهم الله وأطلع الخلق عليهم ، فهو خبرٌ من الله تعالى عن مدة لبثهم ، وهذا هو الصحيح ، وهو قولُ جمعٍ من المحققين ، وانظر المحرر الوجيز ٢٨٣/٩ وتفسير القرطبي ٣٨٧/١٠ .

ابن فُضَيل رَوَى عن الأَجْلح[1] عن الضحاك قال : لمَّا أُنزلتْ ﴿ **ولَبِثُوا في كَهْفِهِمْ ثلاثَ مِائةٍ** ﴾ قالوا : أسنين ؟ أم شهوراً ؟ أم أياماً ؟ فأنزل اللهُ جلَّ وعز ﴿ **سِنِينَ** ﴾[2] .

قال أبو جعفر : فأمَّا ما أشكَلَ من قوله تعالى ﴿ **قُلِ اللَّهُ أعلمُ بِمَا لَبِثُوا** ﴾ فنحنُ نبيِّنهُ .

يجوز أن يكونلِمَا اختلفوا في مقدار ما لبثوا ، ثم أخبر اللَّهُ جلَّ وعز به فقال : ﴿ **قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا** ﴾ **أي هو أعلمُ به من المختلفين فيه** .

وقولٌ آخرُ أحسنُ من هذا : أن يكون « أعلمُ » بمعنى عالمٌ ، وذلك كثيرٌ موجودٌ في كلام العرب ، قال اللهُ جلَّ وعزَّ ﴿ **وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ** ﴾[3] أجودُ الأقوال فيه أن معناه : هو هيِّن عليه ، وهو اختيار أبي العباس[4] ، ومنه « اللهُ أكبرُ » بمعنى كبير ، ومنه قول الفرزدق :

---

(١) الأجلحُ : هو أجلحُ بنُ عبدالله بن حُجَيَّة ، يُقال : اسمه يحيى ، والأجلحُ لقبٌ ، قال في التقريب ٤٩/١ : صَدوقٌ ، شيعيٌّ ، من السابعة ، مات سنة ١٤٥هـ وانظر تهذيب التهذيب ١٨٩/١ .

(٢) الأثر أخرجه ابن جرير عن الضحاك بن مزاحم ٢٣١/١٥ وابن عطية في المحرر الوجيز ٢٨٤/٩ .

(٣) سورة الروم آية رقم ٢٧ .

(٤) يريد به الإمام المبرِّد .

إنَّ الَّـذِي سَمَكَ السَّمَـاءَ بَنَـى لَنَـــا
بَيْتَــاً دَعَائِمُـــهُ أَعَـــزُّ وأَطْـــوَلُ(١)

وقول الآخر :

أَصْبَـحْتُ أَمْنَـحُكِ الصُّدُودَ وَإِنَّنِــي
ــ قَسَمَاً إليكِ ــ مع الصُّدُودِ لأَمْيَلُ(٢)

وقولُ الآخر :

لَعَمْـــرُكَ ما أدْرِي وإِنِّـــي لَأَوْجَـــلُ
عَلَـى أَيِّنَـــا تَعْــدُو المَنِيَّـــةُ أوَّلُ(٣)

٢٥ ــ وقوله جَلَّ وعز : ﴿ أَبْصِرْ بِهِ وأَسْمِعْ .. ﴾ [آية ٢٦] .

المعنــى : ما أبصَرَهُ وأسمَعَـه(٤) ، أي هوعالـمٌ بقصَّةِ أصحـاب الكهف وغيرهم .

---

(١) البيت في ديوان الفرزدق ١٥٥/٢ والشاهد فيه أن « أطول » بمعنى طويل ، وليس أفعل تفضيل .

(٢) البيت للأحوص الأنصاري من قصيـدة يمدح بها عمـر بن عبدالعزيـز ، وقـد استشهـد به سيبويه ١٩٠/١ وهـو في المقتضب للمبرِّد ٢٣٣/٣ وفي خزانـة الأدب ٤٨/٢ بلفـظ « إني لأمنـــحك الصُّدود ..» الخ وأول القصيدة :

يابـــيتَ عَاتِكَـــةَ التَـــي أتغـــزَّلُ — حَذَرَ العِـــدَا وبـــهِ الفُـــؤَادُ مُوَكَّـــلُ
إني لأمنــــــحك الصُّدود وإننـــــــي — .... البيت

(٣) البيت لمعْنِ بنِ أَوْسٍ المُزَني وهو في ديوانه ص٣٦ وهـو في خزانـة الأدب ٥٠٥/٣ والمنصف لابـن جني ٣٥/٣ .

(٤) قال الأخفش ٦١٨/٢ أي ما أبصره وأسمعه كما تقول : أكرمْ به أي ما أكرمه . قال قتـادة : أي لا أحد أبصر من اللّهِ ولا أسمع . والصيغة صيغةُ تعجب وانظر البحر ١١٧/٦ .

٢٦ ــ ثم قال جلَّ وعز : ﴿ مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ ، وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدَاً ﴾ [آية ٢٦] .

نظيرُه قولُه تعالى ﴿ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدَاً . إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ ﴾(١) .

ومن قرأ ﴿ ولا تُشْرِكْ في حُكْمِهِ أَحَدَاً ﴾(٢) فمعناه عنده: لاتنسبْ أحداً إلى أنه يعلمُ الغيبَ .

٢٧ ــ وقولُهُ جلَّ وعزَّ : ﴿ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ ، وَلَنْ تَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدَاً ﴾ [آية ٢٧] .

قال مجاهد : أي ملجأً أي يمنعك منه جلَّ وعز(٣) .

قال أبو جعفر : وهو حسن في اللغة ، وأصله في اللغة من اللَّحدِ وهو من الميل والملحد : المائلُ عن الحقِّ ، العادلُ عنه ، فإذا أَلحدْتَ إلى الشيء فقد ملتَ إليه(٤) .

---

(١) سورة الجن آية رقم ٢٦ ــ ٢٧ .

(٢) هذه قراءة ابن عامرٍ ، وهي من القراءات السبع ، كما في السبعة لابن مجاهد ص٣٩٠ والنشر ٣١٠/٢ وقرأ الباقون ﴿ ولايُشْرِكُ في حكمِهِ أحداً ﴾ بالرفعَ .

(٣) انظر الأثر في الطبري ٢٣٣/١٥ والدر المنثور ٢١٨/٤ .

(٤) في الصحاح ٥٣٤/٢ : اللَّحْدُ : الشقُّ في جانب القبر ، والملتحدُ : الملجأ ، لأن اللاجيء يميل إليه . اهـ . وورد في المخطوطة « فإذا لجأت إلى الشيء » وهو تصحيفٌ وصوابه « فإذا لحدْتَ إلى الشيء » كما أثبتناه ، لأنه شرح لمعنى الملتحد .

٢٨ ـ **وقوله جلَّ وعز : ﴿ وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ .. ﴾** [آية ٢٨] .

رَوَى ابنُ عَجْلَان عن نافع عن ابن عمر قال : الصلاة المكتوبة(١) .

قال مجاهد وإبراهيم : الصلواتُ الخمس(٢) .

٢٩ ـ **ثم قال جل وعز : ﴿ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الحَيَاةِ الدُّنْيا .. ﴾** [آية ٢٨] .

أي لاتتجاوزهم إلى المترفين(٣) .

ورُوِيَ عن الحسن أنه قرأ ﴿ وَلَا تُعَدِّ عَيْنَيْكَ عَنْهُمْ ﴾

---

(١)و(٢) يريد المصنف أن معنى ﴿ يدعون ربهم بالغداة والعشيِّ ﴾ أي يصلُّون الصلوات الخمس ، في الصباح والمساء كما روى عن مجاهد وابن عمر وهذه الآية مثل قوله تعالى في سورة الأنعام ﴿ ولاتطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشيِّ ﴾ وانظر الآثار في الطبري ٢٠٣/٧ والدر المنثور ٢٣٠/٤ والمحرر الوجيز ٢٩٢/٩ ورجح الطبري أن المراد بالآية أهل الذكر والدعاء والتسبيح والتمجيد ، ويدخل في الذكر الصلوات الخمس ، والله أعلم .

(٣) قال الزجاج ٢٨١/٣ : أي لاتصرفْ بصرَك إلى غيرهم من ذوي الهيئات والزينة .

أقول : سبب نزول هذه الآية مارواه مسلم في صحيحه ١٢٧/٧ عن سعد بن أبي وقاص قال : « كنَّا مع النبي ﷺ ستة نفر ، فقال المشركون للنبي ﷺ : اطرد هؤلاء لايجترئون علينا ، فوقع في نفس رسول الله ماشاء الله أن يقع ، فحدَّث نفسه ، فأنزل الله ﴿ ولا تطرد الذين يدعون ربهم ..﴾ الآية ، وانظر تفسير الحافظ ابن كثير ١٤٨/٥ .

بتشديد الدال والنصب[1] .

٣٠ ــ ثم قال جل وعز ﴿ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ﴾ [آية ٢٨] .

قال مجاهد : أي ضَيَاعاً[2] .

قال أبو جعفر : وقيل : إسرافاً ، وقيل : ندماً[3] .

وهذه الأقوالُ متقاربةٌ ، وهو من الإفراط في الشيء ، والتجاوز فيه .

وبيَّن هذا أن سفيانَ بن سعيد قال : هو « عُيَيْنَةُ بنُ حِصْنٍ » .

وقال غيره : قال : أنا أشرفُ مُضَرَ وأجَلُّها .

فهذا هو التجاوزُ بعينه .

---

(١) هذه القراءة ذكرها ابن عطية في المحرر الوجيز ٢٩٣/٩ قال : ﴿ ولا تُعَدِّ ﴾ بضم التاء وفتح العين وشدِّ الدال المكسورة أي لاتجاوزها أنت عنهم ، وذكر أيضاً قراءة ﴿ وَلَا تُعْدِ ﴾ بضم التاء وسكون العين إلخ وهما من القراءات الشاذة كما في المحتسب ٢٧/٢ .

(٢) انظر الأثر في الطبري ٢٣٦/١٥ والدر المنثور ٢٢٠/٤ قال ابن كثير ١٤٩/٥ : أي أعماله وأفعاله سفهٌ وتفريطٌ وضياع .

(٣) ذكر هذه الأقوال الطبري ٢٣٧/١٥ وابن عطية ٢٩٣/٩ قال : والفُرُط يحتمل أن يكون بمعنى التفريط والتضييع ، ويحتمل أن يكون بمعنى الإفراط والإسراف ، أي أمره وهواه الذي هو بسبيله ضياعٌ ، وقد فسَّره المتأولون بالعبارتين أعني : التَّضييع ، والإسراف ، وعبَّر عنه خبَّاب بالهلاك ، وداود بالندامة ، وهذا كله تفسير بالمعنى ، وفي البخاري ٤٠٨/٨ ﴿ فُرُطاً ﴾ نَدَماً .

وقال الفراء : ﴿ فُرُطاً ﴾ : متروكاً ، قد تُركتْ فيه الطَّاعةُ[1] .

٣١ ــ ثم قال جلَّ وعز : ﴿ وَقُلِ الحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ .. ﴾ [آية ٢٩] .

المعنى : وقل الذي جئتُكُمْ به ، الحقُّ من ربكم .

٣٢ ــ ثم قال جلَّ وعز : ﴿ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ .. ﴾ [آية ٢٩] .

هذا على التهديد[2] .

٣٣ ــ ثم قال جلَّ وعز : ﴿ إِنَّا أَعْتَدْنَا للظَّالِمِينَ ناراً .. ﴾ [آية ٢٩] .

أي جعلناها لهم عَتَاداً ، والعَتَادُ : الثابتُ اللَّازمُ ، وهو مثلُ العُدَّة[3] .

٣٤ ــ ثم قال جل وعز : ﴿ أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا .. ﴾ [آية ٢٩] .

السُّرَادِقُ في اللُّغةِ : كلُّ شيءٍ محيط بشيء[4] .

---

(١) انظر معاني القرآن للفراء ٢/١٤٠ فقد جاء فيه ﴿ فُرُطاً ﴾ متروكاً قد تُرك فيه الطاعةُ ، وغُفِل عنها ، ويُقال : إنه أفرط في القول فقال : نحن رءوسُ مضرَ وأشرافُها . وليس كذلك وهو « عُيينةُ بن حصن » اهـ .

(٢) ظاهره أمرٌ وحقيقته وعيدٌ وتهديد ، كما قاله الزجَّاج في معانيه ٣/٢٨١ فهو كقوله تعالى ﴿ اعملوا ما شئتم ﴾ .

(٣) انظر الصحاح للجوهري ٢/٥٠٥ فقد قال فيه : العتيدُ : الشيءُ الحاضرُ المهيَّأُ ، والعَتَادُ : العُدَّة ، يُقال : أخذ للأمر عُدَّته وعَتَاده ، أي أُهبتَه وآلته . هـ .

(٤) هذا قول الزجاج كما في معانيه ٣/٢٨٢ وقال ابن عطية في المحرر ٩/٢٩٥ : السُّرادقُ : هو الجدارُ المحيطُ ، كالحجارة التي تدور وتُحيط بالفسطاط ، ومنه قول رُؤبة « سُرَادقُ المجدِ عليكَ مَمْدودُ » وانظر القاموس المحيط .

قيل : إنه يُراد به الدُّخان[1] ، الذي يحيط بالكفَّارِ يومَ القيامةِ ، وهو الذي ذكرهُ اللَّهُ في قوله سبحانه ﴿ **انْطَلِقُوا إِلَى ظِلٍّ ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ** ﴾[2] .

٣٥ ــ ثم قال جل وعز : ﴿ وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ .. ﴾ [آية ٢٨] .

رَوَى هُشَيْمٌ عن عَوْفٍ عن الحسن قال : جاء قوم إلى عبدالله بن مسعود ، يسألونه عن المُهْل ، فأخذ فضَّةً فأَذَابَها ، حتَّى انماعت[3] ، ثم أذِنَ لهم بالدخول ، فقال لهم : هذا أشبهُ بالمُهْلِ[4] .

ورَوَى إسرائيلُ عن سِمَاكٍ عن عكرمة عن ابن عباس قال :

---

(١) هذا القول ذكره ابن الجوزي عن ابن قتيبة ، وهو قولٌ مرجوحٌ ، والأظهر ما قاله ابن عباس أنه حائطٌ من نار ، وفي الحديث الشريف « لِسُرادِقِ النَّارِ أربعةُ جُدُرٍ ، كِثَفُ كل جدارٍ مسيرةُ أربعين سنة » أخرجه الترمذي رقم ٢٥٨٤ والحاكم ٦٠١/٤ وأحمد ٢٩/٣ .

(٢) سورة المرسلات آية رقم ٣٠ .

(٣) أي أصبحت سائلةً كالماء المائع .

(٤) الأثر عن ابن مسعود أخرجه ابن جرير ٢٤٠/١٥ والسيوطي في الدر ٢٢١/٤ وعزاه إلى ابن المنذر ، وابن أبي حاتم ، والطبراني ، ولفظه : « فدعا بذهبٍ وفضةٍ ، فأذَابَه ، فلمَّا ذاب قال : هذا أشبه شيء بالمهل ، الذي هو شراب أهل النار ، ولونُه لونُ السماء ،غير أن شراب أهل النار ، أشدُّ حراً من هذا » .

المُهْلُ : دُرْدِيُّ الزيتِ[1] .

وروى ابنُ أبي نجيح عن مجاهد قال : المُهْلُ : القيحُ ، والدَّمُ[2] .

قال أبو جعفر : وهذه الأقوالُ متقاربةٌ ، وإنما هو ما تمهَّلَ وسكَنَ ، وأكثرُ ما يُستعمل لدُرْدِيِّ الزيت ، كما قال ابن عباس .

٣٦ ــ ثم قال جل وعز : ﴿ يَشْوِي الوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقاً ﴾ [آية ٢٩] .

المعنى : وساءت النَّارُ مرتفَقاً .

قال مجاهد : أي مجتمعاً[3] .

وقال غيره : أي مجلساً[4] .

---

(١)و(٢) انظر الآثار في الطبري ١٥/٢٤٠ والقرطبي ١٠/٣٩٤ وزاد المسير ٥/٩٥ ومعنى دُرْدِيّ الزيت أي عَكَرِه وهو ما يبقى في آخر الزجاجة من الطُّحل ، وقولُ ابن عباس أظهرُ الأقوال وأشهرها ، ويؤيده ماجاء في حديث الترمذي عن النبي ﷺ في قوله تعالى ﴿ كالمُهْلِ يشوي الوُجُوهَ ﴾ قال : كَعَكَر الزيت ، فإذا قرَّبه إلى وجهه سقطت فَرْوةُ وجهه فيه » الترمذي ٤/٧٠٤ .

(٣)و(٤) انظر الطبري ١٥/٢٤٢ وابن كثير ٥/١٥١ والبحر المحيط ٦/١٢١ والدر المنثور ٤/٢٢١ قال في البحر ﴿ مُرْتَفَقاً ﴾ أي متكأ وهو قول الزجاج ، من المِرْفَق ، وهذا لمشاكلة قوله ﴿ وحَسُنَتْ مرتفقاً ﴾ وإلاَّ فلا ارتفاق لأهل النار ولا اتكاء . اهـ وقال الحافظ ابن كثير ٥/١٥١ : أي ساءت النار منزلاً ومقيلاً ومجتمعاً وموضعاً للارتفاق كما قال سبحانه ﴿ إنها ساءت مستقراً ومُقاماً ﴾ . اهـ .

قال أبو جعفر : والمعروفُ في اللُّغةِ أنَّ المرتَفَقُ : المتَّكأُ ، وأنشد أهل اللغة :

إنِّـــي أَرِقْتُ فَبِتُّ اللَّيْـــلَ مُرتَفِقَـــاً
كَأَنَّ عَيْنـيَ فِيهَـا الصَّابُ مَذْبُـوحُ(١)

قال أبو جعفر : ولا يمتنع أن يكون المعنى : موضع مرتفق .

٣٧ ــ **وقولـه جلَّ ذكـرهُ** : ﴿ **إنَّ الَّذيـنَ آمَنُـوا وَعَمِلُـوا الصَّالِحَـاتِ ، إنَّـا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلاً** ﴾ [آية ٣٠] .

قال أبـو جعفـر : حدثنـا أبـو عبدالله « أحمدُ بنُ علـــيٍّ بنِ سَهْلٍ » قال : حدثنا محمد بنُ حُميـد ، قال : نا يحيى بنُ الضُّرَيْسِ ، عن زُهيرِ بنِ معاويـةَ ، عن أبي إسحـاقَ ، عن البراءِ بنِ عازبٍ ، قال : قدِمَ أعرابـيٌّ إلى رسول الله ﷺ في حجَّـة الـوداع ــ والنبـيُّ واقـــفٌ بعرفات على ناقته الصَّهْباءِ ــ فقال : إني رجـلٌ متعلِّـمٌ ، فأخبـرْني عن قولِ الله ﴿ **إنَّ الَّذينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إنَّا لَا نُضِيعُ أَجْـرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَـلاً** ﴾ قال النبي عليـــه السلام : يا أعرابـــيُّ ما أنتَ منهم ببعيـدٍ ، ومـا هم منك ببعيـد ، هؤلاء الأربعـةُ الَّذيـن هم وقـوفٌ معـــي

(١) البيت لأبي ذُؤيب الهُذَليّ ، وهـو في ديـوان الهذليين ١٠٤/١ والكشاف ٣٨٩/٢ والطبري ٢٤١/١٥ ومجاز القرآن لأبي عبيـدة ٤٠٠/١ وشواهد المغني ٧٢ والصَّابُ شجـرة مُرَّة لها لبـن يؤذي العين إذا أصابها .

« أبو بكرٍ ، وعمرُ ، وعثمانُ ، وعليٌّ » فَأَعلِمْ قومكَ أنَّ هذه الآية نزلتْ في هؤلاء الأربعة[1] .

٣٨ ــ **وقولُه جلَّ وعزَّ : ﴿ أُوْلَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الأَنْهَارُ .. ﴾** [آية ٣١] .

العَدْنُ : الإِقامةُ[2] ، ثم قال : **﴿ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الأَنْهَارُ ﴾** أي ماءُ الأنهارِ[3] .

٣٩ ــ **ثم قال جلَّ وعزَّ : ﴿ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ .. ﴾** [آية ٣١] .

أسَاوِرُ : جمعُ أَسْوِرة ، وأسْوِرَةٌ جمعُ سِوَارٍ ، ويُقال : سُوَارٌ .

---

(١) هذا الحديث ذكره الماوردي ، كما حكاه القرطبي في جامع الأحكام ٣٩٨/١٠ قال : وأسنده السُّهيلي في كتاب الأعلام ، قال : وأسنده النحاس في كتاب معاني القرآن ، وقد روينا جميع ذلك بالإجازة . اهـ .

أقول : لم أره في كتب السنن ، ولا في الصحاح ، وهؤلاء الخلفاءُ الراشدون الأربعة ، لاشك أنهم من الذين آمنوا وعملوا الصالحات ، ولكنْ في النفس شيء من هذه الرواية ، فأسلوبها بعيدٌ عن روعة البيان النبوي ، والله أعلم .

(٢) في الصحاح ٢١٦٢/٦ : عدنتُ بالبلدِ : توطَّنتُه ، وعَدَنتِ الإبلُ : لزمْت أماكنها فلم تبرحها ، ومنه جنَّاتُ عدنٍ أي جنات إقامة .

(٣) الأنهار لا تجري وإنما تجري مياهُها ، فالآية على حذف مضاف والمعنى : تجري من تحتهم مياه أنهار الجنة ، كما ذكر المصنف ، وهذا مجاز معروفٌ في اللغة كقوله تعالى ﴿ وكم أهلكنا من قرية ﴾ أي أهلكنا أهلها .

وحَكَى قُطْرب[1] : أن « أساورَ » جمعُ إسوار .

ولا يُعرف ذلك[2] .

٤٠ ـــ ثم قال جلَّ وعز : ﴿ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابَاً خُضْرَاً مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ .. ﴾ [آية ٣١] .

السُندسُ : رقيقُ الدِّيباجِ ، والاستبرقُ : ثخينه[3] .

٤١ ـــ ثم قال جل وعز : ﴿ مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الأَرَائِكِ .. ﴾ [آية ٣١] .

وهي السُّرُرُ في الحِجَالِ[4] .

٤٢ ـــ ثم قال جل وعز : ﴿ نِعْمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقَاً ﴾ [آية ٣١] .

أي حَسُنت الجنة مرتفقاً .

٤٣ ـــ وقوله جلَّ وعزَّ : ﴿ وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلاً رَجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ .. ﴾ [آية ٣٢] .

---

(١) ذكر هذا القول القرطبي ٣٩٦/١٠ فقال : وحكى قطرب في واحد الأساور إسوار ، و قطرب صاحب شذوذ ، قد تركه يعقوب وغيره فلم يذكره . اهـ . وقطرب هو محمد بن المستنير تقدمت ترجمته .

(٢) انظر معاني الزجاج ٢٨٣/٣ وقال في الصحاح ٦٩٠/٢ : السِّوار : سِوارُ المرأة ، وجمعه أسورة ، وجمع الجمع أَساوِرةٌ ، وأَسَاوِرُ ، وقال بو عمرو بنِ العلاء : واحدها إِسْوار .. اهـ .

(٣) في المخطوطة : والاستبرقُ : « محكمة » وهو ـــ والله أعلم ـــ مصحَّفٌ عن لفظ « ثخينه » قال الطبري ٢٤٣/١٥ : والسندسُ مارقَّ من الديباج ، والاستبرقُ ما غلُظَ منه وثَخُن . اهـ وكذلك قال الجوهري في الصحاح ١٤٥٠/٤ : والاستبرقُ : الديباجُ الغليظُ .

(٤) الحِجالُ : جمع حَجَلة ، وهي كالقبة ، وموضع يُزيَّن بالستور والثياب والأَسرَّة للعروس .

يُروى أن اليهود قالوا : سَلُوه عن أصحاب الكهف ، وعن الرُّوحِ ، وعن رجلين ؟ فأنزل اللهُ عزَّ وجلَّ هذا ، وجعله مثلاً لجميع النَّاس .

٤٤ ــ **ثم قال جلَّ وعز : ﴿ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ .. ﴾** [آية ٣٢] .

أي حوَّطْناهما بهِ ، وقد حفَّ القومُ بفلانٍ : إذا حَدَقوا[١] .

٤٥ ــ **ثم قال جلَّ وعزَّ : ﴿ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعاً ﴾** [آية ٣٢] .

فأخبر أنه ليس بينهما إلاَّ عمرانٌ[٢] .

٤٦ ــ **ثم أخبر أنهما في تأديةِ الحَمْلِ والثَّمر على النهاية ، فقال : ﴿ كِلْتَا الجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا ، وَلَمْ تَظْلِمْ مِنْهُ شَيْئاً ﴾** [آية ٣٣] .

أي ولم تنقص .

٤٧ ــ **ثم قال جلَّ وعز : ﴿ وَفَجَّرْنَا خِلاَلَهُمَا نَهَراً ﴾**[٣] [آية ٣٣] .

---

(١) في الصحاح ١٤٥٦/٤ : حَدَقوا بالرجلِ ، وأَحْدَقوا به أي أحاطوا به .اهـ .

(٢) في المخطوطة « إلاَّ عِمرانٌ » بزيادة « إلاَّ » ولعلَّ الصواب حذفها والمعنى : جعلنا النخيل مطيفاً بهما ، قد أحاطت أشجار النخيل بالجنتين والبساتين ، لا يفصل بين الحديقتين إلاَّ الزرع ، والله أعلم .

(٣) أي جعلنا النهر يسير وسط الحديقتين ، قال الزمخشري ٣٨٩/٢ : وصفَ العمارة بأنها متواصلةٌ متشابكة ، لم يتوسطها ما يقطعها ويفصل بينها ، مع الشكل الحسن ، والترتيب الأنيق ، ونعتَها بوفاء الثمار ، وتمام الأُكُل من غير نقص ، ثم بما هو أصلُ الخير ومادته من أمر الشرب ، فجعله أفضل ما يُسقى به ، وهو السيح بالنهر الجاري فيها ، وكانت له إلى جانب الجنتين الموصوفتين ، الأموال الوافرة من الذهب والفضة اهـ .

فأخبر أنَّ شِرْبهما كان من نَهْرٍ ، وهو أغزرُ الشُّرب .

٤٨ ــ **ثم قال جل وعز** : ﴿ وَكَانَ لَهُ ثُمُرٌ .. ﴾ [آية ٣٣] .

ويُقرأ ﴿ ثَمَرٌ ﴾[١] فالثَّمرُ معروفٌ .

وفي الثُّمُرِ قولان :

أ ــ **قال مجاهد** : كلُّ ما كان في القرآن من ثُمُرٍ فهو المالُ ، وما كان من ثَمَر فهو من الثِّمار[٢] .

ب ــ **وقال أبو عمران الجوني** : الثُّمُرُ : أنواعُ المال ، والثَّمَرُ : الثَّمراتُ[٣] .

جـ ــ **وقال أبو يزيد المدني** : الثُّمُرُ : الأصلُ ، والثَّمَرُ : الثَّمرةُ .

قال أبو جعفر : وكأنه يريد بالأصل الشجَّرَ ، وما أشبهها .

وهذه الثلاثةُ الأقوالِ ترجع إلى معنىً واحد ، وهو أن الثُّمُرَ : المالُ[٤] .

---

(١) قرأ ابن كثير ، ونافع ، وابن عامر ، وحمزة ، والكسائي ﴿ وكان له ثُمُرٌ ﴾ مضمومة الثاء والميم ، وقرأ عاصم وأبو جعفر ﴿ وكان له ثَمَرٌ ﴾ بفتح الثاء والميم ، وكلا القراءتين من القراءات السبع المتواترة ، وانظر النشر ٣١٠/٢ والسبعة لابن مجاهد ص٣٩٠ .

(٢)و(٣) انظر الآثار في الطبري ٢٤٥/١٥ وابن الجوزي ٩٩/٥ والدر المنثور ٢٢٢/٤ .

(٤) قال الجوهري : الثمرة واحدة الثمر والثمرات ، وجمع الثَّمر ثِمارٌ مثل جبل وجبال . والثُّمُرُ أيضاً المالُ المثمَّرُ . اهـ الصحاح مادة ثمر .

والقولُ الآخرُ : حدثنا أحمد بن شُعيب ، قال : أخبرَني عمرانُ بن بكار ، قال : حدثنا إبراهيم بن العلاء الزبيدي قال : حدثنا شعيبُ بن إسحق ، قال : حدثنا هارون ، قال : حدثني أبان بن تغلب عن الأعمش أن الحجَّاج قال : « لو سمعتُ أحداً يقول ﴿ **وَكَانَ لَهُ ثُمُرٌ** ﴾ لقطعتُ لسانه ، فقلتُ للأعمش : أتأخذ بذلك ؟ قال : لا ، ولا نِعْمةَ عين[1] . فكان يقرأ ﴿**ثُمُر**﴾ ويأخذه من جمع الثَّمَر » .

قال أبو جعفر : فالتقدير على هذا القول ، أنه جَمَع ثَمَرةً على ثِمارٍ ، ثم جمع ثِمَاراً على ثُمْرٍ ، وهو حسنٌ في العربية ، إلاَّ أنَّ القول الأوَلَ أشبهُ ــ واللهُ أعلمُ ــ لأن قولهَ تعالى ﴿ **كِلْتَا الجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا** ﴾ يدلُّ على أن له ثَمَراً[2] .

٤٩ ــ **ثم قال جلَّ وعز** : ﴿ **فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ** ﴾ أي يخاطبه ﴿ **أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالاً وَأَعَزُّ نَفَراً** ﴾ [آية ٣٤] .

---

(١) ذكره القرطبي في جامع أحكام القرآن عن الحجَّاج ٤٠٣/١٠ ولا عبرة بقول الحجاج ، فإنه معروف في اللغة ، ولهذا ردَّه الأعمش .

(٢) قال الزجاج في معانيه ٢٨٥/٣ : وقُرىء ﴿ وكان لهُ ثُمُرٌ ﴾ وقيل : الثَّمر ما أخرجته الشجر ، والثُّمرُ المال ، يُقال : قد ثمَّر فلان مالاً ، والثَّمرَ ها هنا أحسن ، لأن قوله تعالى ﴿ كلتا الجنَّتَيْنِ آتتْ أُكُلَها ﴾ قد دلَّ على الثمر ، ويجوز أن يكون ثَمَرٌ جمع ثمرة ، وثمار جمع ثُمرٍ . اهـ وقال أبو علي الفارسي : من قال هو الذهبُ والورِق ، فإنما قيل له ثُمُر على التفاؤل ، لأن الثَّمر نماءٌ في ذي الثَّمر ، وكونه ها هنا بالجنى أشبه بالذهب والفضة . اهـ زاد المسير ٩٩/٥ .

[النَّفَرُ : الرَّهطُ ، وهو ما دون العَشَرة ، وأراد هاهنا الأتباع ، والخَدَم ، والولد][1] .

٥٠ ــ **قال اللــه جل وعــز : ﴿ وَدَخَــلَ جَنَّتَــــهُ وَهُــــوَ ظَالِـــمٌ لِنَفْسِهِ .. ﴾** [آية ٣٥] .

وكلُّ من كفر فقد ظلَمَ نفسَه ، لأنه يُولجها النَّار .

٥١ ــ **ثم قال تعالى : ﴿ قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدَاً . وَمَا أَظُنُّ السَاعَةَ قَائِمَةً .. ﴾** [آية ٣٥] .

فكفر بالبعث ، وبأنَّ الدنيا تَفْنى .

٥٢ ــ **ثم قال جلَّ وعزَّ : ﴿ وَلَئِنْ رُدِدْتُ إِلَى رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرَاً مِنْهَا مُنْقَلَباً ﴾** [آية ٣٦] .

وهذا ممَّا يُسأل عنه فيُقال : كيف ينكرُ البعثَ ويقول : **﴿ وَلَئِنْ رُدِدْتُ إِلَى رَبِّي ﴾** ويحكُمُ أنه يُعْطَى خيراً منهما ؟

فالجوابُ : أن المعنى : ولئن رددتُ إلى ربي ــ على قولك ــ وقد أعطاني في الدنيا ، فكما أعطاني في الدنيا فهو يعطيني في الآخرة[2] .

---

(١) سقط من المخطوطة وأثبتناه من جامع الأحكام للقرطبي ٤٠٣/١٠ .

(٢) هذا القول منه على سبيل الفرض والتقدير ، والمعنى : إن كان هناك بعثٌ وجنة ونار كما تزعم ، فسيكون حالي خيراً من حالك ، وسيعطيني الله خيراً من هذا وأفضل ، كما أعطاني في الدنيا ، قال ابن عباس : يقول : إن كان البعث حقاً فهو على الفرض والتقدير .

ونظيرُ هذا قولُه جلَّ وعز ﴿ **أَيْنَ شُرَكَائِي** ﴾[1] ؟ أي على قولكم .

ومن قرأ ﴿ **مِنْهَا** ﴾[2] أراد الجنة .

٥٣ ـ ثم قال جلَّ وعز : ﴿ **قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ ، أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ..** ﴾ [آية ٣٧] .

فألزمه الكفرَ بقوله[3] .

٥٤ ـ ثم قال جلَّ وعز : ﴿ **ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلاً** ﴾ [آية ٣٧] .

أي كمَّلكَ .

٥٦ ـ ثم قال جلَّ وعز : ﴿ **لَكِنَّ هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا** ﴾ [آية ٣٨] .

فدلَّ هذا على أنه كان مشركاً .

---

(١) سورة القصص آية رقم ٦٢ وتمامها ﴿ ويوم يناديهم فيقول أين شركائي الذين كنتم تزعمون ﴾ ؟ ومعلوم أن الله ليس له شركاء .

(٢) قرأ ابن كثير ، ونافع ، وابن عامر ﴿خيراً منهما﴾ وقرأ أبو عمرو ، وعاصم ، والكسائي ﴿ خيراً منها﴾ وكلتاهما من القراءات السبع كما في السبعة ص٣٩٠ .

(٣) إنما ألزمه الكفر لشكه في الآخرة بقوله ﴿ ولئنْ رُددتُ إلى ربي ﴾ فكل شاكٍّ في أمر البعث ، فهو كافر ، ولهذا قال ﴿ أكفَرت بالذي خلقك ﴾ والاستفهام في الآية ﴿ أكفَرتَ ﴾ استفهام إنكار وتوبيخ كما في البحر ١٢٧/٦ .

والمعنى : لكِنْ أنا[1] .

٥٦ ـ ثم قال جلَّ وعز : ﴿ وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَاشَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلاَّ بِاللَّهِ .. ﴾ [آية ٣٩] .

المعنى : [هذه الجنة هي][2] ماشاءَ اللهُ .

ويجوز أن يكون المعنى : ماشاءَ اللهُ كانَ .

والمعنى : لا يكون لأحدٍ إلاَّ ماشاء اللَّهُ ، وليس لأحدٍ في بدنه ولا ماله قوَّةٌ إلاَّ باللَّهِ .

وروَى عَمْرُو بنُ ميمونٍ عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : (أَلَا أدلُّكَ على كلمةٍ من كنزِ الجنَّةِ ، من تحت العرش ؟

---

(١) قال ابن عطية ٣١٢/٩ : من قرأ ﴿ لكنا ﴾ فأصله عنده : لكنْ أنا ، حُذفت الهمزةُ على غير قياس ، وأُدغمت النون في النون ، وقال بعض النحويين : نُقلت حركة الهمزة إلى النون فصارت « لَكِنَنَا » ثم أُدغمت بعد ذلك فصارت « لكِنَّا » وقرأ ابن مسعود ، والحسن على الأصل ﴿ لكنْ أنا ﴾ اهـ وعدَّها في المحتسب ٢٠٩/٢ من الشواذ .

(٢) ما بين الحاصرتين غير موجود في الأصل ، وأثبتناه من تفسير القرطبي ٤٠٦/١٠ ليتمَّ المعنى ، قال الزجاج في معانيه ٢٨٨/٣ : ﴿ ولولا إذ دخلت جنتك ﴾ الجنة : البستانُ ﴿ ولولا ﴾ بمعنى هلاَّ ، وتأويل الكلام التوبيخ ﴿ قلتَ ماشاء الله ﴾ أي الأمر ماشاء الله ، ويجوز أن تكون « ما » في موضع نصب ، ويكون التأويل : أيَّ شيءٍ شاءه الله كان . اهـ . وقال في البحر ١٢٩/٦ : لما وبَّخ المؤمنُ الكافر ، أورد له ما ينصحه به ، فحضَّه على أن يقول : إذا دخل جنته ﴿ ماشاء الله لاقوة إلا بالله ﴾ أي الأشياء مقدورة بمشيئة الله ، إن شاء أفقر ، وإن شاء أغنى ، وإن شاء نصر ، وإن شاء خذل ، والذي شاءه الله كائن . اهـ .

قال : قلتُ : بلى ، بأبي أنتَ وأمـي يارسولَ اللّـهِ !! قال : « لا قوَّةَ إلاَّ باللَّهِ » إذا قالها العبدُ ، قال اللهُ : أسلمَ عبدي ، واستسْلَمَ)[1] .

٥٧ ــ **ثم قال جلَّ وعز : ﴿ إِنْ تَرَنِ أَنَا أَقَلَّ مِنْكَ مَالاً وَوَلَداً ، فَعَسَى رَبِّي أَنْ يُؤْتِيَنِ خَيْرَاً مِنْ جَنَّتِكَ .. ﴾** [آية ٤٠] .

يجوز أن يكون أراد في الدنيا ، وأن يكون أراد في الآخرة[2] .

٥٨ ــ **ثم قال جلَّ وعز : ﴿ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانَاً مِنَ السَّمَاءِ .. ﴾** [آية ٤٠] .

قال قتادةُ والضحَّاكُ : أي عَذَاباً[3] .

---

(١) الحديث أخرجه البخاري ١٠٢/٨ في كتاب الدعوات ، ومسلم في كتاب الذكر « باب استحباب خفض الصوت بالذكر » ٧٣/٨ . ولفظ البخاري : « ألا أدلك على كنزٍ من كنوز الجنة ؟ لاحول ولا قوة إلا بالله » وأما الرواية الي ذكرها المصنف فهي من رواية أحمد في المسند ٢٣٥/٢ وتتمة الحديث كما في المسند : قال عمروٌ قلتُ لأبي هريرة « لا حول ولا قوة إلاَّ بالله» فقال : لا ، إنها في سورة الكهف ﴿ ولولا إذ دخلت جنتك قلت ماشاء الله لا قوة إلا بالله ﴾ .

(٢) رجَّح ابن كثير المعنى الثاني فقال ١٥٥/٥ ﴿ خيراً من جنتك ﴾ أي في الدار الآخرة ، وأما أبو حيان في البحر ١٢٩/٦ فقال : أردف النصيحة بترجيةٍ من الله ، وتوقعه أن يقلب ما به وما بصاحبه من الفقر والغنى ، والمعنى : إني أتوقع من صنع الله وإحسانه ، أن يمنحني جنة خيراً من جنتك لإيماني به ، ويزيل عنك نعمته لكفرك به ، ويخرِّب بستانك . اهـ . وذكر ابن عطية القولين ٣١٥/٩ ودلَّل لكل منهما .

(٣) الأثر أخرجه ابن جرير ٢٤٩/١٥ وابن كثير ١٥٥/٥ والسيوطي في الدر ٢٢٤/٥ قال ابن كثير : وهو قول ابن عباس ، والضحاك ، وقتادة ، ومالك عن الزهري . اهـ .

وقال أبو عُبيدة : هي المرامي[1] [جمع مرماة وشيء فيه الحصب][2] .

والمعروفُ في اللغة : أن الحُسْبانَ والحساب واحدٌ ، قال الله جلَّ وعز ﴿ الشَّمْسُ وَالقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ﴾[3] .

وقولُ قتادةَ والضحَّاك صحيحُ المعنى ، كأنه قال : أو يرسلَ عليها عذابَ حِسَابِ ما كسبتْ يداه ، وهو مثلُ قوله تعالى ﴿ وَاسْأَلِ القَرْيَةَ ﴾[4] .

٥٩ ـ ثم قال جلَّ وعزَّ : ﴿ فَتُصْبِحَ صَعِيداً زَلَقًا ﴾ [آية ٤٠] .

الصَّعيدُ في اللغة : وجهُ الأرض الذي لانباتَ عليه .

والزَّلَقُ : ما تَزِلُّ فيه الأقدامُ[5] .

---

(١) انظر مجاز القرآن لأبي عُبيدة ٤٠٣/١ قال : مجازها : مرامي ، وواحدتها حُسبانة أي ناراً تحرقها . اهـ .

(٢) ما بين الحاصرتين من هامش المخطوطة .

(٣) سورة الرحمن آية رقم ٥ .

(٤) سورة يوسف آية رقم ٨٢ وتمامها ﴿ واسأل القرية التي كنا فيها ، والعيرَ التي أقبلنا فيها ، وإنَّا لصادقون ﴾ .

(٥) انظر مجاز القرآن لأبي عبيدة ٤٠٣/١ وقال في البحر ١٢٣/٦ : الزَّلَقُ : ما لاتثبت فيه القدم من الأرض ، والمعنى : أي تصبح أرضاً جرداء لا نبات فيها من كَرْم ، ولا زرع ، قد احترق جميع ذلك فبقيت يباباً قفراً ، تنزلق عليها الأقدام .

٦٠ ـ ثم قال جل وعز : ﴿ **أَوْ يُصْبِحَ مَاؤُهَا غَوْرَاً** .. ﴾ [آية ٤١] .

أي غائراً ، والتقديرُ : ذا غَوْرٍ(١) .

٦١ ـ ثم قال جلَّ وعز : ﴿ **فَلَنْ تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَباً** ﴾ [آية ٤١] .

أي لم يبق له أثرٌ ، فيُطْلب من أجله .

٦٢ ـ ثم قال جلَّ وعز : ﴿ **وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ** .. ﴾ [آية ٤٢] .

أي أحاط اللَّهُ العذابَ بثمره(٢) .

٦٣ ـ ثم قال تعالى : ﴿ **فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَى مَا أَنْفَقَ فِيهَا** .. ﴾ [آية ٤٢] .

وهذا يوصف به النَّادمُ(٣) .

٦٤ ـ ثم قال جل وعز : ﴿ **وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا** .. ﴾ [آية ٤٢] .

---

(١) قال الحافظ ابن كثير ٥/١٥٥ : والغَوْرُ : مصدرٌ بمعنى غائر ، وهو أبلغ منه كما قال الشاعر « تظلُّ جياده نَوْحاً عليه» بمعنى نائحات ، قال : والغائرُ في الأرض : ضدُّ النابع الذي يطلب وجه الأرض ، والغائر الذي يطلب أسفلها كما قال تعالى ﴿ قل أرأيتم إن أصبح ماؤكم غوراً ﴾ اهـ .

(٢) قال في البحر ٦/١٣٠ : واللفظ عبارةٌ عن الإهلاك ، وأصلهُ من أحاط به العدوُّ ، وهو استدارته به من جوانبه ، ومتى أحاط به ملكَه واستولى عليه ، ثم استعملت في كل إهلاك ، ومنه قوله تعالى ﴿ إلاَّ أن يُحاط بكم ﴾ .

(٣) قال ابن الجوزي٥/١٠٢ : أي يضرب بيدٍ على يد ، وهذا فعل المتلهِّف ، المتأسف على فائتٍ أو خسارة ، ونحوهما .

الخاويةُ في اللغة : الخاليةُ ، والعُروشُ : السُّقُوفُ .

والمعنى : أن حيطانها قيامٌ ، وقد سقطتْ سقوفها ، فكأنَّ الحيطان على السُّقوف[1] .

٦٥ ــ **وقوله جل وعز** : ﴿ **وَلَمْ تَكُنْ لَهُ فِئَةٌ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ** .. ﴾ [آية ٤٣] .

قال مجاهد : أي عشيرة[2] .

٦٦ ــ **وقوله جلَّ وعز** ﴿ **هُنَالِكَ الوَلَايَةُ لِلَّهِ الحَقِّ** .. ﴾ [آية ٤٤] .

أي يؤمنون باللهِ وحده ، ويتبرَّءون ممَّا كانوا يعبدون[3] .

ويُقرأ : الوِلَايَةُ بكسر الواو[4] .

والمعنى على الفتح ، لأن الولاية المعروفُ أنَّها الإمارةُ .

٦٧ ــ **ثم قال جل وعز** : ﴿ **هُوَ خيرٌ ثَوَاباً وَخَيْرٌ عُقْبَاً** ﴾ [آية ٤٤] .

---

(١) انظر معاني القرآن للزجاج ٣/٢٨٩ فقد قال : تهدمت سقوفها فصارت في قرارها ، وصارت الحيطان كأنها على السقوف .

(٢) الأثر في الطبري ١٥/٢٥١ وابن كثير ٥/١٥٦ والدر المنثور ٤/٢٢٤ وعزاه السيوطي إلى ابن المنذر ، وابن أبي حاتم .

(٣) الوَلَايةُ : بالفتح : النُّصْرةُ والتوليِّ أي في ذلك المقام وتلك الحال ، تكون النُّصرةُ للَّهِ وحده لايقدر عليها أحد سواه .

(٤) قرأ حمزة (الوِلَاية) بكسر الواو ، وقرأ الباقون ﴿ الوَلَايَةُ ﴾ بالفتح ، وهما قراءتان سبعيتان ، وانظر السبعة لابن مجاهد ص ٣٩٢ .

العُقْبُ ــ عند أهل اللغة ــ والعُقْبى ، والعَاقِبةُ واحدٌ ، وهو ما يصير إليه الأمر[1] .

٦٨ ــ **ثم قال جل وعز ﴿ وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلَ الحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ ، فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الأَرْضِ ، فَأَصْبَحَ هَشِيماً .. ﴾** [آية ٤٥] .

الهشيمُ : ما جفَّ من الثياب أو تفتَّتَ ، ويُقال : هشمتُه أي كسرتُه[2] .

٦٩ ــ **ثم قال جل وعز ﴿ تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ .. ﴾** [آية ٤٥] .

أي تنسفه[3] .

ضربَ اللهُ هذا المثَلَ للحياةِ الدُّنْيا ، لأنَّ ما مضى منها ، بمنزلةِ ما لم يكن .

٧٠ ــ **وقولُه جلَّ وعزَّ : ﴿ وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَاباً .. ﴾** [آية ٤٦] .

---

(١) هذا قول أبي عُبيدة في مجاز القرآن ٤٠٥/١ قال : العاقبةُ ، والعُقبى ، والعُقبة كلهنَّ واحد .

(٢) قال الزجاج ٢٩١/٣ : الهشيمُ : النبات الجافُّ الذي تسفيه الريح . وقال الجوهري في الصحاح ٢٠٥٨/٥ الهشمُ : كسرُ الشيء اليابس ، والهشيم من النبات : اليابسُ المتكسِّر ، والشجرة البالية يأخذها الحاطب . اهـ .

(٣) قال أبوعُبيدة : ﴿ تَذْرُوهُ الرِّياحُ ﴾ أي تُطيِّرهُ وتُفرِّقه ، يُقال : ذَرَتْه الريحُ تذروه ، وأذرته تُذْريه اهـ مجاز القرآن ٤٠٥/١ .

قال أبو جعفر : حدثنا أبو بكر « جعفَرُ بنُ محمَّدٍ » قال : حدثنا قتيبةُ بن سعيد ، قال : حدثنا خَالدٌ هو « ابنُ عبدِ اللّهِ »[1] عن عبدالملك ، عن عطاء ، عن ابن عباس قال : ﴿ **البَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ** ﴾ : (سبحانَ اللّهِ ، والحمدُ للّهِ ، ولا إله إلاَّ اللهُ ، واللّهُ أكبرْ)[2] .

وحدثنا أبو بكر قال : حدثنا قتيبة بن سعيد ، عن مالك بن أنس ، عن عمارة بن صيَّاد ، عن سعيد بن المسيِّب ، أنه كان يقول في ﴿ **البَاقِيَاتِ الصَّالِحَاتِ** ﴾ إنها قول العبد : (سبحانَ اللّهِ ، واللهُ أكبر ، والحمدُ للّهِ ، ولا إله إلاَّ اللهُ ، ولاحول ولا قوة إلاَّ باللهِ)[3] .

---

(١) انظر ترجمته في تهذيب التهذيب ١٠٠/٣ قال عنه أحمد : كان خالد بن عبدالله الطحان ثقةً صالحاً في دينه .

(٢) الأثر أخرجه ابن جرير عن ابن عباس ٢٥٤/١٥ وابن الجوزي في زاد المسير ١٠٤/٥ وابن كثير ١٥٧/٥ وهو قول مجاهد ، وعطاء ، وعكرمة ، والضحاك ، وزاد في بعض الروايات (ولا حول ولا قوة إلا بالله) .

(٣) الأثر في الطبري ١٥٦/١٥ وابن كثير ١٥٨/٥ وابن الجوزي ١٠٤/٥ والقرطبي ٤١٤/١٠ وأخرجه مالك في الموطأ ٢١٠/١ عن عُمارة بن صيَّاد ، عن سعيد بن المسيب ، ورواه أحمد في المسند ٢٦٧/٤ من حديث النعمان بن بشير مرفوعاً قال : خرج علينا رسول الله ﷺ ونحن في المسجد بعد صلاة العشاء .. وفيه قوله ﷺ « ألَا وإن سبحان الله ، والحمد لله ولا إله إلا الله ، والله أكبر ، هنَّ الباقيات الصالحاتُ » .

وفي حديث المعراج قال إبراهيم لنبينا عليه الصلاة والسلام : أقرىءْ أمتك مني السلام ، وأبلغْهم أن الجنة طيِّبةُ التربة ، عذبةُ الماءِ ، وأنها قيعان ، وأن غِرَاسها « سبحان الله ، والحمد للّهَ ، ولا إله إلا الله ، واللّهُ أكبرُ » رواه الترمذي .

قال أبو جعفر : ورُوي عن ابنِ عباس أيضاً أنه قال : ﴿ **البَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ** ﴾ : « الصلاةُ ، والصومُ ، والحجُّ ، والغزوُ ، والتهليلُ ، والتسبيحُ »[1] .

ولا يمتنع شيءٌ من هذا عند أهل اللغة ، لأنه كلُّ ما بقي ثوابُه ، جاز أن يُقال له هذا .

٧١ ــ **ثم قال جلَّ وعز** : ﴿ **وَخَيْرٌ أَمَلاً** ﴾ [آية ٤٦] .

أي خيرُ ما يُؤَمَّلُ .

٧٢ ــ **ثم قال جل وعز** : ﴿ **وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الجِبَالَ وَتَرَى الأَرْضَ بَارِزَةً ..** ﴾ [آية ٤٧] .

في قوله ﴿ بارزة ﴾ قولان :

أحدهما : قد اجْتُثَّت ثمارُها ، وقُلِعت جبالُها ، وهُدم بنيانها ، فهي بارزةٌ أي ظاهرة .

وعلى هذا القولِ أهلُ التفسيرِ ، وهو البيِّنُ .

---

(١) الأثر أخرجه ابن جرير ١٥/٢٥٦ بأوسع من هذا ، وأخرجه السيوطي في الدر المنثور عن ابن عباس ٤/٢٢٥ وعزاه إلى ابن المنذر وابن مردويه قال : ﴿ الباقيات الصالحات ﴾ هي : ذكر الله ، والصلاة على محمد رسول الله ، والصلاة ، والصيام ، والحج ، والصدقة ، والعتقُ ، والجهاد ، والصلة ، وجميع أعمال الحسنات ، وهنَّ الباقيات الصالحات التي تبقى لأهلها في الجنة » وهو ما رجحه الطبري .

والقولُ الآخر : إن معنى ﴿ **بَارِزَةً** ﴾ قد أُبرِزَ مِن فيها من الموتى ، فيكونُ هذا على النَّسبَ ، كما قال : « كِلِيني لِهَمٍّ يَاأُمَيْمَةَ نَاصِبِ »[(١)] .

٧٣ ـ **ثم قال جل وعز : ﴿ وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أحداً ﴾** [آية ٤٧] .

أي لم نُبقِ[(٢)] .

٧٤ ـ **ثم قال جلَّ وعز : ﴿ وَعُرِضُوا عَلَى رَبِّكَ صَفًّا .. ﴾** [آية ٤٨] .

أي لا يسترهم شيءٌ ، ولا يحجبهُم[(٣)] .

(١) هذا مطلع قصيدة للنابغة الذبياني يمدح فيها عمرو بن الحارث ، وهو في ديوانه ص ٤٠ :

كليني لهمّ ياأميمةَ نَاصِبِ ... وليلٍ أقاسيه بطيء : الكواكب

والشاهد فيه أن قوله « ناصب » أي ذو نصب ، فهو منصِبٌ ، وناصبٌ على معنى النسب أي همٍّ ذي نَصَب .

(٢) قال القرطبي ٤١٧/١٠ ﴿فلم نغادر منهم أحداً﴾ أي لم نترك ، يُقال : غادرتُ كذا أي تركتهُ ، قال عنترة :

غادَرْتُه مُتَعَفِّراً أَوْصَالُه ... والقومُ بين مُجَرَّحٍ ومُجَدَّلِ

والمغادرةُ : التركُ ، ومنه الغدرُ لأنه تركُ الوفاء ، ومعنى الآية : حشرنا برَّهم وفاجرهم ، وجنَّهم وإنسهم ، فلم نترك منهم أحداً . اهـ .

(٣) المراد أنهم عُرضوا جميعا مصفوفين ، لا يحجب أحدٌ أحداً كما قال مقاتل : يُعرضون صفاً بعد صفٍّ ، كل أمةٍ وزمرةٍ صفاً ، وإلى هذا ذهب الزجاج في معانيه ٢٩٢/٣ حيث قال : معناه أنهم كلهم ظاهرون لله ، تُرى جماعتهُم كما يُرى كل واحدٍ منهم ، لايحجب واحدٌ واحداً . اهـ .

٧٥ ـ **ثم قال جل وعز : ﴿ لَقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ .. ﴾** [آية ٤٨] .

قيل : معناه : بعثناكم كما خلقناكم أوَّل مرَّة(١) .

وقيل : هو كما رُوي أنهم يُحشرون حُفاةً [عُراة] غُرْلاً(٢) .

٧٦ ـ **ثم قال جل وعز : ﴿ بَلْ زَعَمْتُمْ أَنْ لَنْ نَجْعَلَ لَكُمْ مَوْعِداً ﴾** [آية ٤٨] .

أي كنتم تنكرون البعث .

٧٧ ـ **ثم قال جلَّ وعزَّ : ﴿ وَوُضِعَ الكِتَابُ .. ﴾** [آية ٤٩] .

في الكلام حذفٌ : والمعنى : ووُضِعَ الكتابُ في يدِ كلِّ امرىءٍ ، إمَّا في يمينه ، وإمَّا في شماله .

---

(١) انظر معاني القرآن للزجاج ٢٩٢/٣ فقد جاء فيه : أي بعثناكم كما خلقناكم ، قال : وجاء في التفسير أنهم يحشرون حفاة عراة غرلاً .

(٢) معنى « غُرْلاً » جمع أغْرَل ، وهو الأقلف الذي لم يُختتن ، وقد سقط من المخطوطة « عُرَاة » وأثبتناها من تفسير القرطبي ، والمصنف يشير إلى الحديث الذي رواه البخاري ومسلم عن عبدالله بن عباس قال : قام فينا رسولُ الله ﷺ بموعظة فقال : ياأيها الناسُ إنكم محشورون إلى الله حفاةً ، عُراة ، غرلاً ﴿ كما بدأنا أول خلقٍ نعيده وعداً علينا إنا كنا فاعلين ﴾ ألا وإن أول الخلائق يكسى يوم القيامة ، إبراهيمُ عليه السلام ، ألا وإنه سيجاء برجالٍ من أمتي ، فيؤخذ بهم ذات الشمال ـ أي إلى جهنم ـ فأقول : ياربِّ أصحابي ، فيقول : إنك لاتدري ما أحدثوا بعدك .. إنهم لم يزالوا مرتدين على أعقابهم منذ فارقتهم ، فأقول : سُحْقاً ، سُحْقاً » وانظر الروايات في جامع الأصول ٤٢٤/١٠

٧٨ ــ **ثم بيَّن هذا بقوله ﴿ فَتَرَى المُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ ، وَيَقُولُونَ يَاوَيْلَتَنَا مَا لِهَذَا الكِتَابِ ، لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا .. ﴾** [آية ٤٩] .

[أي تراهم خائفين وجلين مما فيه من أعمالهم السيئة ، ويقولون : ما شأن هذا الكتاب لايبقي صغيرة من ذنوبنا ولا كبيرة إلا حفظها وضبطها](١) .

٧٩ ــ **ثم قال جل وعز : ﴿ وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِراً وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَداً ﴾** [آية ٤٩] .

أي إنما تقع العقوبة على المجازاة .

وأصلُ الظلم في اللغة : وضعُ الشيء في غير موضعه .

٨٠ ــ **وقوله جلَّ وعزَّ ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ ، فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الجِنِّ .. ﴾** [آية ٥٠] .

في هذا قولان :

أحدهما : أنه نُسِبَ إلى الجنِّ لأنه عمِلَ عملَهم .

والقول الآخر : أنه منهم(٢) .

---

(١) ما بين الحاصرتين سقط من المخطوطة ، وهو تفسير للآية الكريمة التي أوردها المصنف ، وقد أثبتناها من تفسير الطبري .

(٢) أي من الجنَّ ، وهذا القول هو الأصحُّ والأظهر ، وإليه ذهب الحسن البصري ، وقتادة ، قال =

٨١ ــ **ثم قال جل وعز : ﴿ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ .. ﴾** [آية ٥٠] .

أي فخرج .

وحكى الفَّراءُ : فسَقَتِ الرُّطَبَةُ : إذا خرجت من قِشْرها(١) .

وقال رُؤْبَةُ :

يَهْوِيــنَ في نَجْــدٍ وَغَــوْراً غَائِــراً
فَوَاسِقَــاً عَنِ قَصْدِهَــا جَوَائِــرَا(٢)

وفي هذه الآية سؤال :

= الحسن : ما كان إبليس من الملائكة طرفة عين . ومما يؤيد هذا القول ويقوِّيه الأدلة الآتية :
١ ــ إن الملائكة خلقت من نور ، كما وردت به الأحاديث الصحيحة ، وإبليس خُلِقَ من نار ﴿ خلقتني من نار وخلقته من طين ﴾ فطبيعتهما مختلفة .
٢ ــ إن الملائكة منزهون عن المعصية ﴿ لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون ﴾ وإبليس كفر بربه وعصى أمره .
٣ ــ الملائكة لا يوصفون بذكورة ولا أنوثة ،ولايتناكحون ولا يتناسلون وليس لهم ذرية ولا نسل ، وإبليس له ذرية وبنون ﴿ أفتتخذونه وذريته أولياء من دوني ﴾ ؟
٤ ــ النص الصريح الواضح في هذه السورة الكريمة على أنه من الجن ﴿ كان من الجن ففسق عن أمر ربه ﴾ وكفى بالآية حجة وبرهاناً .

(١) قال الفراء في معانيه ١٤٧/٢ ﴿ ففسق عن أمر ربِّه ﴾ أي خرج عن طاعة ربه ، والعرب تقول : فسقت الرُّطبة من جلدها وقشرها لخروجها منه ، وسميت الفأرة فويسقة لخروجها من جُحرها على الناس . اهـ .

(٢) البيت لرؤبة بن العجاج وهو في ملحق ديوانه ص ١٩٠ وقد استشهد به الأزهري في تهذيب اللغة ٤١٤/٨ وجاء في لسان العرب لابن منظور ٣٠٨/١٠ بلفظ « فواسقاً عن أمره جوائرا » وهو في الطبري ٢٦١/١٥ ومجاز القرآن لأبي عبيدة ٤٠٦/١ وشواهد الكشاف ص ١١٠ .

يُقال : ما معنى ﴿ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ ﴾ ؟

ففي هذا قولان :

أحدهما : ــ وهو مذهبُ الخليل وسيبويه ــ أن المعنى : أتاه الفسقُ لمَّا أُمِرَ فعصَى ، فكانَ سببَ الفسقِ أمرُربِّه ، كما تقول : أطعمتُه عن جُوعٍ[1] .

والقولُ الآخرُ :ــ وهو مذهبُ محمد بن قُطْرب ــ أن المعنى : ففسق عن ردِّ أمر ربه[2] .

٨٢ ــ ثم قال جلَّ وعزَّ : ﴿ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ

---

(١) ذكره الزجاج في معانيه ٢٩٤/٣ واختاره ورجحه على الأقوال الأخرى ، وعبارته ﴿ فَفَسَقَ عن أمرِ ربِّهِ ﴾ فيه ثلاثةُ أوجه :
أ ــ يجوز أن يكون معناه : خرج عن أمر ربه ، يُقال : فعقت الرطبة إذا خرجت عن قشرها .
ب ــ وقال قطرب : يجوز أن يكون معناه : فسق عن ردِّ أمر ربه .
جـ ــ ومذهب سيبويه والخليل ــ وهو الحقُّ عندنا ــ أن معنى ﴿ فَسَقَ عن أمرِ ربِّه ﴾ : أتاه الفسق لمَّا أُمِرَ فعصى ، فكان سببَ فسقه أمرُ ربِّه ، كما تقول : أطعَمَهُ عن جوع ، وكساه عن عُرْيٍ ، المعنى : كان سببَ فسقه الأمرُ بالسجود ، كما كان سببَ الإطعام الجوعُ ، وسببَ الكسوةِ العريُ . اهـ .
أقول : أما شيخ المفسرين الإمام الطبري ، فقد ذهب إلى القول الأول واختاره في جامع البيان ٢٦١/١٥ وهو قول الفراء ، قال ابن جرير ﴿ فَفَسَقَ عنْ أمرِ ربِّه ﴾ عدل عنه ومال . أقول : وهذا القول أوضح وأظهر .

(٢) هذا القول حكاه ابن جرير عن بعض أهل البصرة ٢٦١/١٥ وابن الجوزي ١٠٨/٥ وهو على حذف مضاف مثل ﴿ واسأل القرية) .

عَدُوٌّ .. ﴾ ؟ [آية ٥٠] .

أي أعداء[(١)] .

٨٣ ـ ثم قال جلَّ وعز : ﴿ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلاً ﴾ [آية ٥٠] .

أي بئس ما استبدلوا من طاعة اللّهِ ، طاعة إبليسَ .

٨٤ ـ ثم قال جل وعزَّ : ﴿ مَا أَشْهَدْتُهُمْ خَلْقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ ، وَلَا خَلْقَ أَنْفُسِهِمْ .. ﴾ [آية ٥١] .

أي لم يكونوا موجودين إذْ ذاكَ .

٨٥ ـ ثم قال جلّ وعز : ﴿ وَمَا كُنْتُ مُتَّخِذَ المُضِلِّينَ عَضُدَاً ﴾ [آية ٥١] .

رَوَى معمرٌ عن قتادة قال : أعواناً(٢) .

قال أبو جعفر : وكذلك هو في اللغة ، يُقال : عَضَدَني فلانٌ ، وعَاضَدَني : أي أعانَني وأعزَّني(٣) .

---

(١) ﴿ عَدُوٌّ ﴾ اسم جنس بمعنى أعداء ، كما حكاه المصنف ، كقوله سبحانه ﴿ والعصر . إن الإنسان لفي خسر ﴾ المراد من الإنسان الناس بدليل الاستثناء .

(٢) الأثر أخرجه ابن جرير ٢٦٣/١٥ وابن كثير ١٦٦/٥ والسيوطي في الدر المنثور ٢٢٨/٤ .

(٣) قال في الصحاح ٥٠٩/٢ : عضدتُه أعضُدُه بالضمِّ : أعنتُه ، والمعاضدةُ : المعاونةُ ، واعتضدتُ بفلانٍ أي استعنتُ به . اهـ . قال القرطبي ٢/١١ : الأصلُ فيه عَضُدُ اليد ، ثم يوضع موضع العون ، لأن اليد قوامُها العضدُ ، يُقال : عَضَده وعاضَدَه على كذا : إذا أعانه وأعزَّه ، ومنه قوله تعالى ﴿ سنشدُّ عَضُدَك بأخيك ﴾ أي سنعينك بأخيك .

٨٦ ـ **وقوله جل وعز : ﴿ وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوْا شُرَكَائِيَ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ ، فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ ، وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ مَوْبِقاً ﴾** [آية ٥٢] .

وفي معناه أقوال :

رَوَى عليُّ بنُ أبي طلحة عن ابن عباس قال : مَهْلِكاً[١] .

وكذلك قال الضحاك[٢] .

ورَوَى مَعْمرٌ عن قتادة قال : هلاكاً[٣] .

وَرَوى يزيدُ بنُ درهم عن أنس بنِ مالكٍ في قوله تعالى **﴿ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ مَوْبِقاً ﴾** .

قال : وادياً من قيح ودمٍ في جهنم[٤] .

ورَوَى ابن أبي نجيح عن مجاهد قال : وادٍ في جهنم[٥] .

وكذلك قال نَوْفٌ ، إلا أنه قال : يحجز بينهم وبين المؤمنين[٦] .

وقال أبو عُبيدة : ﴿ مَوْبِقاً ﴾ : موعداً[٧] .

(١ـ٦) انظر الآثار في الطبري ١٥/٢٦٥ والقرطبي ١١/٣ والبحر المحيط ٦/١٣٧ والدر المنثور ٤/٢٢٨ والمحرر الوجيز لابن عطية ٩/٣٣٥ ورجح ابن جرير في جامع البيان قول ابن عباس فقال : « وأولى الأقوال ماذكرناه عن ابن عباس أنه المهلِكُ ، وذلك أن العرب تقول في كلامها : قد أوبقتُ فلاناً : إذا أهلكته ، ومنه قوله سبحانه ﴿ أو يوبقهنَّ بما كسبوا ﴾ بمعنى يهلكهن. اهـ

(٧) انظر مجاز القرآن لأبي عُبيدة ١/٤٠٦ وقد ضعَّف هذا القول ابن عطية في المحرر الوجيز ٩/٣٣٥ واختار أنه المهلك .

وقال عوف[1] : ﴿ مَوْبِقاً ﴾ : أي جعلنا بينهم عداوة[2] .

قال أبو جعفر : وأصحُّ هذه الأقوالِ الأوَّل ، لأنه معروفٌ في اللغة أن يُقال : وَبِقَ ، يَوْبَقُ ، ويَابَقُ ، ويَيْبَقُ .

وَوَبَقَ يَبِق : إذا هَلَك ، وأوبقه اللهُ أي أهلكه[3] .

ومنه : ﴿ أَوْ يُوبِقْهُنَّ بِمَا كَسَبُوا ﴾[4] .

ومنه : أوبقَتْ فلاناً ذنوبُه .

فالمعنى : جعلنا تواصلهم في الدنيا ، مَهْلَكاً لهم في الآخرة[5] .

إلاَّ أنه يجوز أن يُسمَّى الوادي « مَوْبِقاً » لأنه يُهْلِكُ .

٨٧ ـ ثم قال جلَّ وعز : ﴿ وَرَأَى الْمُجْرِمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا أَنَّهُمْ مُوَاقِعُوهَا .. ﴾ [آية ٥٣] .

رَوَى مَعْمرٌ عن قتادة قال : أيقنوا[6] .

---

(١) في التهذيب ١٦٦/٨ « عوف بن أبي جَمِيلة » العبدي الهجري ، قال أحمد : ثقةٌ صالحُ الحديثِ ، وقال ابن معين : ثقة ، وقال ابن سعد : كان ثقةً كثير الحديث ، وكان يتشيَّع ، توفي سنة ١٤٧ هـ .

(٢) الأثر أخرجه ابن جرير عن عوف عن الحسن ٢٦٤/١٥ .

(٣) انظر الصحاح ، والقاموس المحيط مادة وبق .

(٤) سورة الشورى آية رقم ٣٤ .

(٥) هذا قول الفراء في معانيه ١٤٧/٢ .

(٦) الأثر في الطبري ٢٦٥/١٥ والدر المنثور ٢٢٨/٤ ولفظه عن قتادة : علموا أنهم مواقعوها . فظنَّ=

٨٨ ــ **ثم قال جل وعز : ﴿ وَلَمْ يَجِدُوا عَنْهَا مَصْرِفاً ﴾** [آية ٥٣] .

قال أبو عبيدة : أي معدلاً(١) .

٨٩ ــ **وقوله جلَّ وعز : ﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا القُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ ، وَكَانَ الإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا ﴾** [آية ٥٤] .

قيل : يُراد بالإنسان هاهنا : الكفارُ ، وهو في معنى جماعة ، كما قال تعالى ﴿ **إِنَّ الإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ . إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ** ﴾(٢) .

وقيل : هو عامٌّ .

وفي الحديث ما يدلُّ على أنه عامٌّ « أنَّ النبيَّ صلَّى اللهُ عليه وسلم ، لمَّا لَامَ عليَّ بنَ أبي طالب رضي الله عنه ، وفاطمة معه في ترك الصلاة بالليل ، قال عليٌّ : أنفُسَنا بيد اللَّهِ إذا شاء أطلقها .. فخرج النبيُّ ﷺ وهو يقول ﴿ **وَكَانَ الإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلاً** ﴾(٣) » .

= هنا بمعنى علم وأيقن وليست للشك ، ومنه قوله تعالى ﴿ الذين يظنون أنهم ملاقوا ربهم ﴾ أي يوقنون بلقائه .

(١) انظر مجاز القرآن لأبي عُبيدة ٤٠٧/١ .

(٢) سورة العصر آية ٢ و ٣ .

(٣) الحديث أخرجه البخاري في كتاب الصلاة ٦٢/٢ ومسلم في صلاة المسافرين رقم ٧٧٥ وأخرجه أحمد في المسند ١١٢/١ ولفظه كما في الصحيحين (عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أن =

٩٠ ــ **وقوله جلَّ وعزَّ : ﴿ وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الهُدَى ، وَيَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ ، إِلاَّ أَنْ تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ الأَوَّلِينَ .. ﴾** [آية ٥٥] .

في الكلام حذفٌ ، والمعنى : إلاَّ طلبَ أن تأتيهمْ سُنَّةُ الأولين(١) !!

وسُنَّةُ الأوَّلينَ : معاينةُ العذاب ، لأنهم قالوا **﴿ اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ ، فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ ، أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾**(٢) فطلبوا العذاب .

٩١ ــ **ثم قال جل وعز : ﴿ أَوْيَأْتِيَهُمُ العَذَابُ [قِبَلاً](٣) ﴾** [آية ٥٥] .

رَوَى ابنُ أبي نجيح عن مجاهد قال : فَجْأَةً(٤) .

= رسول الله ﷺ طَرقه وفاطمةَ بنتَ النبي عليه السلام ليلةً ــ أي أتاهما من الليل يوقظهما ــ فقال : أَلَا تُصَلِّيان ؟ فقلتُ يارسول الله : أنفسُنا بيدِ اللهِ ، فإذا شاء أن يبعثنا بعثنا ، فانصرف حين قلتُ ذلك ، ولم يَرْجِعْ إليَّ شيئاً ــ أي لم يجادلني فيما قلتُ ــ ثم سمعتُه وهو مولٍّ يضرب فخذه ، وهو يقول : ﴿ وَكَانَ الإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلاً ﴾) اهـ . هذا لفظ البخاري ٦٢/٢ .

(١) هذا قول الزجاج في معانيه ٢٩٦/٣ وهو الأظهر ، وإليه ذهب الحافظ ابن كثير ١٦٨/٥ حيث قال : والمعنى : « ما منعهم من الإيمان ، إلا طلبهم أن يشاهدوا العذاب الذي وُعدوا به عَيَاناً » اهـ . فالمانع هو تكذيبهم وطلبهم أن ينزل بهم عذاب الله .

(٢) سورة الأنفال آية رقم ٣٢ .

(٣) ما بين الحاصرتين سقط من المخطوطة وهو النص القرآني .

(٤) الأثر أخرجه ابن جرير ٢٦٧/١٥ والسيوطي في الدر المنثور ٢٢٨/٤ وعزاه إلى ابن أبي حاتم وابن المنذر ، وابن أبي شيبة .

قال الكسائي : أي عِياناً[1] .

والمعنيان متقاربان .

ويُقرأ : ﴿ **قُبُلَا** ﴾[2] فأكثرُ أهل اللغة على أنه جمعُ قَبِيلٍ ، أي أنواعاً وضروباً[3] .

وقال بعضهم : معناه : يُقابِلهُمْ ، كما يُقال : جاءه من قُبُلٍ .

ومعنى قِبَلا : أي استئنافاً[4] .

كما يُقال : لاأُكلِّمكَ إلى عَشْرٍ من ذي قِبَلٍ .

٩٢ ــ وقولُه جل وعز : ﴿ بَلْ لَهُمْ مَوْعِدٌ لَنْ يَجِدُوا مِنْ دُونِهِ مَوْئِلاً ﴾ [آية ٥٨] .

---

(١) ذكره الفراء في معانيه ١٤٧/٢ وحكاه القرطبي ٦/١١ عن ابن عباس ، وابن الجوزي عن مقاتل ١١١/٥ ولفظه ﴿ إلّا أن تأتيهم سُنَّةُ الأَوَّلين ﴾ عذاب الأمم السالفة ﴿ أو يأتيهم العَذَابُ قِبَلاً ﴾ أي عِياناً قتلاً بالسيف يوم بدر .

(٢) هذه قراءة عاصم ، وحمزة ، والكسائي ﴿ قُبُلاً ﴾ بضم القاف والباء ، وقرأ ابن كثير وأبو عمروٍ ونافع ﴿ قِبَلاً ﴾ بكسر القاف وفتح الباء ، والقراءتان سبعيتان ، وانظر السبعة في القراءات لابن مجاهد ص ٣٩٣ والنشر ٣١١/٢ .

(٣) قال الزجاج في معانيه : ٢٩٦/٣ تأويل ﴿ قِبَلاً ﴾ مُعاينةً ، وتأويل ﴿ قُبلاً ﴾ جمع قبيل ، والمعنى : أو يأتيهم العذاب أنواعاً .

(٤) قال أبو عبيدة في مجاز القرآن ٤٠٧/١ ﴿ قِبَلاً ﴾ أي أولاً ، يُقال : من ذي قِبَل ، فإن فتحوا أولها فالمعنى : استئنافاً .

رَوَى عليٌّ بنُ أبي طلحة عن ابن عباس قال : مَلْجَأً[1] .

وحكى أهلُ اللغةِ وَأَلَ ، يَئِلُ : إذا نجا[2] .

٩٣ ــ وقولُه جلَّ وعز : ﴿ وَتِلْكَ القُرَى أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا .. ﴾ [آية ٥٩] .

والمعنى : أهلُ القُرى[3] .

٩٤ ــ ثم قال جلَّ وعزَّ : ﴿ وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَوْعِداً ﴾ [آية ٥٩] .

يجوز أن يكون المعنى : لإهلاكهم ، فيكون مصدراً .

ويجوز أن يكون المعنى : لوقتِ إهلاكهم .

ومن قرأ ﴿ لِمَهْلَكِهِمْ ﴾[4] ذهب إلى أن المعنى : لهلاكهم ، كما يُقال : جَلَسَ مَجْلَساً ، واسمُ الموضعِ : المجلِسُ .

---

(١) الأثر أخرجه ابن جرير عن ابن عباس ٣٦٩/١٥ وابن الجوزي ١١٢/٥ والسيوطي في الدر المنثور ٢٢٨/٤ .

(٢) في الصحاح ١٨٣٨/٥ : الموئِلُ : الملجأُ ، وقد وَأَلَ إليه يَئِلُ ، وَأْلاً ، ووُءولاً : أي لجأ ، وَوَاءَلَ : أي طلب النجاة .

(٣) أشار المصنف إلى أن الآية على حذف مضاف أي أهلكنا أهلها كقوله سبحانه ﴿ واسأل القرية ﴾ يعني أهلها .

(٤) قال ابن مجاهد في السبعة ص٣٩٣ : قرأ عاصم ﴿ لِمَهْلَكِهِمْ ﴾ بفتح الميم واللام الثانية ، وروى حفص عن عاصم ﴿ لِمَهْلِكِهِم ﴾ بكسر اللام ، والقراءتان سبعيتان ، وانظر أيضاً النشر لابن الجزري ٣١١/٢ .

وهَلَكَ مَهْلَكاً ، واسم الموضع : المَهْلِكُ .

قال مجاهد : ﴿ مَوْعِداً ﴾ : أي أجلاً[1] .

٩٥ ـ **ثم قال جل وعز : ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ .. ﴾** [آية ٦٠] .

قيل : إنما قيل له « فَتَاهُ » لأنه كان يخدمه وهو « يُوشَعُ »[2] .

ومعنى ﴿ لَا أَبْرَحُ ﴾ أي لا أزالُ[3] ، وليس معناه : لا أزولُ .

٩٦ ـ **ثم قال جلَّ وعزَّ ﴿ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ .. ﴾** [آية ٦٠] .

روى مَعْمَرٌ عن قتادة قال : « بحر الروم » و « بحر فارس »[4] .

---

(١) الأثر أخرجه ابن جرير عن مجاهد ١٥/٢٧٠ والسيوطي في الدر ٤/٢٢٨ وعزاه إلى ابن أبي حاتم ، وابن المنذر ، وابن أبي شيبة . وقال ابن كثير ٥/١٦٩ : أي جعلنا هلاكهم لمدة معلومة ، ووقتٍ معيَّن .

(٢) ذكر ابن جرير الطبري ١٥/٢٧١ أن الفتى هو « يوشع » وذكر ابن كثير في تفسيره ٥/١٧٠ أن اسمه « يوشع بن نون » وفي صحيح البخاري في كتاب التفسير ٦/١١١ ذكر اسمه صراحة فقال : « فأخذ حوتاً فجعله في مكتل ، ثم انطلق ، وانطلق معه فتاه « يوشعُ بنُ نونٍ » الحديث

(٣) قال ابن جرير ١٥/٢٧١ ﴿ لا أَبْرَحُ ﴾ أي لاأزال أسير ، وكذلك قال ابن كثير ﴿ لا أبرح ﴾ المعنى : لاأزال سائراً حتى أبلغ ذلك المكان .

(٤) الأثر في الطبري ١٥/٢٧١ قال : هو اجتماع بحر فارس والروم ، وهو قول قتادة ومجاهد ، وذكره =

وقال غيره : هو الموضعُ الذي وَعَدَه اللهُ أن يلقَى فيهِ الخَضِرَ .

٩٧ـ **ثم قال تعالى** : ﴿ **أَوْ أَمْضِيَ حُقُباً** ﴾ [آية ٦٠] .

رَوَى **عَمْرُو بنُ ميمون** عن عبدِاللهِ بن عَمْرٍو قال : الحُقْبُ : ثمانون سنة[1] .

وروَى **ابنُ نجيح قال** : الحقبُ : سبعون خريفاً[2] .

وروَى **مَعْمَرٌ عن قتادة قال** : الحُقْبُ : زمانٌ[3] .

قال أبو جعفر : الذي يعرفه أهلُ اللغةِ أنَّ الحُقْبَ ،

= ابن كثير في تفسيره ١٧٠/٥ وابن عطية في المحرر الوجيز ٣٤٩/٩ والسيوطي في الدر ٢٣٥/٤ وهكذا هو في معظم التفاسير ، قال سيد قطب في تفسيره الظلال ٢٢٧٨/٥ : والأرجح ــ والله أعلم ــ أن مجمع البحرين « بحر الروم » و« بحر القُلزم » أي البحر الأبيض ، والبحر الأحمر ، ومجمعهما مكانُ التقائهما في منطقة البحيرات المُرَّة وبحيرة التمساح ، أو أنه مجمع خليجيْ العقبة والسويس في البحر الأحمر ، قال : فهذه المنطقة كانت مسرح تاريخ بني إسرائيل بعد خروجهم من مصر .. الخ واستبعد قول قتادة ومحمد بن كعب القرظي الذي قال : إن مجمع البحرين عند طنجة في أقصى بلاد المغرب ، وقول قتادة أنه بحر فارس وبحر الروم ، قال : ونحن نستبعد القولين اهـ .

(١)(٢)(٣) تنظر هذه الآثار كلها في تفسير ابن جرير ٢٧٢/١٥ وتفسير ابن كثير ١٧٠/٥ وتفسير ابن الجوزي ١١٥/٥ وتفسير القرطبي ١١/١١ والبحر المحيط ١٤٤/٦ وقد ذكر ابن الجوزي في تفسير الحُقُب ثمانية أقوال كما في زاد المسير ١١٥/٥ واختار ابن عطية أن المراد من الآية ﴿ أو أمضي حُقُباً ﴾ أي أمضي علىَ وجهي زماناً طويلاً وهو قول أبي عُبيدة والزجاج .

والحُقْبَـةَ : زمـانٌ من الدَّهـرِ مبهمٌ ، غيـــرُ محدُودٍ ، كما أن « قَوْمَـــاً » و « رَهْطَاً » مبهمٌ غير محدودٍ .

والحُقُبُ : بضمتين : جمعُهُ أحْقَابٌ .

ويجوز أن يكـون « أحْقَـــابٌ » جمعُ حِقَبٍ ، وحِـــقَبٌ جمعُ حِقْبَةٍ[1] .

٩٨ ــ **ثم قال جل وعز : ﴿ فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا .. ﴾** [آية ٦١] .

قال مجاهد : أي بين البحرين[2] .

وقال أُبي بنُ كعبٍ رحمه اللهُ : افريقية[3] .

٩٩ ــ **ثم قال جل وعـز : ﴿ نَسِيَـا حُوتَهُمَـا فَاتَّخَــذَ سَبِيلَـــهُ فِي البَحْـــرِ سَرَبَاً ﴾** [آية ٦١] .

قيـل : كان النِّسيـانُ من موسى ﷺ أن يتقـدَّم إلى « يوشع » بشيءٍ من أمر الحوت .

---

(١) قال الجوهري : الحُقْبُ بالضم : ثمانـون سنة ، ويُقـال : أكثر من ذلك ، والجمـعُ حِقـابٌ ، والحِقْبةُ بالكسر واحدةُ الحِقَبِ وهي السنون ، والحُقْبُ : الدهرُ ، والأحقابُ : الدُّهـورُ ، ومنـه قولـه تعـالى ﴿ أو أمضِيَ حُقُبـاً ﴾ اهـ الصحـاح ١١٤/١ وانظـر أيضاً تهذيب اللغـة ، ولسان العرب مادة حقب .

(٢) (٣) انظر جامع البيان للطبري ٢٧٢/١٥ والدر المنثور للسيوطي ٢٣٥/٤ وتـفسير ابـن عطيـة ٣٥١/٩ .

وكان النسيانُ من « يوشع » عليه السلامُ أن يُخبِره بِسَرَبِه[1] .

وقيل : أن يُقدِّمَهُ .

ثم قال ﴿ **فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَباً** ﴾ .

السَّرَبُ في اللغة : المَذْهبُ والمَسْلَكُ[2] .

١٠٠ ــ **وقولُه جلَّ وعز** : ﴿ **قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ** ... ﴾ [آية ٦٤] .

أي الذي كنا نبغي ، لأنه وُعِد أن يلقى الخَضِر في الموضع الذي ينسرب فيه[3] .

١٠١ ــ [**ثم قال جلَّ وعز** ﴿ **فَارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصاً** ﴾ [آية ٦٤] .

أي رجعا في الطريق الذي سَلَكاه ، يقصَّان الأثر قصصاً ، والقَصصُ : اتِّباعُ الأثر .

---

(١) قال ابن عطية في المحرر ٣٥١/٩ قوله تعالى ﴿ نسيا حوتهما ﴾ وإنما كان النسيان من الفتى وحده نسي أن يُعلم موسى بما رأى من حال الحوت ، فنُسب فعل الواحد فيه إليهما ، وهذا كما يُقال : فعل بنو فلانٍ الأمر ، وإنما فعله منهم بعضٌ . اهـ .

(٢) قال في البحر ١٤١/٦ السَّرَبُ : المسلكُ في جوف الأرض . اهـ وفي البخاري ١١٢/٦ ﴿ فاتخذ سبيله في البحر سرباً ﴾ : مذهباً ، يسربُ : يسلك ، ومنه ﴿ وساربٌ بالنهار ﴾ اهـ صحيح البخاري .

(٣) قال الطبري ٢٧٥/١٥ ﴿ ذلك ما كنا نبغ ﴾ يعني : نسيانك الحوت هو الذي كنا نلتمس ونطلب ، لأن موسى عليه السلام قيل له : صاحبُك الذي تريده حيث تنسى الحوت .

١٠٢ ــ وقوله جل وعز : ﴿ فَوَجَدَا عَبْداً مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمَاً ﴾ [آية ٦٥] .

يعني به الخَضِر ، وقيل : إنما سُمِّي « الخَضِر » لأنه كان إذا صلَّى في مكان اخضرَّ ما حوله .

وفيما فعله موسى ــ وهو من جِلَّةِ الأنبياء وقد أُوتي التَّوراةَ ــ من طلبه العلم ، والرحلة في ذلك ، ما يدلُّ على أنه لاينبغي لأحدٍ أن يترك طلب العلم ، وإن كان قد بلغ نهايته ، وأحاط بأكثر ما يدركه أهل زمانه ، وأن يتواضع لمن هو أعلم منه .

١٠٣ ــ وقوله جل وعز : ﴿ قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَن مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْداً ﴾؟[آية ٦٦] .

هذا سؤال الملاطِف ، والمخاطِب المبالغ في حسن الأدب ، والمعنى : هل يتفق لك ويخفُّ عليك ، أن تأذن لي في مرافقتك ، لأقتبس من علمك ما يرشدني ؟ وهذا كما في الحديث « هل تستطيع أن تريني كيف كان رسول الله ﷺ يتوضأ » ؟

والرَّشدُ والرُّشْدُ بمعنى واحد ، وهو كثير في اللغة العربية نحو

(١) سقط من المخطوطة بضعُ آيات مع تفسيرها ، وهي ما بين الحاصرتين من قوله تعالى ﴿ فارتدا على آثارهما قصصاً ﴾ إلى قوله سبحانه ﴿ فوجدا فيها جداراً يريد أن ينقضَّ ﴾ وقد أثبتناها مع تفسيرها من معاني القرآن للزجاج ٣٠١/٣ والجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٧/١١ لأن المصنف رحمه الله يعتمد على الزجاج كثيراً ، والقرطبي ينقل عن الإمام النحاس .

البُخْل والبَخَل ، والعُرْب والعَرَب[1] .

١٠٤ ـ وقوله جل وعز : ﴿ قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴾ [آية ٦٧] .

هذا قول الخَضِر لموسى ، ثم أعلمه العِلَّةَ في تركِ الصبر فقال : **﴿ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا ﴾** ؟

أي وكيف تصبر على ما ظاهره خطأ ، ولم تُخْبَر بوجه الحكمة فيه ؟ والأنبياء لا يُقرُّون على منكر ، ولا يسعهم التقرير !! أي لا يَسَعُكَ السكوتُ جرياً على عادتك وحكمك[2] .

١٠٥ ـ وقوله جلَّ وعزَّ : ﴿ قَالَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا .. ﴾ [آية ٦٩] .

هذا قول موسى للخضر ، أي سأصبر بمشيئة الله **﴿ وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا ﴾** أي قد ألزمتُ نفسي طاعتَكَ ، ولن أعصيَ أمرك إن شاء الله .

١٠٦ ـ وقوله جلَّ وعز ﴿ قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴾ [آية ٧٠] .

---

(١) انظر تهذيب اللغة للأزهري ، ولسان العرب لابن منظور ، والصحاح للجوهري مادة «رشَدَ» .

(٢) قال الزجاج في معانيه ٣٠١/٣ : أي وكيف تصبر على ما ظاهره منكر ، والأنبياءُ والصالحون ، لايصبرون على ما يرونه منكراً ؟ .

أي إن إنكرته فلا تعجل بالمسألة إلى أن أبيِّن لك الوجه فيهِ وحتى أكون أنا الذي أفسِّره لك .

شَرَطَ عليه قبل بدء الرحلة ، ألاَّ يسأله ولا يستفسر عن شيء من تصرفاته ، حتى يكشف له عن سِرِّها ، فقبل موسى شرطه ، رعايةً لأدب المتعلِّم مع العالم(١) .

١٠٧ ـ **وقوله جل وعز : ﴿ فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا .. ﴾** [آية ٧١] .

انطلق موسى والخضر يمشيان على ساحل البحر ، حتى مرَّت بهما سفينة ، فعرفوا الخضر ، فحملوهما بدون أجر ، فلما ركبا في السفينة ، عمد الخضر إلى فأس ، فقلع لوحاً من ألواحِ السفينة ، بعد أن أصبحت في لُجَّةِ البحر ، فذلك قوله تعالى ﴿ **حَتَّى إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا** ﴾ أي خرقها الخضر .

١٠٨ ـ **وقوله جلَّ وعز : ﴿ قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا ، لَقَدْ جِئْتَ شَيْئاً إِمْرَاً ﴾** [آية ٧١] .

أي قال له موسى منكراً عليه : أخرقت السفينة لتغرق ركابها ؟ لقد فعلت شيئا عظيماً هائلاً .

---

(١) قصة موسى مع الخضر عليهما السلام تشير إلى أدب « المتعلم مع العالم » وتنبِّه إلى ضرورة الرحلة في طلب العلم ، مهما نال الإنسانَ من المشقة والأهوال ، ففيها بيان فضيلة العلم ، ورعاية الأدب في طلب العلم من الأستاذ المرشد .

ومعنى ﴿ إِمْرًا ﴾ أي شيئاً عظيماً من المنكر .

ويُرْوَى أن موسى لما رأى ذلك ، أخذ ثوبه فجعله مكان الخرق ، ثم قال للخضر : قومٌ حملونا بغير أجر ، عمدت إلى سفينتهم فخرقتها لتغرق أهلها ، لقد فعلتَ أمراً هائلاً عظيماً !!

﴿ **قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا** ﴾ ! أي قال له الخضر : ألم أخبرك من أول الأمر ، إنك لا تستطيع أن تصبر على ما ترى من صنيعي ؟!

ذكَّره بلطفٍ في مخالفته للشرط .

١٠٩ — **ثم قال جل وعز : ﴿ قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا ﴾** [آية ٧٣] .

معنى ﴿ تُرْهِقْنِي ﴾ تُغشِّيني ، أي عاملني باليُسر لا بالعسر .

رُوي عن النبي ﷺ أنه قال : « كانت الأُولى من موسى نسياناً ، وجاء عصفورٌ فوقع على حَرْفِ السفينةِ ، فنقر في البحر نَقْرةً ، فقال له الخضر : ما علمي وعلمُك من علم الله تعالى ، إلاَّ مثل ما نَقَص هذا العصفور من هذا البحر .. »[1] .

---

(١) هذا طرف من حديث طويل أخرجه الشيخان ، وسنذكره بتمامه إن شاء الله ، لما فيه من توضيح لمعاني الآيات الكريمة في هذه القصة الغريبة ، وفيه عبرٌ وعظات ، وأنباءٌ عجيبة . انظر ص ٢٠٨ .

١١٠ ـ **وقوله جل وعز : ﴿ فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا لَقِيَا غُلَاماً فَقَتَلَهُ .. ﴾** [آية ٧٤] .

أي فقَبِلَ عذرَه ، وانطلقا بعد نزولهما من السفينة يمشيان ، فمرَّا بغلمانٍ يلعبون ، وفيهم غلامٌ وضيء الوجه ، جميل الصورة ، فأمسكه الخضر واقتلع رأسه بيده ، ثم رماه في الأرض ﴿ **قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْساً زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئَاً نُكْرَاً** ﴾ أي قال له موسى : أقتلتَ نفساً طاهرة بريئة ، لم تذنب قطُّ ، ولم تقتل نفساً حتى تُقتل به ؟! لقد فعلت شيئاً منكراً عظيماً ، لايمكن السكوتُ عنه ﴿ **قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِي صَبْرَاً** ﴾ أي قال له الخضر : ألم أخبرك أنك لن تستطيع الصبر على ما ترى مني ؟ وقَّره في الأول ، ثم واجهه بكاف الخطاب بقوله ﴿ **لك** ﴾ لعدم العذر هنا .

ومعنى ﴿ **زَكِيَّةً** ﴾ أي بريئة لم يُر ما يوجب قتلها .

وقال هنا ﴿ **نُكْرًا** ﴾ أي منكراً فظيعاً أنكر من الأمر الأول ، وهو أبلغ من قوله ﴿ **إِمْرًا** ﴾ في الآية السابقة(١) . وهو منصوب على ضربين :

أحدهما : معناه : أتيتَ شيئاً نُكراً .

---

(١) انظر جامع الأحكام للقرطبي ٢٢/١١ والمحرر الوجيز لابن عطية ٣٦٦/٩ ومعاني القرآن للزجاج ٣٠٣/٣ .

والثاني : معناه : جئتَ بشيءٍ نُكْرٍ ، فلما حذف الباء أفضى إلى الفعل فنصبه .

١١١ ــ **ثم قال جل وعز : ﴿ قَالَ إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْراً ﴾** [آية ٧٦] .

أي إن أنكرتُ عليك بعد هذه المرة ، واعترضتُ على ما يصدر منك ، فلا تصحبني معك ، فقد أعذرتَ إليَّ ونبهتني على مخالفتي الشرط ، فأنت معذورٌ عندي .

١١٢ ــ **وقوله جلَّ وعزَّ : ﴿ فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا .. ﴾** [آية ٧٧] .

أي مشيا حتى وصلا إلى قرية ، فطلبا طعاما فلم يعطوهما ، واستضافاهم فلم يُضيِّفوهما .

قال ابن عباس : هي انطاكية[1] .

وقال ابن سيرين : هي الأيلة[2] .

١١٣ ــ **ثم قال تعالى : ﴿ فَوَجَدَا فِيهَا جِدَاراً يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَّ فَأَقَامَهُ ﴾** [آية ٧٧] .

---

(١)(٢) انظر جامع البيان للطبري ٢٨٨/١٥ والدر المنثور للسيوطي ٢٣٧/٤ وتفسير القرطبي ٢٢/١١ .

والمعنى : وجدا في القرية حائطاً مائلاً ، يوشك أن يسقط ويقع ، فمسحه الخضر بيده فاستقام .

وقيل : إنه هدمه ثم بناه .

ورُوي أن موسى قال للخضر : قومٌ استطعمناهم فلم يطعمونا ، وضفناهم فلم يضيِّفونا ، ثم قعدت تبني لهم الجدار ﴿ **لَوْ شئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أجراً** !! ﴾

وقوله تعالى ﴿ **يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَّ** ﴾ أي يوشك أن يسقط ، وهذا مجازٌ وتوسُّع ، وهو في كلام العرب وأشعارها كثيرٌ ، فمن ذلك قول عنترة][1] :

وَازْوَرَّ مِنْ وَقْعِ القَنَا بَلَبَانِهِ
وَشَكَا إلَيَّ بِعَبْرَةٍ وَتَحَمْحُم[2]

وقولُ الآخر :

يُرِيدُ الرُّمْحُ صَدْرَ أبي بَرَاءٍ
وَيَرْغَبُ عَنْ دِمَاءِ بَنِي عَقِيَل[3]

(١) إلى هنا السقط ، وقد أثبتناه كما ذكرنا من تفسير القرطبي ، ومعاني القرآن للزجاج .

(٢) البيت لعنترة من معلقته المشهورة ، وهو من شواهد الطبري ١٥/٢٨٩ والفراء ٢/١٥٦ ومعنى « ازورَّ » : مال ، والقنا : الرماحُ ، واللَّبانُ : الصَّدرُ ، والشاهد فيه أن البعير لايشكو ، وإنما هو من باب التمثيل .

(٣) البيت في اللسان (رود) غير منسوب ، وهو من شواهد أبي عُبيدة في مجاز القرآن منسوباً =

١١٤ ـ **وقوله جلَّ وعزَّ : ﴿ قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ .. ﴾** [آية ٧٨] .

سيبويه يذهب إلى أن إعادة « بين » في مثل هذا على التوكيد ، أي فراقُ بينِنَا ، كما يُقال : أخزَى اللَّهُ الكاذبَ مني ومنك ، أي منَّا .

١١٥ ـ **وقولُه جلَّ وعزَّ : ﴿ أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ ..﴾** [آية ٧٩] .

أهلُ اللغةِ جميعاً لا نعلمُ بينهم اختلافاً ، يقولون : المسكينُ : الذي لا شيءَ له ، والفقيرُ : الذي له الشيءُ اليسيرُ(١) .

وأكثرُ الفقهاء على ضدِّ هذا فيهما ، ويحتجون بهذه الآية(٢) .

قال أبو جعفر : قيل : وليس قولُه **﴿ كَانَتْ لِمَسَاكِينَ**

= للحارثي ٤١٠/١ والطبري ٢٨٩/١٥ وجامع الأحكام ٢٦/١١ والإرادة لا تكون من الرمح ، لأنه لا حياة له ، وإنما مثَّل الشاعر له بالإنسان العاقل ، الذي يرغب في قتل عدوِّه دون صديقه ، كما أن الجدار ليس له إرادة ، لأن تهيُّؤه للسقوط قد ظهر كما تظهر رغبة الإنسان .

(١) قال الجوهري ٢١٣٧/٥ : المِسكينُ : الفقيرُ ، وقد يكون بمعنى الذلَّة والضعف ، وكان يونس يقول : المسكين أشدُّ حالاً من الفقير ، وقلتُ لأعرابي : أفقيرٌ أنت ؟ فقال : لا واللهِ ، بل مسكين ، وفي الحديث (ليس المسكينُ الذي تردُّه اللُّقمةُ واللقمتان ، وإنما المسكينُ الذي لايسأل ، ولا يُفطنُ له فيُعطى) . اهـ الصحاح .

(٢) ليس في الآية حجة لمن قال إن المسكين أحسن حالاً من الفقير ، فإن الآية إنما أريد بها الشفقة والترحم أي كانت لأناس ضعفاء لايقدرون على مجابهة الملك الظالم .

يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ ﴾ يدلُّ على أنهم كانوا يملكونها .. ألا ترى أن النبي ﷺ قال : « من باع عبداً له مالٌ ، فمالُه للبائع »[1] .

فليس قولُه « له مَالٌ » ممَّا يوجب أنه يملكه ، وهذا كثيرٌ جداً ، منه قول اللهِ جلَّ وعز ﴿ وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ ﴾[2] .

ومنه قولهم : بابُ الدَّار ، وجُلُّ الدابَّة ، والأشياءُ تُضاف إلى الأشياء ، ولا يوجبُ ذلك مِلْكاً ، فأُضيفت إليهم لأنهم كانوا يعملون فيها ، كما أُضيف المالُ إلى العبدِ لأنَّه معه .

والاشتقاقُ يوجبُ ما قال أهلُ اللغةِ ، لأن « مسكيناً » مأخوذٌ من السُّكونِ ، وهو عدمُ الحركة ، فكأنه بمنزلة الميِّتِ[3] .

والفقيرُ كأنه الذي كُسِر فَقَارُهُ ، فقد بقيتْ له بقيَّةٌ .

---

(١) الحديث أخرجه أبو داود في الإجارة رقم ٣٤٣٥ عن جابر بن عبدالله مرفوعاً ، وفي إسناده مجهول ، وهو الراوي عن جابر ، وبقية رجاله ثقات ، وتتمة الحديث (فمالُهُ للبائع إلاَّ أن يشترط المبتاع) ورواه أحمد في المسند ٨٢/٢ باللفظ الذي رواه أبو داود ، ورواه مسلم رقم ١٥٤٣ بلفظ « ومن ابتاع عبداً فماله للذي باعه ، إلا أن يشترط المبتاع » .

(٢) سورة العنكبوت آية ٤١ وهذا مثلٌ ضربه الله لعابد الصنم ، وأضيف البيت إلى العنكبوت لأنها تسكنه .

(٣) هذا من أدلة أبي حنيفة على أن المسكين أسوأ حالاً من الفقير ، لأنه لشدة فقره سكن عن الحركة واستدل بقوله تعالى ﴿ أو مسكيناً ذَا مَتْرَبَةٍ ﴾ أي كأنه لم يجد ما يستره ، فلصق بالتراب من فقره وضُرِّه ، وهو كناية عن شدة الفقر والبؤس .

ويدلُّ على هذا أيضاً حديثُ النبي ﷺ .. حدثنا أحمد بن منصور الحاسبُ ، قال : حدثنا عليُّ بنُ الجَعْدِ ، قال : أَنبأنا حمَّادُ ابنُ سلمة ، عن محمد بنِ زياد ، قال : سمعتُ أبا هريرةَ يقول ، سمعت أبا القاسم عليه السلام يقول : « إنَّ المسكينَ ليس بالطوَّاف الذي تَرُدُّه التَّمرةُ والتَّمرتان ، والأُكْلَةُ والأُكْلَتانِ ، ولكنِ المسكينُ الذي لايجدُ غنىً يُغنيه ، ولا يسألُ النَّاسَ إلحافاً »(1) .

١١٦ ــ **وقولُه جلَّ وعز : ﴿ وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴾** [آية ٧٩] .

رَوَى ابن عُيَيْنَةَ ، عن عَمْرِو بنِ دينارٍ ، عن سعيدِ بنِ جُبير ، عن ابن عباس أنه قرأ ﴿ **وَكَانَ أَمَامَهُمْ مَلِكٌ** ﴾(2) .

قال أبو جعفر : في « وراء » هاهنا قولان :

أحدهما : أنه بمعنى أَمَام .

والآخر : أنه بمعنى خَلْف ، على بابِهِ ، كأنه قال : على

---

(١) الحديث أخرجه البخاري في الزكاة ، وفي تفسير سورة البقرة ٦/٤٠ بلفظ .« ليس المسكينُ الذي تردُّه التمرة والتمرتان ، ولا اللُّقمةُ ولا اللُّقمتان ، إنما المسكينُ الذي يتعفَّف ، واقرءوا إن شئتم ﴿ لايسألون الناس إلحافاً ﴾ ورواه مسلم رقم ١٠٣٩ في الزكاة ، ومالك في الموطأ ٢/٩٢٣ وأبو داود رقم ١٦٣١ والنسائي ٥/٨٥ في الزكاة .

(٢) ذكر هذه القراءة ابن جرير الطبري ١٦/١ عن ابن عباس ، وذكرها القرطبي في جامع الأحكام ١١ /٣ وأبو حيان في البحر المحيط ٦ /١٥٤ والسيوطي في الدر ٤/٢٣٧ وعزاها إلى ابن حاتم والحاكم ، وليست من القراءات السبع .

طريقهم إذا رجعوا(٢) .

والقولُ الأول أحسنُ ، لقراءة ابنِ عباس رحمه اللّـهُ به ، وأن اللُّغةَ تُجيزه ، لأنَّ ما توارى عنك فهو وراء ، فهذا يقع لما كان أَمَاماً(٢) .

ثم قال ﴿ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْباً﴾ [آية ٧٩] .

وقرأ عثمان رحمه الله ﴿ كُلَّ سَفِينَةٍ صَالِحَةٍ غَصْباً ﴾(٣) .

١١٧ ــ ثم قال جل وعز ﴿ وَأَمَّا الغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ ..﴾ [آية ٨٠] .

رَوَى ابنُ عُيَيْنَةَ عن عمروِ بنِ دينارٍ ، عن سعيدِ بن جُبير ، عن ابن عباس ، أنه قرأ ﴿ وَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ وَكَانَ كَافِراً ﴾(٤) .

---

(١) هذا ما رجحه الزجاج في معانيه ٣٠٥/٣ أن معنى ﴿وَرَاءهم﴾ : خلفهم ، قال : هذا أجود الوجهين ، وكذلك رجح ابن عطية في المحرر الوجيز ٣٧٨/٩ قال الزجاج : وقيل ﴿ وكان وراءهم﴾ معناه : كان قُدَّامهم ، وهذا جائز في العربية ، لأن ما بين يديك إذا توارى عنك ، فقد صار وراءك ، قال الشاعر :

ألـيس ورائي إن تراختْ منيّتي لُزوم العصا تُحْنَى عليها الأَصَابِعُ ؟

(٢) ذكرها ابن جرير ٢/١٦ عن قتادة قال : هي في حرف ابن مسعود « كل سفينةٍ صالحة غصباً » وذكرها السيوطي في الدر ٢٣٧/٤ والقرطبي في جامع الأحكام ٣٤/١١ وهي محمولة على التفسير ، وليست من القراءات السبع المتواترة .

(٣) وهذه أيضاً محمولة على التفسير ، حكاها الطبري ٣/١٦ وابن الجوزي عن ابن عباس ١٢٥/٥ وهي من القراءات الشاذة .

وروى أُبَـيُّ بنُ كعبٍ عن النبـي ﷺ قال : « طُبـِعَ على الكفرِ ، فأُلقي على أبويه محبَّتَه »[1] .

١١٨ ـ ثم قال جل وعز ﴿ فَخَشِينَـا أَنْ يُرهقَهُمَـا طُغْيَانـاً وَكُفْـرَاً ﴾ [آية ٨٠] .

﴿ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا ﴾ .

﴿ فَأَرَدْنَا أَنْ يُبَدِلهُمَا ﴾ .

قال أبـو حاتم[2] ، هذا من كلام صاحب موسى يعنـي الخضر[3] .

وقال غيرهُ : هو من قولِ اللّهِ جلَّ وعز .

فإن قال قائل : كيف يجوز أن يكون **﴿ فَخَشِينَا ﴾** إخباراً **عن الله ؟**

فالجوابُ عنه : أن الفـرَّاءَ قال **﴿ فَخَشِينَـا ﴾** بمعنـى : فعلمنا[4] ، كما يُقال : ظَنَنَّا بمعنى : عِلمْنَا .

---

(١) الحديث أخرجه مسلم ١٨٥٢/٤ وأبو داود رقم ٤٧٠٥ بلفظ « الغلام الذي قتله الخضر ، طُبِع كافراً ، ولو عاش لأرهق أبويه طغياناً وكفراً » وانظر جامع الأصول ٢٢٩/٢ .

(٢) أبو حاتم هو : سهل بن محمد السجستاني ، أخذ عنه المبرِّد وابن دُريد ، وقد تقدمت ترجمته

(٣) هذا هو الأصحُّ والأظهرُ ، أنه من كلام الخضر ، بدليل قوله بعده ﴿ فأردنـا أن يُبدلهمـا ربُّهما ﴾ الآية ورجحهُ ابن عطية والزجَّاج .

(٤) انظر معاني الفراء ١٥٧/٢ ولفظه ﴿ فخشينا ﴾ : فعلمنـا ، قال : والخوفُ والظنُّ يُذْهبُ بهما مذهب العلم ، وأما تفسير النحاس « فخشينا » بمعنى أردنا ، فبعيد .

وقال البصريون : يُقال : خشيتُ الشيءَ بمعنى : كرهته[1] ، وبمعنى : فزعتُ منه ، كما يقال للرجل : أخشى أن يكون كذا وكذا : أي أكرهُ .

وقال الأخفش : وفي قراءة أُبَيٍّ ﴿ **فَخَافَ رَبُّكَ أَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَاناً وَكُفْراً** ﴾[2] .

وقال غيره : وكذلك هو في مصحف عبدالله .

والكلامُ في « خِفْتُ » و« خَشِيتُ » واحدٌ .

حكى الأخفشُ « خفتُ أن تقولا » بمعنى : كرهتُ أن تقولا .

ومعنى ﴿ **أَنْ يُرْهِقَهُمَا** ﴾ : أن يُلحقهما ، أي أن يحملهما على الرَّهقِ وهو الجهلُ[3] .

---

(١) قال الزجاج ٣/٣٠٥ : الخشيةُ من الله عز وجل معناه : الكراهةُ ، ومعناها من الآدميِّين : الخوف

(٢) انظر معاني الأخفش ٢/٦٢٠ ولفظُه : ﴿ خشينا ﴾ معناه كرهنا ، لأن الله لا يخشى ، وهو في بعض القراءات ﴿ فَخَافَ رَبُّكَ ﴾ . اهـ .

أقول : وهذه القراءة من القراءات الشاذة ، ذكرها ابن جرير في جامع البيان ٣/١٦ وابن عطية في المحرر الوجيز ٩/٣٨٢ والسيوطي في الدر المنثور ٤/٢٣٧ وهي محمولة على معنى العلم كما قال ابن جرير : أي فعلمنا أن يرهقهما ، أو بمعنى الكراهة كما قال الأخفش ﴿ فخشينا ﴾ أي فكرهنا . اهـ .

(٣) انظر لسان العرب ، والصحاح ، والمصباح المنير ، مادة رهق .

وقال أبو زيد[1] : أرهقتُه : كلَّفْتُه .

١١٩ ــ **وقوله جل وعز : ﴿ فَأَرَدْنَا أَنْ يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْراً مِنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْماً﴾** [آية ٨١] .

قال ابن جريج : ﴿ زَكَاةً ﴾ أي : إسلاماً[2] .

وقال الفرَّاءُ : إصلاحاً .

قال ابن جريج : وحدثني عبدالله بن عثمان بن خُثَيْم عن سعيد بن جبير قال : أُبْدِلا منه جاريةً[3] .

قال ابنُ جريج : وهما بها أرحم .

قال ابنُ عباس : أُبدِلَا منه جاريةً فولدت نبياً[4] .

وحكى الفراء : رحِمتُه رَحْمَةً ، ورُحْمَةً[5] .

وحكى الأصمعيُّ عن أبي عمرو بن العلاء[6] : رَحِمَهُ اللَّهُ رُحْماً .

---

(١) أبو زيد : هو سعيد بن أوس بن ثابت الأنصاري ، أحد أئمة الأدب واللغة ، توفي سنة ٢١٥ هـ وانظر الأعلام .

(٢)و(٣)و(٤) انظر هذه الآثار في تفسير الطبري ٤/١٦ والبحر المحيط ١٥٥/٦ وابن كثير ١٨١/٥ والدر المنثور ٢٣٨/٤ والمحرر الوجيز ٣٨٣/٩ .

(٥) انظر معاني الفراء ١٥٧/٢ .

(٦) أبو عمرو بن العلاء المازني النحوي ، من كبار علماء اللغة والقراءات ، توفي سنة ١٥٤هـ وانظر ترجمته في التهذيب ١٧٨/١٢ .

ويجوز على مذهب الخليل : رَحْمَاً بالفتح[1] .

١٢٠ ــ **وقولُه جلَّ وعزَّ : ﴿ وَأَمَّا الجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي المَدِينَةِ ، وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا ..﴾** [آية ٨٢] .

قال سعيدُ بنُ جُبَيرٍ ومجاهدٌ : عِلمٌ[2] .

وقال قتادة وعكرمة : مالٌ[3] .

وهذا القولُ أَوْلَى من جهة اللغة ، لأنه إذا قيل : عند فلانٍ كنزٌ ، فإنما يُراد به المالُ المدفونُ ، والمدَّخرُ .

فإن أراد غير ذلك بيَّنَ ، فقال : عنده كنزُ علمٍ ، وكنزُ فهمٍ .

ويحتملُ أن يكون كما رُوي أنه لوحٌ من ذهبٍ ، مكتوبٌ فيه « لا إله إلا اللهُ ، محمد رسولُ اللَّهِ »[4] فهذا يجمع المالَ والعلمَ .

---

(١) قال في البحر ١٥٥/٦ : الرَّحْمُ والرَّحمةُ : العطفُ ، كالكُثْرِ ، والكَثْرةِ ، والظاهر أن قوله ﴿ وأقرب رُحْماً ﴾ أي رحمةَ والديه ، وقال ابن جريج يرحمانه ، وقال رؤبة ابن العجَّاج :

يامُنزِلَ الرَّحْمِ على إدْرِيسَا ومُنزِل اللَّعنِ على إبْلِيسَا

(٢)(٣) الأثران في الطبري ١٦/٦ والبحر ١٥٥/٦ وابن كثير ١٨٢/٥ ورجح الطبري وابن كثير قول قتادة وعكرمة أن الكنز مالٌ مدفون .

قال ابن كثير : وهذا ظاهر السياق من الآية ، وهو اختيار ابن جرير يرحمه الله .

(٤) هذه الرواية رُويت عن أبي ذر ، وهي في مسند البزار كما حكاه الحافظ ابن كثير ١٨٢/٥ قال : « إن الكنز الذي ذكره الله في كتابه ، لوحٌ من ذهبٍ مُصْمتٍ ــ أي غير مجوَّف ــ مكتوب فيه ، عجبتُ لمن أيقن بالقدر لم نَصِب ؟ وعجبتُ لمن ذكر النار لمَ ضحك ؟ وعجبتُ لمن ذكر الموت لمَ غفل ؟ لا إله إلا الله ، محمد رسول الله » .

١٢١ ــ وقوله جلَّ وعز : ﴿ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ، ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرَاً﴾ [آية ٨٢] .

يدلُّ على أنَّ ذلكَ كانَ بوحيٍ(١) .

(١) قصة موسى والخضر كما في الصحيحين : عن أبيّ بن كعب عن رسول الله ﷺ أنه قال : « إن موسى قام خطيباً في بني إسرائيل فسئل أي الناس أعلم ؟ فقال : أنا ، فعتب الله عز وجل عليه إذْ لم يُرِدَّ العلم إليه ، فأوحى الله إليه أنَّ لي عبداً بمجمع البحرين هو أعلم منك ، قال موسى يارب فكيف لي به ؟ قال : تأخذ حوتاً فتجعله في مِكْتل فحيثما فقدتَ الحوتَ فهو ثمَّ ، فانطلق موسى : ومعه فتاه « يوشع بن نون » حتى إذا أتيا الصخرة وضعا رؤوسهما فناما واضطرب الحوت في المِكْتل فخرج منه فسقط في البحر فاتخذ سبيله في البحر سَرَباً ، وأمسك الله عن الحوت جرية الماء فصار عليه مثل الطاق ، فلما استيقظ نسي صاحبه أن يخبره بالحوت فانطلقا بقية يومهما وليلتهما حتى إذا كان من الغد قال موسى لفتاه : آتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصباً ــ قال ولم يجد موسى النَّصب حتى جاوز المكان الذي أمره الله به ــ فقال فتاه ﴿ أرأيتَ إذْ أوينا إلى الصخرة فإني نسيتُ الحوت وما أنسانيه إلا الشيطان أن أذكره واتخذ سبيله في البحر عجباً ﴾ قال فكان للحوت سَرَباً ولموسى وفتاه عَجَباً فقال موسى ﴿ ذلك ما كنّا نبغ فارتدا على آثارهما قَصصاً ﴾ قال رجعا يقصان آثارهما حتى انتهيا إلى الصخرة ، فإذا هو مسجَّى بثوب فسلَّم عليه موسى قال الخضر : وأنَّى بأرضك السلام ! من أنت ؟ قال : أنا موسى ، قال موسى بني إسرائيل ؟ قال نعم أتيتك لتعلمني مما عُلمت رُشداً ﴿ قال إنك لن تستطيع معي صبراً ﴾ .. ياموسى إني على علم من علم الله لا تعلمه علَّمنيه ، وأنت على علمٍ من علم الله علَّمكه لا أعلمه ، فقال موسى ﴿ ستجدني إن شاء الله صابراً ولا أعصي لك أمراً ﴾ فقال له الخضر ﴿ فإن اتبعتني فلا تسألني عن شيء حتى أُحدث لك منه ذكراً ﴾ فانطلقا يمشيان على الساحل فمرت سفينة فكلموهم أن يحملوهم فعرفوا الخضر فحملوهم بغير نوْل ــ أي بدون أجر ــ فلما ركبا في السفينة لم يفجأ إلا والخضر قد قلع لوحاً من ألواح السفينة بالقدوم ، فقال له موسى : قومٌ قد حملونا بغير نوْل عمدت إلى سفينتهم فخرقتها ﴿ لتغرق أهلها لقد جئت شيئاً إمرْاً ﴾ قال رسول الله ﷺ : وكانت الأولى من موسى=

١٢٢ ــ وقوله جل وعز : ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ ذِي القَرْنَيْنِ ، قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْراً﴾ [آية ٨٣] .

رَوَى أبو الطُّفَيل أنّ ابنَ الكوَّا سأل عليَّ بن أبي طالب رضي الله عنه عن « ذي القرنين » أكان نبيًّا أو مَلِكاً ؟ فقال : لم يكن نبيًّا ولا ملِكاً ، ولكنْ كان عبداً صالحاً ، أحبَّ اللَّهَ فأحبَّهُ ، ونَصَحَ اللَّهَ فنَصَحه اللَّهُ ، ضُرب على قرنه الأيمن فمات ، فبعثه الله ، ثم ضُرب على قرنه الأيسر فمات ، ففيكم مثلُه »؟[1] .

قال أبو جعفر : وهذا أجلُّ إسنادٍ رُوي في تَسَمِّيه بذي القرنين .

= نسياناً ، وجاء عصفورٌ فوقع على حرف السفينة فنقر في البحر نقرة فقال له الخضر : ما علمي وعلمكَ من علم الله تعالى إلا مثل ما نقص هذا العصفور من هذا البحر ، ثم خرجا من السفينة فبينا هما يمشيان على الساحل إذْ أبصر الخضر غلاماً يلعب مع الغلمان ، فأخذ الخضر رأسه فاقتلعه فقتله ، فقال له موسى ﴿ أقتلتَ نفساً زكيَّةً بغير نفس لقد جئت شيئاً نُكراً ﴾قال ألم أقل لك إنك لن تستطيع معي صبراً﴾ قال سُفيان : وهذه أشدُّ من الأولى ﴿ قال إن سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني قد بلغتَ من لدُني عذراً ﴾ فانطلقا ﴿ حتى إذا أتيا أهل قرية استطعما أهلها فأبوا أن يضيّفوهما فوجدا فيها جداراً يريد أن ينقضَّ ﴾ فقال الخضر بيده هكذا ــ أي أشار بيده ــ فأقامه فقال موسى : قوم أتيناهم فلم يطعمونا ، ولم يضيفونا ﴿ لو شئت لاتخذت عليه أجراً ﴾قال الخضر : ﴿ هذا فِراق بيني وبينك سأنبئك بتأويل ما لم تستطع عليه صبراً ﴾ قال رسول الله ﷺ : يرحم الله موسى لوددت أنه كان صبر حتى يقصَّ الله علينا من أخبارهما » !! أخرجها الشيخان .

(١) الأثر أخرجه الطبري في جامع البيان ١٦/٩ وابن كثير ١٨٦/٥ والسيوطي في الدر ٢٤١/٤ وعزاه إلى ابن المنذر ، وابن أبي حاتم ، وابن مردوية .

وقد قيل : كانتْ له ضفيرتان[1] .

وقيل : لأنه بلغ قُطْرَي الأرضِ : المشرقَ ، والمغرب[2] .

قال محمد بن إسحاق : حدَّثني من يسوقُ الأحاديثَ عن الأعاجم ، فيما توارثوا من علمه : إنَّ ذَا القَرنينِ كان رجلاً من أهل مصرَ . اسمُه « مرزبان بن مَرْدَبة » اليوناني ، من ولد « يونان بن يافث بن نوح » .

قال ابن هشام : واسمُه « الاسكندرُ » وهو الذي بنى الاسكندرية فنُسِبْت إليه[3] .

قال محمد بن إسحق : وقد حدَّثني ثوْرُ بن يزيد ، عن خالد بن مَعْدانَ الكَلَاعي ـــ وكان رجلاً قد أدرك [الناس][4] ـــ أن رسول الله ﷺ سُئِل عن ذي القرنَيْنِ ، فقال : « ملِكٌ مَسَحَ الأرضَ من تحتِها بالأسباب » .

وقال خالدٌ : سمع عمرَ بنَ الخطَّاب ـــ رحمةُ اللهِ عليه ـــ

---

(١)(٢) انظر جامع البيان ٩/١٦ والبحر المحيط ١٥٨/٦ وتفسير ابن كثير ١٨٦/٥ والدر المنثور ٢٤١/٤ وزاد المسير لابن الجوزي ١٢٨/٥ .

(٣) ذكره الإمام القرطبي في جامع أحكام القرآن ٤٥/١١ كما ذكر ابن اسحق في السِّير والمغازي ص٢٠٢ طرفاً من قصة ذي القرنين ، وكذلك ابن هشام ١٥٧/٢ تحت عنوان سؤالهم له ﷺ عن ذي القرنين .

(٤) ما بين الحاصرتين سقط من المخطوطة ، وأثبتناه من جامع أحكام القرآن للقرطبي ٤٦/١١ .

رجلاً يقول : ياذا القرنين ، فقال عمر : « اللهم غَفْراً ، أَمَا رضيتم أن تُسَمُّوْا بالنبِيِّين ، حتى تسمَّيتم بالملائكة »[1] ؟

١٢٣ ــ **وقوله جل وعز : ﴿ إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الأَرْضِ وآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَباً﴾** [آية ٨٤] .

رَوَى عليُّ بنُ أبي طلحة عن ابن عباس قال : علماً[2] .

والمعنى على هذا التفسير : علماً يصل به إلى المسير في أقطار الأرض .

١٢٤ ــ **ثم قال تعالى ﴿ فَأَتْبَعَ سَبَباً﴾** [آية ٨٥] .

رَوَى ابنُ أبي نجيح عن مجاهد قال : منزلاً وطريقاً بين المشرق والمغرب[3] .

١٢٥ ــ **ثم قال جل وعز : ﴿ حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ ..﴾** [آية ٨٦] .

---

(١) في القرطبي ٤٦/١١ : « أما رضيتم أن تسمُّوا بأسماء الأنبياء حتى تسميتم بأسماء الملائكة » ونقل عن عليٍّ رضي الله عنه مثل قول عمر ، وهذا أظهر وأوضح من لفظ المصنف « أما رضيتم ان تسموا بالنبيِّين حتى تسميتم بالملائكة » .

(٢) الأثر ذكره الطبري ٩/١٦ وابن كثير ١٨٦/٥ وابن الجوزي ١٢٩/٥ ولفظه : علماً يتسبَّب به إلى ما يريد .

(٣) انظر الأثر في جامع البيان ١٠/١٦ وابن كثير ١٨٦/٥ وقد سقطت الواو من المخطوطة فكتبت « منزلاً طريقاً » وأثبتناها من تفسير الطبري ، وابن كثير ، كما ورد فيهما عن مجاهد .

قرأ عبدُ اللهِ بنُ مسعود وابنُ الزبير : ﴿ حَامِية ﴾[1] .

وقرأ ابن عباس : ﴿ حَمِئَةٍ ﴾[2] .

قال أبو جعفر : حدثنا إبراهيمُ بنُ محمد بنِ عرفَةَ ، قال : حدثنا محمد بنُ عبدِ الملِكِ ، قال : حدثنا يزيدُ بن هارونَ ، قال : حدثنا عمروُ بنُ ميمون ، قال : سمعتُ أبا حاضرٍ[3] يقول : سمعتُ ابن عباس يقول : كنتُ عند معاوية ، فقرأ ﴿ **تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَامِيَةٍ** ﴾ فقلت : ما نقرؤها إلاَّ « حَمِئَةٍ » فقال لعبداللَّهِ بنِ عَمْروٍ : كيف تقرؤُها يا عبدَاللَّهِ بن عمْروٍ؟ قالَ : كما قرأتَها يا أمير المؤمنين ، فقلتُ : في بيتي ياأميرَ المؤمنين أُنزِلَ القرآنُ !!

فأَرْسَلَ معاويةُ إلى كعبٍ ، فقال : أينَ تجدُ الشمسَ تغربُ في التوراة ؟ فقال : أمَّا في العربية فأنتم أعلمُ بها ، وأمَّا أنا فأجدُ الشمسَ في التوارةِ ، تغربُ في ماءٍ وطين ، وأشار بيده إلى المغرب ، فقلتُ لابن عباس : لو كنتُ عندك فرفدتك بكلمةٍ تزداد بها بصيرةً في « حمئةٍ » !! قال ابن عباس : ما هي ؟ قلتُ : فيما نأثُرُ من قول تُبَّع فيما ذكَرَ به ذا القرنين من قوله :

---

(١)و(٢) كلتا القراءتين من القراءات السبع كما في السبعة لابن مجاهد ص ٣٩٨ فلقد قرأ ابنُ كثير ، ونافع ، وأبو عمرو ﴿ في عينٍ حَمِئةٍ ﴾ وكذلك عاصم في رواية حفص ، وقرأ ابن عامر ، وحمزة ، والكسائي ﴿ حَامية ﴾ وانظر أيضاً النشر ٣١٤/٢ .

(٣) أبو حاضر : هو « عثمان بن حاضر » سمع ابن عباس رضي الله عنه ، وانظر المقتنى في سرد الكنى رقم الترجمة ٢٩٧ وقد ذكر السيوطي في الدر ٢٤٨/٤ أنه عثمان بن أبي حاضر وصوابه « عثمان بن حاضر » كما في التهذيب ١٠٩/٧ .

بَلَـغَ الـمَشَارِقَ وَالْمَغَـارِبَ يَبْتَغِـي
أَسْبَـابَ أَمْـرٍ من حَكيـمٍ مُرشِدِ
فَرَأى مَغِيبَ الشَّمْسِ عنـدَ غُروبِهَا
في عَيْن ذِي خُلْبٍ ، وثأْطٍ حَرْمَـدِ[1]

فقال ابن عباس ما الخُلُبُ ؟ فقال : الطينُ بكلامهم . قال : وما الثَّأْطُ ؟ قلتُ : الحماةُ ، قال : وما الحرمَدُ ؟ قلتُ : الأسودُ[2] .

قال أبو جعفر : فهذا تفسير الحَمْأَةِ ، يُقال : حمئتِ البئر ، إذا صارت فيها الحَمْـأَةُ[3] ، وأَحْمأتُهـا : ألقـيتُ فيها الحَمْـأَةَ . وحمَّأْتُها : أخرجتُ منها الحَمْأَةَ .

فأما قراءة من قرأ ﴿ حامية ﴾ فيحتملُ معنيين :

أحدهما : أن يكون المعنـى « حَمِئَةٍ » فكأنـه قال « حامئةٍ » أي ذاتُ حمأةٍ ، ثم خُفِّفت الهمزة .

والمعنى الآخر : أن يكون بمعنى حارة .

---

(١) الأبيات للشاعر تُبَّع اليماني كما حكى ذلك القرطبي في جامع الأحكام ٤٩/١١ وذكر الأبيات أيضاً أبو حيان في تفسيره البحر المحيط ١٥٨/٦ والسيوطي في الدر المنثور ٢٤٨/٤ وقبلها قوله :
قَدْ كانَ ذُو القَرْنيـنِ قَبْلي مُسْلِمـاً مَلِكـاً تَديـنُ له المُلُـوكُ وتسجـد

(٢) انظر الأثر في تفسير ابن جرير ١١/١٦ وتفسير ابن كثير ١٨٨/٥ وجامع الأحكام للقرطبي ٤٩/١١ .

(٣) الحمأةُ : الطين الأسود المنتن ، وانظر الصحاح للجوهري ٤٥/١ .

ويجوز أن تكون حارةً ، وهي ذاتُ حَمَأٍ ، والله أعلم بحقيقته[1] .

قال القتبيُّ[2] : يجوز أن تَكُون هذه العينُ من البحر ، ويجوز أن تكون الشمسُ تغيب وراءها ، أو معها ، أو عندها ، فيقام حرفُ الصِّفَةِ مقام صاحبه ، والله أعلم بذلك .

١٢٦ ــ **وقوله جل وعز ﴿وَوَجَدَ عِنْدَهَا قَوْماً ، قُلْنَا يَاذَا الْقَرْنَيْنِ إِمَّا أَنْ تُعَذِّبَ ، وَإِمَّا أَنْ تَتخِذَ فِيهِم حُسْناً﴾** [آية ٨٦] .

قال إبراهيم بن السَّرِيِّ[3] : خيَّره بين هذين ، كما خيرَّ محمداً ﷺ فقال : ﴿ **فَإِنْ جَاءُوْكَ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ** ﴾[4] .

وقال عليُّ بنُ سليمان[5] : المعنى : قلنا يا محمد : قالوا يا ذا القرنين .

---

(١) هذا ما ذهب إليه الزجاج في معانيه ٣٠٨/٥ فقال : من قرأ ﴿ حَامِيَة ﴾ بغير همز أراد حارة ، وقد تكون حارَّةً ذات حمأة . اهـ يريد حارة ذات طين أسود منتن .

(٢) القتبي : هو عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينوري المتوفى سنة ٢٧٦ هـ من أئمة اللغة والنحو ، له كتاب غريب القرآن ومعانيه ، وغريب الحديث ، وأدب الكاتب ، وانظر ترجمته في وفيات الأعيان ٣١٤/١ وشذرات الذهب ١٦٩/٢ .

(٣) هو الإمام أبو إسحاق الزجاج « إبراهيم بن السَّرِيِّ بن سهل » المتوفي سنة ٣١١هـ صاحب المصنفات ، وله كتاب معاني القرآن الكريم وانظر ترجمته في الأعلام ٤٠/١ .

(٤) سورة المائدة آية رقم ٤٢ .

(٥) هو علي بن سليمان بن الفضل البغدادي ، المشهور بالأخفش الصغير المتوفي سنة ٣١٥ له كتاب معاني القرآن ، وانظر ترجمته في الأعلام ٢٩١/٤ ومعجم المؤلفين ١٠٤/٧ .

قال : لأنَّ بعده ﴿ قَالَ أَمَّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَى رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَاباً نُكْراً﴾ [آية ٨٧] .

فكيف يقول لربه : ﴿ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَى رَبِّهِ ﴾[١] ؟ وكيف يقول : ﴿ فَسَوْف نُعَذِّبُهُ ﴾ ؟ والعبدُ لا يخاطِبُ بهذا ، ولم يصحَّ أن « ذا القرنين » نبيٌّ[٢] فيقول اللَّهُ : ﴿ قُلْنَا يَاذَا الْقَرْنَيْنِ ﴾ ؟

قال أبو جعفر : وهذا موضع مشكل[٣] ، وليس بممتنع حذف القول ، والله أعلمُ بما أراد .

وروى معمر عن قتادة في قوله جلَّ وعزَّ : ﴿ **فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ** ﴾ قال : بالقتل[٤] .

١٢٧ ــ **وقوله جل وعز ﴿ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَى رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَاباً نُكْراً﴾** [آية ٨٧] .

---

(١) يريد المصنف أن الأخفش ردَّ على الزجاج قوله إذ كيف يخاطب ربه بقوله ﴿ ثم يردُّ إلى ربه ﴾ ويقول عن نفسه﴿ فسوف نعذبه ﴾ بنون العظمة ؟ .

(٢) هذا هو الصحيح أن ذا القرنين مِلِكٌ عادل ، وليس بنبي ، وهذا قول الجمهور كما دلت عليه بعض الآثار .

(٣) ليس هناك إشكال ، فإن الله ألهمه ذلك إلهاماً ، ولم يرسل إليه مَلَكاً لأنه ليس برسول ، فالقول صادرٌ من الله له بطريق الإلهام ، والله تعالى يُسدِّد خطى أوليائه ، ويرشدهم إلى الطريق القويم ، قال الحافظ ابن كثير ١٨٩/٥ : معنى الآية أن الله تعالى مكنَّه منهم ، وحكَّمه فيهم ، وأظفره بهم ، وخيَّره إن شاء قتل وسبى ، وإن شاء منَّ أو فَدَى ، فعُرف إيمانه وعدلُه ، فيما أبداه فعلُه وبيانهُ . اهـ .

(٤) الأثر أخرجه ابن جرير ١٢/١٦ وابن كثير ١٨٩/٥ والسيوطي في الدر ٢٤٩/٤ .

لأن عذاب الآخرة أنكر[1] من القتل .

١٢٨ ـ **ثم قال جل وعز : ﴿ وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً فَلَهُ جَزَاءً الْحُسْنَى﴾** [آية ٨٨] .

قيل : الحسنى ها هنا : الجَّنةُ .

ويُقرأ ﴿ فَلَهُ جَزَاءُ الحُسْنَى ﴾[2] أي الإحسان .

١٢٩ ـ **ثم قال جلَّ وعز ﴿ وسَنَقُوْلُ لَهُ مِنْ أَمْرِنا يُسْرَاً﴾** [آية ٨٨] .

أي قولاً جميلاً .

١٣٠ ـ **وقوله جلَّ وعزَّ : ﴿ ثُمَّ اتَّبَعَ سَبَبَاً﴾** [آية ٨٩] .

ويقرأ ﴿ ثُمَّ أَتْبَعَ ﴾ بقطع الألف[3] ، أي سبباً من الأسباب التي تؤدِّيه إلى أقطار الأرض .

قال الأصمعي : يُقال : أتبعتُ القومَ ، بقطع الألف أي لحقتهم .

---

(١) أي أشدُّ وأفظع .

(٢) هذه قراءة ابن كثير ، ونافع ، وقرأ الباقون بالتنوين ﴿ فله جَزَاءً الحسنى ﴾ وانظر السبعة لابن مجاهد ص ٣٩٨ .

(٣) قرأ عاصم ، وحمزة ، والكسائي ، وابن عامر ﴿ ثم أَتْبعَ سَبَبَاً ﴾ بالقطع ، وقرأ ابن كثير ، ونافع ، وأبو عمرٍو بالتشديد ﴿ ثم اتَّبع سبباً ﴾ وكلا القراءتين سبعية ، وانظر النشر ٣٢٤/٢ والسبعة لابن مجاهد ص٣٩٧ .

واتَّبـــعتهم « بوصل الألـــف » إذا مررت في آثارهـــم وإن لم تَلْحقهم[١] .

١٣١ ــ ثم قال جلَّ وعز : ﴿ حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ ، وَجَدَهَا تَطْلُـعُ عَلَى قَوْمٍ لَمْ نَجْعَلْ لَهُمْ مِنْ دونها ستراً﴾ [آية ٩٠] .

أي ليس لهم بنيان ولا قُمص[٢] .

قال الحسنُ : إذا طلعت نزلوا الماء حتى تغرب[٣] .

فأمَّـا معنـى ﴿ كَذَلِكَ ﴾ ؟ فقيـل فيـه : حكمُهـم كحكـمِ الذين تغربُ عليهم الشمسُ ، أي هم كأولئك .

١٣٢ ــ وقوله جلَّ وعـزَّ ﴿ ثُمَّ أَتْبَـع سَبَبـاً حَتَّـى إِذَا بَلَـغَ بَيْـنَ السَّدَّيْـــنِ ﴾ [آية ٩٣] .

ويُقرأ ﴿ السُّدَّيْنِ ﴾[٤] .

---

(١) في الصحاح ١١٨٩/٣ : تَبِعْتُ القـوم تَبَعـاً وتَبَاعـةً : إذا مشيت خلفهـم أو مرُّوا بك فمضيتَ معهم ، وكذلك اتَّبعتُهم ، وأَتْبعتُ القوم : إذا كانوا قد سبقوك فلحقتهم ، وقال الأخفش : تبعتُـه وأتبعتُه بمعنى . اهـ .

(٢) قال القرطبي ٥٤/١١ : ﴿ لم نجعـلْ لهم من دونها سِتْـراً ﴾ أي حجاباً يستتـــرون منها عنـــد طلوعها ، وقال الفراء : أي لا جبل ، ولا ستر ، ولا شجر ، وهم عُراةٌ .

(٣) الأثر أخرجه ابن جرير ١٤/١٦ والقرطبي ٥٥/١١ وابـن كثير ١٩٠/٥ ولفظـه : قال الحسن : إن أرضهـم لا تحمل البناء ، فإذا طلعت الشمس تغوَّروا في المياه ، فإذا غربت خرجـوا يتراعَـوْن كما ترعى البهائم .

(٤) قرأ حمزة والكسائي ﴿ بين السُّدَّيْـنِ ﴾ بالضمِّ ، وقـرأ الباقـون ﴿ بين السَّدَّيْـن ﴾ بفتـح السين ، وانظر السبعة لابن مجاهد ص٣٩٩ .

وقد فرَّق بينهما أبو عمرٍو[1] وجماعةٌ من أهلِ اللغَةِ .

فقال بعضهم : السُّدَّ : ما كان من صُنعِ اللهِ ، والسَّدُّ « بالفتح » : ما كان من صنعِ الآدميين .

وقيل : السَّدُ ما رأيتَهُ ، والسُّدُّ : ما سَتَر عينيك .

والصحيحُ في هذا ما قاله الكسائي أنهما لغتان بمعنى[2] .

وإن زيد في هذا ، قيل : السَّدُ المصْدَرُ ، والسُّدُ : الاسمُ .

١٣٣ ـ **وقوله جلَّ وعز ﴿ قَالُوا يَاذَا الْقَرنَيْنِ : إنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُوْنَ في الأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجاً عَلَى أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنا وَبَيْنَهُمْ سَدّاً﴾** [آية ٩٤] .

ويُقرأ ﴿ خَرَاجاً ﴾[3] .

قال الفرَّاء : الخَرْج : المصدرُ ، والخَرَاجُ : الاسم[4] .

---

(١) أبو عمروٍ هو ابن العلاء المازني النحوي ، من كبار علماء اللغة والقراءات ، المتوفى سنة ١٥٤ هـ وانظر ترجمته في التهذيب ١٢/١٧٨ .

(٢) في الصحاح ٢/٤٨٦ : السَّدُّ ، والسُدُّ : الجبلُ والحاجزُ ، والسُدُّ أيضاً واحد السُّدود . اهـ وانظر لسان العرب مادة سدد .

(٣) هذه قراءة حمزة والكسائي ، وهي من القراءات السبع ، وانظر السبعة لابن مجاهد ص ٤٠٠ .

(٤) عبارة الفراء في معانيه ٢/١٥٩ : الخَرَاجُ : الاسم الأول ، والخَرْجُ كالمصدر كأنه الجُعْلُ . اهـ .

وروى معمرٌ عن قَتادةَ ﴿ خَرْجاً ﴾ قال : عطِّية[1] .

وكـذلك هو في اللغـة ، يُقـالُ : لك عنـدي خَرْجٌ أي عطيّـةٌ وجُعْلٌ ، والخَراجُ : هو المتعارف ، وإن كان أصلُه مِنْ ذَا[2] .

١٣٤ ــ وقولُه جل وعز ﴿ قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ ..﴾ [آية ٩٥] .

أي خيرٌ ممَّا بذلتم لي .

١٣٥ ــ ثم قال جل وعزَّ : ﴿ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُـمْ وَبَيْنَهُـمْ رَدْماً﴾ [آية ٩٥] .

والـرَّدْمُ في اللغةِ : أكثـرُ من السَدِّ ، لأنـه شيءٌ متكاثـفٌ ، بعضُه على بعضٍ[3] .

ورَوَى عَطَاءٌ الخُراسانُــي عن ابــنِ عبــاسٍ : ﴿ بَيْــنَ السُدَّينِ ﴾ الجبلينِ : أرمينية ، وأذربيجانِ[2] .

---

(١) الأثر أخرجه ابن جرير ٢٣/١٦ عن معمر عن قتادة قال : أجراً ، وروي ابـن كثير ١٩٢/٥ عن ابن عباس ﴿ خَرْجَاً ﴾ : أجراً عظيماً .

(٢) انظر الصحاح للجوهري ، ولسان العرب لابن منظور ، وتهذيب اللغة للأزهري مادة خرج .

(٣) في الصحاح ١٩٣٠/٥ : الرَّدْمُ : السَدُّ ، وردمتُ الحفرة أرْدِمُهـا بالـكسر رَدْمـاً : أي سددتها ، وقال الزجاج في معانيه ٣١١/٣ : الرَّدمُ أكبرُ من السدِّ ، لأن الـرَّدم ما جُعـل بعضُه على بعض ، يُقال : ثوبٌ مُرَدَّمٌ ، إذا كان قد رُقِع رُقعةً فوق رُقْعةٍ . اهـ .

(٤) الأثر أخرجه ابن جرير عن الضحاك ٢٥/١٦ قال : هما من قِبَل أرمينية وأذربيجان ، وبنحـوه عن ابن عباس .

١٣٦ ــ **ثم قال جل وعز ﴿ آتُوْنِي زُبَرَ الْحدَيِدْ ..﴾** [آية ٩٦] .

الزُّبُرُ : القِطَعُ الكِبارُ من الحَديدَ[١] .

١٣٧ ــ **ثم قال تعالى ﴿ حَتَّى إذَا سَاوَى بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ ..﴾** [آية ٩٦] .

روى **على ابن أبي طلحة عن ابن عباس** قال : الجبلين[٢] .

١٣٨ ــ **وقولُه جلَّ وعز ﴿ قَالَ انْفُخُوا حَتَّى إذَا جَعَلَهُ نَاراً﴾** [آية ٩٦] .

قيل : جعل قِطَعَ الحديِد ، وجعل بينهما الحَطَبَ والفحم ، وأوقد عليها ، والحديدُ إذا أُوقِدَ عليه صار كالنَّارِ ، فذلك قوله **﴿ حَتَّى إذَا جَعَلَهُ نَاراً ﴾** .

ثمَّ أَذَابَ الصُّفْر[٣] ، فأفرغه عليه ، فذلك قوله تعالى **﴿ قَالَ آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْراً ﴾** .

أي أعطوني قِطْراً أفرغْ عليه[٤] .

---

(١) في الصحاح ٦٦٧/٢ : الزُّبرةُ : القطعةُ من الحديد ، والجَمعُ زُبَرٌ قال تعالى ﴿ آتوني زُبَرَ الحديد ﴾ ويُقال : زُبُرٌ أيضاً ، ومنه قوله تعالى ﴿ فتقطَّعوا أمرهم بينهم زُبُراً ﴾ أي قِطَعاً . اهـ .

(٢) الأثر في الطبري ٢٥/١٦ والدر المنثور ٢٥١/٤ وعزاه السيوطي إلى ابن المنذر ، وابن أبي حاتم .

(٣) في المصباح ٣٦٧/١ : الصُّفر : مثل قُفلٍ ــ وكسرُ الصاد لغةٌ ــ النُّحاسُ ، وكذلك القِطرُ وزان حِمْل : النحاسُ ، ويُقال : الحديدُ المذابُ .

(٤) قال الفخر الرازي ١٧٢/٢١ : لما أتوه بقطع الحديد ، وضع بعضها على بعض ، حتى صارت بحيث تسدُّ ما بين الجبلين ، ثم وضع المنافخ عليها ، حتى إذا صارت كالنار صبَّ النحاس المذاب على الحديد المحمي ، فالتصق بعضه ببعض ، وصار جبلاً صَلْداً .

ومن قرأ ﴿ ائْتُوني ﴾[1] فالمعنى عنده : تعالَوْا أفرغْ عليه نُحاساً .

١٣٩ ـ **قال جلَّ اسمُه** : ﴿ فَمَا اسْطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ .. ﴾ [آية ٩٧] .

أي أن يعلوا عليه ، لطوله وامِّلَاسِهِ .

يُقال : ظهرتُ على السطح أي علوتُ عليه .

قال كعب : فهمُ يعالجون فيه كلَّ يومٍ ، فإذا أمْسَوْا قالوا غداً ننقضُه ، ولا يُوفَّقُ لهم أن يقولوا « إن شاء اللَّهُ » فإذا أَذِنَ اللَّهُ في إخراجهم ، قالوا « إن شاء اللَّهُ » فينقضونه ، فيخرجون ، فيشربُ أَوَّلُهُم دجلة والفرات ، حتَّى يمرَّ آخرهم فيقول : قد كان هنا هنا مرةً ماءٌ ، ويتأذى بهم أهلُ الأرض ، ويدعو عليهم عيسى صلَّى الله عليه وسلم فيهلكون[2] .

---

(١) هذه من القراءات السبع وهي قراءة عاصم في رواية أبي بكر وحمزة ، وقرأ الباقون ﴿ آتوني زبر الحديد ﴾ بالمدِّ ، وانظر السبعة ص ٤٠١ .

(٢) أخرجه أحمد في المسند ٢/٥١٠ من حديث أبي هريرة مرفوعاً ، ولفظُه : « إن يأجوج ومأجوج ليحفرون السدَّ كل يوم ، حتى إذا كادوا يرون شعاع الشمس ، قال الذي عليهم ـ يعني رئيسهم ـ ارجعوا فستحفرونه غداً ، فيعودون إليه كأشدِّ ما كان ، حتى إذا بلغتْ مدَّتُهم ، وأراد الله أن يبعثهم على الناس ، حفروا حتى إذا كادوا يرون شعاع الشمس ، قال الذي عليهم : ارجعوا فستحفرونه غداً إن شاء اللهُ ويستثني ـ يعني يقول : إن شاء الله ـ فيعود إليه وهو كهيئته حين تركوه ، فيحفرونه ، ويخرجون على الناس ، فينشفون المياه ـ وفي رواية الترمذي فيستقون المياه ـ ويتحصَّنُ الناسُ منهم في حصونهم ، فيرمون بسهامهم إلى السماء ، فترجع =

١٤٠ ــ **وقوله جلَّ وعزَّ : ﴿ قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِنْ رَّبِي ..﴾** [آية ٩٨] .

[أي هذا التمكين رحمةٌ من ربي][١] .

ثم قال تعالى : ﴿ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ ..﴾

[آية ٩٨] .

أي لاصقاً بالأرض .

يقال : ناقةٌ دكَّاءُ : أي لا سَنَامَ لها .

١٤١ ــ **وقولُه جلَّ وعز ﴿ وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَّمُوجُ فِي بَعْضٍ ..﴾**

[آية ٩٩] .

ويجوز أن يكون يُعْنَى بـ ﴿ **يَوْمَئِذٍ** ﴾ يومَ يَخْرجون من السَدِّ .

وأنْ يُعْنَى به يوم القيامة ، لقوله تعالى ﴿ **وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعاً** ﴾ [آية ٩٩] .

= وعليها كهيئة الدم ، فيقولون : قهرنا أهل الأرض ، وعلونا أهل السماء ، فيبعث الله عليهم نَغَفاً ــ أي دوداً ــ في أقفائهم فيقتلهم بها ، قال رسول الله ﷺ : والذي نفسي بيده إن دوابَّ الأرض لتسْمنُ ، وتَشْكُر شكْراً ــ أي تنتفخ وتمتلىء بطونها ــ من لحومهم ودمائهم » وأخرجه الترمذي في تفسير سورة الكهف رقم ٣١٥٣ وقال : حديث حسن غريب ــ وابن ماجة في الفتن رقم ٤٠٨٠ الجزء الثاني ص ١٣٦٤ .

(١) ما بين الحاصرتين سقط من المخطوطة وأثبتناه من الهامش .

١٤٢ ــ **وقوله جل وعز ﴿ وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعاً﴾** [آية ١٠١] .

أي لعداوتهم النبيَّ ﷺ ، لا يستطيعون أن يسمعوا منه شيئاً[١] .

أي يثقل ذلك عليهم ، كما تقول : أنا لا أستطيع أن أكلِّمك .

١٤٣ ــ **وقوله جل وعز ﴿ أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِنْ دُوْنِي أَوْلِيَاءَ ..﴾** [آية ١٠٢] .

قال أبو إسحاق : المعنى : أفحسب الذين كفروا أن ينفعهم أن يتخذوا عبادي من دوني أولياء[٢] ؟ .

ورَوَى عَبَّادُ بنُ الربيع أن عليَّ بنَ أبي طالب رحمةالله عليه قرأ : **﴿ أَفَحْسَبُ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِنْ دُوْنِي أَوْلِيَاءَ ﴾**[٣] .

قال أبو عبيدة : أي أَرَضُوا بذلك ؟ أكَفَاهم ذلك[٤] ؟ .

١٤٤ ــ **ثم قال جل وعز : ﴿ إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلاً﴾** [آية ١٠٢] .

---

(١) عبارة القرطبي ٦٥/١١ : أي لايطيقون أن يسمعوا كلام الله تعالى ، فهم بمنزلة منْ صُمٍّ .

(٢) انظر معاني القرآن للزجاج ٣١٤/٣ ففيه توضيحٌ وبيان .

(٣) هذه من القراءات الشاذة ، وانظر المحتسب لابن جني ٣٤/٢ .

(٤) هذا على القراءة الشاذة ، وانظر البحر ١٦٦/٦ .

النُّزُل عند أهل اللغة : ماهُيِّءَ للضيفِ وما أشبهه ، والنَّزَل بفتحتين : الرَّيْعُ[1] .

١٤٥ ــ **ثم قال جل وعز ﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بالأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً . الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ في الحَيَاةِ الدُنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُم يُحْسِنُونَ صُنْعاً ﴾** [آية ١٠٤] .

رَوَى أبو الطُّفَيلِ أن عليَّاً قال : هم أهل حَرُوراءَ[2] .

ورَوَى عبدُ اللَّهِ بن قَيْس عن عليٍّ قال : هم الرُّهبانُ[3] .

قال الأسود : رُؤي من علــيٍّ بن أبي طالب فَرَحٌ ومــزاح ، فقام ابنُ الكَوَّا اليشكري فقال يا أمير المؤمنين : مِنِ الَّذين ضَلَّ سعيهُم في الحياةِ الدنيا ؟ أهم الحرورية ؟ فقال : لا ، هم أهل الكتاب ، كان أَوَّلُهم على الحقِّ ، ثم كفروا وأشركوا[4] .

ورَوَى شُعبةُ عن عَمْروِ بنِ مُرَّةَ ، عن مُصْعب بن سَعْدٍ ، قال : قلتُ لسعدٍ مَنِ الذينَ ضلَّ سعيهُم في الحياة الدنيا ؟ أهُمُ الخوارج ؟ فقال : هم اليهودُ والنصارى ، أَمَّا اليهود فلم يؤمنوا

(١) في الصحاح ١٨٢٨/٥ : النُّزُل : ما يُهيَّا للنزيل ، والجمعُ الأنزال ، والنُّزُل أيضاً : الرَّيعُ ، يُقال : طعامٌ كثير النُّزلِ والنَّزلِ بالتحريك . وقال في البحر ١٦٦/٦ : النُّزُل موضع النزول ، والنُّزُل أيضاً ما يقدَّم للضيف ويهيأ له من الطعام ، والنزل هنا يحتمل التفسيرين . اهـ .

(٢ــ٤) انظر الآثار في جامع البيان للطبري ٣٣/١٦ وجامع الأحكام للقرطبي ٦٦/١١ والبحر المحيط ١٦٦/٦ .

بمحمدٍ ، وأمَّا النصارى فلم يؤمنوا بالقيامة ، لأنهم قالوا ليس في الجنة أكلٌ ولا شربٌ ، فضلَّ سعيهُم ، وبطل عملهم ، وهم يحسبون أنهم على هدى ﴿ **أُوْلَئِكَ الَّذِيْنَ كَفَرُوْا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ** ﴾[1] .

وأمَّا الخوارجُ فهم الذين قال اللهُ فيهم ﴿ **الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيْثَاقِهِ ، وَيَقْطَعُونَ ما أَمَرَ اللهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ** ﴾[2] .

١٤٦ ــ ثم قال جلَّ وعز ﴿ فَلَا نُقِيْمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْناً ﴾ [آية ١٠٥] .

رَوَى أبو هريرة عن النبي ﷺ قال : « يؤتى يومَ القيامةِ بالعظيمِ الطويلِ ، الأكولِ الشروب ، فلا يَزِنُ جناحَ بعوضةَ ، اقرءوا إن شِئْتُم ﴿ **فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ القِيَامَةِ وَزْناً** ﴾[3] » .

---

(١) الحديث أخرجه البخاري في تفسير سورة الكهف ٦/١١٧ عن مصعب بن سعد ، ولفظهُ قال : « سألت أبي ﴿ قل هل ننبئكم بالأخسرينَ أعمالاً ﴾ أهمُ الحُرورية ــ يعني الخوارج ــ قال : لا ، هم اليهودُ والنصارى ، أمَّا اليهودُ فكذَّبوا محمداً ﷺ، وأما النصارى فكفروا بالجنة ، وقالوا : لاطعام فيها ولا شراب ، والحرورية الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ، وكان سعدٌ يسميهم الفاسقين » اهـ لفظ البخاري .

(٢) سورة الرعد آية ٢٥ .

(٣) الحديث أخرجه البخاري في التفسير ٦/١١٧ من حديث أبي هريرة مرفوعاً بلفظ « إنه ليأتي الرجل العظيمُ السمينُ يوم القيامة ، لا يزن عند الله جناح بعوضة ، وقال اقرءوا ﴿ فلا نقيم لهم يوم القيامة وزناً ﴾ ورواه مسلم أيضاً في كتاب الجنة والنار وصفات المنافقين رقم ٢٧٨٥ وأخرجه الطبري ١٦/٣٥ والسيوطي في الدر المنثور ٤/٢٥٣ وعزاه إلى ابن المنذر ، وابن أبي حاتم أيضاً .

١٤٧ ــ وقوله جل وعز : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الفِرْدَوْسِ نُزُلاً﴾ [آية ١٠٧] .

سئل أبو أُمامةَ(١) عن الفردوس فقال : هي سُرَّةُ الجَنَّةِ(٢) .

وقال كعبٌ(٣) : هي التي فيها الأعناب .

قال أبو اسحاق(٤) : الفردوسُ : البستانُ الذي يجمع كلَّ ما يكون في البساتين ، وكذلك هو عند أهل اللغة ، ولم نسمعه إلاَّ في بيت حسان :

وإنَّ ثَوَابَ اللَّـــــهِ كُلَّ مُوَحِّـــــدِ
جِنَانٌ مِنَ الفِرْدَوسِ فِيهَا يُخَلَّدُ(٥) .

---

(١) في التهذيب ٤٢٠/٤ : أبو أُمامة الباهلي الصحابي ، اسمه « صُدَيُّ بن عجلان » روى عن النبي ﷺ توفي سنة ٨٦هـ .

(٢) في النهاية ٣٦٠/٢ : « سُرَّة الجنة » أي وسطُها وجوفها ، وفي حديث « لاتنزلْ سُرَّةَ البصرة » من سُرَّةِ الإنسان فإنها وسطُه . اهـ .

(٣) هو كعب الأحبار واسمه « كعبُ بن ماتع الحِمْيَري » أبو إسحق ، المعروف بكعب الأحبار ، أسلم في أيام عمر ، روى عن النبي ﷺ مرسلاً ، ذكره ابن سعد في الطبقة الأولى من تابعي أهل الشام ، وكان على دين اليهود فأسلم ، وقدم المدينة ثم خرج إلى الشام فسكن حمص وتوفي بها سنة ٣٢ هـ في خلافة عثمان ، وانظر ترجمته في تهذيب التهذيب ٤٣٨/٨ .

(٤) أبو إسحاق هو الإمام الزجاج ، وانظر كتابه معاني القرآن ٣١٥/٣ .

(٥) البيت في ديوانه ٣٠٦/١ وقد ذكره في لسان العرب ١٦٣/٦ واستشهد به على أن لفظ الفردوس عربي ، خلافاً لمن زعم أنه لفظ رومي ، قال : ومما يدل على أن الفردوس بالعربية قول حسان .. وذكره ، واستشهد به ابن عطية في المحرر الوجيز ٤١٨/٩ وابن الجوزي في زاد المسير ١٤٠/٥ وأبو حيان في البحر المحيط ١٦٨/٦ وهو أيضاً في الخزانة والتاج .

قُرِئ على جعفر بن محمد الفريابي ، عن قتيبة بن سعيد ، قال : حدثنا عبدُ العزيز بنُ محمد ، عن زيدِ بن أسلمَ قال : « إنَّ في الجنة مائة درجة ، بين كلِّ درجتين ما بين السماء والأرضِ ، والفردوسُ أعلى الجنة ، وفوقها عرشُ الرحمن ، ومنها تُفَجَّرُ أنهار الجنة ، فإذا سألتم اللَّهَ فاسألوه الفردوس »(١) .

١٤٨ ـ وقولُه جلَّ وعز : ﴿ خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلاً ﴾ [آية ١٠٨] .

روى ابن أبي نجيح عن مجاهد قال : متحوَّلاً(٢) .

وقال غيره : هو من الحيلة أي لا يحتالون في غيرها(٣) .

١٤٩ ـ وقوله جلَّ ذكره : ﴿ قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَاداً لِّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي .. ﴾ [آية ١٠٩] .

---

(١) الحديث أخرجه البخاري في كتاب التوحيد ٩/٥٣ بلفظ « إن في الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيله ، كل درجتين مابينهما كما بين السماء والأرض ، فإذا سألتم اللّه ، فسلوه الفردوس ، فإنه أوسط الجنة ، وأعلى الجنة ، وفوقه عرشُ الرحمن ، ومنه تفجَّرُ أنهار الجنة » ورواه مسلم برقم ١٨٩٠ والنسائي ٦/٣٨ والترمذي رقم ٢٥٣٣ وقال : حديث صحيح .

(٢) الأثر أخرجه الطبري ١٦/٣٨ وفي البحر ٦/١٦٨ والسيوطي في الدر ٤/٢٥٥ وعزاه إلى ابن المنذر ، وابن أبي حاتم ، وابن أبي شيبة عن مجاهد .

(٣) ذكره الزجاج في معانيه ٣/٣١٥ فقد قال ﴿ لايبغون عنها حِوَلاً ﴾ أي لايريدون عنها تحولاً ، وقيل : إن الحِوَل : الحيلةُ ، فيكون المعنى : لايحتالون منزلاً غيرها . أقول : الأول هو الأشهر والأظهر .

قال مجاهد : يعني العـلم[1] .

١٥٠ ــ **ثم قال تعالى ﴿ وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾** [آية ١٠٩] .

قيل : ﴿ مَدَدًا ﴾ بمعنى : مِدَادًا .

وقيل : هو من قولهم : نحنُ مَدَدٌ له[2] .

وقرأ ابن عباس : ﴿ وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مِدَاداً ﴾[3] .

١٥١ ــ **وقوله جلَّ وعز : ﴿ فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ ..﴾** [آية ١١٠] .

قيل : ﴿ يرجو ﴾ بمعنى يخاف كما قال الشاعر :

إِذَا لسَعَتْـهُ النَّحْـلُ لَمْ يَرْجُ لَسْعَهَـــا

وَحَالفَهَـــا فِي بَيْتِ نُوْبٍ عَوَامِـــلِ[4]

---

(١) الأثر في الطبري ٣٩/١٦ بلفظ ﴿ لكلمات ربي ﴾ للقلم ، وفي الدر ٢٥٥/٤ : لعلم ربي كما هو في المخطوطة .

(٢) قاله ابن جرير ٣٩/١٦ قال : والمعنى : ولو مددنا البحر بمثل ما فيه من الماء مَدَداً ، من قولهم : جئتك مدداً لك .

(٣) هذه من القراءات الشاذة كما في المحتسب لابن جني ٣٥/٢ والمعنى على هذه القراءة : ولو زدنا بمثل ما فيه من المداد الذي يكتب به . وقال ابن الجوزي ١٤١/٥ : المددُ : كل شيء زاد في شيء ، فإن قيل : لم قال في أول الآية ﴿ مِدَاداً ﴾ وفي آخرها ﴿ مَدَداً ﴾ وكلاهما بمعنى واحد ؟ أجاب ابن الأنباري بقوله : لما كان الثاني آخر آية ، وكان قبله نزلاً ، وحِولاً كان قوله ﴿مدداً﴾ أشبه بهذه الألفاظ من المداد ، واتفاقُ المقاطع عند آخر الآى ، وانقضاء الآيات ، وتمام السجع والنثر ، أخفُّ على الألسن ، وأحلى موقعاً في الأسماع .

(٤) البيت لأبي ذؤيب الهذلي . انظر شرح أشعار الهذليين للسكري تحقيق : عبدالستار فراج : جـ ١ : ص ١٤٤ .

وقال سعيدُ بنُ جُبَيْرٍ : ﴿ **لِقَاءَ رَبِّهِ** ﴾ أي ثواب ربه[1] .

قال أبو جعفر : وعلى هذا يكون﴿ **يرجو** ﴾على بابـه ، وإذا رجا ثواب ربه خاف عقابه .

١٥٢ ــ **وقوله جلَّ وعز** : ﴿ **وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا**﴾ [آية ١١٠] .

قال مجاهد : يعني الرياء[2] .

وقال سعيد بن جبير : أي لا يرائي[3] .

وقـال كثير بن زيـاد[4] : سألت الحسن عن قولـه : ﴿ **فَمَـــنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحاً** ﴾ فيمـن نزلت ؟ فقـال : نزلتْ في المؤمن ، قلت : أيكون مشركاً ؟ فقال يشركُ في العمـلِ ، إذا عمل عملاً أراد اللَّهَ له والنَّاسَ ، وذلك الَّذي يُردُّ عليه[5] .

* * *

إنتهت سورة الكهف

(١ــ٣) انظر الآثار في الطبري ١٦/٤٠ وزاد المسير ٥/١٤٢ والدر المنثور ٤/٢٥٥ .

(٤) في المخطوطة « كثير بن ثابت » وصوابه ما أثبتنـاه « كثير بن زيـاد » كما في التهذيب ٨/٤١٣ قال ابن معين : ثقة ، وقال أبو حاتم : ثقة من أكابر أصحاب الحسن .

(٥) الأثر أخرجه السيوطي في الدر ٤/٢٥٥ وعزاه إلى ابن أبي حاتم من روايـة كثير بن زيـاد ، وانظـر الدر المنثور .

تفسير سورة مريم

مكية وآياتها ٩٨ آيـــة

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة مريم وهي مكية[1]

١ ـــ من ذلك قوله جلَّ اسمهُ ﴿ كهيعص ﴾ [آية ١] .

حدثنا أبو بكر بن نافع ، قال : نا سلمة بن شبيب ، قال : نا عبدالرزاق ، قال : أنبأنا ابنُ عُيينة ، عن عطاءِ بنِ السَّايب ، عن سعيدِ بنِ جُبير ، عن ابن عباس في قوله تعالى : ﴿ كهيعص ﴾ قال : « كاف » من كافٍ ، و « هاء » من هادٍ ، و« ياء » من حكيم و« عين » من عليم و« صاد » من صادق[2] .

قال عبدالرزاق : وأخبرنا معمر عن قتادة في قوله ﴿ كهيعص ﴾ قال : اسمٌ من أسماء القرآن[3] .

قال أبو جعفر : وقد استقصينا ما في هذا في سورة البقرة .

٢ ـــ وقوله جلَّ وعز : ﴿ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا ﴾ [آية ٣] .

---

(١) قال ابن الجوزي ١٤٣/٥ : هي مكية بإجماعهم من غير خلافٍ علمناه . وقال القرطبي ٧٢/١١ : هي مكية بإجماع ، وهي ثمان وتسعون آية .

(٢) و(٣) انظر الآثار في الطبري ٤٤/١٦ والقرطبي ٧٤/١١ ومعاني الزجاج ٣١٧/٣ قال الزجاج « واختلف في تفسير ﴿ كهيعص ﴾ فقال أكثر أهل اللغة : إنها حروف التهجّي ، تدلُّ على الابتداء بالسورة ، نحو آلم ، والر ، وقيل : إن تأويلها أنها حروفٌ يدلُّ كلُّ واحدٍ منها على صفةٍ من صفات الله عزَّ وجل ، فكاف يدل على كريم ، وها يدلُّ على هادٍ ، وصاد يدل على صادق ، وهذا أحسن ما جاء في هذه الحروف . اهـ .

قال يونسُ بنُ عُبَيْدٍ : كان الحسنُ يرى أن يدعَو الإمـــام في القنـوت ، ويؤمِّـنُ مَنْ خلْفَـه ، من غيـرِ رفـعِ الصَّوتِ(١) ، وتـلا يونس ﴿ **إذْ نادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا** ﴾ .

٣ ـــ **وقوله جلَّ وعز ﴿قَالَ رَبِّ إنِّي وَهَنَ العَظْمُ مِنِّي ..﴾** [آية ٤] .

قال أبو زيد(٢) : يُقالُ : وَهَنَ ، يَهِنُ ،ووَهِنَ يَوْهَنُ(٣) .

وقال غيرُه : أي ضَعُفَ .

٤ ـــ **ثم قال تعالى ﴿ واشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْباً ..﴾** [آية ٤] .

يُقال لمن كثُرَ الشيبُ في رأسه : اشتعلَ رأسُه شيباً(٤) .

٥ ـــ **ثم قال جلَّ وعز ﴿ وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِياًّ﴾** [آية ٤] .

أي لم أكن أخيبُ إذا دَعَوتُك .

٦ـــ **ثم قال جل وعز ﴿ وإنِّي خِفْتُ المَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي ..﴾** [آية ٥] .

---

(١) ذكره القرطبي في جامع الأحكام ٧٦/١١ عن يونس بن عُبيد ، وروى السيوطي في الـــدر ٢٥٩/٤ عن قتادة ﴿ نداءً خفياً ﴾ أي بقلبه سرّاً ، قال قتادة « إن اللـه يحبُّ الصوت الخفيَّ ، والقلب النقيَّ » اهـ .

(٢) أبو زيد : هو سعيد بن أوس بن ثابت الأنصاري ، وقد تقدمت ترجمته .

(٣) في الصحاح : الوهنُ : الضعفُ ، وقد وَهَنَ الإنسانُ ووَهِنَ بالكسر وَهْنَاً أي ضعف . اهـ الصحاح مادة وهن .

(٤) قال ابن الجوزي ١٤٥/٥ ﴿ واشتعل الرأس شيباً ﴾ يعني انتشر الشيب فيه ، كما ينتشر شعاع النار في الحطب ، وهذا من أحسن الاستعارات .

رَوَى هشامٌ ، عن اسماعيلَ بنِ أبي خالـد[1] ، **عن أبي صالح ، قال** : **الكلالة**[2] .

وروى ابن أبي نجيح عن مجاهد قال : العَصَبة[3] .

وقال أبو عبيـدة : يعنـي بنـي العم ، قال و ﴿ **مِنْ وَرَائي** ﴾ أي مِنْ قُدَّامي[4] .

وقـولُ مجاهـد أولى ، يقـال للعَصَبـةِ : مَوَالٍ ، أي من يليـه في النسب ، كما أنَّ الأقرباء من يَقْرُبُ إليه في النسب .

وبنو العمِّ داخلون في هذا ، كما قال الشاعر :

« مَهْلاً بَني عَمِّنا مَهْلاً مَوالِينا »[5]

وقوله أيضاً ﴿ **مِنْ وَرَائي** ﴾ من قُدَّامـي ، مخالـفٌ لقـول أهـلِ

(١) في التهذيب ٢٩١/١ « اسماعيـل بن أبي خالـد » الأحمسي كوفـيٌّ تابعـيٌّ ثقـة ، روى عن بعض الصحابة ، وعن بعض كبار التابعين ، مات سنة ١٤٦ هـ قال أبو حاتم لا أقدِّم عليه أحـداً من أصحاب الشعبي وهو ثقة .

(٢) و(٣) انظر الآثار في الطبري ٤٦/١٦ وابـن كثير ٢٠٦/٥ والبحـر المحيـط ١٧٣/٦ وهـو تفسير للموالي .

(٤) انظر مجاز القرآن لأبي عُبيدة ١/٢ واستشهـد بقـول الشاعـر « وقومـي تميـمٌ والفَلاةُ ورائِيَا» أي أمامي .

(٥) هذا شطر بيت للفضل بن العباس بن عُتبة بن أبي لهب ، وهو من شعراء بني هاشم في عهد بني أمية ، وتمامُه :

مَهْـلاً بَنِـي عَمِّنَـا مَهْـلاً مَوَالِينَـا ... لاتَنْـبُشُوا بَيْنَنَـا مَاكَـانَ مَدْفُونَـا

واستشهد به أبو عُبيدة في مجاز القرآن ١/٢ وأبـو حيـان في البحـر ١٧٣/٦ والقرطبـي في جامـع الأحكام ٧٨/١١ .

التفسير ، لأنَّ المعنى عندهم : من بعدِ موتي[1] .

وقال سعيد بن العاص : أَمَلَّ عليَّ عثمانُ بنُ عفَّان ، رحمةُ اللهِ عليه ﴿ **وَإِنِّي خَفَّتِ المَوَالِي مِنْ وَرَائِي** ﴾[2] يعني بتشديد الفاءِ وكسرِ التَّاء ، وإسْكانِ الياءِ ، قال ومعناه : قلَّتْ .

٧ ــ **ثم قال جلَّ وعز** ﴿ **وكانت امْرَأَتِي عَاقِراً ..** ﴾ [آية ٥] .

أي لا تلد كأنَّ بها عَقْراً يمنعُها من الولادِ[3] .

٨ ــ **ثم قال جل وعز** ﴿ **وقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الكِبَرِ عِتِيًّا** ﴾ [آية ٨] .

قال مجاهد : أي نحول العَظم[4]

ويُروى أنَّ عبدالله بن مسعود قرأ ﴿ عُسِيًّا ﴾[5] .

---

(١) قال ابن عطية ٤٢٩/٩ : ﴿ من ورائي ﴾ أي من بعدي في الزمن ، وقال أبو عُبيدة : أي من بين يديَّ ومن أمامي ، قال : وهذا قلَّةُ تحرير ، والموالي : بنو العمِّ والقرابة الذين يَلُون بالنسب . اهـ المحرر الوجيز .

(٢) هذه من القراءات الشاذة كما في المحتسب ٣٧/٢ وذكرها الطبري ٤٧/١٦ ووجَّهها على أنها من الخِفَّة بمعنى : ذهبتْ عصبتي ومن يرثني من بني أعمامي .

(٣) في الصحاح ٧٥٥/٢ : العاقرُ : المرأةُ التي لاتحبلُ ، ورجل عاقِرٌ : أي لا يُولد له ، وقد عَقُرتِ المرأةُ بالضم أي صارت عاقراً . اهـ .

(٤) الأثر في الطبري ٥١/١٦ والدر المنثور ٢٦٠/٤ وابن كثير ١٠٩/٥ .

(٥) هذه القراءة ذكرها الطبري ٥١/١٦ وابن عطية في المحرر ٤٣٢/٩ وليست من القراءات المتواترة ، قال الزجاج في معانيه ٣٢٠/٣ : تُقرأ « عِتيّاً » ورُويت « عَسِياً » ولكن لاتجوز في القراءة لأنها بخلاف المصحف . اهـ .

يقال : عتا يعتو ، وعَسَى يَعْسُو : إذا بَلَغ النهايةَ في الشدَّةِ والكِبَرِ[1] .

قال قتادة : كان ابنَ بضعٍ وسبعينَ سنة[2] .

٩ ــ **وقوله جل عز ﴿ يَرِثُني وَيَرِثُ مِنْ آل يَعْقُوبَ .. ﴾**[3] [آية ٦] .

رَوَى هُشَيمٌ عن اسماعيل ، عن أبي خالدٍ عن أبي صالح ، قال : يكون نبياً كما كانوا أنبياء[4] .

وروى ابنُ أبي نجيح عن مجاهد قال : كانت وراثتهُ علماً ، وكان زكريا من آلِ يعقوب[5] .

وروى عن داود بن أبي هند عن الحسن ﴿ يرثني ﴾ أي يرثُ مالي **﴿ وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ ﴾** : النبوة[6] .

وأبو إسحاق[7] **يذهب إلى القول الأول** : ويَبْعُدُ أن يكون نبيٌّ

---

(١) قال ابن جرير ٥١/١٦ : يقال للعود اليابس : عودٌ عاتٍ ، وعاسٍ ، وقد عتا يعتو عِتِيّاً وعُتُوّاً ، وعسى يَعْسو عِسِيّاً وعُسُوّاً ، وكلُّ متناهٍ إلى غايته في كِبَرٍ ، أو فساد ، أو كفرٍ ، فهو عاتٍ ، وعاسٍ . اهـ وانظر أيضاً معاني الزجاج ٣٢٠/٣ .

(٢) الأثر في الطبري ٥١/١٦ والمحرر الوجيز ٤٣٣/٩ والدر المنثور ٢٦٠/٤ وعزاه إلى عبدالرزاق .

(٣) هذه الآية متقدمة في التلاوة على آية ﴿ وقد بلغتُ من الكبر عتياً ﴾ وهي في المخطوطة متأخرة فتنبه له والله يرعاك .

(٤ــ٥ــ٦) انظر الآثار في الطبري ٤٨/١٦ وابن كثير ٢٠٧/٥ والدر المنثور ٢٥٩/٤ والبحر المحيط ١٧٤/٦ .

(٧) هو الإمام الزجاج صاحب معاني القرآن ، وقد تقدمت ترجمته .

يُشْفِقُ أن يورث مالهُ ، للحديث المأثور[1] .

١٠ ــ **وقوله جل وعز ﴿ يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى ﴾** [آية ٧] .

أي قلنا يازكريا .

١١ ــ **ثم قال جلَّ وعز : ﴿ لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا ﴾** [آية ٧] .

رَوَى إسرائيلُ عن سِمَاكٍ ، عن عكرمة ، عن ابنِ عبَّاسٍ قال : لم يُسَمَّ أحدٌ ــ قَبْلَ يحيى ــ بيحيي غيرُه[2] .

ورَوَى سفيان عن أبيه عن حَسَّان بن أبي الأشرس[3] : ﴿ لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِياً ﴾ قال : عِدْلاً[4] .

وروى ابنُ أبي نجيح عن مجاهد ، قال : مِثْلاً[5] .

---

(١) عبارة الزجاج في معانيه ٣/٣٢٠ : وقال قومٌ لايجوز أن يقول زكريا إنه يخاف أن يُورث المال ، لأن أمر الأنبياء والصّالحين أنهم لايخافون أن يرثهم أقرباؤهم ، وقد جاء عن النبي ﷺ أنه قال « إنَّا معاشر الأنبياء لا نورث ، ما تركناه صدقة» ومعنى الآية : يرثني ويرث آل يعقوب النبوة . اهـ وهذا هو الصحيح ، وهو ما اختاره المحققون ، قال الحافظ ابن كثير ٥/٢٠٧ : سأل اللهَ ولداً يكون نبياً بعده ، ليسوسهم بنبوته ، فأجيب إلى ذلك ، لا لأنه خشي من وراثتهم له ماله ، فإن النبي أعظم منزلةً ، وأجلُّ قدراً ، أن يشفق على ماله إلى هذا الحدِّ. اهـ .

(٢) الأثر في الطبري ١٦/٥٠ والدر المنثور ٤/٢٥٩ وعزاه إلى ابن أبي حاتم والحاكم وصححه قال : لم يُسمَّ أحد يحي قبله .

(٣) في المخطوطة « حسان أبي الأشرس » وصوابه حسان بن أبي الأشرس كما في الجرح والتعديل للرازي ٢/٢٣٥ وكذلك في التقريب ١/١٦١ قال : هو والد حبيب صدوق من السادسة .

(٤ــ٥) انظر الطبري ١٦/٤٩ وابن كثير ٥/٢٠٧ والدر المنثور ٤/٢٦٠ .

قال أبو جعفر : ويقوِّي هذا أنَّ أهـل التـفسير منهم ابـنُ جريج قالوا في قولِ اللَّهِ ﴿ **هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا** ﴾[1] أي مِثْلاً ، أي شريكاً .

١٢ ــ **وقوله جل وعز** ﴿ **قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ** ﴾ [آية ٨] .

قال أبو إسحاق : أراد أن يعلم من أيِّ جهةٍ يُولَدُ له ، وامرأتـهُ عاقرٌ ، وقد كِبرَ[2] !؟

قال أبو جعفر : وقد ذكرنا « العاقر » و « العِتِيَّ » قبل هذا .

١٣ ــ **ثم قال جل وعــز** ﴿ **قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَــيَّ هَيِّــــنٌ** ﴾ [آية ٩] .

أي الأمرُ كما قيل لك .

ثم قال تعالى ﴿ **وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِنْ قَبْلُ وَلَــمْ تَكُ شَيْئــاً** ﴾ [آية ٩] .

أي شيئاً موجوداً .

١٤ ــ **ثم قال جل وعز** ﴿ **قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً** .. ﴾ [آية ١٠] .

أي علامة تدلُّ على وقوع ما بُشِّرْتُ بهِ .

---

(١) سورة مريم آية ٦٥ .

(٢) انظر معاني القرآن للزجاج ٣/٣٢١ .

﴿ **قَالَ آيَتُكَ أَنْ لَا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا** ﴾ [آية ١٠] .

قال عكرمةُ ، وقتادةُ ، والضَّحَّاكُ : أي من غير خَرَسٍ(١) .

١٥ ــ **وقولُه جلَّ وعز** ﴿ **فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ** ﴾ [آية ١١] .

قال أهل التفسير : كان موضعاً مرتفعاً .

وكذلك هو عند أهلِ اللغة ، كأنه على حَرْبَةٍ لارتفاعه ، ومنه قيل محرابٌ للموضع الذي يُصلَّى فيه كأنه أرفع المجلس .

١٦ ــ **ثم قال جل وعز** ﴿ **فَأَوْحَى إِلَيْهِم** .. ﴾ [آية ١١] .

قال قتادة : أي فأومأ إليهم(٢) .

وروى عليُّ بنُ الحَكَم عن الضحاك قال : كَتَبَ لهم ، فذلك الوحيُ(٣) .

١٧ ــ **ثم قال تعالى** ﴿ **أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا** ﴾ [آية ١١] .

رَوَى مَعْمرٌ عن قَتادة قال : صَلُّوا ، وذلك معروفٌ في اللغة ،

---

(١) انظر الأثر في جامع البيان ١٦/٥٢ وتفسير ابن الجوزي ٥/١٤٩ والدر المنثور ٤/٢٦٠ .

(٢ــ٣) انظر جامع البيان للطبري ١٦/٥٤ وابن كثير ٥/٢١٠ وزاد المسير لابن الجوزي ٥/١٤٩ قال الزجاج ٣/٣٢١ : قيل معنى ﴿أوحى إليهم ﴾ أومأ إليهم ورمز ، وقيل : كتب لهم في الأرض بيده .

ومنه يقال للصلاة : سُبْحَة(١) .

١٨ ــ **ثم قال جل عز ﴿ يَا يَحْيَى خُذِ الكِتَابَ بِقُوَّةٍ ..﴾** [آية ١٢] .

في الكلام حذفٌ ، لعلم المُخَاطَب .

المعنى : فوهبنا له يحيى ، فقلنا : يا يحيى خذ الكتاب بقوةٍ(٢) .

قال مجاهد : أي بجدٍّ(٣) .

وقال غيره : أي بجدٍّ وعونٍ من الله(٤) .

١٩ ــ **ثم قال تعالى ﴿ وآتَيْنَاهُ الحُكْمَ صَبِيًّا﴾** [آية ١٢] .

قال عبدالرزاق : أخبرنا مَعْمرٌ ، قال : بلغنا أن الصبيان قالوا ليحيى وهو صبيٌّ : تَعَالَ حتَّى نلعبَ ، فقال : ما لِلَّعِبِ خُلِقنا ، فقال جلَّ ثناؤه : **﴿ وَآتَيْنَاهُ الحُكْمَ صَبِيًّا ﴾**(٥) .

---

(١) في الصحاح ٣٧٢/١ : السُّبْحةُ : التطوُّعُ من الذِّكر والصلاة ، تقول : قضيتُ سُبحتي ، أي صلاتي ، والسُّبحةُ بالضمِّ : خرزاتٌ يُسبَّح بها ، والتسبيحُ : التنزيهُ . اهـ قال الطبري ٥٤/١٦ : ومعنى الآية : أومى إليهم أن صلُّوا بُكرةً وعشيًّا .

(٢) قال ابن جرير ٥٤/١٦ : أي فوُلد لزكريا يحيى ، فلمَّا وُلد ، قال الله له : يايحيى خذ هذا الكتاب بقوة يعني بجدٍّ .

(٣ــ٤) الأثر عن مجاهد في الطبري ٥٥/١٦ والدر ٢٦٠/٤ والقول الثاني هو قول الزجاج في معانيه ٣٢١/٣ .

(٥) الأثر في الطبري ٥٥/١٦ وابن كثير ٢١٠/٥ ومعنى الآية : أعطيناه الفهم والعلم ، ورجاحة=

قال **أبو جعفر** : هذا معنى كلامه .

قال **عكرمة** : الحُكْمُ : اللُّبُّ[1] .

قال **قتادة** : كان ابن سنتَيْنِ ، أو ثلاث[2] .

٢٠ ــ ثم قال تعالى ﴿ وَحَنَاناً مِنْ لَّدُنَّا﴾ [آية ١٣] .

روى **شعبةُ عن سماك عن عكرمة** قال : الحَنَانُ : الرحمةُ[3] .

وكذلك هو عند أهل اللغة ، وأصلُه من حنينِ الناقةِ على ولدها ، قال طَرَفة :

أَبَا مُنْذِرٍ أَفْنَيْتَ فَاسْتَبْقِ بَعْضَنَا
حَنَانَيْكَ بَعْضُ الشَّرِّ أَهْوَنُ مِنْ بَعْضِ[4]

= العقل ، وهو حَدَثٌ صغير السنِّ ، لم يبلغ مبلغ الرجال ، قال ابن عباس : كان ابن سبع سنين ، وقال قتادة ومقاتل : كان ابن ثلاث سنين .

(١ــ٣) انظر زاد المسير لابن الجوزي ١٥٠/٥ والدرالمنثور للسيوطي ٢٦١/٤ فقد ذكرت فيهما هذه الآثار .

(٤) البيت لطرفه بن العبد وهو في ديوانه ص ١٨٧ وفي الكامل ص ٣٤٨ والجمهرة ٤٤٩/٣ واستشهد به أبو عُبيدة في مجاز القرآن ٣/٢ والطبري ٥٦/١٦ والقرطبي ٨٧/١١ وابن الجوزي ١٥٠/٥ وابن عطية ٤٣٩/٩ وهو في اللسان والتاج مادة حنن .. ويستشهد به النحويون على أن « حَنَانَيْك » نُصبت على المصدر ، النائب عن الفعل ، وقد ثنيَّ « حَنَانيك » لإرادة التكثير ، لأن التثنية أول مراتب التكثير ، وقد اشتهرت قصة طَرَفة مع الملك « عمرو بن هند » المكنى أبا منذر ، يقول الشاعر :

لقد أفنيت كثيراً منا فكن رحيماً ببقيَّتنا وإذا أردت عقاباً فليكن بأهون العقاب وأخفه والشطر الثاني يُضرب مثلاً للأخذ بأقل الشرين .

٢١ ــ **ثم قال جل وعز** ﴿وَزَكَاةً وَكَانَ تَقِيًّا﴾ [آية ١٣] .

روى علي بن الحكم عن الضحاك قال : الزكاةُ : العقلُ الزَّاكي الصَّالحُ[١] .

وقال قتادة : الزكاةُ : الصدقة[(٢)] .

٢٢ ــ **وقولُه جلَّ وعز** : ﴿وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ ، وَيَوْمَ يَمُوتُ ، وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا﴾ [آية ١٥] .

رَوَى قتادةُ عن الحسن قال : لمَّا لقي يحيى عيسى عليهما السلام ، قال له يحيى : أنتَ خيرٌ منيِّ ، قال عيسى : بل أنت خيرٌ منيِّ ، سلَّم اللهُ عليك ، وسلَّمتُ على نفسي[٣] .

٢٣ ــ **وقولُه جلَّ وعز** ﴿وَاذْكُرْ فِي الكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا﴾ [آية ١٦] .

أي تنحَّتْ وتباعدتْ .

(١ــ٢) انظر الأثرين في الطبري ١٦/٥٨ وابن الجوزي ٥/١٥٠ والدر المنثور ٤/٢٦١ ومعنى «صدقة» أن الله تعالى جعله صدقة تصدَّق بها على أبويه .

(٣) الأثر أخرجه ابن جرير في جامع البيان ١٦/٥٩ وابن الجوزي في زاد المسير ٥/١٥١ والسيوطي في الدر ٤/٢٦٢ عن الحسن البصري ، ولفظه « التقى يحيى وعيسى ، فقال يحيى لعيسي : أنت خيرٌ مني .. » الأثر .

ونَبَذتُ الشيءَ : رميْتُ بهِ .

وقيل : إنَّها قصدتْ مطلعَ الشمسِ ، لتغتسل من الحيض(١) .

وقيل : لتخلو بالعبادة(٢) .

٢٤ ــ **وقوله جلَّ وعز** : ﴿ **فأرْسَلْنَا إلَيْهَا رُوحَنَا** ..﴾ [آية ١٧] .

رَوَى عليُّ بنُ الحَكَمِ عن الضحاك قال : جبريلُ صلَّى الله عليه وسلم(٣) .

قال أبو جعفر : وهذا قولٌ حسنٌ ، لأن غيره قال هو « عيسى »(٤) .

يدلُّ على ذلكَ قوله تعالى ﴿ **فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا** ﴾ وعيسى بشرٌ .

(١ــ٢) انظر هذه الأقوال في تفسير ابن الجوزي ١٥٢/٥ والبحر المحيط ١٧٩/٦ .

(٣) الأثر أخرجه الطبري ٦٠/١٦ وابن كثير ٢١٤/٥ وابن الجوزي ١٥٢/٥ وهو الصحيح وبه قال الجمهور .

(٤) حكى هذا القول الزجاج في معانيه ٣٢٢/٣ عن بعضهم وردَّه ، قال : ومما يدلُّ على أنَّ جبريل هو الروح قوله تعالى ﴿ فتمثَّل لها بشراً سوياً ﴾ وقال ابن كثير ٢١٤/٥ : أرسل الله تعالى إليها جبريل عليه السلام ، فتمثَّل لها على صورة إنسان تامٍّ كامل ، وهذا قول الجمهور مجاهد ، والضحاك ، وقتادة والسدي ، وغيرهم ، وهذا الذي قالوه هو ظاهر القرآن ، وما حُكي أنه « روح عيسى » فهذا في غاية الغرابة والنكارة ، وكأنه من الاسرائيليات . اهـ .

٢٥ ـ **وقوله جل وعز ﴿ قَالَتْ إنِّى أَعُوذُ بِالرَّحْمنِ مِنْكَ إنْ كُنْتَ تَقِيًّا﴾** [آية ١٨] .

قال أبو إسحاق: أي فإن كنت تقياً فستتَّعظُ بتعوُّذي باللَّهِ جلَّ وعزَّ منك[١] .

وقال غيره : « إن » بمعنى « ما » . والأوُل أولَى .

٢٦ ـ **ثم قال جل وعز ﴿ قَالَ إنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّك لِيَهَبَ لَكِ غُلَاماً زَكِيًّا﴾** [آية ١٩] .

ويُقرأ ﴿ لأهَبَ لَكِ ﴾[٢] .

فمعنى لأَهَبَ بالهمز محمول على المعنى . أي قال : أرسلتُهُ لأهبَ لك .

ويحتمل ليهَبَ بلاهمز أي يكون بمعنى المهموز ، ثم خُفِّفتْ الهمزة .

وقيل المعنى : أرسلني اللهُ ليَهَبَ لك .

---

(١) انظر معاني الزجاج ٣٢٣/٣ وفي البخاري ١١٧/٦ : وقال أبو وائل : «علمتْ مريمُ أنَّ التقيَّ ذو نُهْية » اهـ أي ينهاه دينه عن فعل القبيح .

(٢) قرأ ابن كثير ، وعاصم ، وابن عامر ، وحمزة ، والكسائي ﴿ لِأَهَبَ لكِ ﴾ بالهمز ، وقرأ أبو عمرو ، ويعقوب ، وورش ﴿ليهبَ لكِ﴾ بالياء ، والقراءتان سبعيتان وانظر النشر في القراءات العشر ٣١٧/٢ وانظر توجيه القراءات في معاني الزجاج ٣٢٣/٣ .

٢٧ ــ وقوله جل وعز ﴿ قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ ﴾ [آية ٢٠] .

أي لم يمسسني على جهة تزوُّجٍ ، ﴿ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴾ ، أي لم يقربني على غير حد تزوُّجٍ .

٢٨ ــ وقوله جل وعز ﴿ قال كَذلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ .. ﴾ [آية ٢١] .

أي الأمرُ كما قيل لكِ .

قال الكسائي : هو من جَاءَ ، وجئتُ بهِ ، وأَجَأْتُهُ .

وهذا موافقٌ لقول ابن عباس ومجاهد ، لأنه إذا ألجأها إلى الذهاب إلى جذع النَّخلةِ ، فقد جاء بها إليه ، قال زهير :

وَجَارٍ سَار مُعْتَمِداً إليكُم
أَجَاءَتْهُ المَخَافَةُ والرَّجَاءُ[1]

والمخاضُ : الحملُ .

(١) البيت لزهير بن أبي سُلمى ، وهو في ديوانه ص ٥٠٠ والطبري ٦٤/١٦ ومجاز أبي عُبيدة ٤/٢ وجامع الأحكام للقرطبي ٩٢/١١ والبحر المحيط ١٨٢/٦ والمحرر الوجيز ٤٤٦/٩ والشاهد فيه أن أجاءته بمعنى ألجأته واضطرته .

قال أبو عبيد : حدثنا عبد الرحمن عن سفيان قال مجاهد : كان حَمْلُ النخلةِ عجوةً[1] .

وقال غيرهُ : كان جِذْعاً بلا رأس ، وكان ذلك في الشتاء ، فأنبت اللَّهُ له رأساً ، وخَلَق فيه رُطباً[2] .

وقال ابن عباس : حملت وَوَضعت في ساعةٍ واحدة[3] .

وقال غيره : أقامت ثمانيةَ أشهر ، وتلك آية ، لأنه لا يُوْلَدُ مولودٌ لثمانيةِ أشهر فيعيش[4] .

قال أبو اسحاق قوله تعالى : ﴿ **فَأَجَآءَهَا الْمَخَاضُ إلى جِذْعِ النَّخْلَةِ** ﴾ يدلُّ على طولِ المُكْثِ[5] والله أعلم

٢٩ ــ وقوله جل وعز ﴿ فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ بِهِ مَكَاناً قَصِيًّا ﴾ [آية ٢٢] .

قال مجاهد : أي قاصياً[6] .

(١ــ٣) انظر هذه الآثار كلها في الطبري ٦٥/١٦ وابن كثير ٢١٧/٥ والبحر المحيط ١٨٢/٦ والدر المنثور ٢٦٧/٤ .

(٤) رُوي هذا عن عكرمة كما حكاه عنه الحافظ ابن كثير ٢١٦/٥ وانظر معاني الزجاج ٣٢٤/٣ .

(٥) انظر معاني الزجاج ٣٢٤/٣ وقد رجح الحافظ ابن كثير هذا القول ، فقال ٢١٧/٥ : والمشهور الظاهر أنها حملت به كما تحمل النساء بأولادهن . الخ .

(٦) الأثر في الطبري ٦٣/١٦ والدر المنثور ٢٦٧/٤ قال القرطبي ٩٢/١١ : أي تنحَّت بالحمل إلى مكان بعيد .

قال الكسائي : يقال : قَصَا يقصو أي بَعُدَ ، وأقصاه اللّهُ ، وأَقْصَى الشَّيءَ : أبعَدَه[1] .

٣٠ ــ **وقوله جل وعز ﴿ فَأَجآءَهَا المَخَاضُ إلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ .. ﴾** [آية ٢٣] .

قال ابن عباس ومجاهد : أي فألجأَهَا المخاضُ[2] .

قال الكسائي : هو مَن جَاءَ ، وجئتُ بهِ ، وأَجأْتُهُ .

وهذا موافقٌ لقول ابن عباس ومجاهد ، لأنه إذا ألجأها إلى الذهاب إلى جذع النَّخلةِ ، فقد جاء بها إليه ، قال زهير :

وَجَارٍ سَار مُعْتَمِداً إليكُمْ
أَجَاءَتْهُ المَخَافَةُ وَالرَّجَاءُ[3]

والمخاضُ : الحملُ .

---

(١) حكاه الجوهري في الصحاح ٢٤٦٢/٦ قال : قَصَا المكانُ يَقْصُو قُصُوًّا : بَعُد ، فهو قَصِيٌّ وقصوتُ عن القوم : تباعدتُ ، والقَصَا : البعدُ والناحيةُ ، ويُقال : فلان بالمكان الأقصى ، والناحية القُصْوى .

(٢) أي اضطَّرها ، وهو تعدية جاء ، يقال : جاء به ، وأجاءه بمعنى واحد ، والأثر أخرجه الطبري ٦٤/١٦ والسيوطي في الدر ٢٦٧/٤ قال في اللّسان : أجاءه إلى شيء : جاء به ، وألجأه واضطَّره إليه . اهـ .

(٣) البيت لزهير بن أبي سُلمى ، وهو في ديوانه ص ٥٠٠ والطبري ٦٤/١٦ ومجاز أبي عُبيدة ٤/٢ وجامع الأحكام للقرطبي ٩٢/١١ والبحر المحيط ١٨٢/٦ والمحرر الوجيز ٤٤٦/٩ والشاهد فيه أن أجاءته ، بمعنى ألجأته واضطرته .

قال أبو عبيد : حدثنا عبدالرحمن عن سفيان قال مجاهد : كان حَمْلُ النخلةِ عجوةً(١) .

وقال غيرُه : كان جِذْعاً بلا رأس ، وكان ذلك في الشتاء ، فأنبت اللهُ له رأساً ، وخَلَقَ فيه رَطباً(٢) .

وقال ابن عباس : حملت ووضعت في ساعةٍ واحدة(٣) .

وقال غيرِه : أقامت ثمانية أشهر ، وتلك آية ، لأنه لا يَوْلَدُ مولودٌ لثمانيةِ أشهر فيعيش(٤) .

قال أبو اسحاق قوله تعالى : ﴿ **فَأَجَآءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ** ﴾ يدلُّ على طولِ المُكْثِ(٥) . والله أعلم .

٣١ ــ ثم قال تعالى ﴿ قَالَتْ يَالَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا ..﴾ [آية ٢٣] .

أي لو خُيِّرتُ بين الموت وهذا ، لاخترتُ الموتَ .

٣٢ ــ ثم قال جلَّ وعز : ﴿ وَكُنْتُ نَسْياً مَنْسِيًّا﴾ [آية ٢٣] .

قال عكرمة : أي حيضةً ملقاةً(٦) .

(١ ــ ٣) انظر هذه الآثار كلها في الطبري ٦٥/١٦ وابن كثير ٢١٧/٥ والبحر المحيط ١٨٢/٦ والدر المنثور ٢٦٧/٤ .

(٤) رُوي هذا عن عكرمة كما حكاه عنه الحافظ ابن كثير ٢١٦/٥ وانظر معاني الزجاج ٣٢٤/٣ .

(٥) انظر معاني الزجاج ٣٢٤/٣ وقد رجح الحافظ ابن كثير هذا القول ، فقال ٢١٧/٥ : والمشهور الظاهر أنها حملت به كما تحمل النساء بأولادهن !!

(٦) الأثر في الطبري ٦٦/١٦ والدر المنثور ٢٦٧/٤ قال ابن جرير : أي ليتني متُّ قبل هذا الكرب ، وكنتُ كخرق الحيض التي إذا طُرحت لم تُطلب . ولم تُذكر ، وذكره الحافظ ابن كثير ٢١٨/٥ عن السُدِّي ، وهذا القول حكاه الفراء في معانيه ١٦٥/٢ فقال : والنَّسْيُ : ما تلقيه المرأة من خرق اعتلالها .

والنَّسْيُ عند أهل اللغة على ضربين :

أحدهما : ما طال مكثُه فنُسِيَ .

والآخر : الشيءُ الحقيرُ الذي لا يُعْبَأ به[1] .

وقرأ محمد بن كعب[2] : ﴿ **وكنتُ نِسْئاً** ﴾[3]

وقرأ نَوْفٌ ﴿ **وكنْتُ نَسْأً** ﴾[4] .

وهو من نَسَأَ الله في أَجلِهِ : أي أخرَّه .

قال حمَّادُ بنُ سَلَمَة : قال لي عاصم : كيف تقرأ « فَأَجَأَهَا » ؟ قلت : أقرؤها ﴿ **فأَجَاءَهَا** ﴾ فقال : إنما هو « **فَاجَأَ** » من المفاجأة[5] .

٣٣ ــ وقوله جل وعز ﴿ فَنَادَاهَا مَنْ تَحْتِهَا ..﴾ [آية ٢٤] .

---

(١) قال ابن عطية ٤٤٨/٩ : والنَّسْيُ في كلام العرب : الشيءُ الحقيرُ ، الذي من شأنه أن يُنسى ، فلا يُتألم لفقده ، كالوتد والحبل ونحوه .

(٢) محمد بن كعب أبو حمزة القرظي ، تابعي ، ولد في حياة النبي ﷺ ونزل الكوفة ثم رجع إلى المدينة توفي سنة ١٠٨هـ قال عون : ما رأيت أحداً أعلم بتأويل القرآن من القرظي ، وانظر ترجمته في طبقات القراء ٢٣٣/٢ .

(٣ــ٤) القراءتان بالهمز من الشواذ كما في المحتسب ٤٠/٢ وأما قراءة ﴿ نِسْياً ﴾ بكسر النون فهي من القراءات السبع ، وهي قراءة ابن كثير ، ونافع والكسائي ، وانظر السبعة ص ٤٠٨ .

(٥) على هذا القول لاتكون اللفظة من « جاء » وإنما تكون من « فَاجَأَ » أي ظهر له بغتة ، وهذه من القراءات الشاذة كما في المحتسب ٣٩/٢ .

كذا رُوِىَ عن أُبيٍّ بنِ كعبٍ ، والبراءِ بنِ عازبٍ ، وإبراهيم النخعي ، أنهم قرءوا ﴿مَنْ﴾ بالفتح ، وتأوَّلوه على أنه « عيسى » عليه السلام(١) .

وقرأ ابن عباس وعمرو بن ميمون والضحاك ﴿ فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا ﴾ وفسّروهُ أنه جبريل صلَّى الله عليه وسلم(٢) .

قال الضحاك : كان جبريل أسفل منها ، فناداها من ذلك الموضع . **﴿ أنْ لَا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴾**(٣) .

روى سفيانُ عن أبي إسحاق عن البراء ، قال : السّريُّ : الجَدْوَلُ ، والنهرُ الصغير(٤) .

وكذلك هو في كلام العرب ، قال لبيد :

فَتَوَسَّطَا عُرْضَ السَّرِيِّ وَصَدَّعَا
مَسْجُورَةً مُتَجَاوزاً قُلَّامُهَا(٥)

(١ــ٢) القراءتان من القراءات السبع كما في السبعة ص٤٠٨ والنشر ٣١٨/٢ الأولى قراءة ابن كثير ، وأبي عمرو ، وابن عامر ﴿ مَنْ تَحْتَها ﴾ على أن « مَنْ » اسم موصول بمعنى الذي ، أي ناداها الذي هو تحتها ، وهو عيسى بن مريم ، وقرأ الباقون ﴿ مِنْ تَحْتِها ﴾ على أن « مِنْ » حرف جر والمراد به جبريل عليه السلام .

(٣ــ٤) انظر الأثرين في الطبري ٦٧/١٦ والدر المنثور ٢٦/٤ والمحرر الوجيز لابن عطية ٤٥٠/٩ .

(٥) البيت للبيد بن ربيعة العامري من معلقته المشهورة في شرح العشر ص٧٦ وهو في الجمهرة ٣٦٣/٢ ومجاز القرآن ٥/٢ والطبري ٧١/١٦ والقرطبي ٩٤/١١ والمحرر الوجيز ٤٥٢/٩ والشاهد فيه أن السريَّ : النهر الصغير ، أي توسط العير والأتان جانب النهر الصغير .

٣٤ ــ وقوله جل وعز ﴿ فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمٰنِ صَوْماً ..﴾ [آية ٢٦] .

رَوَى سَلْمانُ التيميُّ عن أنس قال : صَمْتاً[1] .

وذلك معروف في اللغة : يقال لكلِّ مُمسكٍ عن كلام ، أو طعام : صائمٌ ، كما قال الشاعر :

خَيْلٌ صِيَامٌ وخَيْلٌ غَيْرُ صَائِمَةٍ
تَحْتَ العَجَاجِ وَأُخْرَى تَعْلُكُ اللُّجُمَا[2]

صيامٌ ممسكةٌ عن الحركة ساكنةٌ .

٣٥ ــ وقوله جل وعز ﴿ قَالُوا يَامَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئاً فَرِيًّا﴾ [آية ٢٧] .

قال مجاهد : أي عظيماً[3] .

وقال سعيد بن مسعدة[4] : أي مختَلقاً ، مفتعلاً .

يُقال : فَرِيتُ ، وأَفْرِيتُ ، بمعنىً واحِدٍ[5] .

---

(١) الأثر في الطبري ٧٤/١٦ وابن كثير ٢٢٠/٥ والبحر المحيط ١٨٥/٦ .

(٢) البيت للنابغة الذُّبياني من قصيدته المشهورة « بانت سعادُ وأمسى حبلُها انصرما » وهو في التاج واللسان « صوم » وفي مجاز القرآن ٦/٢ وفي الكامل ص ٤٨٣ .

(٣) انظر الأثر في الطبري ٧٦/١٦ وابن كثير ٢٢٠/٥ والدر المنثور ٢٧٠/٤ .

(٤) « سعيدُ بنُ مَسْعَدةَ » هو المعروف بالأخفش الأوسط ، نحويٌّ لغويٌّ ، أخذ عن سيبويه والخليل ، توفي سنة ٢١٥ هـ وانظر سير النبلاء ١٨٨/٧ ومعجم المؤلفين ٢٣٧/٤ .

(٥) قال ابن عطية ٤٥٩/٩ : الفريُّ : العظيمُ الشنيعُ قاله مجاهد والسُّدِّي ، وافتراه : اختلقه وهو =

قال قطرب : زعم أبو خَيْرَةَ العَدَوِيُّ أنَّ « الفَرِيّ » الجديدُ من الأسقية .

قال قطرب : فكأنَّ معنى « فَرِيًّ » بديع ، وجديد ، لم يُسْبَق إليه ، قال : وكأنَّ معنى « افترى على الله » جاء بأمرٍ بديع جديد لم يكن .

وقال أبو عبيدة : فريٌّ عجيب[1] .

٣٦ ــ وقوله جل وعز ﴿ يَا أُخْتَ هَارُونَ مَاكَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ.. ﴾ [آية ٢٨] .

روى مَعْمرٌ عن قتادة قال : كان هارونُ صالحاً من قومهما ، فقالوا : ياشبيهة هارون[2] .

قال أبو جعفر : ويقويِّ هذا الحديث المرفوع « كانوا يتسمون

= من الفرية ــ يعني الكذب ــ وفراه يفريه : شقَّه وأفسده . اهـ وانظر الصحاح مادة فَرَا ٢٤٥٤/٦ .

(١) مجاز القرآن لأبي عُبيدة ٧/٢ قال : ﴿ شيئاً فرياً ﴾ أي عجباً فائقاً ، وكذلك كل شيء فائق ، من عجب أو عمل فهو فريٌّ . اهـ .

(٢) الأثر أخرجه ابن جرير ٧٧/١٦ ولفظه قال : كان رجلاً صالحاً في بني إسرائيل يسمى هارون ، فشبَّهوها به فقالوا : ياشبيهة هارون في الصلاح ، قال الحافظ ابن كثير ٢٢١/٥ والمعنى : ياشبيهة هارون في العبادة أنت من بيتٍ طاهرٍ طيب ، معروف بالصلاح والعبادة والزهادة ، فكيف صدر هذا منك ؟

بأسماء أنبيائهم والصالحين منهم »[1] .

٣٧ ــ **ثم قال جل وعزَّ ﴿ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا﴾** [آية ٢٨] .

أي فاجرةً ، والبغاءُ : الزنا[2] .

٣٨ ــ **وقوله جل وعز ﴿ فأشَارَتْ إلَيْه ..﴾** [آية ٢٩] .

والمعنى : فأشارت إلى عيسى أن كلِّمُوهُ ، ودلَّ على هذا قولُه تعالى : **﴿ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي المَهْدِ صَبِيًّا﴾** [آية ٢٩] .

قيل : « كان » ها هنا زائدة[3] ، لأن الناس كلهم لا يخلون من أن يكونوا هكذا .

وقيل : « كان » بمعنى وَقَع ، وخُلِق .

---

(١) أشار المصنف إلى الحديث الذي أخرجه مسلم في صحيحه ١٦٨٥/٣ عن المغيرة بن شعبة قال : لما قدمتُ نجران سألوني ــ يعني النصارى ــ فقالوا إنكم تقرءون ﴿ ياأخت هارون ﴾ وموسى قبل عيسى بكذا وكذا ، فلما قدمتُ على رسول الله ﷺ سألته عن ذلك فقال : إنهم يسمون بأنبيائهم والصالحين قبلهم » وأخرجه أحمد في المسند ٢٥٢/٤ والسيوطي في الدر المنثور ٢٧٠/٤ .

(٢) قال في الصحاح : بغت المرأةُ بِغَاءً بالكسر والمدِّ : أي زَنَتْ ، فهي بَغِيٌّ ، والجمعُ بغَايَا ، يُقال : قامت على رءوسهم البغايا . اهـ مادة بغى .

(٣) هذا قول لأبي عُبيدة في مجاز القرآن ٧/٢ واستدل بقول الشاعر : « وجيرانٍ لنا كانُوا كِرَام » أي وجيرانٍ كرام . وهذا القول ردَّه ابن الأنباري كما في جامع الأحكام ١٠٢/١١ حيث قال : لايجوز أن يُقال زائدة وقد نصبت « صَبِيّاً » ولا أن يُقال : « كان » بمعنى حَدَث ، لأنه لو كان بمعنى =

وقيل : فيه معنى الشرط أي من كان صبياً فكيف نكلمه[1] ؟

٣٩ ــ **وقوله جل وعز ﴿ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الكِتَابَ وَجَعَلَني نَبِيًّا. وَجَعَلَنِي مُبَارَكاً أَيْنما كُنْتُ ..﴾** [آية ٣١] .

رَوَى سفيانُ عن سِمَاكٍ عن عِكرمة في قوله تعالى **﴿ آتَانِيَ الكِتَابَ ﴾** قال : قضى أن يُؤتِيَنِه[2] .

وقيل معنى : ﴿ وَأَوْصَانِي بِالصَّلاةَ والزَّكَاةِ﴾ [آية ٣١] .

أي أوصاني بالصَّلاة ، والطهارة .

٤٠ ــ **وقوله تعالى ﴿ ذَلِكَ عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ ﴾**[٣٤] .

أي ذلك الذي قال هذا « عيسى بن مريم » عبدالله[3].

٤١ ــ **ثم قال جلَّ وعز ﴿ قَوْلَ الحَقِّ الَّذي فِيهِ يَمْتَرُونَ﴾** [آية ٣٤] .

= الحدوث والوقوع لاستغنى فيه عن الخبر ، تقول : « كان الحَرُّ » وتكتفي به ، قال : والصحيح أن « مَنْ » في معنى الجزاء ، و« كان » بمعنى يكن ، التقديرُ : من يكن في المهد صبيًّاً فكيف نكلِّمه ؟ كما تقول : كيف أعطى من كان لايقبل عطية ؟ أي من يكن لا يقبل هدية .

(١) هذا هو الذي اختاره ورجحه الزجاج في معانيه ٣٢٨/٣ قال : وهو أجود الأقوال .

(٢) الأثر في الطبري ٨٠/١٦ وابن كثير ٢٢٣/٥ ولفظه عن عكرمة قال : قضى أن يؤتيني الكتاب فيما قضي .

(٣) عبارة الزجاج في معانيه ٣٢٠/٣ : أي ذلك الذي قال ﴿إنِّي عبدالله﴾ هوعيسى بن مريم ، لا ما يقوله النصارى من أنه ابن الله ، وأنه إله الخ وهو أوضح وأصرح مما ذكره المصنف ، قال الحافظ ابن كثير ٢٢٣/٥ : أول شيء تكلَّم به ، أن نزَّه جناب ربه تعالى ، وبرَّأ اللَّهَ عن الولد ، وأثبت لنفسه العبودية لربه . اهـ .

حدثنـا أحمد بن محمـد بن نافـع قال : حدثنـا سَلَمـةُ ، قال : حدثنا عبدالرزاق ، قال : أنبأنا معمرٌ عن قتادة في قوله تعـالى ﴿ **ذَلِكَ عِيْسَى بْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الحَقِّ الَّذي فِيْه يَمْترُونَ** ﴾ قال : « اجتمـع بنـو إسرائيل ، فأَخرجوا منهم أربعةَ نَفَـرٍ ، أخـرج كلُّ قوم عالمهـم ، فامْتَـرَوْا في عيسى حين رُفع ،

فقال أحدهـم : هو اللّـهُ هبـط إلى الأرض ، أحيـا من أحيـا ، وأمـاتَ من أمـاتَ ، ثم صعِـدَ إلى السَّمـاء ، وهـم « اليعقوبيـة » قال : فقال الثلاثة : كذبْت .

ثم قال اثنـان منهم للثـالث : قل فيـه ، قال : هو ابـنُ اللّـهِ ، وهم « النسطورية » قال : فقال الاثنان : كذبتَ .

ثم قال الاثنـــــان للآخر : قلْ فيـــــه ! قال : هو ثالث ثلاثـة ، اللـهُ إلـهٌ ، وهـو إلـهٌ ، وأمُّـه إلـهٌ ، وهـم « الإسرائيليـة » ملـوك النصارى .

قال الرابـع : كذبتَ ، بل هو عبـدُ اللّـهِ ورسولُـه ، وروحُـه ، وكلمتُه ، وهم المسلمون ، فكانت لكل رجل منهم اتبـاعٌ على ما قال ، فاقتتَلُوا فظَهروا على المسلمين ، فذلك قولُ اللّهِ جَلَّ وعـز : ﴿ **وَيَقْتُلُـونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالقِسْطِ مِنَ النَّاسِ** ﴾[1]

(١) سورة آل عمران آية ٢١ .

قال قتادة : وهمُ الذين قال الله ﴿ **فاختلف الأحزاب من بينهم** ﴾[(١)]. اختلفوا فيه فصاروا أحزاباً[(٢)] .

٤٢ ــ **وقوله جل وعز** ﴿ **فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا مِن مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ** ﴾ [آية ٣٧] .

رَوَى مباركٌ عن الحسن قال : يوم القيامةً[(٣)] .

٤٣ ــ **وقوله جل وعز** ﴿ **أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا** ﴾ [آية ٣٨] .

رَوَى سعيدٌ عن قتادةَ ، قال : ذلك واللَّهِ يوم القيامة ، سمعوا حين لاينفعهم السَّمعُ ، وأبصروا حين لاينفعهم البَصَرُ[(٤)] .

قال أبو جعفر : والمعنى عند أهل اللغة : ماأسمعهم وأبصرهم يوم القيامة !؟ لأنهم عاينوا ما لايحتاجون معه إلى فكرٍ ولا رويَّة .

٤٤ ــ **وقوله تبارك وتعالى** : ﴿ **وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ** ﴾ [آية ٣٩] .

---

(١) سورة مريم آية ٣٧ .

(٢) الأثر أخرجه ابن جرير الطبري ٨٤/١٦ وابن كثير ٢٢٥/٥ والقرطبي ١٠٦/١١ وأبو حيان في البحر المحيط ١٩٠/٦ والسيوطي في الدر ٢٧١/٥ ونسبه إلى عبدالرزاق ، وابن أبي حاتم .

(٣ــ٤) انظر الأثرين في جامع البيان للطبري ٨٦/١٦ والدر المنثور ٢٧١/٤ قال ابن عطية في المحرر الوجيز ٤٧٢/٩ : ومعنى الآية : ما أسمعهم وأبصرهم يوم يرجعون إلينا ويرون ما نصنع بهم من العذاب !!

رَوَى سفيان عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي سعيد الخدري قال : « إذا استقرَّ أهلُ الجنَّةِ في الجنة ، وأهلُ النَّارِ في النار ، جيىء بالموتِ في صورة كبش أملح[1] ، فيُنادَى يا أهلَ الجنة ، فيشرئِبُّونَ[2] ينظرون ، ثم يُنادَى يا أهل النَّار ، فيشرئِبُّونَ ينظرون ، فيُقال : أتعرفون هذا؟ فيقولون : نعم ، هذا الموتُ ، وليس منهم إلاَّ من يعرفه ، فيذبح بين الجنة والنار ، ثم يُقال : يا أهل الجنة خلود لا موت فيه ، ويا أهل النار خلود لا موت فيه ، فذلك قول الله جلَّ وعز : ﴿ **وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الحَسْرَةِ إذْ قُضِيَ الأَمْرُ** ﴾[3] .

ورَوَى أبو معاوية عن الأعمش ، عن أبي صالح ، عن أبي

(١) قال في النهاية ٣٥٤/٤ : الأملحُ : الذي بياضُه أكثرُ من سواده ــ قاله الكسائي ــ وقيل : هو النقيُّ البياض .

(٢) في الصحاح ١٥٤/١ : اشرأبَّ للشيء اشرِئْباباً : مدَّ عُنُقَه لينظر . اهـ .

(٣) الحديث أخرجه البخاري في تفسير سورة مريم ١١٨/٦ ومسلم برقم ٢٨٤٩ في كتاب الجنة والنار ٢١٨٨/٤ وأحمد في المسند ٩/٣ والترمذي رقم ٢٥٦١ في الجنة ولفظ الحديث كما في الصحيحين « يؤتى بالموت يوم القيامة كهيئة كبشٍ أملح ، فيوقف بين الجنة والنار ، فينادي منادٍ : يا أهل الجنة ، فيشرئبون وينظرون ، فيقول لهم : هل تعرفون هذا ؟ فيقولون نعم : هذا الموتُ ، وكلُّهم قد رآه ، ثم ينادي منادٍ : يا أهل النار ، فيشرئبون وينظرون ، فيقول لهم : هل تعرفون هذا ؟ فيقولون نعم ، هذا الموتُ ، وكلُّهم قد رآه ، فيذبح بين الجنة والنار ، ثم يقول : يا أهل الجنة خلود فلا موت ، ويا أهل النار خلود فلا موت ، ثم قرأ ﷺ ﴿ وأنذرهم يوم الحسرة إذ قُضِيَ الأمرُ وهم في غفلةٍ وهم لايؤمنون ﴾ وفي رواية الترمذي : فلو أن أحداً مات فرحاً لمات أهلُ الجنة ، ولو أن أحداً مات حُزناً لمات أهلُ النار » .

سعيد الخدري عن النبي ﷺ في قوله ﴿ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ قال في الدنيا[1] .

وحدثنا أسامة بن أحمد ، قال : حدثنا هارون بن سعيد الأَيْليُّ ، قال : حدثني أنسُ بنُ عياض قال : أخبرني محمد بن عَمْرٍو ، وعن أبي سلمة ، عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : « يؤتى بالموت يوم القيامة ، فيوقف على الصراط ، ثم يقال : يا أهل الجنة ، فيطّلعون خائفين وجلين ، أن يخرجوا من مكانهم الذي هم فيه ، ثم يقال : يا أهل النار ، فيطّلعون فرحين مستبشرين ، رجاء أن يخرجوا من مكانهم الذي هم فيه ، فيقال : هل تعرفون هذا !؟ فيقولون : نعم ياربنا ، هذا الموت ، فيؤُمر به فيُذْبح على الصِّراطِ ، ثم يقال : ياأهل الجنة خلوداً فيما تجدون لا موتَ فيه أبداً »[2] .

٤٥ ــ **وقوله جل وعز ﴿ وَاذْكُرْ فِي الكِتَابِ إبْرَاهِيمَ .. ﴾** [آية ٤١] .

والمعنى : واذكر في الكتاب الذي أُنزِل عليك ــ وهو القرآنُ ــ قصَّة إبراهيم ، وخبرَه .

---

(١) الرواية في صحيح مسلم عن معاوية عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي سعيد الخدري : وأشار بيده إلى الدنيا أي أهل الدنيا في غفلة ، اهـ صحيح مسلم ٢١٨٨/٤ .

(٢) أخرجه السيوطي في الدر بنحوه ٢٧٢/٤ وعزاه إلى ابن أبي حاتم ، وابن مردوية ، ورواه الطبري في تفسيره قريباً منه ٨٨/١٦ وقد سقط من المخطوطة تتمة الحديث وهي : « ويا أهل النار خلوداً لا موت فيه أبداً » .

٤٦ ــ **ثم قال جلَّ وعز ﴿ إنَّه كَانَ صِدِّيقا نبيًّا﴾** [آية ٤١] .

صدِّيقٌ مأخوذٌ من الصِّدْقِ ، وفيه معنى المبالغة والتكثير[١] ، يقال : لمن صدَّق باللَّهِ وأنبيائه ، وفرائضه ، وعملَ بها « صدِّيقٌ » ومنه قيل لأبي بكر : صدِّيقٌ .

٤٧ ــ **وقوله جل وعز ﴿ يا أَبتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطانَ ..﴾** [آية ٤٤] .

والمعنى : لا تطعه فيما يأمرك به ، من الكفرِ والعصيان ، فتكون بمنزلة من عَبَده .

ورَوَى عليُّ بنُ الحَكَم عن الضَّحَّاكِ ﴿ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ ﴾ بالقول[٢] .

قال أبو جعفر : وذلك معروفٌ في اللغة ، يقال رَجَمَه ورَمَاهُ : إذا شَتَمه ، ومنه قوله تعالى **﴿ والَّذِينَ يَرْمُون المُحْصَنَاتِ ﴾**[٣] .

٤٨ ــ **ثم قال جلَّ وعزَّ ﴿ وَاهْجُرْني مَلِيًّا﴾** [آية ٤٦] .

---

(١) هكذا قال الزجاج في معانيه ٣٣١/٣ إن الصِدِّيق اسم للمبالغة في الصِّدق .

(٢) هذا قول ابن عباس ومجاهد كما في تفسير ابن الجوزي ١٦٦/٥ قال : بالشتم والقول ، وقال الحسن : لأرجمنك بالحجارة .

(٣) سورة النور آية ٤ .

قال **سعيد بن جبير ومجاهد** : أي حيناً[1] .

وقال **الحسن** : أي زماناً طويلاً[2] .

وقال **عكرمة** : أي دهراً[3] .

وقال **الضحاك** : أي سالماً ، لا تصيبُك مني مَعَرَّةٌ[4] .

قال **أبو جعفر** : القولُ عند أهل اللغة أنه بمعنى زَمَاناً ، ودهراً .

قال **الكسائي** : يُقال : هجرتهُ مليّاً ، ومِلْوَةً ، وَمُلْوَةً ، ومَلاوَةً ، ومُلاوَةً[5] .

قال **أبو جعفر** : ومنه « تملَّ حَبِيبَك » أي عِشْ معه دَهْراً ، ومنه أمليتُ له ، ومنه قيل لِلَّيل والنَّهارِ : المَلَوان ، كما قال الشاعر :

○ أمَلَّ عَليْها بالبِلَى المَلَوانِ ○ [6]

(١،٢،٣،٤) انظر هذه الآثار في جامع البيان لابن جرير ١٦/٩١ وتفسير ابن كثير ٥/٢٣٠ وتفسير ابن عطية ٩/٤٧٨ والدر المنثور للسيوطي ٦/٢٧٢ والبحر المحيط لأبي حيان ٦/١٩٥ وتفسير القرطبي ١١/١١ .

(٥) قال في اللسان مادة مَلَا : المَلَاوةُ ، والمُلَاوةُ ، والمَلا ، والمَلِيُّ ، كلُّه مدَّةُ العيش ، يُقال : ملَّاك اللهُ حبيبك : أي متَّعك به وأعاشك معه طويلاً ، ويُقال لمن لبس الجديد : أبليت جديداً ، وتملَّيتَ حبيباً أي عشت معه زمناً من الدهر ، وفي التنزيل ﴿ واهجرني مليّاً ﴾ أي طويلاً ، والمَلَوان : الليلُ والنهار . اهـ وانظر الصحاح أيضاً .

(٦) هذا عجز بيت لتميم بن مقبل ، وهو شاعر إسلامي مخضرم ، وهو في ديوانه ص ٣٣٥ مطلع قصيدة له أولها : =

٤٩ ــ ثم قال جل وعز : ﴿ سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا﴾ [آية ٤٧] .

الحفيُّ : اللَّطيفُ البارُّ .

يُقال : حَفِيَ بِهِ ، وتحفَّى : إذا بَرَّهُ .

أي كان يجيبُني إذا دعوتُه(١) .

٥٠ ــ وقوله جل وعز ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُمْ مِنْ رَحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّاً ﴾ [آية ٥٠] .

أي أبقينا عليهم ثناءً حَسَنَاً .

قال أبو جعفر : ومعروفٌ في اللغة أن يُجعل اللسان موضع القول ، لأن القول به يكون ، كما قال الشاعر :

إِنِّي أَتَانِي لِسَانٌ لَا أُسَرُّ بِهَا
مِنْ عَلْو لا عَجَبٌ مِنْها وَلَا سَخَرُ(٢)

= أَلَا يا ديارَ الحَيِّ بالسَّبُعانِ أَمَلَّ عَلَيْها بالبِلى المَلَوانِ

وهو في خزانة الأدب ٣/٢٧٥ وفي لسان العرب مادة مَلَا .

(١) قال ابن الجوزي ٥/٢٣٨ ﴿ حفياً ﴾ فيه ثلاثة أقوال : أحدها : لطيفاً ، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس ، وبه قال ابن زيد والزجاج . والثاني : رحيماً ، رواه الضحاك عن ابن عباس . والثالث : بارًّاً بي ، عوَّدني منه الإجابة إذا دعوته . اهـ .

(٢) البيت لأعشى باهلة ، واسمه عامر بن الحارث ، وهو في جمهرة أشعار العرب ص ١٣٥ وفي اللسان مادة لسن وقد ورد بلفظ « إني أَتتْني لسانٌ لا أُسرُّ بها .. » الخ واستشهد به ابن جرير =

٥١ ــ **وقوله جل وعز ﴿ وَاذْكُرْ فِي الكِتَابِ مُوسَى إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصاً ﴾** [آية ٥١] .

أي أخلصناه فجعلناه مختاراً خالصاً من الدَّنَسِ .

ومعنى « مُخْلِصاً » بكسر اللَّام : وحَّدَ اللَّهَ عزَّ وجل بطاعته ، وأخلَصَ نفسَه من الدَّنَسِ(١) .

٥٢ ــ **وقوله جل وعز ﴿ وقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا ﴾** [آية ٥٢] .

حدثنا الحسن بن عمر الكوفي قال : حدثنا هنادٌ ، قال : حدثنا وكيعٌ وقبيصةُ عن سُفيانَ عن عَطَاءِ ابن السَّائب ، عن سعيدِ بن جُبَيرِ ، عن ابن عباس ، في قول اللَّه ﴿ **وقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا** ﴾ قال : أُدنيَ حتى سَمِع صَرِيفَ القلم(٢) .

٥٣ ــ **وقوله جل وعز ﴿ وَاذْكُرْ فِي الكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّه كَانَ صِدِّيقاً نَبِيًّا . وَرَفَعْنَاهُ مَكَاناً عَلِيًّا ﴾** [آية ٥٦و٥٧] .

قيل : إنه سأل مَلَكَ الموتِ أن يُرِيَه النَّارَ ، فأراه إيَّاها ، ثم

= ٩٣/١٦ وابن عطية في المحرر الوجيز ٤٨٢/٩ وهو في تاج العروس أيضاً مادة علا قال ومعناه : أتاني خبر من أعالي نجد . اهـ والمرادُ بالسُّخر السُّخريةُ والاستهزاء ، يريد أنه لا يعجب من هذه الأنباء ولا يسخر .

(١) قراءة ﴿ مُخْلِصاً ﴾ بكسر اللام هي قراءة السبعة من غير الكوفيين ، وهي قراءة الجمهور .

(٢) الأثر في الطبري ٩٥/١٦ ومراده أنه عليه السلام قد رفع إلى السماء حتى سمع أصوات الأقلام ، قال الزجاج في معانيه ٣٣٣/٣ : ويجوز أن يكون مثل قوله تعالى ﴿ وكلَّم اللهُ موسى تكليماً ﴾ أي قرَّبه في المنزلة حتى سمع مناجاة الله عز وجل وكلامه .

سأله أن يُدخله الجنة فأدخله إياها ، ثم قال له : اخرج ، فقال : كيف أخرج ، وقد قال الله ﴿ **وما هم منها بمخرجين** ﴾[1] ؟!

قال أبو جعفر : فيجوز أن يكون اللّهُ أعلَمَ هذا إدريس ، ثم نزل القرآن به .

وقيل معناه : في المنزلة والرتبة .

وأصحُّ من هذين القولين ، لعلوِّ إسناده ، وصحَّتِه ، ما رواه سعيدٌ عن قَتَادةَ قال : حدثنا أنسُ بنُ مالكِ بن صَعْصَعة أنَّ النبيَّ ﷺ لمَّا أُسري بهِ ، قَال : « رأيتُ إدريسَ في السَّماءِ الرابعة »[2] .

ورَوَى سفيانُ عن هارون عن أبي سعيدٍ الخدريِّ ﴿ **وَرَفَعْنَاهُ مَكَانَاً عَلِيّاً** ﴾ قال : السماء الرابعة[3] .

وروى الأعمشُ عن شمرِ بنِ عطية عن هلالِ بنِ إسَاف[4] ، قال : كنَّا عند كعب الأحبار إذْ أقبلَ عبدالله بن عباس ، فقال : هذا

---

(١) ذكر هذا الأثر ابن الجوزي في تفسيره ٢٤٢/٥ والسيوطي في الدر المنثور ٢٧٤/٤ والله أعلم بصحته .

(٢) حديث « رأى إدريس في السماء الرابعة » أخرجه البخاري ٢١٧/٦ ومسلم ١٥٠/١ .

(٣) الأثر رواه الطبري ٩٧/١٦ وابن كثير ٢٣٦/٥ والسيوطي في الدر ٢٧٤/٤ قال ابن جرير : ذُكر أن الله رفعه ، وهو حيٌّ إلى السماء الرابعة .

(٤) قال في التقريب ٣٢٥/٢ : هلالُ بنُ يِسَافٍ بكسر التحتانية ، ويُقال : ابن إسَاف الأشجعي الكوفي ، ثقةٌ من الثالثة . اهـ .

ابنُ عم نبيكم ، فَوسَّعنا له فقال : يا كعبُ ما معنى ﴿ **وَرَفَعْنَاهُ مَكَاناً عَلِيًّا** ﴾ ؟ فقال كعب : إن إدريس صلى الله عليه وسلم ، كان له صديقٌ من الملائكة ، وأوحى اللّهُ إليه : إني أرفعُ لكَ كلَّ يوم مثل عملِ أهل الأرض ، فقال إدريس للمَلَكِ : كلِّمْ لي مَلَك الموتِ حتى يؤخِّرَ قبض روحي !! فحمله المَلَكُ تحت طرف جناحه ، فلمَّا بلغ السماء الرابعة ، لقى ملك الموت فكلَّمه ، فقال : أين هو ؟ فقال : ها هو ذا ، فقال : من العجب إني أُمرْتُ أن أقبض روحه في السماء الرابعة ، فقبضها هناك »[١] .

٥٤ ــ وقولُه جلَّ وعز ﴿ **فَخَلفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ** ..﴾ [آية ٥٩] .

قال أبو عبيد : حدثنا حجَّاجُ ، عن ابن جُرَيجٍ ، عن مجاهد ، قال : « ذلك عند قيام الساعة ، وذهاب صالحي هذه الأمة ــ أمَّةِ محمد ــ يَنْزو بعضُهم على بعض في الأَزِقَّةِ زِناً[٢] .

---

(١) الأثر أخرجه الطبري ٩٦/١٦ عن هلال بن يساف ، وذكر القصة ، وأخرجه السيوطي في الدر المنثور ٢٧٤/٤ وعزاه إلى ابن أبي شيبة في المصنف ، وابن أبي حاتم وأخرجه ابن عطية في المحرر ٤٩٠/٩ .. وهذا من الأخبار الاسرائيلية قال الحافظ ابن كثير ٢٣٦/٥ : « وقد رَوَى ابنُ جريرٍ ها هنا أثراً غريباً عجيباً ، وسرد الأثر ، ثم قال : وهذا من أخبار « كعب الأحبار » من الإسرائيليات ، وفي بعضه نكارةٌ ، والله أعلم» اهـ أقول : وجه النكارة أن الأعمار محدودة ، فكيف يطلب منه تأخير قبض روحه ؟

(٢) الأثر في الطبري ٩٩/١٦ وابن كثير ٢٣٩/٥ وزاد المسير ٢٤٥/٥ والدر المنثور ٢٧٧/٤ كلهم عن مجاهد .

قال أبو جعفر : الخَلْـفُ بتسكين الـلَّامِ لايستعمـل إلا للرَّديء ، كما قال لبيد :

ذَهَبَ الَّذِينَ يُعَاشُ في أَكْنَافِهِمْ
وبَقِيتُ في خَلْفٍ كجِلْدِ الأَجْرَبِ(١)

فإذا قلت : خَلَفَ بتحريك اللام فهو للجيد ، كما يُقال : « جَعَلَ اللهُ فيك خَلَفاً من أبيك » .

٥٦ ـ ثم قال جل وعز ﴿ أضَاعُوا الصَّلَاةَ واتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ ..﴾ [آية ٥٩] .

قال القاسم بن مخيمرة(٢) : « أضاعوها » : أخَّروها عن وقتها ، ولو تركوها لكفروا(٣) .

وقيل : أضاعوها تركوها البتة .

---

(١) البيت للبيد بن ربيعة العامري ، وهو في ديوانه ص١٥٣ والشاهد فيه أن الخَلْفَ بإسكان اللام هو الذي يخلف غيره بالشرِّ والسوء ، يقول : ذهب الكرام الذين يُنتفع بهم وبصحبتهم وبقيت في قوم لا خير فيهم ، كجلد الأجرب الذي لاينتفع به .

(٢) القاسم بن مخيمرة الهمداني كوفي الأصل قال عنه يحيى بن معين : ثقة ، وقال أبو حاتم : صدوق ثقة ، وقد ورد في المخطوطة « القاسم بن ضمرة » وهو تصحيف ، وصوابه القاسم بن مخيمرة ، وانظر الجرح والتعديل للرازي ١٢٠/٧ وكذلك الطبري ٩٨/١٦ والقرطبي ١٢٢/١١ فقد ذكروا أنه القاسم بن مخيمرة .

(٣) الأثر أخرجه ابن جرير ٩٨/١٦ وابن كثير ٢٣٨/٥ ورواه السيوطي في الدر ٢٧٧/٤ وعزاه إلى ابن أبي حاتم ، وابن المنذر .

وهذا أشبهُ لقوله بعدُ ﴿ إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ ﴾ وهذا يدلُّ على أنهم كفروا[١] .

٥٧ ــ **ثم قال جل وعز ﴿ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيّاً ﴾** [آية ٦٠] .

رَوَى سفيان عن أبي إسحاقَ عن أبي عُبَيْدةَ ، عن عبدِاللَّهِ بنِ مسعودٍ قال : هو وادٍ في جهنم[٢] .

قال أبو جعفر : والتقديرُ عند أهل اللغة : فسوف يلقون جزاءَ الغَيِّ ، كما قال جلَّ ذكره ﴿ **وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَاماً** ﴾[٣] .

ويجوز أن يكون الوادي يُسمَّى غيَّاً ، لأنَّ الغاوين يصيرون إليه[٤] .

---

(١) هذا ما رجحه ابن جرير في جامع البيان ٩٩/١٦ أن المراد بإضاعة الصلاة تركها بالكلية ، لا تأخيرها عن الوقت ، قال الحافظ ابن كثير ٢٣٨/٥ : وهذا اختيار ابن جرير ، ولهذا ذهب من ذهب من السلف والخلف إلى القول بكفر تارك الصلاة ، لحديث « بين الرجل وبين الشرك والكفر تركُ الصلاة » رواه مسلم ، والحديث الآخر « العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة ، فمن تركها فقد كفر » رواه الترمذي .

(٢) الأثر في الطبري ١٠٠/١٦ وابن كثير ٢٤٠/٥ والدر المنثور ٢٧٨/٤ ولفظه كما في تفسير ابن كثير عن ابن مسعود قال : « وادٍ في جهنم ، بعيد القعر ، خبيث الطعم » .

(٣) سورة الفرقان آية ٦٨ .

(٤) انظر الصحاح مادة غوى فقد جاء فيه : الغيُّ : الضلالُ ، والخيبةُ أيضاً ، غَوَى يَغْوي غيَّاً وغَوَايةً .. الخ .

٥٨ ـ وقولُه جل وعز ﴿ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ ..﴾ [آية ٦١] .

جنات إقامةٍ ، يُقال : عَدَنَ بالمكان : إذا أقام به ، ومنه قيل « مَعْدِنٌ » لمُقَامِ أهله به شتاءً وصيفاً ، لاينتجعون منه(١) .

٥٩ ـ وقوله جل وعز ﴿ إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيّاً﴾ [آية ٦١] .

« مَأْتِيٌّ » مفعولٌ من الإتيان ، وكلُّ ما وصَلَ إليك فقد وصلتَ إليه ، كما تقول : وصل إليَّ من فلان خيرٌ ، ووصلتُ منه إلى خير .

فالضعيفُ في العربية يقول : « مفعول » بمعنى « فاعل » .

٦٠ ـ وقوله جل وعز : ﴿ لايَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْواً إلاَّ سَلَاماً﴾ [آية ٦٢] .

اللَّغْوُ : الباطلُ ، وما يُؤثم فيه ، وما لا معنى له .

والسَّلَامُ : كلُّ ما يسْلُم منه ، وهو اسمٌ جامعٌ للخير ، أي لايسمعون إلَّا كلَّ ما يحبُّون(٢) .

---

(١) قال الجوهري : عَدَنْتُ البلدَ : توطَّنْتهُ ، وعَدَنِتَ الإبلُ بالمكان : لزمتْه فلم تبرح ، ومنه جنَّاتُ عدنٍ أي جنات إقامة ، ومنه سُمِّي المعدنُ بكسر الدال ، لأن الناس يقيمون فيه الصيف والشتاء . اهـ الصحاح ٢١٦٢/٦ .

(٢) قال أبو عبيدة في مجاز القرآن ٨/٢ : السلام ليس من اللغو ، والعربُ تستثنى الشيء بعد الشيء وليس منه ، والمعنى : أنهم لا يسمعون فيها لغواً ، إلا أنهم يسمعون فيها سلاماً . اهـ أقول : هذا ما يسميه علماء اللغة الاستثناء المنقطع ، لأن السلام ليس من اللغو .

٦١ ــ **ثم قال جل وعز ﴿ لَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾** [آية ٦٢] .

رَوَى الضحاكُ عن ابن عبــاس قال : في مقاديــر اللَّيْــلِ والنَّهار[(١)] .

قال أبـو جعفـر : ومعنـى هذا أنَّ الجنــة ليست فيها غَدَاةٌ ولا عَشِيَّةٌ ، ولكنِ المعنى : في مقادير هذه الأوقات[(٢)] .

وقـال قتـادة : كانت العـرب إذا وجـد الرجــل منهم ما يأكل بالغداة والعشيِّ ، عَجَب به ، فأعلمهم اللهُ أن ذلك في الجَنة[(٣)] .

٦٢ ــ **وقوله جلَّ وعز ﴿ وَمَا نَتَنَزَّلُ إلاَّ بِأَمْرِ رَبِّكَ ، لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَـا ، وَمَـا خَلْفَنَا ، وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ ..﴾** [آية ٦٤] .

---

(١) الأثر أخرجه ابن جرير بنحوه ١٠٢/١٦ وهو في الدر المنثور ٢٧٨/٤ عن ابن عباس قال المفسرون : ليس في الجنة بكرة ولا عشية ، ولكنهم يؤتون برزقهم على مقدار ما كانوا يعرفون في الدنيا من الغداة والعشي ، وانظر زاد المسير ٢٤٧/٥ .

(٢) أخرج السيوطي في الدر ٢٧٨/٤ عن الحسن أن رجلاً قال يارسول الله : هل في الجنــة من ليل ؟ قال : وما هيجَّك على هذا ؟ قال : سمعتُ الله يذكر في الكتاب ﴿ ولهمْ رزقُهم فيها بُكرةً وعَشِيّاً ﴾ فقلت : الليلُ من البُكرة والعشي ، فقال رسول الله ﷺ : ليس هناك ليـل ، وإنما هو ضوءٌ ونور ، يردُّ الغُدوَّ على الرواح ، والرَّواحَ على الغُدوِّ ، وتأتيهم طَرَفُ الهدايا من الله تعالى لمواقيت الصلوات التي كانوا يصلون فيها في الدنيا ، وتسلِّم عليهم الملائكة .

(٣) الأثر أخرجه ابن جرير ١٠٢/١٦ والقرطبي ١٢٧/١١ والسيوطي في الدر ٢٧٨/٤ وعزاه إلى ابن المنذر ، وفي رواية عن الحسن قال : كانوا يعدُّون النعيم ، أن يتغدَّى الرجل ثم يتعشَّى ، فقال الله لأهل الجنة ﴿ ولهم رزقهم فيها بُكرةً وعشِيّاً ﴾ اهـ .

روى عمرو بن ذرٍّ ، عن أبيه عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : قال النبي ﷺ لجبريل عليه السلام : « لِمَ لَا تَزُورَنَا أكثرَ ممَّا تَزُورُنا » ؟ فأنزل اللَّهُ : ﴿ **وَمَا نَتَنَزَّلُ إلاَّ بأَمْرِ رَبِّكَ** ﴾[1] إلى آخر الآية ، وكان هذا الجواب له .

ورَوَى أبو حَصِينٍ عن سعيد بن جُبَير في قوله تعالى ﴿ **مَا بَيْنَ أَيْدِينَا** ﴾ قال : من أمرِ الآخرة ﴿ **وَمَا خَلْفَنَا** ﴾ من أمرِ الدنيا ﴿ **وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ** ﴾ ما بين الدنيا والآخرة أي البرزخ[2] .

٦٣ ـــ **وقوله عز وجل** ﴿ **وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا** ﴾ [آية ٦٤] .

قيلَ معناه : لم ينسَكَ وإن تأخَّر عنك الوحيُ .

وقيل : هو عالمٌ بما كان ، وبما يكون ـــ ولم يقع ـــ وما هو كائنٌ . لم ينقطع ، حافظٌ له ، لم يَنْسَ منه شيئاً[3] .

٦٤ ـــ **وقولُه جلَّ وعز** ﴿ **هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا** ﴾ [آية ٦٥] .

---

(١) الحديث أخرجه البخاري في التفسير ١١٨/٦ وأحمد في المسند ٢٣١/١ والترمذي في كتاب التفسير ٢٩٦/٥ وقال الترمذي : هذا حديث حسن غريب ، ورواه السيوطي في الدر ٢٧٨/٤ وابن كثير في تفسيره ٢٤٣/٥ .

(٢) الأثر في الطبري ١٠٤/١٦ وابن كثير ٢٤٥/٥ والبحر المحيط ٢٠٣/٦ وتفسير ابن الجوزي ٢٥٠/٥ .

(٣) هذا قول الزجاج في معانيه ٣٣٧/٣ والقول الأول مرويٌّ عن ابن عباس كما في زاد المسير ٢٥٠/٥ واختاره ابن جرير الطبري .

رَوَى اسرائيلُ عن سِمَاكٍ عن عكرمة عن ابن عباس قال : هل تعلمُ أحداً سمِّيَ الرحمنُ سواه[1] ؟

قال أبو جعفر : وهذا أجلُّ إسنادٍ علمته رُوي في هذا الحرف ، وهو قولٌ صحيح ، لا يُقال : « الرَّحمنُ » إلاَّ للَّهِ ، وقد يقال لغير اللَّهِ : رحيمٌ .

وقد بيَّنا لِمَ لا يُقال « الرحمنُ » إلاَّ للَّهِ ، في سورة الحمد[2] .

وروى ابن أبي نجيح عن مجاهد ﴿ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيّاً ﴾ ؟ قال : مِثْلاً[3] .

وروى حَجَّاج عن ابنِ جُريجٍ ﴿ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيّاً ﴾ قال : لا شريك له ، لا مِثْلَ[4] .

وقيل : هل تعلمُ أحداً تقول له « اللَّهُ » إلاَّ هو[5] .

قال أبو جعفر : وهذه الأقوال متقاربة .

وإنما المعنى : هل تعلمُ أحداً يُقالُ له هذا ، على استحقاقٍ إلاَّ

---

(١)و(٢)و(٣) انظر الآثار في الطبري ١٠٦/١٦ وزاد المسير ٢٥١/٥ وابن كثير ٢٤٥/٥ والدر المنثور ٢٧٨٩/٤ وانظر الجزء الأول صفحة ٥٤ في خصوصية لفظ « الرحمن » لربِّ العالمين .

(٤) الأثر رواه ابن جرير عن ابن جريج ١٠٦/١٦ والسيوطي في الدر ٢٧٩/٤ .

(٥) هذه رواية عطاء عن ابن عباس ، كما ذكرها ابن الجوزي في زاد المسير ٢٥١/٥ .

اللَّهُ ، لأنه الذي وسعتْ رحمتُهُ كلَّ شيءٍ ، وهو القادرُ ، والرَّازقُ[1] .

وقيل المعنى : إنَّ اسمه المذكور في هذه الآية ، لا يُسمَّى به غيرُه ، وهو ﴿ **رَبُّ السَّموات والأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُما** ﴾ !!

٦٥ ــ **وقولُه جل وعز ﴿ وَيَقُولُ الإِنْسَانُ أَئِذَا مَامِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيَّاً . أَوَ لَا يَذْكُرُ الإِنْسَانُ ..﴾** [آية ٦٦] .

أي أو لايتفكَّرُ وينظر ، ويذكره بعلم ، ويتبيَّنهُ[2] ؟

٦٦ ــ **وقوله جل وعز ﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّم جِثِيَّاً﴾** [آية ٦٨] .

قال مجاهدٌ وقتادةُ : أي على رُكبهم[3] .

---

(١) هذا قول الزجَّاج في معانيه ٣٣٨/٣ فقد جاء فيه : وتأويلُه واللهُ أعلمُ : هل تعلم له سَمِيَّاً يستحقُّ أن يُقال ل : خالقٌ ، وقادرٌ ، وعالمٌ بما كان وما يكون ، فذلك ليس إلَّا من صفة الله تعالى .

(٢) في القرطبي ١٣١/١١ : قُرىء ﴿يَذَّكَّرُ﴾ بالتشديد ، وأصله يتذكَّرُ ، لقوله تعالى ﴿ إنما يتذكَّرُ أولو الألباب ﴾ وفي مصحف أُبِّي ﴿ أَوَلَا يتذكَّرُ ﴾ وهذه القراءةُ على التفسير ، لأنها مخالفة لخطِّ المصحف ، ومعنى « يتذكَّر » يتفكَّر ، ومعنى « يَذْكُرُ » يتنبَّهُ ويعلم ، قاله النحاس . اهـ .

(٣ــ٥) انظر هذه الآثار كلها في جامع البيان للطبري ١٠٧/١٦ والبحر المحيط ٢٠٨/٦ والمحرر الوجيز ٥٠٨/٩ وزاد المسير ٢٥٣/٥ والدر المنثور ٢٨٠/٤ وما بين الحاصرتين سقط من المخطوطة ، وأثبتناه من الهامش ، قال أبو حيان في البحر ٢٠٨/٦ : « ولمَّا أقام تعالى الحجة الدامغة على حقيقة البعث ، أقسم على ذلك باسمه مضافاً إلى رسوله ، تشريفاً له وتفخيماً ، وقد =

والمعنى : أنهم لشدَّةِ ما هم فيه ، لايقدرون على القيام .

٦٧ ــ **وقوله جل وعز ﴿ ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعة أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحمٰنِ عِتِيّاً﴾** [آية ٦٩] .

رَوَى سفيان عن عليٍّ بنِ الأقْمر ، عن أبي الأحوص ، قال : يُبدأ بالأكابر جُرماً(٤) .

ومعنى هذا القول : نبدأ بتعذيب أكبرهم جرماً ، ثم الذي يليه ، ثم الذي يليه .

قال مجاهد : ﴿ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ ﴾ : [من كل أمَّة **﴿ عِتِيّاً ﴾**] أي كفراً(٥) .

٦٨ ــ **وقولُه جلَّ وعز ﴿ وَإِنْ مِنْكُمْ إلاَّ وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْماً مَقْضِيّاً﴾** [آية ٧١] .

في هذه الآية خمسةُ أقوال :

أ ــ **قيل وُرُودُها :** دخولُها ، لأنَّ بعدَهُ **﴿ وَنَذَرُ الظَّالِمينَ فِيهَا ﴾** .

وإنما يقال **﴿ نَذَرُ ﴾** لِمَا حَصَل ، فينجيِّ اللَّهُ الذين اتَّقَوْا ، ويصيرون إلى رحمتهِ ، فيعْرِفون مقدار ما خُلِّصوا منه ، لأنهم قد دخلوا النَّارَ وخُلِّصُوا منها ، وهذا قولُ ابن عباس ، وإسناده جيِّدٌ .

= تكرَّر هذا القَسَم في القرآن ، تعظيماً لحقِّه ورفعاً منه ، كما رفع من شأن السماء والأرض بقوله « فوربِّ السَّماء والأرضِ إنه لحقٌ ﴾ . اهـ .

روى **سفيانُ بنُ عُيَيْنةَ** عن عمروِ بنِ دينارٍ ، قال : تَمَارَى ابنُ عباس ونافعُ بنُ الأَزْرقِ ، فقال نافع : ليس الورودُ الدخولُ ، وقال ابن عباس : هو الدخول أرأيت قولَ اللَّه تعالى ﴿ **إنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُون** ﴾(١) ؟

أَورِدُوا أم لا ؟ وقوله تعالى ﴿ **وَبِئْسَ الوِرْدُ المَوْرُودُ** ﴾(٢) فأمَّا أَنَا وأنتَ فسنَرِدُها ، وأرجو أن يخرجني اللـه منها ، ولا يخرجكَ منها لتكذيبك(٣) فقال له نافع : ﴿ **رَبَّنَا إنَّكَ مَنْ تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَه** ﴾ .

رَوَى مَعْمرٌ عن الزهري ، عن سعيد بن المسيب ، عن أبي هريرة ، عن النبي ﷺ أنه قال : « من مات له ثلاثةٌ لم يبلغوا الحِنْثَ ، لم تمسَّه النَّارُ إلاَّ تَحِلَّةَ القَسَم »(٤) .
يعني الورود .

---

(١) سورة الأنبياء آية ٩٨ .

(٢) سورة هود آية ٩٨ .

(٣) الأثر أخرجه الطبري ١٠٩/١٦ وابن كثير ٢٤٨/٥ والسيوطي في الدر ٢٨٠/٤ وفي رواية أخرى ذكرها الحافظ ابن كثير : أن ابن عباس قال له : ويلك أمجنونٌ أنت ؟ أين قوله تعالى ﴿ يَقْدُمُ قومَهُ يوم القيامةِ فأوردَهُمُ النَّار ﴾ وقوله ﴿ ونسوق المجرمين إلى جهنم ورداً ﴾ ﴿ وإن منكم إلا واردها ﴾ ؟ واللهِ إن كان دعاء من مضى « اللهمَّ أخرجني من النار سالماً ، وأدخلني الجنَّة غانماً » اهـ . ابن كثير ٢٤٨/٥ .

(٤) الحديث أخرجه البخاري في كتاب الجنائز ٩٣/٢ وفي كتاب الأيمان ١٦٧/٨ وأخرجه مسلم في كتاب البِرِّ رقم ٢٦٣٢ ومعنى « لم يبلغوا الحنث » أي لم يبلغوا مبلغ الرجال ، ويجري عليهم القلم بكتابة الحِنْثِ وهو الإثم هـ أفاده ابن الأثير في النهاية ٤٤٩/١ .

ب ــ **وقيل** : يردها المؤمنون وهي جامدة .

روى سفيان عن ثور بن يزيد عن خالد بنِ معدان قال : « إذا دخلَ أهلُ الجنَّةِ الجنَّةَ ، قالوا يارب : ألَمْ توعدنا أنَّا نَرِدُ النَّار ؟ فيقول: قد وردتموها وهي جامدة »[1] .

جـ ــ **وقيل** : يعني القيامة .

د ــ **وقيل** : ﴿ **وإنْ مِنْكُمْ إلَّا وَارِدُهَا** ﴾ ، يُراد به المشركون ، واستدل صاحب هذا القول بأن عمر بن الوليد روى عن عكرمة أنه قرأ ﴿ **وَإنْ مِنْهُم إلاَّ وَارِدُهَا** ﴾[2] .

هـ ــ **والقولُ الخامس** : أنَّ ورودَها بلاغُها ، والممرَّ بها .

رَوَى معمرٌ عن قتادَةَ ﴿ وَإنْ مِنْكُمْ إلاَّ وارِدُهَا ﴾ قال : الممرُّ بها[3] .

ورَوَى الحسنُ بن مسلم ، عن عُبيدِ اللَّهِ بنِ عُمَيْرٍ ﴿ **وَإنْ مِنْكُمْ إلاَّ وَارِدُهَا** ﴾ .

قال : حضُورها[4] .

---

(١) الأثر أخرجه ابن جرير في جامع البيان ١٠٩/١٦ وفي بعض الروايات « قد مررتم عليها وهي خامدة » وأخرجه في الدر ٢٨١/٤ وعزاه إلى ابن أبي شيبة .

(٢) ذكرها ابن عطية في المحرر ٥١١/٩ والمراد بها على هذه القراءة ﴿ وإن منهم ﴾ الكفار ، وهذه ليست من القراءات السبع .

(٣ــ٤) انظر الأثرين في الطبري ١١٠/١٦ وزاد المسير ٢٥٦/٥ والدر المنثور ٢٨١/٤ .

فهـذه خمسةُ اقـوال ، واللّـه أعلـمُ بما أرادَ ، إلا أنـه معـروفٌ في كلامِ العـرب ، أن يُقـال : وردْتُ كَذَا أي بَلَغْتُـهُ ، ولم أدخلـه ، قال زهير :

فَلَمَّـا وَرَدْنَ المَـــاءَ زُرْقَـــاً جِمَامُـــهُ
وَضَعْـنَ عِصِيَّ الحَـاضِرِ المُتَخَيِّـمِ[1]

وقرأ أُبيُّ بنُ كعب ﴿ ثُمَّ نُنَحِّي الَّذِينَ اتقوْا ﴾[2] أي في ذلك الموضع .

قال أبـو جعفـر : وأَبيـنُ ما في هذه الأقوال ، قولُ من قال : ﴿ وإنْ مِنكُمْ إلاَّ وَارِدُهَـا ﴾ : إنَّهـا القيامـةُ ، وقولُـه تعـالى ﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَحشُرَنَّهُمْ ﴾ يدلُّ على ذكرِ القيامةِ ، فكنى عنها بهذا .

وكذلك ذكر جهنم ، يدلُّ على القيامـة ، لأنها فيها ، واللَّـهُ جلَ وعز يقول : ﴿ لاَخوفٌ عَليهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُون ﴾ فيبعـدُ أن يكـون مع

---

(١) البيـت لزهير بن أبي سلمـى ، وهـو في ديوانـه ص ١٣ وفي القرطبـي ١٣٧/١١ والبحـر المحيـط ٢٠٩/٦ ومعاني الزجـاج ٣٤٢/٣ وزاد المسير ٢٥٦/٥ وفي الـلسان ، والتـاج . والشاهـد فيـه : (وردن الماء) أي بلغـن إلى الماء وإن لم يدخلنـه ، وجِمـامُ الماء أي الكـثير المنجمـــع ، ووضعُ العصيِّ والتخيُّم كناية عن الإقامة والاستقرار .

(٢) هذه القراءة ﴿ نُنَحِّي ﴾ بالحاء المهملـة من القـراءات الشاذة ، ولـيست من السبـع ، وانظـر زاد المسير لابن الجوزي ٢٥٧/٥ .

هذا دخولُ النار[1] .

وقرأ ابن عباس : ﴿ ثُمَّ نُنْجِي الَّذِينَ اتَّقَوْا ، ونَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴾[2] .

٦٩ ــ وقوله جل وعز ﴿ وَإِذَا تُتلَى عَلَيهم آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أيُّ الْفَرِيقَيْنِ خيرٌ مَقاماً وَأَحْسَنُ نَدِيًّا ﴾ [آية ٧٣] .

رَوَى أبو ظِبْيَانَ[3] عن ابنِ عبَّاسٍ في قوله ﴿ أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَقَامَاً ﴾ قال : منزلاً ، ﴿ وَأَحْسَنُ نَدِيًّا ﴾ قال : مجلساً[4] .

قال الكسائي : النَدِيُّ ، والنَّادي : المجلسُ[5] .

---

(١) خلاصة القول في هذه المسألة ، أن السلف اختلفوا في معنى الورود ، فقال ابن عباس : الورودُ : الدخولُ ، لايبقى بَرٌّ ولا فاجر إلاَّ دخلها ، فتكون على المؤمن برداً وسلاماً كما كانت على إبراهيم ، ويبقى الأشرار والفجار فيها يصلون حرَّها ، وقال ابن مسعود وقتادة : الورودُ : المرورُ عليها حين اجتياز الصراط ، ولعل هذا القول أصحُّ وأرحم ــ أجارنا الله منها ــ وهذا القول هو الذي رجحه الزجاج في معانيه ٣٤١/٣ حيث قال : وحجتهم في ذلك جيدة جداً ، فإن العرب تقول : وردتُ ماء كذا ولم تدخله ، وتقول : وردتُ بلد كذا وكذا : إذا بلغته ولم تدخله ، قال : والحجة القاطعة في هذا القول قول الله عز وجل ﴿ إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولـئك عنها مبعدون ﴾ هـ .

(٢) هذه من القراءات السبع ، وانظر السبعة لابن مجاهد ص٤١١ ، والنشر ٣١٨/٢ .

(٣) « أبو ظبيان » هو حُصَيْن بن جُنْدب بن الحارث الجَنْبي الكوفي ، تابعي ثقة مات سنة ٨٩هـ ذكره ابن حبان في الثقات ، وانظر ترجمته في التهذيب ٣٧٩/٢ .

(٤) الأثر أخرجه الطبري ١١٦/١٦ وابن كثير ٢٥٢/٥ والسيوطي في الدر ٢٨٣/٤ .

(٥) وكذلك قال الفراء في معانيه ١٧١/٢ قال : ﴿ نَدِيًّا ﴾ : مجلساً ، والنَّدِيُّ والنَّادي لغتان .

قال أبو جعفر : وذلك معروفٌ في اللغة ، يُقال : نَدَوْتُ القومَ أَندُوهم أي جمعتهم ، ومنه قيل « دار الندوة » لأنهم كانوا يجتمعون فيها إذا حَزَبَهم الأمر ، ومنه قوله تعالى ﴿ **وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنْكَرَ** ﴾[1] .

٧٠ ــ **وقوله جل وعز ﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبلَهُم مِن قَرْنٍ هُم أَحْسَنُ أَثَاثاً وَرِئْياً ﴾** [آية ٧٤] .

روى الأعمش عن أبي ظِبيان عن ابن عباس قال : الأثاثُ : المتاعُ ، والرِّئْيُ : المنظرُ[2] .

قال أبو جعفر : والأثاث في اللغة : المتاع ، وقال الأحمر : واحدتُه أَثَاثَة[3] .

وقال الفراء : لا واحد له[4] .

وكذلك الرِّئْيُ : المنظرُ ، من رأيتُ ، أي ما ترى في صورةِ

---

(١) سورة العنكبوت آية ٢٩ .

(٢) الأثر أخرجه ابن جرير ١١٧/١٦ وابن كثير ٢٥٣/٥ والبحر المحيط ٢١٠/٦ وفي البخاري ١١٧/٦ ﴿ وَرِءْياً ﴾ منظراً .

(٣) في الصحاح ٢٧٢/١ : الأَثَاثُ : متاع البيت ، وقال أبو زيد : الأثاث : الإبلُ . والغنمُ ، والعبيدُ ، والمتاعُ ، الواحدةُ أَثَاثَة . اهـ .

(٤) معاني القرآن للفراء ١٧١/٢ فقد جاء فيه : الأَثَاثُ : المتاعُ ، والرَّءْيُ : المنظرُ ، والأثاثُ لا واحد لهُ ، كما أن المتاع لا واحد له .

الإنسان ، ولباسه ، ويُقرأ ﴿ ورِيّاً ﴾[1] بلا همز ، وهو جيد على تخفيف الهمز .

وهو حَسَنٌ ها هنا لتتَّفق رُؤوسُ الآيات .

ويجوز أن يكون من الرّيّ والنعمة .

وقال الأخفش : يجوز أن يكون من رَيِّ المطر ، والزِّيُّ بالزاي : الهيئةُ والحُسْنُ ، يُقال : زيَّتُ المرأةَ أي زيَّنْتُها وهيَّأْتُها[2] .

٧١ ــ وقوله جلَّ وعز ﴿ قُلْ مَنْ كانَ في الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمنُ مدًّا﴾ [آية ٧٥] .

يُقالُ : ما معنى الأمر ها هنا ؟

قال أبو جعفر : الجوابُ أنَّ هذا أبلغ ، فلو قلتَ : إن تجئْني فلْأُكرمْكَ ، كان أبلغ من قولك : إن تجئني فأُكْرِمُكَ ، وإنما صار أبلغ ، لأن فيه معنى الإلزام[3] .

---

(١) هذه قراءة ابن عامر ، وأهل المدينة ﴿ وَرِيّاً ﴾ بغير همز ، وانظر السبعة لابن مجاهد ص٤١١ .

(٢) ذكره الفراء في معانيه ١٧١/٢ فقال : قُرِىء ﴿ وَزِياً ﴾ والزِيُّ : الهيئة والمنظر ، والعرب تقول : قد زَيَّتُ الجارية أي زيَّنتُها وهيَّأتُها . اهـ .

(٣) ذكره ابن عطية في المحرر ٥٢٢/٩ فقال : هي لام أمرٍ دخلت على معنى الخبر ، ليكون أوكد وأقوى . اهـ وقال القرطبي ١٤٤/١١ قال : ومعنى الآية فلْيدعْهُ في طغيانه وكفره ، فلفظُهُ لفظ الأمر ، ومعناه الخبر ، وهذا غاية في التهديد والوعيد . اهـ .

٧٢ ــ ثم قال جلَّ وعزَّ : ﴿ حَتىَّ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ إِمَّا الْعَذَابَ وَإِمَّا السَّاعَةَ ..﴾ [آية ٧٥] .

العذابُ ها هنا : أن ينصر اللّهُ المسلمين عليهم ، فيعذِّبُوهم بالقتل والسَّبْي .

والساعةُ : القيامةُ أي : وإمَّا تقومُ القيامة فيصيرون إلى النار ﴿ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُو شَرٌّ مَكاناً ﴾ إذا صاروا إلى النار ، ﴿ وَأَضْعَفُ جُنْداً ﴾ إذا نصر اللّهُ المسلمين عليهم[1] .

٧٣ ــ ثم قال جلَّ وعز ﴿ وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى ..﴾ [آية ٧٦] .

قيل : نزيدهم هدىً بالناسخ والمنسوخ[2] .

وقيل : نزيدهم هدىً مجازاةً .

وقد ذكرنا معنى ﴿ البَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتِ ﴾ في سورة الكهف[3] .

---

(١) هكذا قال ابن جرير ١١٩/١٦ وابن عطية ٥٢٣/٩ وصاحب البحر المحيط ٢١٢/٦ والمعنى : من كان في ضلاله ، فلْيُمهِلْهُ الرحمن ، ولْيدَعْه في طغيانه ، حتى يلقى ربَّه ، وينال عقابه ، ولينتظر حتى يشاهد ما يحِلُّ به ، فيسعلمون عندئذٍ أيُّ الفريقين شرٌّ منزلة عند الله ، وأقلُّ فئة وأنصاراً ، هل هم الكفارُ أم المؤمنون ؟

(٢) هذا قول الزجاج في معانيه ٣٤٤/٣ قال : بالناسخ والمنسوخ بنحو ما كان من صوم رمضان ، من أنه كان يجوز لمن يقدر على الصوم أن يُطعم مسكيناً ويُفطر ، فنسخ ذلك بإلزام الصومِ . اهـ والأقرب أن المعنى : ويزيد الله المؤمنين المهتدين ، بصيرةً وإيماناً وهداية ، بسبب أعمالهم الصالحة .

(٣) انظر صفحة (٢٤٨) من هذا الجزء .

٧٤ ــ وقوله جلَّ وعز ﴿ أَفَرَأَيتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالاً وَوَلَداً ﴾ [آية ٧٧] .

قال أبو جعفر : حدثنا عبدُاللَّه بنُ أحمدَ بن عبد السَّلام ، قال : حدثنا أبو الأزهر ، قال : حدثنا رَوْحُ بنُ عُبادة ، قال : حدثنا شعبةُ ، عن سليمانَ ، عن أبي الضُّحى عن مسروقٍ ، عن خَبَّاب قال : « كنتُ قَيْناً(١) في الجاهلية ، فعملتُ للعاصِ بنِ وائل ، حتى اجتمعتْ لي عليه دراهم ، فجئتُ أتقاضاه ، فقال : لا أَقضيكَ حتى تكفر بمحمدٍ ﷺ ، فقلت : لا أكفُرُ بمحمدٍ حتى تموتَ وتبعث ، قال : وإني لمبعوث ؟ قلت : نعم ، قال : فإنه سيكونُ لي ثَمَّ مالٌ وولَدٌ فأقضيَكَ ، فأنزل اللَّه عز وجل : **﴿ أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَر بِآيَاتِنَا . وقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالاً وَوَلَداً ﴾**(٢) ؟! إلى آخر القصة .

قال أبو جعفر : وهذا معنى الحديث .

---

(١) قَيْناً : أي حدَّاداً .

(٢) الحديث أخرجه البخاري في تفسير سورة مريم ١١٨/٦ ومسلم رقم ٢٧٩٥ في باب صفات المنافقين ، والترمذي في التفسير رقم ٣١٦٢ وقال الترمذي : هذا حديث حسنٌ صحيح . أقول العاصُ بن وائل هو والد عمرو بن العاص الصحابي المشهور ، وقولُ خبَّاب : « لا أكفر حتى تموت ثم تبعث » هو من باب السخرية والاستهزاء لأن الفاجر كان ينكر البعث والنشور ، فهو قد علَّقه على ما يستحيل بزعمه سخريةً وتهكماً ، وانظر ما كتبه الحافظ ابن حجر في فتح الباري ٣٢٩/٨ حول هذا الحديث .

٧٥ ـ وفي قوله تعالى ﴿ أَمِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْداً﴾ [آية ٧٨] .

أقوالٌ :

قال سفيان : عملاً صالحاً[١] .

وقيل : العهدُ ها هنا : توحيدُ اللَّهِ ، والإيمانُ به[٢] .

وقيل : العهدُ ها هنا : الوعدُ بما قال[٣] .

وقال الأسود بنُ زيد قال عبدالله : يقول الله عز وجلَّ يوم القيامة : « من كان له عندي عهدٌ فلْيَقُمْ ؟ فقالوا : يا أبا عبدالرحمن : فعلِّمْنا قال : قولوا : اللَّهمَّ فاطرَ السماوات والأرض ، عالمَ الغيب والشهادة ، إني أعهد إليك عَهْداً في هذه الحياة الدنيا ، إنك إنْ تَكِلْني إلى عملي ، تُقرِّبني من الشرِّ ، وتباعدني من الخير ، وإني لا أثق إلاَّ برحمتك ، فاجعله لي عندك عهداً تؤدِّيه إليَّ يومَ القيامة ، إنك لاتخلف الميعاد »[٤] .

---

(١) الأثر أخرجه الطبري عن قتادة ١٢٢/١٦ والسيوطي في الدر المنثور ٢٨٤/٤ وابن الجوزي في زاد المسير ٢٦١/٥ .

(٢) هذا قول ابن عباس رواه عنه الضحاك كما في تفسير ابن كثير ٢٥٦/٥ .

(٣) هذا قول ابن السائب كما في زاد المسير ٢٦١/٥ والمعنى : أم اتخذ عند الله عهداً أنه سيدخله الجنة .

(٤) الحديث أخرجه أحمد في المسند ٤١٢/١ ورواه الحافظ ابن كثير في تفسيره ٩٤/٧ وزاد فيه : « إلاَّ قال الله عز وجل لملائكته يوم القيامة : إن عبدي قد عهد إليَّ عهداً ، فأوفوه إيَّاه ، فيدخله اللهُ الجنة » .

قال أبو جعفر : هذه الأقوال متقاربة ، والعهدُ في اللغة : يكون الأمانُ ، ومنه أهل العهد ، ومنه قولُ اللّه تعالى ﴿ **قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ** ﴾[1] .

قال أبو عُبَيْد : كأنه قال : لا أُؤمِّنهم من عذاب يوم القيامة .

وكذلك قولُ قتادة ، قال : في الآخرةِ ، فأمَّا في الدنيا فقد أكلُوا وشربوا ، وعاشوا وأبصروا .

فإذا قيل للتوحيد عهدٌ ، فلأنه يُؤمِّنُ به ، وكذلك الوعدُ .

٧٦ ــ **وقولُه جل وعز** ﴿ **وَنَرِثُهُ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا** ﴾ [آية ٨٠] .

قال قتادةُ : أي نرثُه ما عنده ، أي قوله ﴿ **لَأُوتَيَنَّ مَالاً وَوَلَداً** ﴾ .

قال : وفي قراءة ابنِ مسعود ﴿ **وَنَرِثُهُ مَا عِندَهُ** ﴾[2] .

وقيل : نُبْقي عليه الإثم ، فكأنه موروثٌ .

قال أبو جعفر : قيل هذا مفسَّر في حديث خبَّابٍ ، قيل :

---

(١) سورة البقرة آية ١٢٤ .

(٢) هذه القراءة ذكرها الطبري في جامع البيان ١٦/١٢٣ وهي محمولةٌ على التفسير ، لا على أنها من القراءات المعتبرة .

والمعنى ـــ واللَّهُ أعلمُ ـــ نسْلُبهُ مالَهُ وولَـدَهُ يوم القيامـة[1] ، أَلَا ترى أنَّ بعدَهُ ﴿ وَيَأْتِينا فَرْداً ﴾ ؟!

قال أبو جعفر: وأصحُّ ما قيل في هذا ، أنَّ معنى ﴿ **وَنَرِثُهُ ما يَقُولُ** ﴾ : نحفظُ عليه ما يقول ، حتى نوفِّيَهُ عقوبتَه عليه .

ومـن هذا حديثُ أبي الـدرداء عن النبـي ﷺ (العلمـاءُ ورثـةُ الأنبياء)[2] .

ومنه : ﴿ وَأَورثكم أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ ﴾[3] .

٧٧ ـــ **وقوله جل وعز** ﴿ **وَاتَّخذُوا مِنْ دُونِ اللهِ آلِهَـةً لِيَكُونُـوا لَهُـمْ عِزّاً** ﴾ [آية ٨١] .

أي أعواناً[4] .

٧٨ ـــ **ثم قال سبحانه** ﴿ **كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ** .. ﴾ [آية ٨١] .

---

(١) هذا اختيـار الـطبري ١٢٢/١٦ والزجـاج ٣٤٥/٣ قال الـطبري : أي نسلب هذا القائـل مالـــه وولده ، ويصير لنا مالُه وولدهُ دونه ، ويأتينا يوم القيامة وحده ، لا مال معه ولا ولد .

(٢) هذا طرف من حديث رواه أبو داود رقـم ٣٦٤١ والترمـذي رقـم ٢٦٨٣ وابـن ماجـة ، وأحمد ، وتتمته « وإن الأنبياء لم يورِّثوا درهماً ولا ديناراً ، وإنما ورثوا العلم ، فمـن أخـذه أخـذ بحظٍّ وافـر » وانظر تمام الحديث في جامع الأصول ٥/٨ .

(٣) سورة الأحزاب آية ٢٧ .

(٤) قال ابن كثير ٢٥٦/٥ : أي يعتزُّون بهم ويستنصرونهم ، والقول الأول قول الزجاج .

« كلَّا » عند أهل العربية تنقسم قسمين :

أحدهما : أن يكون ردعاً وتنبيهاً ، وردّاً لكلام ، وهي ها هنا كذلك[1] ، أي ارتدعوا عن هذا ، وتنبَّهوا على وجه الضلالة فيه .

فإذا كانت كذا ، فالوقوفُ عليها التَّمام .

وتكونُ ردعاً وتنبيهاً ، ولا تكون رداً لكلامٍ ، نحو قوله تعالى ﴿ **كَلَّا إِنَّ الإِنْسَانَ لَيَطْغَى** ﴾[2] .

٧٩ ــ **وقوله جل وعز ﴿ ويكُونُونَ عَلَيهِمْ ضِدَّاً﴾** [آية ٨٢] .

أي أعواناً .

قال مجاهد : أي تكون أوثانهم عليهم في النار ، تخاصمهم ، وتكذِّبُهُمْ[3] .

---

(١) هكذا قال ابن عطية في المحرر الوجيز ٥٢٤/٩ ﴿ وكـلَّا ﴾ زجرٌ وردع ، والمعنى : ليرتدع ذلك الكافر الفاجر عن تلك المقالة الشنيعة ، فسنكتب ما يقوله ، ونضاعف له مدد العذاب ، وقد تأتي « كلَّا » بمعنى « حقّاً » كقوله سبحانه ﴿ كلاَّ إن الإنسان ليطغى أن رآه استغنى ﴾ أي حقاً كما أشار المصنف .

(٢) سورة العلق آية ٦ .

(٣) الأثر أخرجه الطبري ١٢٤/١٦ وابن كثير ٢٥٧/٥ والسيوطي في الدر ٢٨٤/٤ وعزاه إلى ابن أبي حاتم ، وابن المنذر .

٨٠ ـ **وقوله جل وعز ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا﴾** [آية ٨٣] .

في معناه قولان :

أحدهما : لم تعصمهم من الشياطين(١) .

والقول الآخر : قيَّضْنا لهم الشياطينَ ، مجازاةً على كفرهم(٢) ، قال اللّه جلَّ وعزَّ : **﴿ ومَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَاناً ﴾** .

ومعنى ﴿ أَرْسَلْنَا ﴾ في اللغة هاهنا : سلَّطنا .

ثم قال سبحانه ﴿ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا ﴾ .

قال عليُّ بنُ أبي طَلْحةَ ، عن ابن عباس قال : **تُغْريهم** إغراءً(٣) .

قال ابن جُريج : الشَّياطينُ تَؤُزُّ الكافرين إلى الشرِّ : امضُوا ،

---

(١)و(٢) ذكرهما الزجاج في معانيه ٣/٣٤٥ فقال : في الآية وجهان : أحدهما : أن المعنى خلَّيْنا الشياطينَ وإيَّاهم ،فلم تعصمهم من القبول منهم . والثاني : وهو المختار ـ سلَّطناهم عليهم ، وقيَّضناهم لهم بكفرهم . اهـ وانظر زاد المسير ٥/٢٦٢ .

(٣) الأثر أخرجه ابن جرير عن الضحاك وابن عباس ١٦/١٢٥ وابن كثير ٥/٢٥٧ قال الفراء ٢/١٧٣ : أي تزعجهم إلى المعاصي وتغريهم بها .

امضُوا ، حتَّى توقعهم في النار[1] .

قال قتادة : ﴿ **تَؤُزُّهُمْ** ﴾ أي تزعجهم إلى المعاصي[2] .

قال أبو جعفر : هذه الأقوالُ متقاربةُ المعاني ، وأصلُه من أَزَزْتُ الشَّيْءَ أَؤُزُّهُ ، أَزًّا ، وأَزِيزًا أي حَرَّكتُه[3] ، ومنه الحديث « إن النبي ﷺ كان يُصلِّي ولجوفه أَزِيزٌ كَأَزِيزِ المِرْجَل »[4] أي من البكاء .

٨١ ـ **وقولُه جلَّ وعز** : ﴿ **فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا** ﴾ [آية ٨٤] .

روى هُشَيم عن أبي يزيد عن أبي جعفر « محمد بن علي » في قوله تعالى ﴿ **إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا** ﴾ قال : كلُّ شيءٍ حتى

---

(١)و(٢) انظر الآثار في الطبري ١٢٥/١٦ والقرطبي ١٥٠/١١ والدر المنثور ٢٨٤/٤ .

(٣) قال ابن فارس : يُقال : أزَّه على كذا : إذا أغراه به ، وأزَّتِ القِدْرُ : غَلَتْ ، وفي البخاري في التفسير ١١٧/٦ قال ابن عُيينة ﴿ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا ﴾ : تُزعجهم إلى المعاصي إزعاجاً ، وانظر زاد المسير ٢٦٢/٥ .

(٤) الحديث أخرجه أحمد في المسند ٢٥/٤ عن مطرِّف بن عبدالله بن الشخِّير عن أبيه ، ولفظُه : قال « انتهيتُ إلى رسول الله ﷺ وهو يُصلِّي ، ولصدره أزيزٌ كأزيز المرجل » وأخرجه ابن ماجة في المقدمة ، والنسائي في السَّهو .

الأنفاس[1] .

٨٢ ــ **وقوله جلَّ اسمه : ﴿ يَوْمَ نَحْشُرُ المُتَّقِينَ إلَى الرَّحْمنِ وَفْداً﴾** [آية ٨٥] .

قال أهلُ التفسير : أي رُكْباناً .

قال النُّعمانُ بن سَعْدٍ : قرأ عليُّ بنُ أبي طالبٍ رضوانُ اللهِ عليه **﴿ يَومَ نَحْشُرُ المُتقينَ إلى الرَّحمَنِ وَفْداً ﴾** فقال : « أَمَا واللّهِ لا يُحشرون على أقدامهم ، ولكنَّهم يُؤتون بنوقٍ ، لم تَرَ الخلائقُ مِثْلَها ، عليها أرحلة الذهب ، وأزِمَّتُها الزَّبرجدُ ، ثم تنطلق بهم إلى الجنة ، حتى يقرعوا بابها »[2] .

٨٣ ــ **وقوله جلَّ وعز ﴿ وَنَسُوقُ المُجْرِمِينَ إلَى جَهَنَّم وِرْداً﴾** [آية ٨٦] .

قال أهل التفسير : أي عطاشاً .

قال أهل اللغة : هو مصدرُ وَرَدْتُ ، فالتقدير عندهم : ذَوِي وِرْدٍ .

وقد حكوا أنه يُقال للواردين الماءَ : وِرْدٌ ، فلما كانوا يَرِدُونَ على

(١ــ٢) انظر الآثار في جامع البيان للطبري ١٢٦/١٦ والقرطبي ١٥٠/١١ والدر المنثور ٢٨٤/٤ وفي الطبري « عليها رحالُ الذهب ، وأزِمَّتُها الزبرجدُ ، فيركبون عليها ، حتى يضربوا أبواب الجنة » .

النَّار ، كما يَرِدُ العِطَاشُ على الماء ، قيل لهم : « وِرْدٌ » فعلى هذا يوافق اللُّغةَ(١) .

٨٤ ــ ثم قال جل وعز ﴿ لاَيَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ إلاَّ مَنِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمنِ عَهْداً﴾ [آية ٨٧] .

إن جعلتَ « مَنْ » بدلاً من الواو ، كان المعنى :

لا يملكُ الشَّفاعةَ إلاَّ من اتخذ عند الرحمن عهداً ، فإنه يَشْفَع .

وإن جعلته استثناءً ليس من الأول(٢) ، كان المعنى :

لكِنْ منِ اتَّخذ عند الرحمن عَهْداً ، فإنه يَشْفع فيه .

٨٥ ــ وقولُه جلَّ وعز : ﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمنُ وَلَداً . لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئاً إِدًّا﴾ [آية ٨٨و٨٩] .

قال مجاهد : أي عظيماً(٣) .

---

(١) قال الأزهري : ﴿ وِرْداً ﴾ أي مشاةً عطاشاً ، كالإبل تردُ الماءَ ، فيقال : جاء وِرْدُ بني فلان . اهـ تهذيب اللغة مادة ورد ، وفي التفسير : مشاةً عطاشاً تتقطع أعناقهم من العطش ، والوردُ : الماء الذي يورد . اهـ قرطبي ١١/١٥٣ .

(٢) يريد استثناءً منقطعاً ، لأن المستثنى من غير جنس المستثنى منه ، فتكون « إلَّا » بمعنى لكنْ .

(٣) انظر الأثر في الطبري ١٦/١٢٩ والدر المنثور ٤/٢٨٦ قال أبو عُبيدة : الإدُّ ، والنُّكْرُ : الأمرُ المتناهي العِظَم ، والأمرُ العظيم من أعظم الدواهي . اهـ مجاز القرآن ٢/١١ وقال الجوهري : الإدُّ والإدَّةُ : الداهيةُ والأمر الفظيع .

وذلك معروفٌ في اللغة ، يُقال : جاء شيئاً إدّاً ، وجاءَ بشيءٍ إدٍّ .

وقرأ أبو عبدالرحمن السُّلَمي ﴿ **أَدًّا** ﴾ بفتح الهمزة[1] .

والكسرُ أعْرَفُ .

قال أبو عبيد : ومنه الحديث أنَّ عبدالرحمن بن مُلجم ــ لعنه اللّهُ ــ لمَّا هَمَّ بقتل عليٍّ رضوان الله عليه ، ذاكر فلاناً قال أبو عُبيد ــ وقد سمَّاه ــ فقال : ثكلتْكَ أُمُّكَ ، لقد جئتَ شَيئاً إدّاً ، أتقتلُ عليَّ بنَ أبي طالب ؟

٨٦ ــ **وقولُه جلَّ وعزّ** : ﴿ **تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ** .. ﴾ [آية ٩٠] .

قال مجاهد : الإنفطارُ : الانشقاقُ[2] .

قال أبو جعفر : وذلك معروفٌ في اللغة ، يُقال : فَطَر نابُ البعير ، إذا انشقَّ اللحمُ وخَرَج .

٨٧ ــ **وقولُه جلَّ وعز** : ﴿ **وَتَخِرُّ الجِبَالُ هَدّاً** ﴾ [آية ٩٠] .

أي سقوطاً .

---

(١) هذه من القراءات الشاذة كما في المحتسب ٤٥/٢ قال ابن جني : والأَدُّ بالفتح : القوَّةُ .

(٢) الأثر أخرجه ابن جرير ١٣٠/١٦ والسيوطي في الدر ٢٨٧/٤ قال الطبري ومعنى الآية : تكاد السموات يتشقَّقن قِطَعاً من قيلهم اتخذ الرحمنُ ولداً ، وتكاد الأرضُ تنشقُّ فتنصدع من ذلك ، وتكاد الجبال يسقطُ بعضها على بعض ، قال : والهدُّ : السقوطُ .

٨٨ ــ وقوله جلَّ وعز : ﴿ أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَداً ﴾ [آية ٩١] .

أي لأن دَعَوْا للرحمن ولداً ، ومن أن دَعَوْا .(١)

٨٩ ــ وقوله جل وعز : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُم الرَّحْمنُ وُدًّا ﴾ [آية ٩٦] .

رَوَى مجاهدٌ عن ابنِ عباس قال : محبَّةً(٢) .

قال مجاهد : يحبهم اللَّهُ ، ويُحبِّبهم إلى خلقه(٣) .

٩٠ ــ ثم قال جل وعز : ﴿ فإنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ .. ﴾ [آية ٩٧] .

---

(١) هذا قول الفراء في معانيه ٢/١٧٣ قال : « أَنْ » في موضع نصب بسقوط الخافض أي لأن دَعَوْا ، ومن أن دَعَوْا ، وقال أبو عبيدة في مجاز القرآن ٢/١٢ معناه : أن جعلوا للرحمن ولداً ، وقال : وليس هو من دعاء الصوت . اهـ .

(٢،٣) انظر الأثرين في الطبري ١٦/١٣٣ وابن كثير ٥/٢٦٤ والدر المنثور ٤/٢٨٧ أقول : يؤيد ما ذهب إليه ابن عباس ومجاهد الحديث الذي رواه مسلم في كتاب البر ٨/٤٠ وأحمد في المسند ٢/٤١٣ عن أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال : « إذا أحبَّ الله عبداً ، دعا جبريلَ ، فقال ياجبريلُ : إني أُحبُّ فلاناً فأحبَّه ، قال : فيحبُّه جبريل ، قال : ثم ينادي في أهل السماء : إن الله يحبُّ فلاناً ، قال : فيحبُّه أهلُ السماء ، ثم يُوضع له القبول في الأرض .

وإن الله إذا أبغض عبداً ، دعا جبريل فقال ياجبريلُ : إني أُبغضُ فلاناً فأبغضْه ، قال : فيبغضُه جبريل ، ثم ينادي في أهل السماء : إن الله يُبغِضُ فلاناً فأبغضوه ، قال : فيبُغِضهُ أهلُ السماء ، ثم تُوضع له البغضاءُ في الأرض »

وفي رواية ابن أبي حاتم « فذلك قول الله عز وجل ﴿ إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمنُ وُدّاً ﴾ وانظر تفسير ابن كثير ٥/٢٦٣ .

أي سهَّلناه ، وأنزلناه بلغتك .

٩١ ــ **وقوله جلَّ وعز ﴿ وتُنْذِرَ بهِ قَوْماً لُدًّا ﴾** [آية ٩٧] .

رَوَى سفيان عن اسماعيل عن أبي صالح قال : عوجاً عن الحق[١] .

وقال مجاهد : الألَدُّ : الظَّالمُ الذي لايستقيم[٢] .

وقال الحسن : اللُّدُّ : الصُّمُّ[٣] .

وقال أبو عُبيدة : هو الذي لايقبل الحقَّ ، ويدعِّي الباطل[٤] ، وأنشد :

إنَّ تَحْتَ الأحْجَارِ حَدًّا وَلِينَاً
وَخَصِيمَاً أَلَدَّ ذَا مِغْلَاقِ[٥]

ويُروى « مِعلاق » بالعين[٦] .

(١ــ٣) انظر الاثار في جامع البيان للطبري ١٣٤/١٦ وجامع الأحكام للقرطبي ١٦٢/١١ والبحر المحيط لأبي حيان ٢٢١/٦ وتفسير ابن كثير ٢٦٥/٥ والدر المنثور ٢٨٨/٤ .

(٤) انظر مجاز القرآن لأبي عُبيدة ١٣/٢ .

(٥) البيت لمُهَلهِل « عدي بن ربيعة » وهو في الكامل ص ٢٥ واللسان ، والتاج مادة غلق واستشهد به أبو عُبيدة في مجاز القرآن ١٣/٢ وقال المبرِّد : ويُروى « ذا معلاق » فمن روى « ذا مغلاق » فتأويله أنه يُغلق الحجة على الخصم ، ومن قال : « ذَا مِعْلَاق » فإنما يريد أنه إذا عَلِقَ خَصْماً لم يتخلص منه ، وفي الصحاح ١٥٣١/٤ : « إن تحت الأحجار حزماً وجوداً » .

(٦) انظر لسان العرب ، والصحاح مادة علق .

قال أبو جعفر : أحسنُ هذه الأقوال : الأوُل ، واللَّديدانِ : صفحتا العُنُقِ ، فكأنه تمثيلٌ .

٩٢ ــ **وقوله جل وعز ﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هَلْ تُحِسُّ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ ..﴾** [آية ٩٨] .

يقال : هل أَحْسَسْتَ صاحِبَكَ ؟ أي هل أبصرتَه ؟

٩٣ ــ **ثم قال جل وعز ﴿ أو تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزاً﴾** [آية ٩٨] .

روى عليُّ بنُ الحكَمِ ، عن الضحَّاكِ ، قال : صوتاً[١] .

قال أبو جعفر : الرِّكزُ في اللغة : الصوتُ الخفيُّ ، الذي لا يكاد يُتبيَّنُ[٢] .

وصلَّى الله على خير خلقه محمد نبيِّه وعلى آله وسلَّم[٣] .

تمت سورة مريم ولله الحمد والمنَّة

* * *

(١) الأثر أخرجه ابن جرير ١٣٥/١٦ وابن كثير ٢٦٥/٥ والسيوطي في الدر ٢٨٨/٤ .

(٢) قال ابن قتيبة : الرِّكْزُ : الصوتُ الذي لايُفهم ، قال ابن كثير : والرِّكزُ في أصل اللغة هو الصوت الخفي . اهـ .

(٣) كتب في نهاية المخطوطة لنسخة دار الكتب المصرية العبارة الآتية : « تم الجزء الأوُل وصلى الله على خير خلقه محمد نبيِّه وعلى آله وسلَّم » قرأتُ به فصحَّ إن شاء الله .

تفسير سورة الحج

مدنية وآياتها ٧٨ آيـــة

بسم الله الرحمن الرحيم

« عونك يارب »

سورة الحج وهي مدنية[1]

قال أبو عمرو بن العلاء عن مجاهد : سألتُ ابنَ عبَّاس فقال : سورةُ الحجِّ نزلتْ بمكة ، سِوَى ثلاثِ آياتٍ منها ، فإنهنّ نزلن بالمدينة ، في ستَّةِ نفر من قريش : ثلاثةٌ منهم مؤمنون ، وثلاثةٌ كافرون .

فأمَّا المؤمنون فهم « حمزةُ بن عبدالمطَّلب » و« عليُّ بن أبي طالب » و« عُبيدةُ بن الحارث » رضي الله عنهم .

دعاهم للبراز « عُتْبةُ » و« شَيْبةُ » ابْنا رَبيعةَ و« الوليد بن عُتْبة » فأنزلَ اللهُ جلَّ وعزَّ ثلاث آياتٍ مدنيَّاتٍ ، وهنَّ قوله تعالى : ﴿ **هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ ..** ﴾[2] إلى تمام الآيات الثلاث من ذلك .

---

(١) هذه السورة هي بداية القسم الثاني من المخطوطة ، وهي مخطوطة اسطنبول ، ولم نجد في مخطوطة القاهرة تفسيراً لسورتي : طه ، والأنبياء ، ولا ندري هل هما مفقودتان أم أن المصنِّف لم يتناولهما بالتفسير ، وقد ذُكرت في هامش النسخة في أول الكتاب العبارة الآتية : أخبرنا الشيخ الإمام أبو الفضل محمد بن ناصر قراءةً عليه ، قال : أخبرنا أبو الحسن عليُّ بن الحسن بن الحسين الخِلعي المصري إجازة ، قال أبو الحسن علي بن إبراهيم بن سعد الحوفي ، قال أخبرنا أبو بكر محمد بن علي بن أحمد الأُدْفُوِيُّ ، قال : أخبرنا أبو جعفر النحاس .. الخ ثم بدأ بالرواية عن مجاهد .

(٢) سورة الحج آية ١٩ .

١ ـ **قولُه جلَّ وعزَّ : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ﴾** [آية ١] .

رَوَى سُفيانُ عن منصور ، عن إبراهيم ، عن عَلْقمة ، قال : هذا قبل يوم القيامة[1] .

٢ ـ **ثم قال جلَّ وعزَّ : ﴿ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ .. ﴾** [آية ٢] .

أي تَسْلُو عنه ، وتتركه وتتحيَّر ، لصعوبةِ ما هي فيه .

وبيَّن اللَّه جلَّ وعزَّ ذلك ، على لسان نبيّه ﷺ في أيِّ موطنٍ يكون هذا يوم القيامة ،

حدثنا أحمد بن عبدالخالق ، قال : حدَّثنا عمرُ بنُ محمَّدِ بنِ الحَسَنِ الأَسَديُّ ، قال : حدَّثني أبي ، قال : حدَّثَنا عصَامُ بنُ طَلِيقٍ[2] ، عن دَاودَ بنِ أَبِي هنْدٍ ، عن الشَّعْبيِّ ، عن مسروقٍ ، عن

---

(١) هذا القول هو المشهورُ ، أنَّ الزلزلة من أشراط الساعة ، وأنها تكون في الدنيا قبل يوم القيامة ، وهذا القول ذكره ابن جرير ١٧/١٠٩ عن علقمة ، والشعبي ، وروى الطبري قولاً آخر أن هذا يكون في الآخرة ، حين يقول الله تعالى لآدم : أَخرجْ بعث النار من ذريتك ، من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون ..» الحديث رواه الشيخان .

(٢) في المخطوطة « عاصم بن طليق » وصوابه « عصامُ بن طَلِيق » كما في التهذيب ٧/١٩٥ ولم أره بلفظ « عاصم » في كتب الرجال ، قال ابن حجر : هو عصام بن طَلِيق الطَّفاوي » بصري ، قال أبو زرعة : ضعيف الحديث ، وقال البخاري : منكر الحديث ، وذكره العقيلي في الضعفاء . اهـ .

عائشةَ قالت : « كانَ النبيُّ ﷺ في حَجْري ، فقطرتْ دموعي على خَدِّه ، فاستيقظ ﷺ فقلتُ : ذكرتُ القيامةَ وهوْلَها ، فهل تذكرونَ أهاليكم يا رسولَ الله ؟ فقال يا عائشةُ : ثلاثةٌ لا يَذْكرُ فيها أحدٌ إلاَّ نَفْسَه .

أ ــ عند الميزانِ حتَّى يعلمَ أيخفُّ ميزانُه أمْ يَثْقُل ؟

ب ــ وعندَ الصُّحف حتَّى يعلمَ ما في صحيفتهِ .

جـ ــ وعند الصِّراطِ حتَّى يُجاوزَهُ »[1] .

٣ ــ **وقولُه جلَّ وعزَّ : ﴿ وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى .. ﴾** [آية ٢] .

أي وترى النَّاسَ سُكَارى من العَذابِ والخوفِ ، وما هم بسُكارى من الشَّراب .

وقرأ أبو هريرة ، وأبو زُرعةَ بن عَمْروِ بنِ جرير[2] ﴿ وَتُرَى

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في المسند ١٠١/٦ ورواه أبو داود في السنة رقم ٤٧٥٥ عن عائشة رضي الله عنها ، ولفظه قالت : « ذكرتُ النَّارَ فبكيتُ ، فقال رسول الله ﷺ ما يبكيكِ ؟ قلتُ : ذكرتُ النَّار فبكيتُ ، فهل تذكرونَ أهليكم يوم القيامة ؟ فقال يا عائشة : أمَّا في ثلاثة مواطنَ ، فلا يذكر أحدٌ أحداً : عند الميزانِ حتَّى يعلم أيخفُّ ميزانه أم يثقلُ ؟ وعند تطاير الصحف ، حتَّى يعلمَ أينَ يقع كتابه ، في يمينه ، أم في شمالِهِ ، أم من وراء ظهره ؟ وعند الصراط إذا وُضعَ بَيْنَ ظَهْرَيْ جهنم ، حتى يجوز » .

(٢) هذه ليست من القراءات السبع وانظر الطبري ١١٥/١٧ وأبو زرعة اسمه هرم ، وقيل : عمروٌ ، قال ابن حجر في التقريب ٤٢٤/٢ : ثقة من الثالثة .

النَّاسَ ﴾ أي تظنُّهم لشدَّة ما هم فيه .

حدثنا أحمد بن محمد بن نافع ، قال : حدثنا سَلَمَةُ ، قال : حدثنا عبدالرزَّاق ، أخبرنا مَعْمَرٌ ، عن قَتَادة ، وأَبان عن أنسٍ بن مالكٍ قال : نزلت ﴿ **يَاأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ** .. ﴾ إلى قوله ﴿ **وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ** ﴾ .

قال : نزلتْ على النبيِّ ﷺ وهو في مَسِيرٍ له ، فرَفَعَ بها صوْتَهُ ، حتَّى ثَابَ(1) إليه أصحَابُهُ ، فقال : أتدرونَ أيُّ يومٍ هذا ؟ هذا يوم يقولُ اللهُ عزَّ وجلَّ لآدمَ ، يا آدمُ قم فابعثْ بعثَ أهلِ النَّار ، من كلِّ ألفٍ تسعُمِائة وتسعةً وتسعين إلى النَّار ، وواحداً إلى الجنة !!

فكَبُر ذلك على المسلمين ، فقال النبي ﷺ : « سَدِّدُوا ، وقارِبوا ، وأَبْشِروا ، فوالَّذي نفسي بيدِهِ ، ماأنتم في النَّاس ، إلا كالشَّامةِ في جَنْبِ البعير ، أو كالرَّقْمةِ في ذِرَاع الدابَّةِ ، وإنَّ معكم لخليقتَيْن ، ما كانتا مع شيءٍ إلاَّ كثَّرتاهُ « يأجوجُ » و« مأجوجُ » ومن هلك من كثرة الجنِّ والإنس »(2) .

---

(1) ثابت إليه أصحابه : أي رجعوا إليه ، واجتمعوا عنده عند سماعهم صوته ﷺ .

(2) الحديث رواه أحمد في المسند ٤٣٢/٤ عن « عمران بن حُصَين » ورواه الترمذي في تفسير سورة الحج ، وقال : هذا حديث حسن صحيح ، وانظر تحفة الأحوذي رقم ٣٢١٨ الجزء التاسع ص١٢ وتفسير ابن كثير ٣٨٦/٥ وقد ورد في المخطوطة « تسعة وتسعين إلى النار ، وواحداً في الجنة » بالفتح ، ولعل صوابه « تسعة وتسعون إلى النار ، وواحد إلى الجنة » بالرفع كما في رواية الترمذي وتفسير ابن كثير .

٤ ــ **قال ابن جريج في قوله تعالى ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيرِ عِلْمٍ ..﴾** [آية ٣] .

هو النضر بن الحارث[(١)] .

وقال غيره : ﴿ يُجادِلُ ﴾ يخاصِمُ في اللَّه ، بزعمِهِ أنَّ اللَّه جلَّ وعزَّ ، غيرُ قادرٍ على إحياء من قَدْ بَلِيَ ، وعادَ تراباً **﴿ بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾**[(٢)] .

٥ ــ **وقولُه جلَّ وعزَّ : ﴿ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَرِيدٍ ﴾** [آية ٣] .

أي ويَتبع قولُه ذلك وجدالُه ، كلَّ شيطانٍ مَريد[(٣)] .

﴿ كُتِبَ عَلَيْهِ ﴾ قال قتادة : « أي على الشيطان »[(٤)] .

المريدُ : الممتدُّ في الشرِّ ، المتجاوزُ فيه ، ومنه قوله تعالى **﴿ قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُمَرَّدٌ مِنْ قَوَارِيرَ ﴾**[(٥)] .

---

(١) هذا الأثر ذكره الطبري في تفسيره ١١٥/١٧ وابن كثير من رواية السدي عن أبي مالك ٣٩٠/٥ .

(٢) المرادانه يخاصم بغير علم صحيح ، من طريق الشرع أو العقل ، فهو يجادل عن جهلٍ وسَفَه ، وانظر فتح القدير للشوكاني ٤٣٦/٣ .

(٣) قال الحافظ ابن كثير : وهذا حالُ أهلِ الضّلال والبدع ، المعرضين عن الحقِّ ، المتّبعين للباطل . يتركون ما أنزله اللهُ على رسوله من الحقِّ المبين ، ويتَّبعون أقوال رءوس الضلالة ، الدعاة إلى البدع بالأهواء ، والآراء . اهـ تفسير ابن كثير ٣٨٩/٥ .

(٤) هذا الأثر ذكره ابن جرير الطبري ١١٦/١٧ والسيوطي في الدر المنثور ٣٤٤/٤ .

(٥) سورة النمل آية رقم ٤٤ .

قيل : مطوَّلٌ .

وقيل : مملَّسٌ[1] .

٦ ــ **وقولُه جلَّ وعزَّ : ﴿ كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَنْ تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُ يُضِلُّهُ .. ﴾** [آية ٤] .

قال مجاهد وقتادة : أنه من تولَّى الشيطانَ أي تَبِعَه[2] .

قال أبو جعفر : **والمعنى** : قُضِيَ على الشيطان أنه يُضلُّ من اتَّبعه .

٧ ــ **وقولُه جلَّ وعزَّ : ﴿ يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ البَعْثِ .. ﴾** [آية ٥] .

أي إن كنتم في شكٍّ من أنكم تبعثون ، فتدبَّروا في أول خلقكم وابتدائكم فإنكم لاتجدون فرقاً بين الابتداء والإعادة .

٨ ــ **ثم قال جلَّ وعز : ﴿ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ .. ﴾** [آية ٥] .

يعني آدم صلى الله عليه وسلم[3] . **﴿ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ .. ﴾** .

---

(١) في المخطوطة « مجلسٌ » وهو تصحيف ، وصوابه « مملَّسٌ » وانظر الصحاح ٥٣٨/٢ .

(٢) الأثر أخرجه ابن جرير ١١٦/١٧ والسيوطي في الدر ٣٤٤/٤ .

(٣) قال الطبري : أي ابتدأنا خلق أبيكم آدم ﷺ من تراب ، ثم أنشأناكم من نطفة آدم . اهـ جامع البيان ١١٦/١٧ .

قال الخليل : العَلَقُ : الـدَّمُ قبـل أن يَيْبَس ، الواحـدةُ عَلَقَـةٌ ، وهكذا تَصِيرُ النُّطفةُ .

قال أبو عُبَيْد : العَلَق من الدَّم : ما اشتدَّت حمرتُه[1] .

٩ ـــ ﴿ **ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ** ﴾

وهـي لحمـــة صغيرة بقـــدر ما يُمْضغُ . ﴿ **مُخَلَّقَـــةٍ وَغَيْـــرِ مُخَلَّقَةٍ** ﴾ .

رَوَى معْمَرٌ عن قتادة قال : تامَّةٍ ، وغير تامَّة[2] .

قال الشعبيُّ : النُّطْفةُ ، والعَلَقةُ ، والمُضْغـةُ ، فإذا نُكِّستْ في الخلق الرابع كانت مخلَّقة ، وإذا قذفتها قبل ذلك فهي غير مخلَّقة[3] .

قال أبو العالية : غير مخلَّقةٍ : السِّقْطُ .

قال أبـو جعفـر : ﴿ **مُخَلَّقـة** ﴾ : مصوَّرة ، ويُبيِّـن ذلك هذا الحديث المرفوع عن النبي ﷺ ، وهو مرويٌّ من طُرُقٍ شتَّى .

فمـن طُرقـه ما رواه سَلَمـةُ بنُ كُهَيْـلٍ ، عن زيـد بنِ وهبٍ ،

---

(١) قال الأزهري : العلقةُ الدَّمُ الجامدُ الغليظ ، ومنه قيل للدابـة التـي تكـونُ في الماء : عَلَقـةٌ ، لأنها حمراءُ كالدَّمِ ، وكلُّ دمٍ غليظٍ عَلَقٌ . تهذيب اللغة ١/٢٤٣ .

(٢) الأثر أخرجه الطبري ١٧/١١٧ والسيوطي في الدُّرِّ المنثور ٤/٣٤٥ .

(٣) الأثر في الدر المنثور ٤/٣٤٥ ، وهذا القول منقول أيضاً عن مجاهد ، وانظر ابن كثير ٥/٣٩٠ .

قال : سمعتُ ابن مسعودٍ يقول : سمعتُ النبيَّ ﷺ يقول ــ وهو الصَّادقُ المصدوقُ ــ : « يُجْمعُ خَلْقُ أحدِكُمْ في بطن أمِّهِ أربعينَ يوماً ، ثم يكونُ عَلَقةً أربعينَ يوماً ، ثم يكونُ مُضْغةً أربعينَ يوماً ، ثم يَبْعثُ اللَّه جلَّ وعزَّ إليه مَلَكاً ، فيقولُ : اكتب عَمَله ، وأَجَلَهُ ، ورزْقَه ، واكتُبْه شقِيَّاً ، أو سعيداً ..

قال عبدالله : والذي نفسي بيده ، إنَّ الرجلَ ليعملُ بعملِ أهلِ السعادة ، فيعملُ بعمل أهل الجنة ، حتى مايكونُ بينه وبينها غيرُ ذراع ، ثمَّ يدركهُ الشقاء ، فيعمل بعمل أهل النار ، أو الشقاء ، فيدخل النار »(١) .

وَرَوَى عُبيد اللَّهِ بنُ أبي بكر عن أنس بن مالك جدِّه قال : قال رسول الله ﷺ : « إنَّ اللَّه عزَّ وجلَّ قد وكَّل بالرحم مَلَكاً ، فيقولُ : أيْ ربِّ أنُطفةٌ ؟ أيْ ربِّ أعَلَقةٌ ؟ أي ربِّ أمُضْغةٌ ؟ فإذا أرادَ اللَّهُ جلَّ وعزَّ أن يقضيَ خلْقَها ، قال يقولُ المَلَك : أذكرٌ أم أنثى ؟

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الأنبياء ٤/١٦١ ومسلم في كتاب القدر ٨/٤٤ رقم ٢٦٤٣ ولفظ البخاري « إنَّ أحدكم يُجمعُ خلقُه في بطن أمِّهِ أربعينَ يوماً نطفةً ، ثم يكون علقةً مثل ذلك ، ثم يكونُ مضغةً مثل ذلك ، ثم يُرسلُ إليه المَلَكُ ، فينفخُ فيه الرُّوحَ ، و يؤمرُ بأربع كلماتٍ : بكتبِ رزقِهِ ، وأجلِهِ ، وعملِهِ ، وشقيٌّ ، أم سعيد .. » الحديث ، وأخرجه أبو داود رقم ٤٧٠٨ والترمذي رقم ٢١٣٨ باب الأعمال بالخواتيم .

أشَقِيٌّ أم سعيدٌ ؟ فما الأَجَلُ ؟ فما الرِّزقُ ؟ فيكتبُ ذلكَ في بطن أمِّهِ »[1] .

قال علقمة : إذا وقعت النُّطْفةُ في الرَّحِم ، قال المَلَك : مخلَّقةٌ أو غيرُ مخلَّقة ، فإن قال : غير مخلَّقة ، مجَّت الرَّحمُ دَماً ، وإن قال مخلَّقة ، قال : أذكرٌ أم أنثَى ؟ أشقيٌّ أم سعيد ؟ فيقول : اكتبْها من اللَّوح المحفوظِ ، فيجد صفتَها ، فَيستَنْسِخهُ ، فلايزال العبدُ يعمل عليه حتى يموت[2] .

١٠ ــ **وقولُه جلَّ وعزَّ : ﴿ لِنُبيِّنَ لَكُمْ ﴾** [آية ٥] .

أي ذكرنا أحوال الخلق لِنُبيِّنَ لكم .

ويجوز أن يكون المعنى : خلقنا هذا الخَلْقَ لنبيِّن لكم .

١١ ــ **ثم قال جلَّ وعزَّ : ﴿ وَنُقِرُّ في الأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ .. ﴾** [آية ٥] .

أي ونحن نُقِرُّ في الأرحام ما نشاءُ[3] .

ثم قال : ﴿ وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوفَّى .. ﴾ [آية ٥] .

---

(١) الحديث أخرجه البخاري في كتاب الأنبياء ١٦٢/٤ ومسلم في القدر ٤٥/٨ وأحمد في المسند ١٤٨/٣ وأخرجه الطبري ١١٧/١٧ والسيوطي في الدر المنثور ٣٤٥/٤ وابن كثير في تفسيره ٣٩١/٥ .

(٢) هذا الأثر ذكره ابن جرير الطبري في جامع البيان ١١٧/١٧ والسيوطي في الدر المنثور ٣٤٥/٤ والحافظ ابن كثير بنحوه ٣٩١/٥ والألوسي ١١٦/١٧ . وانظر الروايات الواردة في الصحيحين .

(٣) انظر معاني الزجاج ٤١٢/٣ وتوجيهه للآية ، فقد ذكر أنه لايجوز فيها إلّا الرفع ، وعلَّل ذلك .

وحكى أبو حاتم[1] أنَّ بعضَهم قَرأَ : ﴿ وَمِنكُم مَن يَتوفَّى ﴾[2] .

ومعناه يستَوْفِي أَجَلَه .

١٢ ــ وقوله جلَّ وعزَّ : ﴿ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مَنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئاً .. ﴾ [آية ٥] .

قال الفَرَّاء : لكيلا يعقل من بعد ما عقل شيئاً[3] .

١٣ ــ وقوله جلَّ وعزَّ : ﴿ وَتَرَى الأَرْضَ هَامِدَةً .. ﴾ [آية ٥] .

روى سعيدٌ عن قَتادة قال : أي غَبْراء مُتهشِّمة[4] .

قال أبو جعفر : يقال : هَمَدتِ النَّارُ إذا طُفِئتْ وذهَبَ لَهَبُها ، وأرض هامِدةٌ : أي جافَّةٌ عليها ترابٌ[5]

١٤ ــ ثم قال جلَّ وعزَّ : ﴿ فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا المَاءَ اهتَزَّتْ وَرَبَتْ ﴾ [آية ٥] .

---

(١) أبو حاتم هو سهل بن محمد السجستاني ، أخذ عنه المبرِّد ، وابن دُريد ، وقد تقدمت ترجمته ٧٨/١ .

(٢) ذكر هذه القراءة أبو حيان في البحر المحيط ٣٥٣/٦ والألوسي في روح المعاني ١١٩/١٧ فقال : وقرىء ﴿ يَتَوفَّى ﴾ على صيغة المعلوم ، وفاعلهُ ضميرُ اللّهِ تعالى ، أي من يتوفاه اللّهُ تعالى ، ويجوز أن يكون المعنى : ومنكم من يستوفى مدة عمره . اهـ وهذه ليست من القراءات السبع .

(٣) انظر معاني القرآن للفراء ٢١٦/٢ وعبارته فيه : لكيلا يعقل من بعد عقلهِ الأوِلِ شيئاً .

(٤) الأثر في الدر المنثور ٣٤٥/٤ وابن كثير ٣٩٣/٥ .

(٥) انظر الصحاح للجوهري ٥٥٦/٢ فقد جاء فيه : أرض هامدة : أي لا نبات بها .

أي تحرَّكتْ ، و ﴿ رَبَتْ ﴾ أي زَادَت[1] .

وقرأ يَزِيدُ بنُ القَعْقَاعِ ، وخالدُ بنُ إلياس ﴿ وَرَبَأَتْ ﴾[2] أي ارتفعتْ حتى صارت بمنزلة الرَّبيئةُ[3] ، وهو الذي يحفظ القوم على شيءٍ مُشْرِفٍ ، فهو رَابِيءٌ ، ورَبِئَةٌ على المبالغة .

١٥ ــ **ثم قال جلَّ وعزَّ : ﴿ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴾** [آية ٥] .

أي من كل صنفٍ من النَّبات .

ورَوَى سعيد عن قتادة قال : ﴿ بَهِيجٍ ﴾ حسن[4] .

قال أبو جعفر : يقال بَهُجَ فهو بَهِجٌ : إذا حَسُنَ ، وأبهجني : أعجبني لحسنه .

١٦ ــ **ثم قال جلَّ وعزَّ : ﴿ ذلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ .. ﴾** [آية ٦] .

أي الأمرُ ذلك ، والأمرُ ما وُصِفَ لكم وبُيِّنَ[5] .

---

(١) قال الطبري ١١٩/١٧ المعنى : فإذا نحن أنزلنا على هذه الأرض الهامدة ، التي لا نبات فيها المطر من السَّماء ﴿ اهتزَّتْ ﴾ أي تحركتْ بالنبات ، وأضعفت بمجيء الغَيْث .

(٢) هذه القراءة ذكرها ابن الجزري في النشر في القراءات العشر ٣٢٥/٢ والفراء في معاني القرآن ٢١٦/٢ وقد عدَّها ابن جني في المحتسَب ٧٤/٢ من القراءات الشاذة ، وهي ليست شاذة .

(٣) قال في لسان العرب : الربيئةُ : هو العينُ والطليعةُ الذي ينظر للقوم ، لئلا يَدْهَمهم عدوٌّ ، ولا يكونُ إلاَّ على جَبَل ، أو شَرَف يُنظر منه . اهـ اللسان مادة ربا .

(٤) الأثر في الطبري ١٢٠/١٧ وابن كثير ٣٩٣/٥ والدر المنثور ٣٤٦/٤ .

(٥) « ذلك » إشارة إلى خلق الإنسان على أطوار مختلفة ، قال الطبري ١٢٠/١٧ « أي هذا الذي=

ثم قال جلَّ وعزَّ : ﴿ **وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَى** ﴾ أي كما أحيا الأرض بقدرته .

١٧ ــ **وقوله جلَّ وعزَّ** : ﴿ **ثَانِيَ عِطْفِهِ** ﴾ [آية ٩] .

قال مجاهد : أي رقبته[١] .

وقال قتادة : أي عُنُقه[٢] .

قال أبو العباس[٣] : العِطْفُ : ما انْثَنى من العُنُقِ ، ويُقال للأَرْدِيةِ : العُطُفُ لأنها تقعُ على ذلكَ الموقع .

وقال غيره : يُوْصفُ بهذا المتكبِّرُ المُعْرِضُ تجبُّراً[٤] .

١٨ ــ **قوله جلَّ وعزَّ** ﴿ **ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ** ﴾ [آية ١٠] .

= ذكرتُه لكم أيها الناس ، من بدئنا خلقكم في بطون أمهاتكم ، ووصفنا أحوالكم طفلاً ، وشيخاً وهرماً ، لتؤمنوا وتصدِّقوا بأن الذي فعل ذلك ، هو الله الحقُّ ، الذي لاشك فيه ، لا ما تعبدون من الأوثان والأصنام » اهـ .

(١)(٢) انظر الآثار في الطبري ١٧/١٢١ والبحر ٦/٣٥٤ والدر المنثور ٤/٣٤٦ .

(٣) هو الإمام المبرِّد ، وهو أحد أعلام اللغة ، وقد تقدمت ترجمته ١/٥٥ .

(٤) قال ابن عباس : ﴿ **ثاني عِطْفة** ﴾ أي مستكبراً في نفسه ، معرضاً عن قبول الحق . اهـ الطبري ١٧/١٢١ .

والمعنى : يُقال له : هذا العذابُ بما قدَّمتْ يداك ، وبأنَّ اللَّهَ ليس بظلَّام للعبيد .

١٩ ــ **ثم قال جلَّ وعزَّ ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ .. ﴾** [آية ١١] .

روى ابن أبي نجيح عن مجاهد قال : على شكٍّ[1] .

قال أبو جعفر : وحقيقتهُ في اللغة : على حَرْفِ طريقةِ الدِّين ، أي ليس داخلاً فيه بكلِّيته[2] .

وبيَّن هذا بقولِهِ جلَّ وعزَّ **﴿ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ ﴾** .

قال : استقرَّ **﴿ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ ﴾** قال : عذابٌ أو مصيبةٌ **﴿ انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ ﴾** قال : ارتدَّ كافراً .

٢٠ ــ **ثم قال جلَّ وعزَّ ﴿ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالآخِرَةَ .. ﴾** [آية ١١] .

وقرأ مجاهدٌ وحُمَيد : ﴿ خَاسِرَ الدُّنْيَا والآخِرَةِ ﴾[3] .

(١) الأثر أخرجه ابن جرير ١٢٢/١٧ .

(٢) قال ابن عطية : ﴿ عَلَى حَرْفٍ ﴾ : على انحرافٍ منه عن العقيدة البيضاء ، أو على شفا منها ــ أي طرفٍ منها ــ معدّ للزهوق . وقال الزمخشري ﴿ عَلَى حَرْفٍ ﴾ على طرفٍ من الدين ، لا في وسطه ولا في قلبه ، وهذا مثلٌ لكونهم على قلَقٍ ، واضطرابٍ في دينهم ، لا على سكونٍ وطمأنينة . الكشاف ٥١/٢ الطبعة البولاقية .

(٣) هذه قراءة حُميد ، ومجاهد ، وابن مُحَيْصِن ، وانظر النشر في القراءات العشر ٣٢٦/٢ والمحتَسَب لابن جِنّي ٧٥/٢ ومعاني القرآن للفراء ٢١٧/٢ .

٢١ ــ **وقولُه جلَّ وعزَّ : ﴿ يَدْعُو مِنْ دُوْنِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُ وَمَا لا يَنْفَعُهُ﴾** [آية ١٢] .

ثم قال بعدُ ﴿ **يَدْعُو لَمَنْ ضَرُّهُ أَقْرَبُ مِنْ نَفْعِهِ لَبِئْسَ الْمَوْلَى** ﴾ .

فيُقالُ : كيف يكونُ له ضَرٌّ وقد قال : « مَالَا يَضُرُّهُ » ؟

فالجوابُ أن المعنى : يدعو لَمَن ضَرُّ عبادتِهِ .

فإن قيل : كيف قال ﴿ **أَقْرَبُ مِنْ نَفْعِهِ** ﴾ ولا نفع له[1] ؟

فالجواب : أن العرب تقول لِمَا لا يكون البتَّةَ : هذا بعيدٌ ، مثلُ قوله تعالى ﴿ **ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ** ﴾[2] .

وفي الآية أجوبةٌ من أجل اللّام[3] :

فأكثرُ النحويِّين يذهب إلى أنها في غير موضعها[4] ، وأن المعنى : يدعو مَنْ لَضَرُّه أقربُ من نفعه .

وقال أبو العباس : في الكلام حذفٌ أي يدعو لمن ضرُّه أقربُ من نفعه إلهاً .

---

(١) هذا واردٌ على سبيل الفرض والتسليم أي لو سلَّمنا أنها ضارةٌ نافعة لكان ضررها أكثر من نفعها .

(٢) سورة ق آية رقم ٣ ومرادهم أن ذلك أمر مستحيل لا يمكن حدوثه .

(٣) في قوله ﴿ لَمَن ضرُّه ﴾ وهي لام الابتداء .

(٤) هذا قول الفراء قال في البحر : وهذا بعيد لأن ما كان في صلة الموصول ، لا يتقدم على الموصول . البحر ٣٥٧/٦ .

وقيل : ﴿ **يدعو** ﴾ ههنا بمعنى « يقول » كما قال عنترة .

يَدْعُـــوَن عَنْتَـــرَ وَالرِّمَـــاحُ كأَنَّهَـــا
أَشْطَـانُ بِئْـرٍ في لَبَـــانِ الأَدْهَـــمِ[1]

وقـال أبـو إسحـق[2] : يجوز أن يكـون « يدعـو » في موضع الحال ، وفيـه هاءٌ محذوفـة ، ويكـون خبر « مَنْ » ﴿ **لَبِـئْسَ المَوْلَـى وَلَبِئْسَ العَشِيرُ** ﴾[3] .

قال الفـراء : يجوز أن يكـون « يدعـو » خبـرَ « مَنْ » ويكـون ﴿ **لَبِئسَ المَوْلَى وَلَبِئْسَ العَشِيرُ** ﴾ مكرَّرة على ما قبلها[4] .

ولأبي إسحـق قولٌ آخـر ــ وزعـم أن النحوييِّـن أجـــازوه ــ قال : يكون ﴿ **ذَلِكَ** ﴾ بمعنى « الذي » أي الذي هو الضَّلالُ البعيـدُ ﴿ **يَدْعُـــوْ لَمَـــنْ ضَرُّه** ﴾ كما قال تعـــالى ﴿ **وَمَـــا تِلْكَ بِيَمِيـــنك يامُوْسَى** ﴾[5] ؟

---

(١) ديوان عنترة ص٢١٦ والمحتسب لابن جني ١٠٩/١ ذكر بضم الراء « عنترُ » وفتحها وجهان .
(٢) هو الإمام الزجاج وقد تقدمت ترجمته ٧٤/١ .
(٣) انظر معاني الزجاج ٤١٥/٣ .
(٤) معاني القرآن للفراء ٢١٧/٢ فقد جاء فيه : وقد يكون قولُه ﴿ ذَلِكَ هُوَ الضَّلالُ البَعِيدُ يَدْعُوْ ﴾ فتجعلُ « يَدْعُـو » من صلـة « الضَّلالُ البعيـدُ » وتُضمـرُ في يدعـو الهاءَ ، ثم تستأنـف الكـلام باللاَّمِ ، فتقولُ ﴿ لَمَنْ ضَرُّهُ أَقْرَبُ مِنْ نَفْعِهِ لَبِئْسَ المَوْلَى ﴾ وهو وجهٌ قويٌّ في العربية . اهـ .
(٥) سورة طه آية ١٧ .

وأنشـــد :

عَدَسْ مَالِعَبَّــادٍ عَلَــيْكِ إِمَـــارَةٌ
أَمِنْتِ وَهَذَا ــ تَحْمِلِينَ ــ طَلِيـقُ[1]

وحكى الفراء : أنه يجوز في هذا شيءٌ لم يتقـدَّم به أثـرٌ ، وهـو « يَدْعُو لِمَنْ ضَرُّهُ » بكسر اللَّام ، بمعنى يدعـو إلى مَنْ ضَرُّهُ ، كما قال سبحانه ﴿ **الحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا** ﴾ أي إلى هذا[2] .

قال أبو جعفر : والآيةُ مشكلةٌ لدخـول الـلَّامِ ، وإنَّ الحُـذَّاقَ من النحويِّينَ ، يمنعون أن يُنوى بها تقديمٌ أو تأخيرٌ ، لأنها لا تُصرف ، وأن يكـون ﴿ **يَدْعُـو** ﴾ بمعنـى « يقـولُ » حسنٌ ، والخبرُ محذوفٌ أي يقول لَمَنْ ضرُّه أقربُ من نَفْعِهِ لِه[3] .

٢٢ ــ ثم قال جلَّ وعزَّ : ﴿ لَبِئْسَ المَوْلَى﴾ [آية ١٣] .

أي الوليُّ ، كما قال الشاعر :

فَعَـدَتْ كِلَا الفَرْجَيْـنِ تَحْسَبُ أَنَّــهُ
مَوْلَى المَخَافَةِ خَلْفُهَا وَأَمَامُها[4] .

---

(١) البيت ليزيد بن مفرغ الحميري ، وانظر الشعر والشعراء (٣٢٤) والمحتسب ٩٤/٢ وخزانـة الأدب ٥١٤/٢ ومعاني القرآن للزجاج ٤١٧/٣ .

(٢) انظر معاني القرآن للفراء ٢١٨/٢ .

(٣) انظر إعراب القرآن للنحاس ٣٩٢/٢ .

(٤) جمهرة أشعار العرب ص (٧٠) وتهذيب اللغـة ٣٥٩/١٠ قال الأزهـري : يعنـي البقـرة الوحشيـة =

﴿ وَلَبِئْسَ العَشِيرُ ﴾ أي الصاحبُ والخليلُ .

قال مجاهد : يعنـــــي الوثن(١) .

٢٣ ــ **وقولُه جلَّ وعزَّ** : ﴿ **مَنْ كَانَ يَظُنُّ أَنْ لَنْ يَنْصُرَهُ اللَّهُ في الدُّنْيَـا والآخِرَةِ** ﴾ [آية ١٥] .

قال أبو جعفر : هذه الآية مشكلةٌ وفيها قولان :

أ ــ رَوَى سفيان عن أبي إسحاق عن التَّميمي عن ابن عباس قال : ﴿ **مَنْ كَانَ يَظُنُّ أَنْ لَنْ يَنْصُرَهُ اللَّهُ** ﴾ يعني محمداً ﷺ ﴿ **فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ** ﴾ أي بحبل ﴿ **إلَى السَّمَاءِ** ﴾ أي سقف بيته ﴿ **ثُمَّ لْيَقْطَعْ** ﴾ أي ليختنقْ(٢) .

قال أبو جعفر : وهذا قولُ أكثرِ أهل التفسير ، منهم الضحَّاكُ .

ومعناه : من كان يظنُّ أن لن ينصرَ اللَّهُ محمداً عليه السلام

= تظنُّ كلا فرجيْها وليُّ مخافتها ، ثم ترجم لكلا الفرجين بأنه خلفُها وأمامها .
وفي المخطوطة « فَغَدتْ » بالغَيْن ، وصوابهُ « فَعَدتْ » بالعين كما في تهذيب اللغة للأزهري .

(١) الأثر في جامع البيان ١٢٥/١٧ والدر المنثور ٣٤٧/٤ والبحر المحيط .

(٢) الأثر ذكره الطبري في تفسيره ١٢٦/١٧ والسيوطي في الدر المنثور ٣٤٧/٤ وقال : أخرجه ابن أبي حاتم ، والحاكم ، وصحَّحه ، والمراد من الآية الكريمة : أن المكذِّب لدعوة الرسول ، ا[illegible] يتضايق من رسالته عليه السلام ، فليختنق ويقطع عنقه ، حتى يرى هل يذهب من الغيظ والحقد على الإسلام والرسول ؟ وهذا أبلغ أسلوبٍ في التهكم كما ‌ة

ويُظْهِرَ دينَه على الدِّين كلِّه ، فلْيَجْهدْ جَهْدَه ، فلْينظرْ هل ينفعـهُ ذلك شيئاً ؟ .

ب ـ والقـولُ الآخر ، أنَّ طلحة بن عَمْـروٍ قال : سمعتُ عطـاءً يقول : في قولـه تعـالى ﴿ مَنْ كَانَ يَظُنُّ أَنْ لَنْ يَنْصُرَهُ اللَّـهُ ﴾ أن لن يرزقه الله ﴿ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ ﴾ أي إلى سماء بيته ، فلْينظرْ هل ينفعهُ ذلك ، أو يأتيه برزق[1] ؟

وَرَوى ابـن أبي نَجِيـح عن مُجاهـد ﴿ **مَنْ كَانَ يَظُنُّ أَنْ لَنْ يَنْصُرَهُ اللَّهُ** ﴾ قال : أي أن لن يرزقهُ اللَّهُ[2] .

قال أبو جعفر : وهذا القول أيضاً معروفٌ في اللغة ، وهو قولُ أبي عبيدة[3] .

وحكَى أهلُ اللغة أنه يُقال : أرضٌ منصورةٌ أي ممطورةٌ .

ورُوِي عن ابـن عبـاس : « مَنْ كانَ يَظُـنُّ أَنْ لَنْ يَنْصُرَ اللَّـهُ

---

(١) هذا القول ذكره الطبري ١٢٧/١٧ ، وابن كثير ٣٩٧/٥ ، والسيوطي في الـدر المنثـور ٣٤٧/٤ وهو قولٌ مرجوح .

(٢) قال الحافظ ابن كثير : وقول ابن عباس وأصحابه أولى وأظهر في المعنى ، وأبلـغ في التهكـم ، فإن المعنى : من ظنَّ أن اللَّهَ ليس بناصرٍ محمداً وكتابَه ودينَه ، فليذهبْ فليقتـلْ نفسه ، إن كان ذلك غائظه ، فإن اللَّهَ ناصرُه لا محالـة ، كما قال تعـالى ﴿ إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا والَّذيـن آمَنُوا في الحَيَاة الدُّنْيا ، ويَوْمَ يَقُومُ الأَشْهَادُ ﴾ ابن كثير ٣٩٧/٥ .

(٣) انظر مجاز القرآن لأبي عُبيدة ٤٦/٢ .

محمداً » أي يرزقَه في الدُّنيا[1] .

وقال غيرهُ : الأَوْلى أن تكون الهاءُ تعـود على النبـيِّ ﷺ ، لأن اللـه جلَّ وعـزَّ ، ذكـر قومـاً يعبدونـه على حَرْفٍ ، ثم أُتْبِـعَ ذلك هذه الآية ، في قوم يظنُّون أنَّ اللَّهَ لا يوسِّع على محمد وأمَّتِـه ، ولا يرزقُهـم في الآخرة من سَنِيِّ عطاياه ، فلْيمدد بحبلٍ إلى سماءٍ فَوْقه ، إمَّا سقفِ بيتـه أو غيرِهِ ، إذا اغتاظ لاستعجال ذلك[2] .

٢٤ ــ **قال أبو جعفر** : وقـد ذكرنـا القـول في قولـه جلَّ وعـز : ﴿ إِنَّ الَّذِيـنَ آمَنُوْا والَّذِينَ هَادُوْا ..﴾ في سورة البقرة[3] .

٢٥ ــ **وقولُه تعالى ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّـهَ يَسْجُـدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَـواتِ وَمَـنْ في الأَرْضِ ..﴾** [آية ١٧] .

قيل : السُّجودُ ههنا الطاعةُ والانقيادُ .

ومعنى قوله تعالى : ﴿ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ العَذَابُ .. ﴾ وكثيرٌ أَبى .

٢٦ ــ **ثم قال جلَّ وعـزَّ : ﴿ وَمَـنْ يُهِـنِ اللَّــهُ فَمَــا لَهُ مِنْ مُكْــرِمٍ ..﴾** [آية ١٨] .

---

(١) الأثر في الطبري ١٢٧/١٧ والدر المنثور ٣٤٧/٤ .

(٢) هذا ما رجحه ابن جرير في جامع البيان ١٢٨/١٧ .

(٣) سورة البقرة آية رقم ٦٢ ولم نجد تفسيرها لوجود سقطٍ في المخطوطة في بعض آياتٍ من السورة .

قال الفراء : وقد يُقرأ « فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرَمٍ » أي إكرام(1) .

27 ــ **ثم قال جلَّ وعزَّ : ﴿ هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوْا فِي رَبِّهِمْ .. ﴾** [آية 19] .

قد ذكرنا فيمن نزلت هذه القصَّةُ في أوَّلِ هذه السورة .

28 ــ **ثم قال جلَّ وعزَّ : ﴿ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ .. ﴾** [آية 19] .

قيل : هذا لأحدِ الخصمَيْن(2) ، وهي الفرقة الكافرة .

29 ــ **ثم قال جلَّ وعزَّ : ﴿ يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ .. ﴾** [آية 20] .

قال مجاهد : أي يُذابُ .

قال أبو جعفر : وحكى أهلُ اللُّغة : صَهَرْتُ الشَّحْمَ : أي أَذَبْتُه ، والصُّهَارَةُ : ما أُذِيبَ من الأَلْية(3) .

---

(1) انظر معاني الفراء 319/2 وهي قراءة ابن أبي عبلة كما في الألوسي 133/17 والبحر المحيط 359/6 وقد حكاه ابن جرير الطبري فقال : « وقد ذُكر عن بعضهم أنه قرأ ﴿ مِنْ مُكْرَمٍ ﴾ بمعنى فما له من إكرام ، وذلك قراءةٌ لا أستجيز القراءة بها ، لإجماع الحجة من القراء على خلافه » اهـ الطبري 131/17 قال الفراء في معاني القرآن : والمعنى ومن يُشْقِه اللَّهُ فما له من مُسْعد ، وقد تقرأ ﴿ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرَمٍ ﴾ يريد من إكرام . اهـ معاني القرآن للفراء 219/2 .

(2) الخصمان هما : فريق أهل الإيمان ، وفريق عبدة الأوثان ، وقد ذكر الشيخ أنها نزلت في ثلاثة مؤمنين ، وثلاثة كافرين في أول السورة الكريمة .

(3) في اللسان : الصَّهْرُ : إذابة الشحم ونحوه ، وفي التنزيل ﴿ يُصْهَرُ به ﴾ أي يُذاب ، واصطهره : أذابه .

٣٠ ــ وقوله جلَّ وعزَّ ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ..﴾ [آية ٢٥] .

خبرُ « إنَّ » محذوفٌ .

والمعنى : إن الذين كفروا هلكوا ، كما قال :

« إِنَّ مَحَلَّاً وَإِنَّ مُرْتَحلاً »(١)

٣١ ــ ثم قال جلَّ وعزَّ : ﴿ وَالْمَسْجِدِ الحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً العَاكِفُ فِيهِ والبَادِ ..﴾ [آية ٢٥] .

وحَكَى أبو حاتم أنَّ بعضهم قرأ ﴿ سَوَاءً ﴾ بالنَّصبِ(٢) ، « العَاكِفِ فِيهِ وَالْبَادِي » بالخفضِ ..

والمعنى : الذي جعلناه للنَّاس ، العاكِفِ والبادي(٣) .

---

(١) هذا شطر بيتٍ للأعشى وهو في ديوانه ص ٢٣٣ من قصيدة يمدح فيها « سَلَامَة ذِي فائشٍ » ومطلع القصيدة هذا الشطر :

إِنَّ مَحَلَّاً وإِنَّ مُرْتَحَلاً ... وإِنَّ في السَّفْرِ مَا مَضَى مَهَلاً

يريد : إن لنا في هذه الدنيا مقاماً ، وإن لنا عنها لمرتحلاً ، وإن الناس فيها لمسافرون يُمهلون إلى حين ، والشاهدُ فيه حذفُ خبر « إنَّ » أي إن لنا محلاً في الدنيا ومرتحلاً .

(٢) قراءة النصب هي قراءة حفص ، والأعمش ، وقرأ الجمهور بالرفع ﴿ سَوَاءٌ ﴾ قال الفراء : نَصَبَها الأعمشُ ، ورفَعَها سائرُ القراء ، وانظر النشر في القراءات العشر للجزري ٣٢٦/٢ والبحر المحيط ٣٢٦/٦ ومعاني القرآن للفراء ٢٢٢/٢ وعلى قراءة النصب يكون المعنى : الذي جعلناه للناس قبلة ومتعبداً كذا قدَّره ابن عَطيَّة .

(٣) قال القرطبي : العاكفُ : المقيم الملازم . والبادي : أهل البادية ومن يقدم عليهم ، يقول : سواء =

قال مجاهد : العَاكِفُ : النَّازِلُ ، والبادي : الجائي[1] .

وقال الحسنُ وعطاءٌ : العَاكِفُ : من كان من أهل مكة ، والبادي : من كان من غير أهلها[2] .

قال مجاهد : أي هما في تعظُّمَهما وحُرْمتِهما سَوَاءٌ[3] .

وقال عطاء : أي ليس أحدٌ أحقَّ به من أحد .

وتأوَّل عمرُ بنُ عبدِ العزيزِ الآية ، على أنه لايُكرَى بيوتُ مكة[4] .

ورُوي عن عمر بن الخطَّاب : أنه كان يَنْهي أن تُغْلق دورُ مكة في زمن الحجّ ، وأن النَّاسَ كانوا يَنْزِلون منها حيثُ وجدوه فارغاً[5] .

= في تعظيم حرمته وقضاء النسك فيه ، الحاضرُ ، والذي يأتيه من البلاد . تفسير القرطبي ٣٢/١٢ .

(١ـ٣) انظر الآثار في الطبري ١٣٨/١٧ وابن كثير ٤٠٥/٥ والدر المنثور ٣٥١/٤ .

(٤) أُخذ هذا من قوله تعالى ﴿ الَّذي جَعَلْنَاهُ للنَّاسِ سَوَاءً ﴾ على أن المراد « بالمسجد الحرام » مكةُ كلُّها شرَّفها الله ، وبهذا قال مالكٌ أنها لاتُباعُ ، ولا تُكْرى ، وكره أبو حنيفة إجارتها في أيام الموسم ، والجمهورُ على الجواز .

(٥) هذا مشهورٌ عن عمر رضي الله عنه ، فقد رُوي عنه أنه كان يقول : يا أهل مكة لاتتَّخذوا لدوركم أبواباً ، لينزلَ البادي حيثُ شاء » ذكره الحافظ ابن كثير ٤٠٦/٥ وذكر الألوسي ١٣٨/١٧ أن دور مكة كانت بغير أبواب ، حتى كثرت السَّرقةُ ، فاتخذ رجلٌ باباً فأنكر عليه عمر ، وقال : أتُغلِقُ باباً في وجهِ حاجٍّ بيتِ اللّهِ ؟ فقال : إنما أردتُ حفظَ متاعهم من السَّرقة ، فتركه عمر .
وذهب الشافعي إلى جواز بيع بيوت مكة وإجارتها ، وقد جرت بينه وبين إسحق بن راهوية =

وظاهرُ القرآنِ يدلُّ على أنَّ المراد « المسجـــدُ » كما قال جلَّ وعزَّ : ﴿ **هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوْا وَصَدُّوكُمْ عَنِ المَسْجِدِ الحَرَامِ** ﴾[1] لأنهم كانوا يمنعون منه ، ويَدَّعون أنهم أربابه ، وإنما ذكَرَ المسجدَ ولم يذكر دور النَّاسِ ومنازلَهم .

وقيل : هما في إقامة المناسك سواء .

وقيل : ليس لأحدهما فضلٌ على صاحبه .

٣٢ ـــ **ثم قال جل وعزَّ** : ﴿ **وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ** ﴾ [آية ٢٥] .

رَوَى مُرَّةُ عن عبدالله بن مسعود قال : لو أنَّ رجلاً هَمَّ بخطيئةٍ لم تُكتب عليه .. ولو همَّ بقتلِ رجلٍ بمكة وهو بـ « عَدَنَ أَبْيَن »[2] لعذَّبه اللَّهُ جلَّ وعزَّ ، ثمَّ قرأ ﴿ **وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ**

= مناظرة ـــ وكان إسحق لا يرّخصُ في كراء دور مكة ، لقوله تعالى ﴿ سَوَاءً العَاكِفُ فِيهِ والبَادِ﴾ ـــ فاحتج عليه الشافعي بقوله تعالى ﴿ الَّذِينَ أُخرِجُوا من ديارهم ﴾ فقد أضاف الدور إلى أصحابها ومالكيها ، وبقوله ﷺ « ومن دخل دار أبي سفيان فهو آمن » وبأنه قد اشترى عمر من صفوان بن أمية داراً بأربعة آلاف درهم وجعلها سجناً ، فهل اشتراها من مالكها أو غير مالكها ؟ فترك إسحق قوله للزوم الحجة .

(١) سورة الفتح آية رقم ٢٥ .

(٢) «عَدَنُ أَبْيَن» يريد عَدَنَ الساحلية البعيدة قال في معجم البلدان : وهي مدينةٌ مشهورة ، على ساحل بحر الهند من جهة اليمن ، وهي غير « عدن لاَعَة » التي بقرب صنعاء . انظر معجم البلدان ٨٩/٤ .

نُذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾(١) .

ورَوَى **هُشَيْمُ** عن الحجَّاج عن عطاء ﴿ **وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ** ﴾ قال : مَنْ عَبَد غيرَ الله جلَّ وعزَّ(٢) .

وقال **مجاهد** : من عمل بسيِّئة(٣) .

وقال **حَبيبُ** بن أبي ثابت : هم المحتكرو الطَّعامِ بمكة(٤) .

وأبينُ ما قيل فيهِ : أن معنى ﴿ **بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ** ﴾ **لكل معصية ، لأن الآية عامَّةٌ** .

قال **أبو جعفر** : أصلُ الإلحادِ في اللغةِ : الميلُ عن القصد ، ومنه سُمِّي اللَّحْدُ ، ولو كان مستوياً لقيل : ضريح . ومنه قوله سبحانه ﴿ **وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ** ﴾(٥) يقال : لَحَدَ ، وأَلْحد ، بمعنى واحد ، هذا قول أهل اللغة(٦) ، إلاَّ الأحمر فإنه حكى أنه يُقال : أَلْحدَ إذا جادل ، ولَحدَ إذا عَدَل ومَالَ(٧) .

(١ـ٤) انظر هذه الآثار كلها في جامع البيان للطبري ١٤١/١٧ والبحر المحيط ٣٦٣/٦ وابن الجوزي ٤٢٢/٥ والدر المنثور ٣٥١/٤ وابن كثير ٤٠٨/٥ .

(٥) سورة الأعراف آية رقم ١٨٠ .

(٦) قال الأزهري : لحدتُ وألحدتُ له قال تعالى ﴿ لسانُ الذي يُلْحِدونَ إليه أعجميٌّ ﴾ والملحدُ : العادلُ عن الحق ، يقال : أَلْحدَ في الدّينِ ، ولحد ﴿ يُلحدون إليه ﴾ أي يميلون . تهذيب اللغة ٤٢١/٤ وقال في كتاب الأفعال : لحد إلى الشيء ، وألحد ، ولحد في الدين ، وألحد : مال في كلّ ذلك . اهـ السرقسطي ٤١١/٢ .

(٧) انظر الصحاح للجوهري ٥٣٤/٢ .

قال سعيد بن مَسْعَدة(١) : الباء زائدة ، والمعنـى :ومن يُرد فيه إلحاداً بظلمٍ .

وهذا عند أبي العباس خطأٌ ، لأنه لا يزاد شيءٌ لغير معنى .
والقولُ عنده أن يريد ما يدلُّ على الإرادة ،

فالمعنى : ومَنْ إرادَتُه بأن يُلحِدَ بظلمٍ ، كما قال الشاعر :

أُريـــدُ لِأَنْسَى ذِكْرَهَـــا فَكَأَنَّمـــا
تَمَثَّـلُ لِي لَيْلَـى بِكُـلِّ سَبِيـلِ(٢)

وحكـى الفـرَّاءُ : عن بعض القُـرَّاء ﴿ **وَمَـنْ يَرِدْ فِيـهِ بِإِلْحَادٍ** ﴾(٣) من الورود .

وهذا بعيدٌ ، لأنـه إنما يُقـال وَرَدْتُـه ، ولا يكـاد يُقـال : وردتُ فيه .

٣٣ ــ وقوله جلَّ وعزَّ ﴿ وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ ..﴾ [آية ٢٦] .

---

(١) « سعيدُ بن مَسْعدة » المجاشعي البلخي ، المشهور بالأخفش الأوسط ، نحويٌّ لغوي ، أخذ عن سيبويه والخليل ، وانظر ترجمته في سير النبلاء ١٨٨/٧ ومعجم المؤلفين ٢٣١/٤ .

(٢) البيتُ لكُثَيِّر عَزَّة ، وانظر الأغاني ٧٥/٧ والأمالي ٦٥/٢ والمحتسب ٣٢/٢ .

(٣) انظر معاني القرآن للفراء ٢٢٣/٢ وقد ذكر هذه القراءة الطبري في تفسيره ١٤٢/١٧ وصاحب البحر ٣٦٣/٦ قال الطبري : وذُكر عن بعض القراء أنه كان يقرأ ﴿ وَمَنْ يَرِدْ ﴾ بفتح الياء من وردتُ المكانَ ، أَرِدُهُ ، ولا تجوز بها القراءة عندي لخلافها ما عليه الحجة .

يُقال : لَم جيءَ ههنا باللَّام ، وقد قال في موضع آخر ﴿ **وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ** ﴾[١] ؟

فالفرق بينهما أن أهل التفسير قالوا : المعنى : جعلنا لإبراهيم[٢] مكان البيتِ مُبَوَّأً ، أي منزِلاً .

قال أبو جعفر : ويُبيِّن لك معناه حديثٌ حدَّثناه أبو عُبيد القاضي عن الزعفراني قال : حدثنا سعيد بن منصور ، قال : حدثنا سفيانُ عن بشرِ بنِ عاصم ، عن سعيدِ بنِ المسيِّب قال : سمعتُ كعب الأحبار يقول : «كان البيتُ غُثَاءَةً[٣] على الماء ، قبل أن يخلق اللهُ الأرض بأربعين سنة ، ومنه دُحِيَتْ الأرض »[٤] .

قال سعيد : حدثنا عليُّ بن أبي طالب ، أن إبراهيم ــ نبيَّ اللَّهِ ﷺ ــ أقبل من « أرمينية » ومعه السَّكينةُ ، تدلُّه على البيت ، حتى تبوَّأ البيتَ تبوُّأً ، كما تتبوَّأ العنكبوتُ بيتاً ، فكان يحمل الحجر من الحجارة ــ الحجرُ يطيقُه أو لا يطيقُه ثلاثون رجلاً ــ قال : فقلت لسعيد : يا أبا محمد إنَّ الله جلَّ وعز يقول ﴿ **وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ**

---

(١) سورة يونس آية رقم ٩٣ .

(٢) ضمَّن « بوَّأنا » معنى جعلنا ، قال القرطبي : بوَّأْنَا نَازلةٌ منزلة فعل يتعدى باللام كنحو جعلنا أي جعلنا لإبراهيم مكان البيت مبوأ . القرطبي ٣٦/١٢ .

(٣) غُثْاءةً : الغُثَاءَةُ ما يطفو على وجه الماء ، قال الأزهري : الغُثَاءُ بالمدِّ والضمِّ : ما يجيء فوق السيل . اهـ والمعنى : كان البيت طافياً فوق وجه الماء .

(٤) الأثر ذكره الطبري في تفسيره ٥٤٨/١ وذكره السيوطي في الدر المنثور ٣٥٣/٤ بنحوه .

الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ ﴾[1] قال : إنما كان هذا بعد ذلك .

٣٤ ــ **ثم قال جلَّ وعزَّ** : ﴿ **وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ** ..﴾ [آية ٢٦] .

رَوَى هُشَيم عن عبدالملك قال : ﴿ **القائمون** ﴾ : المصلُّون .

قال قتادةُ : ﴿ **وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ** ﴾ : أهلِ الصَّلاة[2] .

٣٥ ــ **ثم قال جلَّ وعزَّ** ﴿ **وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ** ..﴾ [آية ٢٨] .

وقرأ الحسن : ﴿ **وَآذِنْ فِي النَّاسِ بِالحَجِّ** ﴾ مخفَّفة ممدودة[3] .

يُقال : آذَنْتُه بالصَّلاةِ ، وبكذا : أي أعلمتُه ، وأَذَّنْتُ على التكثير .

وقرأ ابنُ أبي إسحق ﴿ **بِالْحِجِّ** ﴾ بكسر الحاء في جميع القرآن .

قال مجاهد : فقال إبراهيم ﷺ : يارَبِّ كيف أقول ؟ قال : قلْ « يا أيُّها النَّاس أجيبوا ربَّكم ، فوقَرَتْ في قلب كلِّ مؤمنٍ ، فأجابوا

---

(١) سورة البقرة آية ١٢٧ .

(٢) الأثر أخرجه ابن جرير ١٤٣/١٧ وابن الجوزي ٤٢٣/٥ والسيوطي في الدر ٣٥٤/٤ .

(٣) هذه قراءةُ الحسن ، وابن مُحيصن ، وتصحَّف هذا على « ابن جنيٍّ » فإنه حكى عنهما « وَأَذِنَ » بالتخفيف وجعلها معطوفاً على « بوَّأنا » وهو تصحيفٌ ، وانظر المحتسب ٧٨/٢ والقرطبي ٣٧/١٢ والبحر المحيط ٣٦٤/٦ وعَدَّ ابن جني هذه القراءة ﴿ أَذِنَ ﴾ من الشواذ .

بـ « لبَّيْك اللَّهُمَّ لبَّيك » أي فأجاب من يحجُّ »[1] .

٣٦ ــ **ثم قال جلَّ وعز : ﴿ يَأْتُوْكَ رِجَالاً ..﴾** [آية ٢٨] .

قال ابن عباس : أي رَجَّالةً[2] .

وقرأ مجاهد : ﴿ يَأْتُوْكَ رُجَالاً ﴾[3] .

ورُوي عن عكرمة : يأتوك رُجَّالاً[4] .

قال أبو جعفر : يُقـال في جمع راجـل خمسةُ أوجـه : رَاجِـل ، ورُجَّـال ، مثـل راكـب ورُكَّاب ، وهـذا الـــذي رُوي عن عكرمـــة ، ورَاجِل ، ورِجَال مثل : قائِم ، وقِيام .

ويقال : راجِلٌ ، وَرَجْلَة ، ورَجْلٌ ، ورَجَّالة ، فهذه خمسة .
والذي رُوي عن مجاهـد غير معروف ، والأشبـهُ به أن يكـون غير منَّون[5] ، مثل كُسالَى وسُكَـارَى ، ولـو نُوِّنَ لكـان على « فُعَـال » وفُعال في الجمع قليلٌ .

---

(١) الأثر أخرجه ابن جرير الطبري عن سعيد بن جبير قال : « لمَّا فرغ إبراهيم من بناء البيت ، أوحى اللهُ إليه أنْ أذِّنْ في النَّاسِ بالحج ، فخرج فنادى في الناس : ياأيها الناس إن ربكم قد اتخذ بيتاً فحجُّوه ، فلم يسمعه يومَئِذٍ من إنس ولا جنّ ، ولا شجر ، ولا أكمة ، ولا جبل ، ولا شيء ، إلا قال « لبَّيك اللهم لَبَّيك » الطبري ١٧/١٤٤ .

(٢) أي مشاة على أرجلهم .

(٣) و(٤) القراءتان « رُجَالاً » و « رُجَّالاً » من القراءات الشاذة ، وانظر المحتسب ٢/٧٩ .

(٥) أي رُجَالى غير منوَّن كسُكَـارى ، وهـذه قراءةُ مجاهـد وهـي شاذة كما في المحتسب ٢/٧٩ وانظر القرطبي ١٢/٣٩ .

٣٧ ــ ثم قال جلَّ وعزَّ ﴿ وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾ [آية ٢٧] .

وقرأ أصحاب عبدالله ﴿ يَأْتُوْنَ(١) مِنْ كلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴾ .

قال عطاءٌ ومجاهدُ والضَحَّاكُ : من كل طريقٍ بعيد(٢) .

قال أبو جعفر : العُمْقُ في اللغة : البُعْدُ ، ومنه بئرٌ عميقةٌ أي بعيدة القعر ، ومنه :

« وقَاتِمِ الأَعْمَاقِ خَاوِي المُخْتَرَق »(٣)

٣٨ ــ ثم قال جل وعزَّ : ﴿ لِيَشْهَدُوْا مَنَافِعَ لَهُمْ ..﴾ [آية ٢٨] .

رَوَى عاصمٌ عن أبي رُزَيْن عن ابن عباس قال : الأَسْواق(٤) .

ورَوَى سفيانُ عن جابرٍ عن أبي جعفر ﴿ لِيَشْهَدُوْا مَنَافِعَ لَهُمْ ﴾ قال : المغفرةُ(٥) .

وقال عطاءٌ : ما يرضَى اللَّهُ من أمر الدُّنيا والآخرة(٦) .

---

(١) في المخطوطة « يأتين » وصوابه « يأتون » لأنها قراءة ابن مسعود كما في القرطبي ٣٩/١٢ وإعراب القرآن للنحاس ٣٩٩/٢ وهي قراءة ابن أبي عبلة والضحاك وهي من الشواذ ، والضمير على قراءة « يأتون » للناس ، وأمَّا على القراءة المشهورة ﴿ يَأْتِينَ ﴾ فيكون الضميرُ للإبل ، وردَّ الضمير عليها تكرمة لها ، كما قال في خيل المجاهدين ﴿ والعَادِياتِ ضَبْحاً ﴾ .

(٢) الأثر في الطبري ١٤٦/١٧ والدر المنثور ٣٥٥/٤ وتفسير ابن الجوزي ٤٢٤/٥ .

(٣) انظر شواهد ابن عقيل ٢٠/١ والشاهد فيه « أعماق » جمع عُمق ، وهو ما بَعُد من أطراف الصحراء .

(٤ ــ٦) انظر الآثار في جامع البيان للطبري ١٤٧/١٧ وتفسير ابن كثير ٤١٠/٥ وتفسير ابن الجوزي ٤٢٤/٥ والدر المنثور ٣٥٦/٤ .

قال أبو جعفـــر : قولُ جابـــر في هذا أحسنُ ، أي وأذِّن في النَّاس بالحج ، ليأتوا لعملِ الحجِّ الذي دُعُوا له ، وهو سببٌ للمغفـرة . ولـيس يأتـون من كل فجٍّ عميـقٍ ، ولا وأَذِّنْ فيهم ليتَّجـروا ، هذا بعيـدٌ جداً[1] .

٣٩ ــ ثم قال جلَّ وعـز : ﴿ وَيَذْكُـرُوا اسْمَ اللَّـهِ في أَيَّامٍ مَعْلُومَـــاتٍ ..﴾
[آية ٢٨] .

في الأيـام المعلومـات اختـلافٌ ، ولا نعلـــم في المعــــدودات اختلافاً .

رَوَى ابـــنُ أبي لَيْلَـــى عن المنهال بن عمــــرٍو ، عن زرِّ بنِ حُبَيْشٍ ، عن عليِّ بنِ أبي طالب ، قال : الأيامُ المعلوماتُ : يومُ النحـر ، ويومان بعده ، إذبحْ في أيِّها شئتَ ، وأفضلُها أوَّلُها[2] .

وهذا المعروف من قول ابن عمر ، وهو قولُ أهل المدينة[3] .

ورَوَى هُشَيم عن أبي بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال :

---

(١) لام التعليـل ﴿ لِيَشْهَـدُوا ﴾ متعلقـة بقولـه ﴿ وأَذِّنْ في النَّـاسِ ﴾ لا بقولـه ﴿ يَأْتِيـنَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴾ والعلَّةُ هي شهود منافع الحج ، لا التجارة ، هذا مراد الشيخ رحمه الله .

(٢) الأثر أخرجه السيوطي في الدر المنثور ٤/٣٥٦ .

(٣) يشير إلى قوله تعالى ﴿ واذْكُروا اللَّهَ في أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ ﴾ البقرة آية ٢٠٣ فهي يوم النحـر ويومـان بعده .

« **الأيامُ المعلوماتُ** » : العشر يوم النحر منها[1] .

و « **الأيامُ المعدوداتُ** » أيامُ التشريق[2] إلى آخر النَّفرِ .

وقال بهذا القول عطاءٌ ، ومجاهد ، وإبراهيم ، والضحاك ، وهو قول أهل الكوفة .

٤٠ ــ **وقوله جلَّ وعز : ﴿ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا البَائِسَ الْفَقِيرَ ﴾** [آية ٢٨] .

قال عطاءٌ ومجاهد : إن شئتَ فكُلْ ، وإن شئتَ فلا تأكل[3] .

قال أبو جعفر : وهذا عند أهل اللغة على الإباحة ، كما قال سبحانه **﴿ وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا ﴾**[4] .

فإن قيل : الإباحةُ لا تكون إلَّا بعد حَظْرٍ ، فكيف يكون ههنا إباحةٌ ، وليس في الكلام حظْرٌ ؟

فالجواب أنهم كانوا في الجاهلية ، يحظُرون أكل لحوم الضحايا ،

---

(١) هي العشر من ذي الحجة ، من أولها إلى يوم النحر ، وهي الأيامُ المباركة التي أقسم الله تعالى بها في قوله سبحانه ﴿ والفجرِ وليَالٍ عشر ﴾ .

(٢) أيام التشريق هي الثاني والثالث والرابع من أيام الأضحى المبارك ، سميت « أيام التشريق » لأنهم يجفِّفون لحوم الأضاحي في هذه الأيام .

(٣) الأثر في الطبري ١٤٨/١٧ وابن كثير ٤١٢/٥ والدر المنثور ٣٥٦/٤ .

(٤) سورة المائدة آية رقم ٢ .

فأعلَمهم اللَّهُ جلَّ وعزَّ أنَّ ذلك مباحٌ لهم[1] .

قال مجاهد : ﴿ **البَائِسُ** ﴾ الذي إذا سأَلك مدَّ يدَه[2] .

قال أبو جعفر : البائسُ في اللغة : الذي به البـؤسُ وهـو شدة الفقر .

٤١ ــ **وقوله جلَّ وعز** : ﴿ **ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ** ﴾ [آية ٢٩] .

حدثنا أحمدُ بنُ محمد بن منصور الحاسب ، قال : حدثنا الحكم بن موسى ، قال : حدثنا عيسى بن يونس ، قال : حدثنا عبدالملك بن أبي سليمان ، عن عطاء ، عن ابن عباس قال : التَّفَثُ : الحلقُ ، والتقصيرُ ، والرميُ ، والذبحُ ، والأخذُ من الشاربِ ، واللحيةِ ، ونتفُ الإبط ، وقصُّ الأظفار[3] .

وكذلك هو عند جميع أهل التفسير ، أي الخروج من الإحرام إلى الحلِّ ، لا يعرفه أهلُ اللغة إلَّا من التفسير .

٤٢ ــ **وقولُه جلَّ وعز** : ﴿ **وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ** .. ﴾ [آية ٢٩] .

قال مجاهد : الحجُّ ، والهَدْيُ ، وكلُّ ما يلزمُ الإنسانَ من أمر الحجّ[4] .

---

(١) هذا على الإباحة كما قال النحاس ، فالصيد حرام على المحرم ، فإذا تحلَّل من إحرامه حلَّ له الصيدُ ، وليس الأمر هنا للوجوب كما نبَّه عليه المصنف .

(٢)و(٣) انظر الأثرين في الطبري ١٤٩/١٧ والدر المنثور ٣٥٧/٤ .

(٤) إنما سميت أفعال الحج نذراً ، لأن النذر هو ما أوجبه الإنسان على نفسه من الطاعات ، فحين=

قال أبو جعفر : الذي قاله مجاهدٌ معروفٌ ، يُقال لكل ما وجب على الإنسان : نذرٌ .

فالمعنى : ولْيوفوا ما وجب عليهم من أمر الحجِّ .

٤٣ ــ **ثم قال سبحانه ﴿ وَلْيَطَّوَّفُوْا بِالبَيْتِ العَتِيقِ﴾** [آية ٢٩] .

قال مجاهدٌ والضحَّاكُ : هو الطَّوافُ الواجبُ يوم النحر(١) .

ورَوَى روْحُ بن عُبادةَ ، عن صالح بنِ أبي الأخضر ، عن الزهري ، أن النبيَّ صلَّى الله عليه وسلَّم قال : « إنما سُمِّي البيتُ العتيق ، لأن الله جل وعزَّ أعتقهُ من الجبابرة ، فلم يغلب عليه جبَّارٌ قطُّ »(٢) .

ورواه أبو داود الطيالسي عن صالح ، عن الزهري ، عن سعيد بن المسيب ، وأبي سَلَمة ، عن أبي هريرة ، غير مرفوع .

وقال الحسن : سُمِّي العتيقُ لِقِدَمِهِ .

= ينوي الحجَّ ويُحرم به ، فكأنه نذر على نفسه الإتيان بكل تلك الواجبات ، والأثر أخرجه ابن جرير ١٥١/١٧ والسيوطي في الدر ٣٥٧/٤ .

(١) هذا الطواف هو طواف الركن ويكون بعد النزول من عرفة ، وبدونه لايصح الحج ، وانظر الأثر في الطبري ١٥٢/١٧ وابن كثير ٤١٣/٥ والدر ٣٥٧/٤ .

(٢) الحديث أخرجه الترمذي مرفوعاً ٣٠٤/٥ بلفظ : « إنما سُمَّي البيت العتيق لأنه لم يظهر عليه جبَّار » قال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح ، قال : وقد روي عن الزهري مرسلاً ٣٢٢/٥ . وانظر القرطبي ٥٢/١٢ والدر المنثور ٣٥٧/٤ والطبري ١٥٢/١٧ .

وحُجَّتُه قولُه تعالى ﴿ إنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ للنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ ﴾(١) .

٤٤ ــ **وقولُه جلَّ وعز : ﴿ ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ .. ﴾** [آية ٣٠] .

قال مجاهد : الحجُّ والعمرةُ(٢) .

وقال عطاء : المعاصي(٣) .

قال أبو جعفر : القولان يرجعان إلى شيءٍ واحدٍ ، إلَّا أنَّ حرماتِ اللَّهِ جلَّ وعزَّ ، ما فرضه ، وأَمَرَ بِهِ ، ونَهَى عنه ، فلا ينبغي أن يُتجاوز ، كأنه الذي يَحْرمُ تركهُ(٤) .

٤٥ ــ **وقولُه جلَّ وعز : ﴿ وَأُحِلَّتْ لَكُمُ الأَنْعَامُ إلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ .. ﴾** [آية ٣٠] .

قيل : الصَّيْدُ للمحرم .

---

(١) سورة آل عمران آية ٩٦ .

(٢ــ٣) انظر الآثار في الطبري ١٥٣/١٧ وابن كثير ٤١٥/٥ والدر المنثور ٣٥٨/٤ .

(٤) قال القرطبي : الحرماتُ المقصودة ههنا : هي أفعالُ الحجِّ ، ويدخل في ذلك تعظيم المواضع ، كما قاله ابن زيدٍ ، وغيرُه . اهـ القرطبي ٥٤/١٢ .

وقال الطبري ١٥٣/١٧ : قال ابن زيد : الحرماتُ : المشعرُ الحرامُ ، والبيتُ الحرام ، والمسجدُ الحرامُ ، والبلدُ الحرامُ ، هؤلاء الحرمات .

ورَوَى **معمر عن قتـادة قال** : الميتـةُ ، ومـا لم يذكـر اسمُ اللّـه عليه .

وقـال غيره : هو ما يُتلى في سورة المائـدة من قولـه جلَّ وعــز **﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ المَيْتَةُ والدَّمُ ولَحْمُ الخِنْزِيرِ .. ﴾** إلى قولـه **﴿ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا ماذَكَّيْتُمْ ﴾**[1] .

قال أبو جعفر : وقـولُ قتـادة جامـعٌ لهذا ، لأن هذه المحرَّمـاتِ أصنافُ الميتة .

٤٦ ــ **ثم قال تعالى ﴿ فَاجْتَنِبُوْا الرِّجْسَ مِنَ الأَوْثَانِ ..﴾** [آية ٣٠] .

الرِّجْسُ : النَّتْنُ[2] .

و « مِنْ » ههنا لبيان الجنس ، أي الذي هو وَثَنٌ .

٤٧ ــ **ثم قال جلَّ وعزَّ ﴿ وَاجْتَنِبُوْا قَوْلَ الزُّوْرِ﴾** [آية ٣٠] .

قال عبدالله بن مسعـود : عَدَلَ اللّـهُ عزَّ وجـلَّ شهـادة الـزُّور بالشِّرْكِ ، ثم تلا هذه الآية[3] .

وقال مجاهد : الزُّورُ : الكذبُ[4] .

وقيل : الشركُ .

---

(١) سورة المائدة آية رقم ٣ .

(٢) المعنى : اجتنبوا عبادة الأوْثانِ ، التي هي رجسٌ ، ونتنٌ ، وقذر .

(٣)و(٤) الأثـران أخرجهمـا ابـن جريـر ١٧/١٥٤ وابـن الجوزي ٥/٤٢٩ وابـن ثير ٥/٤١٥ والحديث أخرجه أحمد في المسند ٤/٣٢١ .

والمعاني متقاربةٌ ، وكلُّ كذبٍ زورٌ ، وأعظمُ ذلكَ الشِّركُ .

والذي يوجب حقيقة المعنى : لا تُحرِّموا ما كان أهلُ الأوثانِ يُحَرِّمونه ، من قولهم ﴿ مَا فِي بُطُونِ هَٰذِهِ الأَنْعَامِ خَالِصَةٌ لِذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَى أَزْوَاجِنَا ﴾(١) ومن تحريم السائبة ، وما أشبه ذلك من الزُّور ، كما قال تعالى ﴿ افْتِرَاءً عَلَى اللَّهِ ﴾(٢) .

٤٨ ــ ثم قال جلَّ وعزَّ : ﴿ حُنَفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ .. ﴾ [آية ٣١] .

قال مجاهد : أي متَّبعين(٣) .

٤٩ ــ ثم قال جلَّ وعزَّ : ﴿ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ .. ﴾ [آية ٣١] .

أي هو في البعد من الحقِّ كذي(٤) .

---

(١) سورة الأنعام آية رقم ١٣٩ .

(٢) سورة الأنعام آية رقم ١٤٠ .

(٣) الأثر في الطبري بمعناه ١٧/١٥٥ وهو تفسير قوله ﴿ حُنَفَاءَ لِلَّهِ ﴾ قال الطبري : أي مستقيمين للَّهِ على إخلاص التوحيد له ، وإفراد الطاعة والعبادة له ، خالصاً دون الأوثان والأصنام . اهـ .
وقال القرطبي ١٢/٥٥ : أي مستقيمين ، أو مسلمين مائلين إلى الحقّ .
وقال الحافظ ابن كثير ٥/٤١٦ : أي مخلصين له الدين ، منحرفين عن الباطل قصداً إلى الحقّ . اهـ .

(٤) هذا من أروع صور التشبيه فقد شبَّه تعالى أمر المشرك ، بمن هوى من أعماق السماء ، فتمزَّق مِزعاً مِزَعاً ، وتخطفته الطيورُ فابتلعته ، وهكذا شأن الكافر الذي سقط من أوج الإيمان إلى حضيض الكفر والعصيان .

يُقال : خَطِفَه يَخْطَفُه ، واختطَفَه يختطِفُه : إذا أخَذَه بسرعةٍ .

٥٠ ــ **ثم قال جلَّ وعز ﴿ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴾** [آية ٣١] .

قال مجاهد : أي بعيد[١] .

٥١ ــ **وقوله جلَّ وعز ﴿ ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ .. ﴾** [آية ٣٢] .

قال مجاهد عن ابن عباس : هو تسمينُ البُدْنِ ، وتعظيمُها ، وتحسينُها[٢] .

وقال غيره : ﴿ **شَعَائِرُ اللَّهِ** ﴾ : رميُ الجمار ، وما أشبه ذلك من مناسك الحجِّ[٣] .

قال أبو جعفر : وهذا لايمتنعُ ، وهو مذهبُ مالكِ بنِ أنس ، أنَّ المنفعة بعرفةَ ، إلى أن يطلع الفجر من يومِ النحر ، وفي المشعر الحرام ، إلى أن تطلع الشمس ، وفي رمي الجمار ، إلى انقضاء أيام منى ، وهذه كلُّها شعائر ، والمنفعةُ فيها إلى وقتٍ معلوم ﴿ **ثُمَّ مَحِلُّهَا** ﴾ كلُّها ﴿ **إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ** ﴾ فإذا طَافَ الحاجُّ بعد هذه المشاعر بالبيت العتيق ، فقد حلَّ .

(١ــ٣) انظر هذه الآثار والأقوال في الطبري ١٧/١٥٥ وابن كثير ٥/٤١٦ والدر المنثور ٤/٣٥٩ .

وواحد « الشعائر » شعيرة[1] ، لأنها أُشعرت أي جُعلت فيها علامةٌ تدلُّ على أنها هدْيٌ .

ثم قال تعالى ﴿ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوْبِ ﴾ أي فإنَّ الفَعْلة[2] .

٥٢ ـ وقولُه جلَّ وعزَّ : ﴿ لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى .. ﴾ [آية ٣٣] .

قال أبو جعفر : في هذا قولان غيرُ قول مالك .

أحدهما : أن « عروة » قال : هي البُدْنُ المقلَّدة يركبها ويشرب من ألبانها[3] .

والثاني : قال مجاهد : هي البُدْنُ من قبل أن تُقلَّد ، ينتفع بركوبها ، وأوبارها ، وألبانها ، وإذا صارت هدياً لم يكن له أن يركبها إلَّا من ضرورةٍ[4] .

قال أبو جعفر : وقولُ مجاهد عند قومٍ أَوْلَى ، لأن الأجل

---

(١) قال القرطبي ٥٦/١٢ : الشعائر جمعُ شعيرة ، وهو كل شيءٍ للَّهِ تعالى فيه أمرٌ ، أشعر به وأعْلَمَ ، ومنه شِعَارُ القوم في الحرب ، أي علامتُهم التي يتعارفون بها ، فشعائرُ اللَّه . أَعْلامُ دينه ، لاسيما ما يتعلق بالمناسك . اهـ الجامع لأحكام القرآن .

(٢) هذا قول الفراء في معانيه ٢٢٥/٢ قال : ولو قيل : فإنه من تقوى القلوب كان جائزاً .

(٣) و(٤) انظر الطبري ١٥٧/١٧ والدر المنثور ٣٥٩/٤ .

المسمَّى عنده أن تُجعَل هدياً وتُقلَّد ، والأجلُ المسمَّى ليس موجوداً في قولِ عُروةَ .

وقد احتجَّ من قال بقولِ عُروةَ بقول النبي ﷺ (اركبْها وَيْلكَ)[1] .

واحتجَّ عليه بأنه لم يقل له : وهل يحرم ركوبُ البُدْنِ ؟

ولعلَّ ذلك من ضرورةٍ ، ويُبيِّن هذا حديثُ ابن جريجٍ عن أبي الزُّبيْرِ عن جابر عن النبي ﷺ : « اركبُوا الهَدْيَ بالمعروفِ حتَّى تجدُوا ظَهْرَاً »[2] .

٥٣ ــ وقولُه جلَّ وعز : ﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكاً .. ﴾ [آية ٣٤] .

رَوَى سفيانُ عن أبيهِ عنْ عكِرمةَ قال : مذبحاً[3] .

ورَوَى علي بن أبي طلحة عن ابن عباس يقول : عيداً[4] .

قال أبو إسحق : المَنْسِكُ : موضعُ الذَّبح ، والمَنْسَكُ المصدرُ[5] .

---

(١) الحديث في الصحيحين « أن رسول الله ﷺ رأى رجلاً يسوق بدنةً ، قال : اركبْها ، قال : إنَّها بدنةٌ ، قال : « اركبها ويْلَكَ » في الثانية ، أو الثالثة » اهـ البخاري ٢/٢٠٥ ومسلم ٤/٩١ .

(٢) الحديث رواه مسلم رقم ٣٧٦ بلفظ (اركبْها بالمعروف حتَّى تجد ظهراً) وانظر التاج ٢/٢٧٠ .

(٣)و(٤) انظر الآثار في تفسير الطبري ١٧/١٦١ وابن كثير ٥/٤٢٠ والدر المنثور ٤/٣٦٠ .

(٥) المنْسَك : موضع النُّسُك ، وقد فسَّره مجاهد بالذبح ، وإراقة الدماء على وجه التقرب إلى الله عزَّ =

٥٤ ـــ **ثم قال تعالى** ﴿ وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ﴾ [آية ٣٤] .

رَوَى سفيانُ عن ابنِ أبي نجيح عن مجاهد قال : المخبتون : المطمئنّون بأمر الله جلَّ وعز[١] .

وقال عمرو بن أوس[٢] : المخبتون الذين لايَظْلمون ، وإذا ظُلموا لم ينتصروا[٣] .

قال أبو جعفر : وأصلُ هذا من الخَبْت ، وهو ما اطمأنَّ من الأرض[٤] .

٥٥ ـــ **وقولُه جلَّ وعزَّ** : ﴿ وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ ..﴾ [آية ٣٦] .

= وجل ، واشتهر في أفعال الحج ، وروي عن ابن عباس أنه قال : منسكاً أي عيداً ، والأظهر ما قاله مجاهد لقوله تعالى ﴿ لِيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ علىٰ مَارَزَقَهُم مِنْ بَهِيمَةِ الأَنْعَامِ ﴾ فهو الأوفق بظاهر الآية ، أي شرع لكل أهل دينٍ أن يذبحوا له تعالى على وجه التقرب .

(١) الأثر أخرجه ابن جرير ١٧/١٦١ والسيوطي في الدر ٤/٣٦٠ .

(٢) هو عمرو بن أوس بن أبي أوس ، واسمه حذيفة الثقفي ، ذكره ابن حبان في الثقات ، توفي سنة ٧٥ هـ وانظر ترجمته في التهذيب ٨/٦ .

(٣) الأثر في الطبري ١٧/١٦١ وابن كثير ٥/٤٢١ والألوسي ١٧/١٥٥ .

(٤) قال السَّرقسطي في كتاب الأفعال : أخبتَ للّٰه : تواضع ، وأخبْتَ نَزَلَ الخَبْتَ ، وهو المطمئنُّ من الأرض . اهـ كتاب الأفعال ١/٥٠٧ .

ومعنى الآية : بشر يا محمد المتواضعين الخاشعين من المؤمنين بالثواب الجزيل ، ويدل عليه قوله بعده ﴿ الَّذِين إذا ذُكِرَ اللَّهُ وجِلَتْ قُلوبُهُمْ ﴾ .

وقرأ ابنُ أبي إسحق : ﴿ والبُدُنَ ﴾[1] والمعنى واحد .

قال مجاهد : قيل لها بُدْنٌ : للبَدَانةِ .

قال أبو جعفر : البَدَانةُ : السِّمَنُ ، يُقال : بَدُن إذا سَمِن ، وبَدَّنَ إذا أَسَنَّ ، فقيل لها بُدْنٌ لأنها تُسمَّنُ .

٥٦ ــ وقولُه جلَّ وعزَّ : ﴿ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ .. ﴾ [آية ٣٦] .

قال إبراهيم : يركب إذا احتاجَ ، ويشربُ من اللَّبنِ[2] .

وقيل : خيرٌ في الآخرة .. وذا أَوْلى لأنه لو كان للدنيا ، كان أَلَّا يجعلها بدنةً خيراً له .

٥٧ ــ وقولُه جلَّ وعزَّ : ﴿ فَاذْكُرُوْا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافَّ .. ﴾[3] [آية ٣٦] .

وقرأ عبدُ اللَّهِ بن مسعود : ﴿ صَوَافِنَ ﴾[4] .

---

(١) قال القرطبي ٦٠/١٢ : هما لغتان يقال : بُدْنٌ ، وبُدُنٌ جمع بَدَنة ، كما يقال : خَشَبَة ، وخُشُب ، وخُشْب .

(٢) الأثر أخرجه الطبري ١٦٣/١٧ والسيوطي في الدر ٣٦١/٤ .

(٣) « صوافَّ » هذه قراءة الجمهور جمع صافَّة ، من صَفَّ يَصُفُّ ، والمعنى : انحروها على اسم الله قائمة قد صُفَّتَ قوائمها .

(٤) هذه قراءة شاذة وليست من السبع « صوافن » جمعُ صافنة ، وهي التي عقلت إحدى قوائمها ووقفت على ثلاث ، انظر الألوسي ١٥٦/١٧ والمحتسب في شواذ القراءات ٨١/٢ .

وقرأ الحسنُ وزيدُ بنُ أَسْلَمَ والأعرج : صَوَافي[1] .

رَوَى نافعٌ عن ابنِ عمر ﴿ فَاذْكُرُوْا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافَّ ﴾ قال : قياماً مصفوفة[2] .

ورَوَى أبو ظبيان عن ابن عباس **﴿ فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا ﴾** قال : « بسم اللَّهِ ، واللَّهِ أكبرُ ، اللهمَّ منك ولك »[3] .

قال : و« صَوَافِن » قائمة على ثلاث .

قال قتادة : معقولة اليد اليمنى[4] .

قال الحسن وزيدُ بنُ أسلم : **﴿ صَوَافِيَ ﴾** أي خالصة للَّهِ من الشرك[5] !

قال أبو جعفر : **﴿ صَوَافَّ ﴾** جمع صافَّة ، وصافَّةٌ : مصفوفة ومصطفَّةٌ بمعنى واحد .

و « صَوَافِنَ » جمع صافنة ، يُقال للقائم : صافِنٌ ، ويُستعمل لما قام على ثلاث .

---

(١) هذه القراءة شاذة أيضاً ، وانظر المحتسب ٨١/٢ والقرطبي ٦١/١٢ والألوسي ١٥٦/١٧ قال القرطبي : (صوافي) أي خوالص لله عزَّ وجلَّ ، لايشركون به في التسمية عند نحرها أحداً .

(٢ـ٥) انظر جميع هذه الآثار في جامع البيان للطبري ١٦٤/١٧ وابن كثير ٤٢٤/٥ والدر المنثور ٣٦٢/٤ .

و « صَوَافِـيَ » جمع صافٍ وهـو الخالص ، أي لا تذكـروا عليها غير اسم اللّهِ جلَّ وعزَّ ، حتى تكون التسميةُ خالصةً للّه جلَّ وعزَّ[1] .

٥٨ ــ **ثم قال جلَّ وعزَّ : ﴿ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا ..﴾** [آية ٣٦] .

قال مجاهد : أي خرَّتْ إلى الأرض[2] .

٥٩ ــ **ثم قال جلَّ وعـز : ﴿ فَكُلُوا مِنْهـا وَأَطْعِمُـوا القَانِـعَ وَالمُعْتَــرَّ ..﴾** [آية ٣٦] .

قال أبو جعفـر : أحسنُ ما قيـل في هذا ــ وهـو الصحيـحُ في اللغة ــ أنَّ ابن عباس ، وسعيد بن جُبير ، والحسن قالوا :

﴿ **القَانِعُ** ﴾ الذي يَسْأَلُ .

و﴿ **المُعْتَرُّ** ﴾ الذي يتعرَّضُ ولا يَسأل[3] .

وقـال مالك بن أنس : أحسنُ ما سمعتُ ، أن « القانـع » هو الفقير ، وأن « المُعْتَرَّ » هو الزائر[4] .

---

(١) قال ابن جرير رحمه الله ١٦٣/١٧ : واختلفت القُـرَّاءُ في قراءة ذلك ، فقرأتـه عامَّـةُ قُرَّاءِ الأمصار « صَوَافَّ » بمعنـى مصطفَّـةً قد صُفَّتْ بين أيـديها وقُـرىء « صوافـيَ » باليـاء منصوبـة ، بمعنـى خالصة للّهِ ، لاشريك له فيها ، وقرأ بعضهم « صَوَافٍ » مثل عَوَارٍ ، ورُوى عن ابن مسعـود أنـه قرأه « صَوَافِـنَّ » بمعنـى معقَّلـة ، والصوابُ عنـدي قراءةُ من قرأه ﴿ صَوَافَّ ﴾ بتشديـد الفـــاء ونصبها ، لإجماع الحجة من القرّاء عليه . اهـ الطبري .

(٢) المراد كما قال ابن عباس : نُحِرتْ وسقـطتْ ميِّتـةً على الأرض ، والأثـر أخرجـه الـطبري في جامـع البيان ١٦٦/١٧ والسيوطي في الدر المنثور ٣٦٢/٤ .

(٣)و(٤) انظر الآثار في الطبري ١٦٧/١٧ وابن كثير ٤٤٥/٥ والدر المنثور ٣٦٣/٤ .

وقال أبو جعفر : يُقال : قَنَعَ الرجلُ ، يقنع قنوعاً فهو قانـع ، إذا سأل ، وأنشد أهل اللغة :

لَمَـــالُ المَـــرْءِ يُصْلِحُـــهُ فيُغْنِـــي
مَفَاقِـــرَهُ أَعَـــفُّ مِنَ القُنُـــوْعِ[1]

ورُوي عن أبي رجاء أنه قرأ ﴿ **وَأَطْعِمُوا القَنِعَ** ﴾ .

ومعنـى هذا مخالـفٌ للأول ، يُقـال : قَنِـع الرَّجـلُ إذا رضيَ فهـو قَنِعٌ[2] .

ورُوِىَ عن الحسنِ أنـه قرأ ﴿ والمُعْتَـرِي ﴾[3] معناه كمعنى المعترّ ، يقال : اعتَرَّهُ ، واعتَرَاهُ ، وعرَّهُ ، وعَـرَاه : إذا تَعَّـرض لما عنـده ، أو طَلَبه .

٦٠ ــ وقولُه جلَّ وعـزَّ : ﴿ لَنْ يَنَـالَ اللَّـــهَ لُحُومُهَـــا وَلَا دِمَاؤُهَـــا .. ﴾ [آية ٣٧] .

---

(١) البيت للشمَّاخ من ديوانه ص٢٢١ والمراد بالمفاقر : وجـوه الفقـر ، واستشهـد به المؤلـف على أن « القُنوع » بمعنى السؤال ، والقانع هو السائل ،
والمعنى : إن مال الإنسان الذي يكسبه من عرق جبينه ، ويدفع عنه وجوه الفقـر ، خيـرٌ له من مسألة الناس ، وانظر تفسير ابن كثير ٤٢٥/٥ والقرطبي ٦٤/١٢ .

(٢) القَنِعُ بوزن الحَذِر ، معناه : الراضي ، وهذه ليست من القراءات السبع ، وإنما هي من الشواذّ ، كما في المحتسب في شواذ القراءات ٨٢/٢ وانظر روح المعاني ١٥٧/١٧ والقرطبي ٦٤/١٢ .

(٣) هذه من القراءات الشاذة كما ذكرها ابن جني في المحتسب ٨٢/٢ .

يُرْوَى عن ابن عباس ، أنهم كانوا في الجاهلية يَنْضحُون بدماءِ البُدْن ما حولَ البيْتِ ، فأراد المسلمون أن يَفعلوا ذلك ، فأنزل اللَّه جلَّ وعزَّ هذه الآية[1] .

قال إبراهيم في قوله ﴿ وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنْكُمْ .. ﴾ قال : التقوى ما أُريد به وجهُ الله عزَّ وجل[2] .

٦١ ــ **وقولُه جلَّ وعزَّ : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا .. ﴾** [آية ٣٨] .

وَعَدَهم جلَّ وعزَّ النَّصر ، ثم أخبرهُمْ أنَّه لايحبُّ من ذَكَر غير اسمِهِ على الذبيحة ، فقال : **﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ ﴾** .

و **﴿ خَوَّان ﴾** فعَّال[3] من الخيانة .

---

(١) الأثر في تفسير القرطبي ٦٥/١٢ وفي ابن كثير ٤٢٨/٥ وفي الدر المنثور ٣٦٣/٤ .

(٢) انظر تفسير الطبري ١٧٠/١٧ وقال القرطبي ١٥/١٢ : أي لن يصلَ إلى الله لحومُها ولا دماؤُها ، ولكن يصلُ إليه التَّقْوى منكم ، وهو ما أُريدَ بهِ وجهُهُ فذلكَ الذي يَقْبله ويُرفع إليه ، ويَسْمعه ويُثيبُ عليه .

(٣) ﴿ خوَّان ﴾ على وزن « فعال » من صيغ المبالغة كما قال ابن مالك :

فَعَّالٌ أو مِفْعَالٌ أو فَعُولُ   في كثرةٍ عن فاعِلٍ بَديلُ
فيستحقُّ مَالَهُ مِنْ عَمَلِ   وفي « فعيلٍ » قلَّ ذا و« فَعِلِ »

٦٢ ـ ثم قال جلَّ وعز ﴿ أُذِنَ لِلَّذِيـنَ يُقَاتَلُـوْنَ بِأَنَّهُـمُ ظُلِمُـوْا ..﴾ [آية ٣٩] .

في الكلام حذفٌ[١] .

والمعنى : أُذِن للَّذينَ يُقاتَلُون أن يُقاتِلُوا .

ورَوَى الأعمش عن مُسْلم البَطِين عن سعيد بن جُبير أنه قرأ « أَذِنَ » بفتح الهمزة ، « يُقَاتِلُوْنَ » بكسر التاء ، وقال : هي أوَّل آيةٍ نزلت في القتال ، لمَّا أُخرج النبي ﷺ من مكة[٢] .

٦٣ ـ وقوله جلَّ وعزَّ : ﴿ الَّذِينَ أُخْرِجُوْا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْـرِ حَقٍّ ..﴾ [آية ٤٠] .

رَوَى عليُّ بن الحَكَم عن الضحَّاك قال : هو النبيُّ ﷺ ومن خرجَ معهُ من مكَّة .

---

(١) قال القرطبي : في الآية إضمار أي أُذن للذين يَصْلُحون للقتال في القتال ، فحذف لدلالة الكلام على المحذوف . اهـ القرطبي ١٢/٦٨ .

(٢) هذه الآية ناسخة لكل ما في القرآن من آيات الإعراض ، والترك والصفح ، وهي أول آيةٍ نزلت في القتال ، قال ابن عباس وابن جبير : « نزلت عند هجرة رسول الله ﷺ إلى المدينة المنورة » وروى الترمذي عن ابن عباس أنه قال : « لما أُخرج النبي ﷺ من مكة ، قال أبو بكر : أخرجوا نبيَّهم لَيَهْلِكُنَّ فأنزل الله تعالى ﴿ أُذِنَ للَّذينَ يُقَاتَلون بأنَّهم ظُلِمُوا .. ﴾ فقال أبو بكر : لقد علمتُ أنه سيكون قتال » قال الترمذي : هذا حديث حسن . وقد روى غير واحد عن سفيان عن الأعمش عن « مُسْلم البَطِين » عن سعيد بن جبير مرسلاً ، وليس فيه عن ابن عباس . وانظر تفسير القرطبي ١٢/٦٨ .

٦٤ ـ ثم قال جلَّ وعزَّ : ﴿ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ ..﴾ [آية ٤٠] .

هذا عند « سيبويْه » استثناءٌ ليس من الأول[١] .

وقال غيرهُ : المعنى إلَّا بأن يقولوا ربُّنا اللَّهُ على البدل .

٦٥ ـ **ثم قال جلَّ وعزَّ : ﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ ، لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ ، وَبِيَعٌ ، وَصَلَوَاتٌ ، وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيراً ..﴾** [آية ٤٠] .

حدَّثنا سعيدُ بن موسى بـ « قَرْقِيسْيَاءَ »[٢] قال : حدثنا مَخْلَدُ بنُ مالكٍ ، عن محمد بن سَلَمة ، عن خُصَيف قال :

أمَّا « الصَّوَامِعُ » فصوامعُ الرُّهبان .

وأمَّا « البِيَعُ » فكنائس النَّصارى[٣] .

---

(١) يريد الشيخ أنه استثناء منقطع يقدَّر بـ « لَكِنْ » أي لكنْ أُخرجوا لقولهم ربنا الله وانظر البحر المحيط ٣٧٤/٦ والقرطبي ٦٩/١٢ .

(٢) « قرقيسياء » : بلدة على نهر الخابور عند مصب الخابور في الفرات ، كذا في معجم البلدان ٣٢٨/٤ .

(٣) هذا ما ذهب إليه بعضُ المفسرين أن « الصوامعَ » للرهبان ، و« البِيَعَ » للنصارى جمع بيعَة وهي الكنيسة و« الصلوات » لليهود ، و« المساجد » للمسلمين ، وذكر الطبري ١٧٥/١٧ عن مجاهد وابن زيد أن « البيعَ » كنائس اليهود ، والصلوات كنائس النصارى ، أقول : لعلَّ هذا القول أرجح ، لأن الله تعالى ذكر أماكن العبادة مرتَّبة ، فبدأ بالرهبان ثم باليهود ، ثم بالنصارى ، ثم بالمسلمين ، ولو لم يراع هذا الترتيب ، لبدأ بمساجد المسلمين ، لأنها هي المعابد الحقة ، فتنبه والله يرعاك .

وأمَّا « الصَّلَواتُ » فكنائس اليهود .

وأمَّا « المساجدْ » فمساجد المسلمين .

قال أبو جعفر : والمعنى على هذا : لولا أنَّ اللّه جلَّ وعزَّ يدفع بعض النَّاس ببعض ، لهُدِّم في وقتِ كلِّ نبيّ ، المصلَّياتُ التي يُصلَّى فيها[1] .

وقيل ﴿ **يُذْكَرُ فيها اسْمُ اللّهِ كَثِيراً** ﴾ راجعٌ إلى المساجد خاصة ، هذا قولُ قتادة[2] .

فأمَّا قوله ﴿ **وَصَلَواتٌ** ﴾ والصَّلوات لاتُهدم ففيه ثلاثة أقوال :

قال الحسن : « هدمُها » : تركُها .

قال الأخفش : هو على إضمار أي وتُركتْ صَلَواتٌ[3] .

---

(١) قال الإمام القرطبي ٧٠/١٢ في تفسير هذه الآية ﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاس بَعْضَهم ببعضٍ ﴾ أي لولا ما شرعه الله تعالى للأنبياء والمؤمنين من قتال الأعداء ، لاستولى أهل الشرك وعطّلوا ما بَنَتْهُ أربابُ الديانات ، من مواضع العبادات ، ولكنه دفع شرهم بأن أوجب القتال ، ليتفرَّغ أهل الدين للعبادة ، فالجهاد أمرٌ متقدمٌ في الأمم ، وبه صلحت الشرائع ، واجتمعت المتعبَّدات ، فكأنه قال : أُذن في القتال فليقاتلْ المؤمنون ، فمن استبشع من النصارى والصابئين الجهاد فهو مناقضٌ لمذهبه ، إذ لولا القتالُ لما بقي الدينُ الذي يُذبُّ عنه .. اهـ .

(٢) انظر الطبري ١٧٧/١٧ والدر المنثور ٣٦٥/٤ وهذا رأي الجمهور .

(٣) انظر معاني القرآن للأخفش ٦٣٦/٢ .

وقال أبو حاتم[1] : هو إن شاءَ اللَّهُ بمعنى : موضِعُ صلوتٍ .

ورُوي عن « عاصم الجَحْدريّ » أنه قرأ ﴿ **وصُلُوبٌ** ﴾[2] بالباء المعجمة من تحت .

ورُوي عنه أنه قرأ ﴿ **وصُلُوْتٌ** ﴾[3] بضم الصَّادِ والتَّاءِ ، معجمةً بنقطتين ، وقال : هي للنَّصارى .

ورُوي عن الضحَّاك أنه قَرَأ ﴿ **وصلُوثٌ** ﴾[4] بالثاء معجمة ، ولا أدري أفَتَحَ الصَّادَ أم ضَمَّها ؟

إلاَّ أن الحسن قال ﴿ **وصَلَواتٌ** ﴾ هي كنائس اليهود ، وهي بالعبرانية صَلُوثَا .

٦٦ ــ **وقولُه جلَّ وعزَّ :** ﴿ **الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وآتَوُا الزَّكَاةَ ..** ﴾ [آية ٤١] .

قال الحسن : هم أمة محمد صلَّى الله عليه وسلم[5] .

---

(١) أبو حاتم هو سهل السجستاني وتقدمت ترجمته ١/٧٨ .

(٢ ــ ٤) هذه القراءات كلها من الشواذ كما في المحتسب لابن جني ٢/٨٢ ما عدا قراءة ﴿ وصلواتٌ ﴾ وهي كما ذكرنا «كنائس النصارى» جمع صلاة ، وسميت الكنيسة « صلاة » لأنه يصلَّى فيها ، من باب تسمية المحلّ باسم الحالّ ، وانظر الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٢/٧١ .

(٥) هذا قول أبي العالية أيضاً ، وهو أرجح من قول ابن نجيح أنهم الولاة ، والأرجح منهما قول ابن عباس : هم المهاجرون والأنصارُ ، والتابعون لهم بإحسان ، وقال الضحاك : هو شرطٌ شرطهُ الله لمن آتاه الله الملك . اهـ وانظر البحر المحيط ٦/٣٧٦ والقرطبي ١٢/٧٣ .

وقال ابنُ أبي نجيح : همُ الولاةُ

قال أبو جعفر : « الَّذيـن » بدل مِنْ « مَنْ »[1] والمعنـى : ولينصرنَّ اللهُ الَّذينَ إنْ مكنَّاهم في الأرض ، أقاموا الصَّلاةَ وآتوا الزَّكاة .

٦٧ ــ **وقوله جلَّ وعزَّ : ﴿ فَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا ..﴾** [آية ٤٥] .

قال أهل التفسير : المعنى « فكم » وهي عند النحويِّين « أيٌّ » دخلتْ عليها « كافُ » التشبيه ، فصار التقدير كالعدد الكثير والمعنى معنى « كَمْ »[2] .

٦٨ ــ **وقوله جلَّ وعز : ﴿ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا ..﴾** [آية ٤٥] .

روى مَعْمر عن قتادة قال : خاليةٌ ليس فيها أحدٌ[3] .

قال أبو جعفر : يُقال خَوَتْ الدَّارُ تَخْوى خَواءً إذا خَلَتْ ، وخَوَى الرجلُ يَخْوَى خَوىً إذا جاع ، والعروشُ : السقوفُ .

٦٩ ــ **ثم قال جلَّ وعزَّ ﴿ وَبِئْرٍ مُعَطَّلَةٍ ﴾** [آية ٤٥] .

---

(١) يريد « مَنْ » في قوله تعالى ﴿ وَلَينصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ ينصُره ﴾ فيصير المعنى : ولينصرنَّ الله المؤمنين ، الَّذينَ إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة .. الخ .

(٢) فكأيِّنْ : بمعنى « كَمْ » تقتضي التكثير ، والمعنى كثير من الأمم وأهل القرى أهلكناهم .

(٣) الأثر أخرجه ابن جرير ١٧/١٨٠ والدر المنثور ٤/٣٦٥ .

قال الضحَّاك : أي لا أهل لها[1] .

﴿ **وَقَصْرٍ مَشِيدٍ** ﴾ قال عكرمة : أي مجصَّص[2] .

قال ابن أبي نجيح : أي بالقَصَّةِ وهي الجِصُّ[3] .

وَروَى عليُّ بنُ الحَكَم ، عن الضحَّاكِ ﴿ **وَقَصْرٍ مَشِيدٍ** ﴾ قال : طويل .

والقولُ الأول أولَى ، لأنه يُقال : شَادَه ، يَشِيدُهُ ، إذا بناه بالشِّيدِ ، وهو الجصُّ[4] ، كما قال عَدِيُّ بن زيدٍ :

شَادَهُ مَرْمَراً وجلَّلَهُ كِلْساً
فَلِلطِّينِ في ذُراه وُكُورُ[5]

(١ــ٣) انظر الآثار في تفسير القرطبي ٧٤/١٢ ﴿ وَبِئْرٍ مُعطَّلةٍ ﴾ متروكة ، قال الضحاك ، وقيل : خالية من أهلها لهلاكهم . وفي الدر المنثور ٣٦٥/٤ عن قتادة قال : ﴿ وبئرٍ معطَّلة ﴾ عطَّلها أهلها وتركوها ﴿ وقَصْرٍ مَشِيدٍ ﴾ قال : شيَّدوه وحصَّنوه فهلكوا وتركوه . اهـ .

(١) قال في اللسان : الشِّيدُ بالكسر كلُّ ما طُلي به الحائط من جِصٍّ أو بِلاطٍ ، وكلُّ ما أُحكم من البناء فقد شُيِّد ، وتشييدُ البناء : إحكامُه ورفعه . اهـ اللسان مادة شيد .

(٢) البيت لعدي بن زيد العبادي وهو في ديوانه ص٨٨ بلفظ « وخلَّله كلْساً » وهو الصحيح لأن معناه جعل الكلس في خلل الحجر ، وجميع المصادر تتفق على روايته مصحَّفاً « وجلَّله كِلساً » بالجيم كما هي رواية المصنف ، إلا أن العسكري نبهَّ على هذا التصحيف فقال : ترويه العامة « جلَّله » بالجيم ، وقرأته عل ابن دُريد فقال « خلَّله » بالخاء المعجمة أي جعل الكلس في خلل الحجر ، وقال : جلَّله ليس بشيء ، وكان يضحك من هذا ويقول : متى رأوا حصناً مصهرجاً ، وقال : هكذا رواه الأصمعي بالخاء المعجمة ، وانظر الجمهرة ٤٥/٣ وما اختاره النحاس أن المراد =

فأمَّا إذا طوَّلَهُ ورفَّعَهُ فإنما يُقالُ فيه : شيَّـده وأشَادَه ، ومنـه أشادَ فلانٌ بذكر فلان .

٧٠ ــ **وقوله جلَّ وعزَّ : ﴿ فَإِنَّهَا لَاتَعْمَى الأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى القُلُوبُ الَّتي في الصُّدُوْرِ﴾** [آية ٤٦] .

وفي قراءة عبدالله[1] ﴿ **فَإِنَّهُ لا تَعْمَى** ﴾ والمعنى واحد .

قال أبو جعفر : التذكيرُ على الخبر ، والتأنيثُ على القَصَّةِ .

قال قتادة : البصرُ الناظر جُعل بُلْغَةً ومَنْفعةً ، والبصر النافع في القلب[2] .

٧١ ــ **ثم قال جل وعزَّ : ﴿ وَيَسْتَعْجِلُوْنَكَ بِالْعَذَابِ وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّـهُ وَعْدَهُ وَإِنَّ يَوْمَاً عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّوْنَ﴾** [آية ٤٧] .

= بالمشيد المبنى بالشِّيد ــ وهو الجِصُّ ــ فيه نظرٌ ، فقد رُوي عن ابن عباس أنه الشديد المنيعُ الحصينُ ، وهذا أولى لأن الغرض من الآية بيان أن الله أهلكهم ، وقد تركوا خلفهم القصور الفخمة الضخمة ، المنيعة الحصينة ، الشديدة البنيان تركوها من غير سكان ، وفي ذلك عبرةٌ لمن يعتبر .

(١) المراد به ابن مسعود ، والضمير في ﴿ فإنها ﴾ يعود على القصة ، وهذه القراءة ليست من القراءات السبع .

(٢) الأثر في القرطبي ٧٧/١٢ والدر المنثور ٣٦٥/٤ وأخرج البيهقي في شعب الإيمان أن النبي ﷺ قال : « ليس الأعمى من يعمى بصره ، ولكنَّ الأعمى من تعمى بصيرته » وأخرجه أيضاً الديلمي في مسند الفردوس .

رَوَى إسرائيلُ عن سِمَاكٍ عن عكرمةَ عن ابن عباس قال : يومٌ من الأيَّام التي خلق اللَّهُ فيها السَّمواتِ والأرضَ كألفِ سنةٍ ممَّا تعدُّوْنَ(١) .

ورَوَى شعبةُ عن سِمَاك عن عكرمةَ عن ابنِ عباسٍ ، قال : يومٌ من أيام الآخرة ، كألف سنةٍ ممَّا تعدُّونَ .

قال : ويومٌ كان مقدارُه خمسين ألف سنة (يومُ القيامة)(٢) .

قال أبو جعفر : والقول الثاني حسنٌ جداً ، لأنه عليه يتصَّل بالكلام الأول ، لأنهم استعجلوا بالعذاب فقال ﴿ **وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ** ﴾ أي في عذابهم ، وإنَّ يوماً من أيام عذابهم في الآخرة ، كألف سنةٍ ممَّا تعدُّون في الدنيا(٣) .

---

(١)و(٢) الأثران عن ابن عباس أخرجهما الطبري في جامع البيان ١٨٣/١٧ والسيوطي في الدر ٣٦٥/٤ .

(٣) قال الألوسي ١٧٠/١٧ : لايخلو هذا القول عن حُسن إلاَّ أن فيه بُعْداً .

وقال أبو حيان ٣٧٩/٦ : « واختلفوا في هذا التشبيه ، فقيل التشبيه في العدد أي اليومُ عند الله ألف سنة من عددكم ، وفي الحديث الصحيح : (يدخل فقراء المسلمين الجنة قبل الأغنياء بنصف يوم ، وذلك خمسمائة عام) فالمعنى : وإن طال الإمهالُ فإنه في بعض يوم من أيام الله .

وقيل : التشبيهُ وقع في الطول للعذاب فيه والشدَّةِ ، أي وإن يوماً من أيام عذاب الله ، لشدَّة العذاب فيه وطوله كألف سنة من عددكم ، إذْ أيامُ التَّرح مستطالةٌ ، وأيامُ الفرح مستقصرَةٌ ، فكأن ذلك اليوم الواحد كألف سنة من سنيِّ العذاب ، والمعنى : لو أنهم عرفوا حال الآخرة ما استعجلوه . اهـ .

فصار المعنى : إن اللَّهَ لن يُخلِفَ وعده في عذابهم في الدنيـا ، وعذابهُم في الآخرة أشدُّ .

قال أبو جعفر : وفي معناه قول آخر بيِّـن وهـو أنهم استعجلـوا بالعذاب فأعلمهم الله جلَّ وعز ، أنه لا يفوتـه شيءٌ ، وإن يومـاً عنـده وألفُ سنة واحدٌ ، إذْ كان ذلك غير فائِته[1] .

٧٢ ــ **وقولُـه جلَّ وعزَّ : ﴿ وَالَّذِيـنَ سَعَـوْا في آيَاتِنَـا مُعَاجِزِيـنَ .. ﴾** [آية ٥١] .

قال عبد الله بن الزبير إنما هي **﴿ مُعَجِّزِينَ ﴾** أي مثَبِّـطين عن الإيمان[2] .

قال ابن عباس : ﴿ مُعَاجِزِينَ ﴾ أي مُشَاقّين[3] .

قال الفراء : معاندين[4] .

وروَى مَعْمرٌ عن قتادةَ في قولـه تعـالى **﴿ مُعَاجِزِيـنَ ﴾** قال : كذَّبوا بآيات الله عز وجلّ ، وظنُّوا أنهم يُعْجِزونَ الله ، ولن يُعْجِزوه[5] .

---

(١) هذا أظهر الأقوال وهو قول الزجاج في معانيه ٤٣٣/٣ قال : إنهم استعجلوا العذاب ، فأعلمهم الله أنه لايفوته شيء ، وأن يوماً عنده وألف سنة واحدٌ في قدرته عز وجل ، فلا فرق بين وقـوع ما يستعجلونه وبين تأخيره في القدرة الإلهية .

(٢ــ٥) انظر تفسير ابن كثير ٤٣٨/٥ والقرطبي ٧٨/١٢ ومعاني القرآن للفراء ٢٢٩/٢ قال السيوطي في الـدر المنثـور ٣٦٦/٤ عن عُروة بن الـزبير ، أنـه كان يعـجب من الذين يقــرءون هذه الآية ﴿ وَالَّذِينَ سَعَوْا في آياتِنـا مُعَاجِزيـنَ ﴾ ويقـول : ليس ﴿ مُعَاجِزيـنَ ﴾ من كلام العـرب ، وإنما هي ﴿ معجِّزينَ ﴾ يعني مثبِّطين . اهـ .

أقول : القراءتان سبعيتان ، كما في السبعة لابـن مجاهـد ص٤٣٩ ، فقـد قرأ ابـنُ كثير ، وأبـو =

قال **أبو جعفر** : وهذا قول بيِّنٌ .

والمعنى عليه : والَّذينَ سَعَوْا في آياتنـا ، ظَانِّين أنهم يُعَجِّزوننـا ، لأنهم لا يُقرِّون ببعثٍ ، ولا بجنَّةٍ ، ولا نار ،أولئكَ أصحابُ الجحيم .

٧٣ ــ **وقولُـه جلَّ وعـز : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْـلِكَ مِنْ رَسُوْلٍ وَلَا نبـيٍّ إلاَّ إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ في أُمْنِيَّتِهِ ..﴾** [آية ٥٢] .

قال ابن أبي نجيح ﴿ تَمَنَّى ﴾ أيْ : قَالَ[1] .

وقال أهل اللغة : « تمنَّى » أي تلا ، والمعنى واحدٌ .

٧٤ ــ **ثم قال جل وعز : ﴿ فَيَنْسَخُ اللهُ مَا يُلْقِـي الشَّيْطَـانُ ثُمَّ يُحْكِـمُ اللهُ آيَاتِهِ ..﴾** [آية ٥٢] .

رَوَى الليثُ عن يُونس عن الزهـريِّ ، قال : أخبرني أبـو بكـر ابـن عبـد الـرحمن ابـــن الحارث بن هشام أن النبـــيَّ ﷺ قرأ بمكـــة **﴿ وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى ..﴾** فلما بلغ إلى قولـه تعـالى **﴿ أَفَرَأَيْتُـمُ الـلَّاتَ وَالعُـزَّى . وَمَنَـاةَ الثَّالِثَـةَ الأخرى ﴾** سَهَـا فقـــال « فإنَّ شفـــاعتهم تُرْتَجَى » فلقيه المشركـون ، والذيـن في قلـوبهم مرضٌ ، فسلَّمُـوا عليـه ،

= عمرو ﴿ مُعَجِّزين ﴾ مشدَّداً بغير ألف ، وقرأ عاصم ، ونافع ، وابن عامـر ، وحمزة ، والـكسائي ﴿ معاجزين ﴾ بألف ، وانظر أيضاً النشر ٢/٣٢٧ .

(١) الأثر أخرجه ابن جرير ١٧/١٩٠ وابن كثير ٥/٤٤١ والسيوطي في الـدر ٤/٣٦٨ ولفظـه : إذا تكلم ألقى الشيطان في كلامه .. وفي البخاري في كتاب التفسير ٦/١٢٢ قال ابن عباس ﴿ في أمنيَّته ﴾ إذا حدَّث ألقى الشيطان في حديثه .

فقال : إنَّ ذلك من الشيطان ، فأنزل الله جل وعزّ ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ ﴾ إلى آخر الآية .

قال قتادة : قرأ النبي ﷺ فأغفى ونَعَس فقال : أفرأيتم اللّاتَ والعُزَّى . ومناة الثالثة الأخرى . فإنها تُرتجى ، وإنها الغرانيقُ[1] العُلى ، فوقرت في قلوب المشركين ، فسجدوا معه أجمعون ، وأنزل الله

---

(١) هذه القصة تسمى « قصة الغرانيق » وقد أُولعَ بذكرها بعضُ المفسرين ، وهي قصة واهيةٌ باطلة ، لايجوز الاعتقادُ ولا التحدُّث بها ، لأنها من الأخبار المكذوبة .

وخلاصة القصة أن النبي ﷺ لمَّا قرأ سورة النجم ، بمحضرٍ من المشركين والمنافقين ، ألقى الشيطان على لسانه مدحَ الأوثانِ والأصنام ، بهذه العبارة « تلك الغرانيقُ العُلى وإنَّ شفاعتهنَّ لتُرتجى » ففرح بذلك المشركون ، ولما انتهى عليه السلام من تلاوة السورة سجد وسجد معه المشركون ... الخ وهذه القصة باطلة لا أساس لها من الصحة ، لأنها تعارض قوله تعالى ﴿ وَمَا يَنْطِقُ عن الهَوَى إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوْحَى ﴾ فلا يمكن للشيطان أن ينطق بلسان الرسول ، لأنه عليه السلام محفوظٌ ومعصومٌ .

قال ابن العربي : إن جميع ما ورد في هذه القصة باطلٌ لا أصل له .

وقال ابن إسحاق : هي من وضع الزنادقة .

وقال البيهقي : رواتُها مطعونٌ فيهم .

وقال ابن كثير : ذكر كثير من المفسرين قصة الغرانيق وهي روايات مرسلات ومنقطعات لاتصح .

وقال القاضي عياض : هذا حديث لم يخرِّجه أحد من أهل الصحَّةِ ، وإنما أولع به وبمثله المفسرون والمؤرخون ، والمولعون بكل غريب ، المتلقفون من الصحف كل صحيح وسقيم .

أقول : والعجب أن تنزلق قدم المصنف الإمام النحاس ، وهو من جهابذة العلماء المحققين ، فيذكر هذه القصة الباطلة !!

جل وعز ﴿ **وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُوْلٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلاَّ إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ ..** ﴾ إلى آخر الآية .

٧٥ ــ **وقوله جلَّ وعزَّ : ﴿ لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوْبِهِمْ مَرَضٌ ..﴾** [آية ٥٣] .

﴿ **فِتْنَةً** ﴾ أي اختباراً وامتحاناً والله جل وعزَّ يمتحن بما يشاء .

٧٦ ــ **وقوله جلَّ وعزَّ : ﴿ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ﴾** [آية ٥٣] .

الشِّقاقُ : أشدُّ العداوةِ .

٧٧ ــ **ثم أخبر تعالى أن هؤلاء لايتوبون ، ولا يزالون في شك ، فقال جلَّ وعزَّ : ﴿ وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي مِرْيَةٍ مِنْهُ ﴾** أي في شكٍّ ﴿ **حَتَّى تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً** ﴾ أي فجأة ﴿ **أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ**﴾ [آية ٥٥] .

قيل : هو يومُ القيامة .

وأهلُ التفسير على أنَّه يومُ بدرٍ ، قال ذلك سعيدُ بن جُبَيرٍ ، وقتادةُ .

وقال قتادة : وبلغني عن أُبيٍّ بن كعب أنه قال : أربعُ آياتٍ نزلتْ في يوم بدرٍ[1].

﴿ **عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ** ﴾[2] يوم بدر .

---

(١) انظر الطبري ١٧/١٩٣ والقرطبي ١٢/٨٧ والدر المنثور ٤/٣٦٨ .

(٢) هي هذه الآية ﴿ ولايزالُ الذين كفروا في مِرْيةٍ منه .. ﴾ الآية من سورة الحج .

و « اللِّزامُ »(١) : القتالُ في يوم بدر .

و ﴿ يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الكُبْرَى ﴾(٢) يوم بدر .

﴿ وَلَنُذِيقَنَّهمْ مِنَ العَذَابِ الأَدْنَى دُونَ العَذَابِ الأَكْبَرِ ﴾(٣) يوم بدر .

قال أبو جعفر : أصلُ العُقْمِ في اللغة : الامتناعُ ، ومنه قولهم « امرأةٌ عقيمٌ » و « رجلٌ عقيمٌ » إذا مُنِعَا الولَدَ .

و« ريحٌ عَقِيمٌ »(٤) لا يأتي بسحابٍ فيه مطر .

أي فيه العذابُ .

و « ويومٌ عقيمٌ »(٥) لا خير فيه لقوم .

فيومُ القيامة ، ويومُ بدر ، قد عُقِمَ فيهما الخيرُ ، والفرحُ عن الكفار .

---

(١) يشير إلى قوله سبحانه في سورة الفرقان آية ٧٧ ﴿ فقد كذَّبتم فسوفَ يكونُ لِزَاماً ﴾ .

(٢) سورة الدخان آية رقم ١٥ .

(٣) سورة آلم السجدة آية رقم ٢١ والأثر أخرجه السيوطي في الدر ٣٦٨/٤ وعزاه إلى ابن مردويه .

(٤) أشار إلى قوله تعالى ﴿ وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ العَقِيمَ ﴾ سورة الذاريات آية ٤١ .

(٥) قوله تعالى ﴿ أو يأتيهم عذابُ يومٍ عقيم ﴾ هذا من لطيف الاستعارة ، لأن العقيم المرأةُ التي لاتلد ، ولمَّا كان يوم القيامة لاينفع فيه ندمٌ ، لأن الزمان قد مضى ، والتكليف قد انقضى ، ولم يعد يمكن للإنسان تدارك ما فاته ، جعل كأنه بمنزلة المرأة العقيم ، التي لاتلد ، فلله در القرآن !!

٧٨ ــ **وقوله جلَّ وعزَّ : ﴿ ذَلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوْقِبَ بِهِ ..﴾** [آية ٦٠] .

والأوَّل ليس بعقوبة ، فسُمِّي الأول باسم الثاني ، لأنهما من جنسٍ واحد على الازدواج(١) ، كما يسمى الثاني باسم الأول .

٧٩ ــ **وقوله جل وعز : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الأَرْضُ مُخْضَرَّةً ..﴾** [آية ٦٣] .

قال سيبويه : سألتُ الخليل عن قوله تعالى **﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الأَرْضُ مُخْضَرَّةً ﴾** فقال : هذا واجبٌ ، وهو تنبيهٌ(٢) .

والمعنى : انتبهْ ، أنزلَ اللهُ من السَّماءِ ماءً ، فكان كذا ، وكذا .

وقال الفراء : هو خبرٌ(٣) .

---

(١) يسمى هذا عند علماء البلاغة « المشاكلة » أي المجانسة في اللفظ مع اختلاف المعنى ، ومنه قول الشاعر :
قالوا اقترحْ شيئاً نُجِدْ لك طبخه ... قلتُ : اطبخوا لي جبَّة وقميصاً

(٢) ذكر هذا القول أبو حيان في البحر المحيط ٣٨٦/٦ وقال : لو نصب المضارع لأعطى عكس الغرض .

(٣) انظر معاني القرآن للفراء ٢٢٩/٢ قال : إن المضارع « فتصبحُ » إنما رُفع لأن الجملة خبرية ، ولو كانت استفهاماً لوجب النصبُ ، وعبارتُه : ﴿ فتصبحُ الأرضُ مُخْضَرَّةً ﴾ رُفعت « فتصبحُ » لأنَّ المعنى في « أَلَمْ تَرَ » معناه خبرٌ ، كأنك قلتَ : اعلم أن الله يُنزل من السماء =

ويُقرأ ﴿ فَتُصْبِحُ الأَرْضُ مَخْضَرَةً ﴾[2] أي ذات خُضرٍ ، كما يقول : مَبْقَلَة ، وَمَسْبَعَةٌ ، أي ذاتُ بَقْلٍ ، وسِبَاعٍ .

٨٠ ــ وقولُه جل وعز : ﴿ وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الأَرْضِ إِلَّا بإِذْنِهِ .. ﴾ [آية ٦٥] .

والمعنى : كراهيةَ أن تَقعَ[3] .

٨١ ــ وقولُه جل وعز : ﴿ فَلَا يُنَازِعُنَّكَ فِي الأَمْرِ .. ﴾ [آية ٦٧] .

أي فلا يُجَادِلُنَّك ، ودلَّ على هذا ﴿ وَإِنْ جَادَلُوكَ ﴾ .

ويُقال : قد نازعوه ، فكيف قال : ﴿ فَلَا يُنَازِعُنَّكَ ﴾ ؟

فالجواب : أن المعنى : فلا تنازِعْهُمْ .

ولا يجوز هذا إلا فيما لا يكون إلاَّ من اثنين ، نحو المنازعة ،

= ماءً فتصبحُ الأرض مخضَّرة ، ولو جعلته استفهاماً وجعلتَ الفاء شرطاً لنصبتَ كقوله « ألم تسأل فتخبرَكَ الديارا » .

وعبارة القرطبي : ﴿ فَتُصبِحُ ﴾ ليس بجواب فيكون منصوباً ، وإنما هو خبر عند الخليل وسيبويه ، قال الخليل : المعنى انتبه أنزل الله من السماء ماء فكان كذا وكذا . اهـ قال ابن خروف : وقوله : هذا واجب ، يريد أنه ماضٍ .

(١) هذه القراءة ليست من القراءات السبع ، وقراءة الجمهور بالتشديد ﴿ مُخْضَرَّة ﴾ .

(٢) قال الألوسي : الكلام على حذف حرف الجر ، أي عن أن تقع عليها ، وقدَّره البصريون كراهة أن تقع ، والكوفيون يقدّرون « لئلّا تقع » والمراد بإمساكها عن الوقوع : حفظُ تماسكها بقدرته تعالى . اهـ روح المعاني ١٧/١٩٣ .

والمخاصمة ، وما أشبهها ، ولو قلتَ : لايضربُنَّك تريدُ لا تَضْرِبْهم لم يجز[1] .

ويُقرأ ﴿ فَلَا يَنْزِعُنَّكَ فِي الأَمْرِ ﴾[2] قرأ به « أبو مِجْلز » أي فلا يَغْلِبنَّك .

وحكَى أهلُ اللغةِ : نَازَعني فَنَزَعْتُه .

٨٢ ـ وقولُه جلَّ وعزَّ : ﴿ يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِالَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا .. ﴾ [آية ٧٢] .

قال محمد بن كعب : أي يقعون بهم[3] .

وقال الضحاك : أي يأخذونهم أخذاً باليد[4] .

وحكَى أهلُ اللغة : سَطَا به ، يَسْطُو ، إذا بَطَشَ به ، كان ذلك بضربٍ أو بِشتْمٍ .

٨٣ ـ وقولُه جلَّ وعزَّ : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ .. ﴾ [آية ٧٣] .

---

(١) باب المُفَاعَلَة لايكون إلا من اثنين فأكثر مثل : خاصم ، وقَاتل ، وجَادَل ، لأن هذه الصيغة تدل على مشاركة من الطرفين ، فلا يقال عن شخص « قَاتَلَ » إلا إذا كان أمامه من يقاتله ، وهكذا ، والغرضُ من الآية : تحريضُه عليه السلام على التأسي بالأنبياء في الصبر وتحمل الأذى ، وترك مجادلة الكفرة المعاندين ، والإمساك عن مناظرتهم بعد اليأس من إيمانهم .

(٢) هذه من القراءات الشاذة كما في المحتسب لابن جني ٢/٨٥ .

(٣) و(٤) انظر الأثر في الطبري ١٧/٢٠٢ والدر المنثور ٤/٣٧٠

قال الأخفش : إن قيل : فأين المثَلُ ؟

فالجوابُ : أنه ليس ثَمَّ مَثَلٌ ، والمعنى : إنَّ اللهَ جلَّ وعز قال : ضربوا لي مَثَلاً على قولهم[1] .

وقال القُتبيّ[2] : ياأيها النَّاسُ مثلُكُمْ مَثَلُ من عَبَد آلهةً ، لم تستطع أن تخلُقَ ذباباً ، وسَلَبها الذُّبابُ شيئاً ، فلم تستطع أن تستنقذه منه .

فذهب إلى أنَّ في الكلام ما دلَّ على المثل من قوله ﴿ **لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَاباً وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ** ﴾ إلى آخر الآية .

ومذهب الأخفش أن الكفار ضربوا للهِ جلَّ وعزَّ مثلاً ، أي جعلوا لله مثلاً بعبادتهم غيره ، كما يُعبد هو جلَّ وعزَّ ، كما قال « أين شركائي »[3] ؟

---

(١) معاني الأخفش ٦٣٧/٢ وهذا القول مرجوح ، والراجح أن هناك مثلاً ضربه الله تعالى لما يُعبد من غيره من الأوثان والأصنام فكأنه تعالى يقول : إن هذه الأصنام التي عبدتموها من دون الله ، لاتقدر على خلق ذبابة على ضعفها ، فكيف يليق بالعاقل جعلها آلهة وعبادتها من دون الله ؟! .

(٢) هو ابن قتيبة الدينوري ، واسمه عبدالله بن قتيبة المتوفي سنة ٢٧٦هـ وانظر ترجمته في شذرات الذهب ١٦٩/٢ ووفيات الأعيان ٣١٤/١ .

(٣) أشار إلى قوله تعالى في سورة القصص آية ٧٤ ﴿ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فيقُوْلُ أَيْنَ شُرَكَائِي الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ ﴾ مع أنه تعالى ليس له شركاء ، وإنما يقوله توبيخاً لهم وتبكيتاً .

والذُّبابُ عند أهل اللغة واحدٌ ، وجمعهُ أَذِبَّةٌ ، وذِبَّانٌ[1] .

٨٤ ــ وقوله جلَّ وعزَّ : ﴿ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالمَطْلُوبُ﴾ [آية ٧٣] .

الطَّالبُ : الآلهة . والمطلوبُ : الذُّباب[2] .

٨٥ ــ ثم قال جلَّ وعزَّ : ﴿ مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ ..﴾ [آية ٧٤] .

أي ما عظَّموه حق عظمته .

ولما خبَّر بضعف ما يعبدون ، أخبر بقوَّته فقال جلَّ وعزَّ ﴿ إنَّ اللهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾ .

٨٦ ــ وقوله جلَّ وعزَّ : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ ارْكَعُوا واسْجُدُوا ..﴾ [آية ٧٧] .

فلا يكون ركوعٌ إلاَّ بسجودٍ ، ثم قال تعالى ﴿ وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ ﴾ أي أَخْلِصوا عبادتكم للَّهِ وحدَه .

---

(١) قال الجوهري في الصحاح ١٢٦/١ : والذباب معروف ، الواحدة ذُبابة ، ولا تقل : ذِبابة ، وجمع القلة أذبَّة ، والكثير ذِبَّان ، كغراب وغِرْبَان .

(٢) هذا قول ابن عباس ، وقال غيره : الطالب عابدُ الصنم ، والمطلوب الصنم ، أي ضعف العابد الذي يطلب الخير من الصنم ، والمطلوب الذي هو الصنم ، فكل منهما حقيرٌ ضعيف ، قال القرطبي : وخصَّ الذباب لأربعة أمور : لمهانته ، وضعفه ، ولاستقذاره ، وكثرته ، فإذا كان هذا ــ هو أضعف الحيوان وأحقره ــ لايقدر من عبدوه من دون الله على خلق مثله ، ودفع أذيّته ، فكيف يجوز أن يكون آلهة معبودين ، وأرباباً مطاعين ؟ القرطبي ٩٧/١٢ .

٨٧ ــ **ثم قال جلَّ وعزَّ : ﴿ وَافْعَلُوا الخَيْرَ﴾** [آية ٧٧] .

أي كلَّ ما أمر اللَّهُ به .

ثم قال جلَّ وعزَّ : ﴿ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ أي لتكونوا على رجاءٍ من الفلاح[(١)] .

٨٨ ــ **ثم قال جلَّ وعزَّ : ﴿ وَجَاهِدُوْا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِه ..﴾** [آية ٧٨] .

قيل : هذا منسوخ وهو مثل قوله **﴿ اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ ﴾**[(٢)] نَسَخه **﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ ﴾**[(٣)] .

٨٩ ــ **ثم قال جل وعزَّ ﴿ هُوَ اجْتَبَاكُمْ ﴾** أي اختاركم ، ثم قال **﴿ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾** [آية ٧٨] .

قال أبو هريرة : الإِصْرُ الذي كان على بني إسرائيل وُضِع عنكم .

رَوَى يونس عن الزُّهري قال : سأل عبد الملك بن مروان عليَّ

---

(١) إنما نحى المصنِّف هذا المنحى ، لينبِّه أن الرجاء صادرٌ من المخلوق ، لا من الخالق ، أي رجاءَ منكم أنتم أن تُفْلحوا ، وليس اللهُ تبارك وتعالى يترجَّى منَّا الفلاح ، فتنبه له فإنه دقيق .

(٢) سورة آل عمران آية ١٠٢ .

(٣) سورة التغابن آية ١٦ والقول بأن الآية منسوخة ضعيف ، والأصح أنها محكمة كما قال ابن الجوزي ٥/٤٥٦ .

ابن عبدِ اللَّهِ ابنِ عباس عن قوله تعالى ﴿ **وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ** ﴾ فقال : هو الضِّيقُ ، جَعَلَ لكفاراتِ الأَيْمان مَخْرَجاً ، سمعتُ ابن عباسٍ يقول ذلك[1] .

قال أبو جعفر : أصلُ الحَرَجِ في اللغة : أشدُّ الضِّيقِ[2] ، وقد قيل : إن المعنى أنه جعل للمسافر الإفطارَ ، وقصر الصلاة[3] ، ولمن لم يَقْدر أن يصلي قائماً الصَّلاةَ قاعداً ، وإن لم يقدر أَوْمَأَ ، فلم يُضيِّق جلَّ وعزَّ .

وروى معمرٌ عن قتادة قال : « أُعطيتْ هذه الأُمَّةُ ثلاثاً لم يُعْطها إلَّا نبيٌّ :

أ ــ كان يُقال للنبيِّ اذهبْ ، فلا حَرَجَ عليك ، وقيل لهذه الأمة : ﴿ **وَمَا جَعَلَ عليكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ** ﴾ .

ب ــ والنبيُّ ﷺ شهيدٌ على أمَّتِهِ ، وقيل لهذه الأمة ﴿ **وتَكُوْنُوا شُهَدَاءَ على النَّاس** ﴾ .

---

(١) انظر الأثر في الطبري ١٧/٢٠٦ .

(٢) ومنه قوله تعالى ﴿ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يجْعَلْ صَدَرَهُ ضَيِّقاً حَرَجاً كأَنَّما يَصَّعَّدُ في السَّمَاءِ ﴾ . سورة الأنعام آية ١٢٦ .

(٣) هذه بعض صور لرفع الحرج عن المؤمنين ، وأمثالُ هذا كثيرٌ ، قال ابن عباس : هذا في هلال شهر رمضان ، إذا شكَّ فيه الناسُ ، وفي الحجّ إذا شكُّوا في الهلال ، وفي الفطر ، وفي الأضحى ، إذا التبس عليهم ، وأشباهه . اهـ الطبري ١٧/٢٠٧ .

جـ ـ ويُقال للنبي : سلْ تُعْطَه ، وقيل لهذه الأمة ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾[1] .

وقال كعبُ الأحبارِ نحوَ هذا .

وقال عكرمة : أحلَّ النِّساء مثنى ، وثُلَاث ، ورُبَاع .

وروى عن ابن عباس : جعل التَّوْبة مقبولة .

٩٠ ـ **وقوله جلَّ وعزَّ : ﴿ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ ..﴾** [آية ٧٨] .

أي وُسِّع عليكم ، كما وُسِّع عليه صلى الله عليه وسلم[2] ، وقيل ﴿ **وَافْعَلُوا الْخَيْرَ** ﴾ فعل أبيكم إبراهيم .

٩١ ـ **ثم قال تعالى : ﴿ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا ..﴾** [آية ٧٨] .

روى عليُّ بن أبي طلحة عن ابن عباس قال يقول : اللهُ جلَّ وعزَّ سمَّاكم[3] .

---

(١) الأثر في البحر المحيط ٣٩٢/٦ والقرطبي ١٠٠/١٢ والطبري ٢٠٨/١٧ .

(٢) قال الطبري ٢٠٧/١٧ : المعنى : وسَّعه عليكم كَمِلَّةِ أبيكم إبراهيم ، ويحتمل نصبها على وجه الأمر ، فكأنه قيل : اركعوا واسجدوا ، والزموا مِلَّة أبيكم إبراهيم . اهـ . وانظر البحر المحيط ٣٩١/٦

(٣) هذا قول ابن عباس ، ومجاهد ، واختيار جمهور المفسرين ، والمعنى : اللّهُ سمَّاكم المسلمين في الكتب المتقدمة ، وفي هذا القرآن العظيم ، ورضي لكم الإسلام ديناً ، فاعبدوه واستسلموا =

قال مجاهد : ﴿ مِنْ قَبْلُ ﴾ أي في الكتُبِ والذِّكْرِ[1] .

قال أبو جعفر : ﴿ وَفِي هَذَا ﴾ يعني القرآن .

٩٢ ــ ثم قال جلَّ وعز : ﴿ لِيَكُوْنَ الرَّسُوْلُ شَهِيداً عَلَيْكُمْ ﴾ [آية ٧٨] .

قال سفيان : أي بأعمالكم ﴿ وتَكُوْنُوْا شُهَداءَ علَى النَّاسِ ﴾ بأن الرسل قد بلَّغتهم .

٩٣ ــ وقوله جلَّ وعزَّ : ﴿ فَنِعْمَ المَوْلَى ﴾ أي الوليُّ ﴿ وَنِعْمَ النَّصِيرُ ﴾ أي النَّاصر ، كما يقول : قديرٌ ، وقادرٌ ، ورحيمٌ ، وراحمٌ .

* * *

(انتهت سورة الحج)

= لحكمه ، وقال الحسن وابن زيد :الضميرُ يعود على إبراهيم ، وهو قول مرجوح ، وانظر الطبري ٢٠٨/١٧ والقرطبي ١٠١/١٢ .

(١) الأثر أخرجه السيوطي في الدر المنثور ٣٧٢/٤ وابن كثير ٤٥٢/٥

تفسير سورة المؤمنون

مكية وآياتها ١١٨ آيــة

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة المؤمنون وهي مكية(١)

١ ــ **من ذلك قولُ اللهِ جلَّ وعزَّ : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ المُؤْمِنُونَ ﴾** [آية ١] .

أي قد نالوا الفلاح ، وهو دوامُ البقاء في الجنَّة .

٢ ــ **ثم قال جلَّ وعزَّ : ﴿ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴾** [آية ٢] .

قال إبراهيم وقتادة : الخشوعُ في القلب ، قال إبراهيم : وهو السُّكونُ .

وقال قتادة : وهو الخوفُ ، وغضُّ البصرِ في الصلاة(٢) .

قال مجاهد : هو السُّكونُ .

والخشوعُ عند بعض أهل اللُّغةِ : في القلب ، والبصر ، كأنه تفريغُ القلب للصَّلاة ، والتواضعُ باللِّسانِ ، والفعل(٣) .

---

(١) في المخطوطة « سورة المؤمنين » هكذا ذُكرت « المؤمنين » بالجرِّ ، وهذا حسب قواعد اللغة العربية سليمٌ ، وهو على الإضافة ، والأفضل أن يقال « سورةُ المؤمنون » على الحكاية كما هو في رسم القرآن ، قال ابن الجوزي في زاد المسير ٥/٤٥٨ : وهي مكية في قول الجميع .

(٢) الأثر أخرجه الطبري في تفسيره ١٨/٢ وأبو حيان في البحر المحيط ٦/٣٩٥ .

(٣) خلاصة القول في الخشوع : أنه السكون والطمأنينة ، والخوفُ من الجبَّار ، وتفريغ القلب من الأغيار ، واستحضارُ عظمة الله وجلاله ، بحيث لا ينشغل في صلاته بأي شاغل دنيوي ، كما =

قال أبو جعفر : وقولُ مجاهـد ، وإبـراهيم في هذا حسنٌ ، وإذَا سكَنَ الإنسان تَذلَّل ، ولم يَطْمَحْ ببصرِهِ ، ولم يُحرِّكْ يديـه ، فأمَّـا وضعُ البصر موضع السُّجود ، فتحديدٌ شديدٌ .

وقد رُوى عن عليّ عليـه السلام : الخشوعُ : أن لا يلتـفتَ في الصلاة[1] .

وحقيقته : المنكسرُ قلبُه إجلالاً للَّـهِ ، ورهبـةً منـه ، ليـؤدّي مَا يجبُ عليه .

٣ ــ **ثم قال جلَّ وعزَّ : ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ﴾** [آية ٣] .

قال الحسن : عن المعاصي[2] .

قال أبو جعفر : واللَّغْوُ عند أهـل اللغـة : ما يجب أن يُلْغَـى ،

= يكون الإنسان في حضرة المِلك ، وقـد روى الإمام أحمد ١/٣٤ عن عمـر بن الخطـاب رضي الله عنه قال : « كان إذا نزل على رسول الله ﷺ الوحيُ ، يُسمع عند وجهه كدويِّ النَّحل ، وأُنـزل عليه يوماً ، فمكثنا عنده ساعة ، فسُرِّي عنه ، فاستقبل القبلة فرفع يديه وقال : « اللهم زدنا ولا تُنقصنا ، وأكرمنا ولا تُهنَّا ، وأعطنـا ولا تحرمنـا ، وآثرنـا ولا تُؤثـر علينـا ، وأرضنـا وارضَ عنَّـا » ثم قال : لقد أنزلت عليَّ عشر آيات ، من أقامهنَّ ــ أي عمل بهن وطبقهنَّ ــ دخـل الجنـة ، ثم قرأ : ﴿ قد أفلح المؤمنون .. ﴾ حتى ختم العشر » وأخرجه الترمذي في كتاب التفسير ٣٠٥/٥ رقم ٣١٧٣ .

(١) الأثر أخرجه ابن الجوزي في زاده ٤٦٠/٥ والسيوطي في الدر ٤٦٠/٤ .

(٢) الأثر أخرجه ابن الجوزي ٤٦٠/٥ والسيوطي في الدر ٤/٥ قال الزجاج : واللغو كل لعب ولهو ، وكل معصية فهي مطرَّحة ملغاة .

أي يُطرحَ ويُترك ، من اللَّعبِ ، والهَزْلِ ، والمعاصي[1] .

أي شغلهم الجَدُّ عن هذا .

٤ ــ **ثم قال جلَّ وعزَّ : ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ﴾** [آية ٤] .

أي مؤدُّون[2] .

[ومدح الله جلَّ وعز من أخرج من مالِهِ الزَّكاةَ ، وإن لم يُخرِجْ منها غيرها][3] .

٥ ــ **ثم قال جلَّ وعزَّ : ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ . إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَامَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ﴾** [آية ٥ ــ ٦] .

[**قال الفراء** : أي إلَّا من اللَّاتي أحلَّ اللهُ جلَّ وعزَّ لهم الأربعَ لا تُجَاوِزُه .

﴿ أَوْ مَامَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ ﴾ في موضع خفض معطوفة على

---

(١) قال أبو حيان : اللغو : ما لا يعنيك من قول ، أو فعل ، كاللعب ، والهزل ، وما توجب المروء اطِّراحَه ، يعني : أنَّ بهم من الجدِّ ما يشغلهم عن الهزل . اهـ. البحر المحيط ٣٩٥/٦ .

(٢) هذا من باب التضمين ، فقد ضمَّن المصنِّف لفظة ﴿ فاعلون ﴾ بعبارة « مؤدُّون » لأنه المراد من الآية ، قال في البحر : إن أريد بالزكاة قدر مايُخرج من المال للفقير ، فيكون على حذف أي لأداء الزكاة فاعلون ، إذ لا يصح فعل الأعيان من المزكِّي ، أو يُضمَّن « فاعلون » معنى مؤدُّون ، وبه شرحه التبريزي . اهـ. البحر ٣٩٦/٦ .

(٣) ما بين الحاصرتين من كتاب إعراب القرآن للنحاس ٤١٤/٢ وهو ساقطٌ من المخطوطة .

أزواجهـــم ، و« ما » مصدر ، أي ينكحـــون ما شاءوا من الإمـــاء ، حفظوا فروجهم إلَّا من هذين][1] .

٦ ــ ثم قال جلَّ وعزَّ : ﴿ فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاء ذَلِكَ فأولئك هم العـادون﴾ [آية ٧] .

أي فمن طلب سوى أربع نسوة ، وما ملكتْ يمينُـه ﴿ فَأُولَـئِكَ هُمُ العَادُون ﴾ أي الجائرون إلى ما لا يحِلُّ ، الَّذِينَ قد تعدَّوْا .

٧ ــ ثم قال جلَّ وعـز : ﴿ وَالَّذِيـنَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِـمْ وَعَهْدِهِـمْ رَاعُـــونَ﴾ [آية ٨] .

أي حافظون .

يُقال : رعيتُ الشَّيْءَ : أي قمتُ بصلاحِهِ ، ومنـه فلانٌ يَرْعَـى ما بينهُ وبينَ فُلان[2] .

٨ ــ ثم قال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾ [آية ٩] .

---

(١) سقـط من المخطوطـة تفسير الآيتين ، وقـد أثبتنـاه من إعـراب القـرآن للنحـاس ٤١٤/٢ ومعـاني القرآن للفراء ٢٣١/٢ .

(٢) قال القرطبي ١٠٧/١٢ : الأمانة والعهدُ : يجمـع كلَّ ما يحملـه الإنسان من أمـر دينـه ودنيـاه ، قولاً وفعلاً ، وهذا يعمُّ معاشرة النَّاس ، والمواعيـد ، وغير ذلك ، وغايـة ذلك حفظُـه والقيـام بـه ، والأمانة أعمُّ من العهد ، وكل عهدٍ فهو أمانة ، من قول ، أو فعل ، أو معتقِد . اهـ.

قال مسروقٌ : أي يصلُّونها لوقتها(١) .

وليس من جهة الترك ، لأنَّ التَّرك كفرٌ .

٩ ــ **ثم قال جلَّ وعز** : ﴿ **أُوَلَئِكَ هُمُ الوَارِثُونَ** ﴾ [آية ١٠] .

يُقال : إنَّما الوارثُ من وَرِث ما كان لغيره ، فكيف يُقال لمن دَخَل الجنَّةَ وارثٌ ؟

ففي هذا أجوبةٌ :

يُسْتغنى عن ذكرها بما رُوي عن النبي ﷺ .

رَوَى الأعمشُ عن أبي صالح ، عن أبي هريرة ، عن النبي ﷺ في قوله تعالى ﴿ **أُوَلَئِكَ هُمُ الوَارِثُونَ** ﴾ قال : « ليس من أحدٍ إلَّا له منزلان ، منزلٌ في الجنة ، ومنزلٌ في النَّار ، فإن هو أُدخل النَّار ، وَرِثَ أهلُ الجنة منزلَه ، فذلك قوله تعالى ﴿ **أُوْلَئِكَ هُمُ الوَارِثُونَ** ﴾(٢) .

---

(١) الصحيح ما قاله المصنف أن المراد بالمحافظة على الصلاة في الآية : إقامتُها والمبادرةُ إليها في أوقاتها ، وإتمام ركوعها وسجودها .

فإن قيل كيف تكرَّر ذكر الصلاة في أول الآيات وآخرها ؟ فالجواب : أنه ليس بتكرار ، فقد ذكر تعالى هناك الخشوع فيها ﴿ الذين هم في صلاتهم خاشعون ﴾ وذكر هنا المحافظة عليها بمعنى أدائها في أوقاتها ، وهما مختلفان فلا تكرار .

(٢) الحديث أخرجه ابن ماجه في سننه ١٤٥٣/٢ وابن أبي حاتم . قال القرطبي : إسناده صحيح ، وانظر تفسير ابن كثير ٤٥٩/٥ والطبري ٥/١٨ والقرطبي ١٠٨/١٢ .

١٠ ــ ثم قال جلَّ وعز : ﴿ الَّذِينَ يَرِثُونَ الفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُون﴾ [آية ١١] .

في حديث سعيد عن قتادة عن أنسٍ مرفوعاً : « والفردوسُ رَبْوةُ الجنَّةِ ، وأوسطُها ، وأفضلُها »[١] .

ثم قال **﴿ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ فأنَّث على معنى الجنَّة .**

١١ ــ ثم قال جلَّ وعزَّ : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ مِنْ سُلاَلَةٍ مِنْ طِينٍ﴾ [آية ١٢] .

قال قتادة[٢] : استُلَّ آدمُ ﷺ من طينٍ .

وقال غيره : إنما قيل لآدم سُلالة ، لأنه سُلَّ من كلِّ تُربة .

ويقال للولد : سُلالةُ أبيه .

وهو « فُعَالة » من انسَلَّ ، وفُعَالة تأتي للقليل من الشيء ،

---

(١) الحديث أخرجه الترمذي رقم ٣١٧٤ من حديث الربيِّع بنت النضر بهذا اللفظ ، وقال : حديث حسن صحيح ، وأخرجه مسلم بلفظ « إذا سألتمُ اللهَ فسلُوه الفردوسَ ، فإنَّه أوسطُ الجنَّةِ ، وأعلى الجنَّةِ ، ومنه تَفَجَّرُ أنهارُ الجنة » .

ومعنى « أوسط الجنة » أنه في وسط الجنان في العرض ، وأعلاها في الارتفاع ، قاله ابن حبان ، قال القرطبي : وهذا يصحِّح قول أبي هريرة « إن الفردوس جبلُ الجنة ، التي تتفجَّر منه أنهار الجنة » وانظر تفسير القرطبي ١٢/١٠٨ .

(٢) سقط من المخطوطة عبارة « قال قتادة » وأثبتناها من القرطبي ١٢/١٠٨ وهي ضرورية لقوله بعدها وقال غيره .

نحو : القُلَامَةِ ، والنُّخَالة .

وقـد قيـل : إن السُّلَالـة إنما هي نطفـةُ آدم ﷺ ، كذا قال مجاهد[1] .

وهو أصحُّ ما قيل فيه : ولقد خلقنـا ابـن آدم من سُلالـة آدم ، وآدمُ هو الطين لأنه خُلق منه .

١٢ ـ **ويـدلُّ على ذلك قولـه عز وجـل : ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَــاهُ نُطْفَــةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ﴾** [آية ١٣] .

ولم يصِرْ في قرارٍ مكينٍ ، إلاّ بعد خلقه في صلب الفحل .

وقولِه تعالى ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ﴾ يُراد ولدُه .

﴿ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً ﴾ وهي واحـدةُ العَلَـق ، وهـو الـدَّم قبل أن يَيْبس .

﴿ فَخَلَقْنَـا العَلَقَـةَ مُضْغَـةً ﴾ المضغـةُ : القطعـةُ الصغيرةُ من اللحـم ، مقدار ما يُمضغ ، كما يقال : « غُرْفة » لمقدار ما يُغْرف ، و« حُسْوة » [لمقدار ما يُحْسَى][2] .

---

(١) الأثـر أخرجـه ابـن جرير ٧/١٨ والسيوطـي في الـدر ٦/٥ وقـال البخـاري في كتـاب التـفسير ٦/١٢٤ : ﴿ من سُلَالة ﴾ الولد ، والنُّطفةُ : السُّلالة . اهـ.

(٢) سقطت من المخطوطة لفظة « لمقـدار ما يُحْسى » وأثبتناهـا لأنها توضيـح لمعنى الحسوة ، قال في المصباح : والحُسْوة بالضمّ : ملءُ الفم ممَّا يُحسى . اهـ. المصباح المنير مادة حَسَا .

١٣ ــ **ثم قال جلَّ وعزَّ ﴿ فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا ..﴾** [آية ١٤] .

ويُقرأُ « عَظْماً »(٢) وهو واحدٌ يدلُّ على جَمْعٍ ، لأنه قد عُلِمَ أنَّ للإنسانِ عظاماً .

﴿ فكَسَوْنَا العِظَامَ لَحْمًا ﴾ ويجوز العَظْمُ(٣) على ذلك .

١٤ ــ **وقوله جلَّ وعزَّ : ﴿ ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ ..﴾** [آية ١٤] .

رَوَى عطاءٌ عن ابنِ عباس والربيعُ بن أنس عن أبي العالية ، وسعيدٌ عن قتادة عن الحسن، وعليُّ بن الحَكَم عن الضحَّاك في قوله **﴿ ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ ﴾** قالوا : نفَخَ فيه الروحَ(٣) .

ورَوَى هُشَيْمٌ ، عن مَنْصُورٍ ، عن الحَسَن ﴿ ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ

(١) قراءة « عظماً » بالإفراد هي قراءة ابن عامر ، وأبي بكر ، عن عاصم ، وهي من القراءات المشهورة ، وقرأ الجمهور بالجمع « عِظَاماً » وانظر النشر في القراءات العشر ٣٢٨/٢ والطبري ٩/١٨ والبحر ٣٩٨/٦ .

(٢) أي تجوز القراءة هنا على الإفراد أيضاً ﴿ عَظْماً ﴾ على المعنى الذي ذكره المصنف ، أنه واحد يدلّ على الجمع ، قال ابن الجوزي في النشر ٣٢٨/٢ : وهي قراءة ابن عامر ، وأبي بكر .

(٣) الأثر أخرجه ابن جرير في جامع البيان ٩/١٨ وابن الجوزي في زاده ٤٦٢/٥ والسيوطي في الدر ٧/٥ .

خلْقاً آخَرَ ﴾ قال : ذكراً وأنثى[1] .

ورُويَ عن الضحَّاك قال : الأسْنَانُ ، وخروجُ الشعر[2] .

قال أبو جعفر : وأَوْلى ما قيل فيه : أنَّه نفخُ الرُّوح فيه ، لأنه يتحوَّلُ عن تلك المعاني ، إلى أن يصيرَ إنساناً[3] .

والهاءُ في ﴿ أنْشأْنَاهُ ﴾ تعودُ على الإنسانِ ، أو على ذكر العظامِ ، والمضغةِ والنُّطفةِ ، أي : أنشأنا ذلك .

وقولُه ﴿ ثُمَّ إنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَميِّتُونَ ﴾ [آية ١٥] .

ونقول في هذا المعنى : لَمَائتُونَ[4] .

١٥ ــ وقولُه جلَّ وعز : ﴿ وَلَقَدْ خلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ .. ﴾ [آية ١٧] .

قال أبو عُبَيدة : أي سبع سمواتٍ[5] .

(١ــ٣) هذه الأقوال كلها منقولة عن السلف ، فقد قال ابن عباس : المرادُ نفخُ الروح فيه بعد الخلق ، واختار هذا ابن جرير الطبري وإليه ذهب النحاس ، ورُوي عن مجاهد : كمالُ شبابه ، وعن الضحاك : نباتُ الشعر ، وخروج الأسنان ، واختار كثير من المفسرين أنه عام في جميع هذا وفي غيره حيث جعله الله خلقاً آخر ، مبايناً للخلق الأول ، حيث صار إنساناً وكان جماداً ، وجسداً وكان طيناً ، وحَيّاً وكان ميتاً .

(٤) الميْتُ : بسكون الياء من مات فعلاً ، والميِّت : بالتشديد من سيموت ، كما قال سبحانه : ﴿ إنك ميِّت وإنهم ميِّتون ﴾ وكما قال الشاعر : « إنما الميْتُ ميِّتُ الأحياء » وانظر معاني الزجاج ٥/٩ .

(٥) انظر مجاز القرآن لأبي عبيدة ٢/٥٦ .

وحكى غيرُه أنه يُقال : طارقتُ الشَّيءَ أي جعلتُ بعضَه فوق بعض ، فقيل للسَّموات : طرائقُ ، لأنَّ بعضها فوق بعض[1] .

١٦ ــ **وقولُه جلَّ وعز : ﴿ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الأَرْضِ ..﴾** [آية ١٨] .

معنى ﴿ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الأَرْضِ ﴾ جعلناه فيها ثابتاً .

كما رُوي (أَرْبعةُ أَنْهارٍ من الجنَّةِ في الدنيا : الفراتُ ، ودجلةُ ، وسَيْحانُ[2] ، وجَيْحانُ)[3] .

قرىء على « أبي يعقوبَ » إسحقَ بنِ إبراهيمَ بنِ يونس ، عن جامع بن سَوَادةَ قال : حدَّثنا سعيدُ بن سابق ، قال : حدثنا مَسْلَمةُ بنُ عليٍّ ، عن مُقَاتِلِ بنِ حيان ، عن عكرمةَ ، عن ابن عباس أن النبي ﷺ قال : « أنزل اللّهُ جلَّ وعزَّ من الجنَّةِ خمسة أَنْهارٍ : « سَيْحون » وهو نهرُ الهند ، و« جيحون » وهو نهرُ بلخٍ ، و« دجلةُ والفراتُ » وهما

(١) قال في البحر ٦/٤٠٠ : وقيل سُمِّيت طرائق لأنها طرائق الملائكة في العروج .

(٢) يقال : سَيْحَان وجَيْحَان ، ويقال : سَيْحون ، وجَيْحون كما في الرواية الأخرى .

(٣) الحديث أخرجه ابن أبي الدنيا عن ابن عطاف ، كذا في الدر المنثور ٥/٨ للسيوطي ، وما جنح إليه المصنف من أن المراد بالماء الساكن في الأرض الأنهار ، هو قول آخر في الآية مرجوح ، والقول الراجح أن المراد أسكنه في بطون الأرض ، في الآبار والأودية ، فيفتح العيون والأنهار ، ويسقي الزروع والثمار كما قال سبحانه : ﴿ ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فسلكه ينابيع في الأرض ثم يُخرج به زرعاً مختلفاً ألوانه ﴾ الزمر آية ٢٠ .

نَهْرَا العراقِ ، و« النِّيلُ » وهو نهرُ مصر .. أنزلهما الله جل وعزَّ من غير واحدة من عيونِ الجنَّـة ، في أسفـلِ درجـةٍ من درجـاتها ، على جناحَـيْ جبريل عليه السلام فاستودعها الجبالَ ، وأجراها في الأرضِ ، وجعـل فيها منافـع للنَّـاس من أصنـافِ معايشهـم ، وذلك قولُـه جلَّ وعـزَّ ﴿ **وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الْأَرْضِ ..**﴾ فإذا كان عنـد خروج « يأجوج ومأجوج » أرسل اللَّهُ جلَّ وعـزَّ جبريـل عليـه السلام ، فرفـعَ من الأرضِ القـرآنَ ، والعلـمَ ، وهـذه الأنهارَ الخمسةَ ، فيرفـع ذلك إلى السَّماء ، وذلك قولُه تعالى ﴿ **وَإِنَّا عَلَى ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ** ﴾ فإذا رُفعتْ هذه الأشياءُ من الأرض إلى السَّماء ، فَقَـدَ أهلُهـا خيـرَ الدِّيـن ، والدنيا ، والآخرة »[1] .

١٧ ــ **وقولُه جل وعز** ﴿ **وَشَجَرَةٍ تَخْرُجُ مِنْ طُورِ سَيْنَاءَ ..**﴾ [آية ٢٠] .

المعنى : وأنشأْنا شَجَرةً .

قال أبو عُبيدة : الطُّورُ : الجبلُ ، وسيناء : اسم[2] .

وقال الضحَّاك ﴿ **سَيْنَاءَ** ﴾ الحَسَنُ[3] .

(١) الحديث أخرجه ابن مردويه ، والخطيب بسند ضعيف ، وانظر روح المعاني ١٨/١٩ والدر المنثور ٥/٨ والقرطبي ١٢/١١٣ .

(٢) انظر مجاز القرآن لأبي عبيدة ٢/٥٧ .

(٣) الأثر أخرجه الطبري ١٨/١٣ .

قال أبو جعفر : والمعروفُ أن « سَيْنَا » اسم الموضع(١) .

١٨ ــ ثم قال جلَّ وعزَّ : ﴿ تَنْبتُ بالدُّهْنِ .. ﴾ [آية ٢٠] .

ويُقرأ « تُنْبِتُ بِالدُّهْن »(٢) .

وفيه ثلاثة أقوال :

أحدها : أن الباء زائدة ، وهذا مذهب أبي عُبيدةَ ، كما قال الشاعر :

هُنَّ الحَرَائِرُ لا رَبَّاتُ أَحْمِرَةٍ
سُوْدُ المحاجِرِ لايَقْرأنَ بالسُّورِ(٣)

---

(١) هذا القول هو الصحيح واختاره الطبري ١٨/١٤ حيث قال : وقال ابن زيد هو جبل الطور الذي بالشام ، الذي كلَّم الله عليه موسى ، فهو اسم الجبل ، ولو كان كما قال من قال معناه : جبل مبارك ، أو معناه حسن ، لكان الطور منوَّناً ، وكان قوله « سَيْنَاءَ » من نعته ، على أن « سيناء » بمعنى مبارك وحسن ، غير معروف في كلام العرب ، ولكن القول في ذلك إن شاء الله كما قال ابن عباس من أنه جبل عُرف بذلك ، وهو الذي نودي منه موسى ، وهو مع ذلك مبارك ، لأنه معناه مبارك . اهـ.

(٢) هذه قراءة ابن كثير وأبي عمرو ، وقرأ الباقون « تَنْبُتُ » بفتح التاء وانظر النشر ٣٢٨/٢ والسبعة في القراءات لابن مجاهد ص ٤٤٤ .

(٣) جاء في خزانة الأدب ١٠٨/٩ والبيت وقع في شعرين : أحدهما للراعي النميري ، والثاني للقتَّال الكلابي وقبله قوله :

صَلَّى على عَزَّةَ الرحمنُ وابْنَتِهَا لَيْلَى وَصَلَّى على جَارَاتها الأُخَرِ
هُنَّ الحَرَائِرُ لَا رَبَّاتُ أَحْمِرَةٍ .... إلخ

وقد جاء في تفسير القرطبي ١١٥/١٢ بالخاء « أخمرة » جمع خمار ، وكذلك في اللسان ، وذكر في الخزانة أنه تصحيف ، وصوابه أحمرة .

وقيل : الباءُ متعلقةٌ بالمصدر الذي دلَّ عليه الفعل ، فقيل : نَبَتَ ، وأَنْبتَ بمعنًى ، كما قال الشاعر :

رَأَيْتَ ذَوِي الحَاجَاتِ حَوْلَ بُيوتِهِمْ
قَطِيناً لَهُمْ حتَّى إذا أَنْبتَ البَقْلُ[1]

وهذا القول مذهب الفرَّاء وأبي إسحاق ، ومعنى ﴿ **تُنْبِتُ بالدُّهْنِ** ﴾ و﴿ **تَنْبُتُ بالدُّهْنِ** ﴾ عندهما واحد .

والمعنى : تَنْبتُ ومعها الدُّهنُ ، كما تقول : جاء فلانٌ بالسَّيف ، أي ومعه السَّيفُ .

١٩ ــ **ثم قال جلَّ وعزَّ : ﴿ وَصِبْغٍ لِلآكِلِينَ ﴾** [آية ٢٠] .

وصِبْغٌ ، وصِبَاغٌ ، بمعنًى واحد .

قال قتادة : يعني الزيتون[2] .

---

(١) البيت لزهير في مدح « هَرِم بن سِنَان » وهو في ديوانه ص ١١١ والقَطِينُ : الساكن النَّازِلُ في الدار ، وقبله :

إذا السَّنةُ الشهباءُ بالناسِ أجحفتْ ... ونالَ كِرَامَ المالِ في السَّنةِ الأكلُ

يقول : إن ذوي الحاجات يقصدونهم في زمن الجدب ، حتى يأتي الربيع ، وينبت البقل ، وانظر معاني القرآن للفراء ٢/٢٣٣ والبحر المحيط ٦/٤٠٠ وروح المعاني ١٨/٢٢ وأنكر الأصمعي « أنبت » في قصيدة زهير ، وقال : هو نَبَتَ البقلُ .

(٢) الأثر أخرجه السيوطي في الدر المنثور ٨/٨ ولفظه : وقال قتادة ﴿ وشجرة تَخْرُجُ ﴾ قال : هي الزيتون ، جعل الله فيها دُهناً وأُدْماً . اهـ. وسُمِّي الزيتُ « صِبْغاً » لأنه يَصْبُغ الخبزَ إذا غُمس فيه ، فهو كالصباغ للثياب ، وهذا مروي عن ابن عباس وابن زيد ، وانظر الطبري ١٨/١٥=

٢٠ ـــ **وقوله جلَّ وعزَّ : ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ بِهِ جِنَّةٌ ..﴾** [آية ٢٥] .

« جِنَّةٌ » أي جنون .

﴿ فَتَرَبَّصُوا بِهِ حَتَّى حِينٍ ﴾ قال الفراء : ليس يُرادُ بالحين وقتٌ بعينه ، إنما هو كما تقول : دَعْهُ إلى يومٍ ما[1] .

٢١ ـــ **وقولُه جلَّ وعزَّ : ﴿ وَقُلْ رَبِّ أَنْزِلْنِي مُنْزَلاً مُبَارَكاً ..﴾** [آية ٢٩] .

« مُنْزَل » و« إِنْزَال » واحدٌ ، والمنْزِلُ : موضعُ النُّزُولِ ، والمَنْزَلُ بمعنى النُّزُول[2] ، كما تقول : جَلَس مَجْلَساً ، والمَجْلِسُ : الموضعُ الذي يُجْلَس فيه[3] .

٢٢ ـــ **وقوله جلَّ وعزَّ : ﴿ وَأَتْرَفْنَاهُمْ فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا ..﴾** [آية ٣٣] .

= والبحر المحيط ٤٠١/٦ .

أقول : ذكر تعالى منافع الزيتون ، أنه يُؤكل ويُستخرج منه الزيت ، فهو زاد وأُدْمٌ ، وفي الحديث الشريف « كلوا الزيت وادَّهنوا به فإنه يخرج من شجرة مباركة » أخرجه الترمذي والإمام أحمد .

(١) معاني القرآن للفراء ٢٤٣/٢ .

(٢) قال الجوهري : المَنْزَل بفتح الميم والزاي : النزول وهو الحلول ، تقول : نزلت نُزُولاً ومنزَلاً . اهـ. الصحاح مادة نزل .

(٣) نبَّه المصنف إلى القراءات الواردة في هذه الآية ، قال ابن مجاهد في السبعة ص ٤٤٥ : قرأ عاصم في رواية ﴿ مَنْزِلاً ﴾ بفتح الميم وكسر الزاي ، وقرأ الباقون وحفص : ﴿ مُنْزَلاً مُبارَكاً ﴾ اهـ. والمعنى : أنزلني إنزالاً مباركاً ، وأما على قراءة عاصم ﴿ مَنْزِلاً مباركاً ﴾ فالمعنى : أنزلني مكاناً مباركاً ، وانظر الطبري ١٨/١٨ والقرطبي ١٢٠/١٢ .

معناه : وسَّعنا عليهم ، حتَّى صاروا يُؤْتونَ بالتُّرفَةِ ، وهي مثل التُّحفة[1].

٢٣ ـ **وقوله جلَّ وعزَّ : ﴿ أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُم إِذَا مِتُّمْ وَكُنْتُمْ تُرَابَاً وعِظَامَاً أَنَّكُمْ مُخْرَجُونَ﴾** [آية ٣٥] .

قال سيبويْهِ : وممَّا جاء مُبْدلاً من هذا الباب قولُه تعالى **﴿ أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إذَا مِتُّمْ وكنتُم تُراباً وعِظَاماً أَنَّكُم مُخْرجُونَ ﴾** ؟

يذهبُ إلى أنَّ « أنَّ » الثانية ، مبدلةٌ من الأولى ، وأنَّ المعنى : أَيَعِدكُم أنَّكمْ مُخرجونَ إذا مِتُّمْ ؟

قال سيبويه : وكذلك أُريد بها ، وجيءَ بـ « أنَّ » الأولى ، لتدلَّ على وقت الإخراج .

والفرَّاءُ[2] ، والجَرْميُّ[3] ، وأبو العباس[4] ، يذهبون إلى أنَّ « أنَّ » الثانية مكرَّرةٌ للتوكيد ، لمَّا طال الكلام كان تكريرُها حَسَناً .

---

(١) عبارة القرطبي ﴿ وأترفناهم في الحياة الدنيا ﴾ أي وسَّعنا عليهم نعم الدنيا حتى بطروا ، وصاروا يؤتون بالتُّرفة وهي مثل التُّحفة . اهـ. القرطبي ١٢/١٢١ .

(٢) انظر معاني الفراء ٢/٢٣٤ .

(٣) الجَرْمي : هو صالح بن إسحاق الجرمي ، أبو عمر البصري المتوفى سنة ٢٢٥هـ إمام العربية صاحب التصانيف ، أخذ العربية عن سعيد الأخفش ، واللغة عن أبي عُبيدة ، قال المبرِّد : كان الجرميُّ أثبت القوم في كتاب سيبويه . وانظر ترجمته في سير أعلام النبلاء ١٠/٥٦١ ووفيات الأعيان ١/٢٨٥ ومعجم المؤلفين ٥/٣ .

(٤) أبو العباس : هو الإمام المبرد أحد كبار علماء اللغة ، وقد تقدمت ترجمته ١/٥٥ .

والأخفشُ يذهبُ إلى أنَّ « أنَّ » الثانيـة في موضع رفـع بفعـل مضمر ، دلَّ عليه « إذا » والمعنى عنده : أيعدكم أنكم إذا مِتُّـم ، وكـنتم تُرابـاً وعظامـاً يحدث إخراجكـمُ ، كما تقـول : اليـومَ القتـالُ ، والمعنـى عنده : اليومَ يَحْدُثُ القتالُ ، ويقعُ القتالُ .

قال الفـرَّاء : وفي قراءة ابـن مسعـود[1] ﴿ **أَيَعِدُكُـمْ إِذَا مِتُّـمْ وكُنْتُم تُرَاباً وَعِظَامَاً إِنَّكُمْ مُخْرَجُونَ** ﴾ ؟

قال أبو إسحـاق : ويجوز « أيعـدكم إنكـم إذا مِتُّـم وكـنتم تُرَابَـاً وَعِظَامَاً إِنَّكُمْ مُخْرَجُونَ » لأن معنى « أيعدكم » أيقول لكم .

٢٤ ــ وقوله جلَّ وعز ﴿هَيْهات هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ﴾ [آية ٣٦] .

قال قتادة : أي للبعث[2] .

قال أبو جعفر : العرب تقول : هَيْهاتَ ، هَيْهاتَ لِمَـا قُلْتَ ، وهَيْهاتَ ما قُلْتَ .

---

(١) قـراءة ابـن مسـعود بإسـقاط ﴿ إنَّكـم ﴾ الأولى ، ذكرهـا أبـو حيـان في البحـر ٦/٤٠٤ والقرطبي ١٢/١٢٢ والألوسي ١٨/٣١ وهي خلاف قراءة الجمهور ، وأحسن ما قيـل في تكـرار ﴿ أنَّكم ﴾ أنه لطول الفصل بينه وبين خبره وهو ﴿ مخرجون ﴾ .

قال الفـراء ٢/٢٣٥ : أُعيـدت ﴿ أنَّكـم ﴾ مرتين ، وحَسُن ذلك لما فرَّقت بينها وبين خبرها بإذا ، وكذلك تفعل بكل اسم أوقعت عليـه « أن » بالظـنِّ ، ثم اعتـرض عليـه الجزاء دون خبره ، فإن شئت كرَّرتَ اسمه ، وإن شئت حذفته أولاً أوآخراً ، فتقول : أظـنُّ أنك إذا خرجت أنَّك نادمٌ فإن حذفت أنك الأولى والثانية صَلُح وإن أثبتهما صَلُـح ، وإن لم تعرض بينهمـا بشيء لم يجز فخطأ أن تقول أظن أنَّك نادم ، إلا أن تُكرِّر كالتوكيد . اهـ .

(٢) الأثـر في الـطبري ١٨/٢٠ وهـو تفسير لقولـه ﴿ لَمَـا تُوعَـدُون ﴾ ومعنـى « هيهات » بعيـد أي =

فمن قال « هَيْهَاتَ لِمَا قلتَ » فتقديره : البعدُ لِمَا قُلتَ ، ومن قال : « هَيْهاتَ ما قلتَ » فتقديره : البعيدُ ما قلتَ .

وفي « هيهات » لغاتٌ ليس هذا موضع ذكرها .

٢٥ ــ **ثم قال جلَّ وعز : ﴿ إنْ هِيَ إلاَّ حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا .. ﴾** [آية ٣٧] .

يُقال : كيف قالوا : **﴿ نَمُوْتُ وَنَحْيَا ﴾** وهم لايُقِرّون بالبعث ؟

ففي هذا أجوبة :

أ ــ [**منها في الآية تقديمٌ وتأخيرٌ** ، والمعنى : ما هي إلاَّ حياتُنا الدنيا ، نحيا فيها ونموت][1] كما قال تعالى **﴿ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي ﴾**[2] .

= بعيد ، بعيد ما يعدكم به من أمر البعث بعد الموت ، وفي صحيح البخاري في كتاب التفسير ١٢٤/٦ ﴿ هيهات هيهات ﴾ بعيد ، بعيد .

(١) سقط من المخطوطة هذا السطر ، وأخذناه من الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٢٤/١٢ وهو القول الأول ، لأنه ذكر بعده قو . : وجواب ثالث ، ولم يذكر المصنف إلا الثاني والثالث .

(٢) سورة آل عمران ٤٣ وتمامها ﴿ يا مريم اقنتي لربك واسجدي واركعي مع الراكعين ﴾ .
وإنما ذكر هذا الوجه لأنهم ينكرون البعث ، فليس قولهم ﴿ نموت ونحيا ﴾ إقراراً بالبعث بعد الموت ، لأنه يعارض قولهم ﴿ وما نحن بمبعوثين ﴾ وقد استشهد المصنف بالآية على أن « الواو » لا تقتضي الترتيب ، وإنما هي لمطلق الجمع كقوله تعالى ﴿ واسجدي واركعي ﴾ ومعلوم أن السجود قبل الركوع .

ب ـــ **ومنها أن المعنى** : نموتُ ، ويَحْيَا أولادُنا[1] .

ج ـــ **وجوابٌ ثالثٌ** : وهو أن يكون المعنى : نكون مَوَاتـاً أي نُطَفـاً ، ثم نحيا في الدنيا[2] .

٢٦ ـــ **وقولُه جلَّ وعز** : ﴿ **قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ لَيُصْبِحُنَّ نَادِمِينَ** ﴾ [آية ٤٠] .

والمعنى : عن قليلٍ ، و« مَا » زائدةٌ للتوكيد .

٢٧ ـــ **وقولُه جلَّ وعز** : ﴿ **فَجَعَلْنَاهُمْ غُثَاءً** .. ﴾ [آية ٤١] .

والمعنى : فأهلكناهم ، وفرَّقناهم .

والغثـاءُ : ما علَا الماءَ من وَرَقِ الشَّجـرِ ، والقَـمْشِ[3] ، لأنـه يتفرَّقُ ، ولا يُنتَفَعُ به .

٢٨ ـــ **وقولُه جلَّ وعز** : ﴿ **ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَى** .. ﴾ [آية ٤٤] .

قال أبو عبيدة : أي بعضُها في إثْرِ بعض[4] .

قال أبـو جعفـر : وهـذا قولُ أكثر أهـل اللغـة ، إلَّا الأصمعـي فإنه قال : ﴿ **تَتْرَى** ﴾ مِنْ وَاتَرْتُ عليهِ الكُتُبَ ، أي بينها مُهْلة[5] .

---

(١) عبارة البحر أوضح فقد قال : يموت بعض ويولد بعض ، ينقرض قرن ، ويـأتي قرن . اهـ. البحـر ٤٠٥/٦ .

(٢) هذا الوجه بعيد ، ولعل الوجه الأول هو أرجح الوجوه .

(٣) القَمْشُ : فُتات الأشياء قال في القاموس المحيط : القَمْشُ جمع القُماش ، وهو ما على وجـه الأض من فُتَات الأشياء ، حتى يقال لرذالة الناس قماش . اهـ. القاموس مادة قمش .

(٤) انظر مجاز القرآن لأبي عبيدة ٥٩/٢ .

(٥) العبارة هنا غامضة ، وأوضح منها ما جاء في إعراب القرآن للنحـاس ٤١٩/٢ : قال الأصمعـي : =

و « تَتْرى » الأصلُ فيه من الوَتْرِ ، وهو الفردُ ، فمن قال ﴿ تَتْرَىً ﴾[1] بالتنوين ، فالأصلُ عنده « وِتْراً » ثم أبدل من الواو تاءً كما يُقال : « تاللّهِ » بمعنى : وَاللّهِ .

ومن قرأ ﴿ تَتْرى ﴾ بلا تنوين ، فالمعنى عنده كهذا : إلاَّ أنه جعلها ألف تأنيث .

ويُقال : تِتْرٌ كما يُقال : وِتْرٌ .

والمعنى : أرسلناهم فَرْدَاً ، فَرْداً[2] ، إلاَّ أنه قد رَوَى عليُّ بن أبي طَلْحةَ ، عن ابنِ عبَّاسٍ ﴿ ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَى ﴾ قال يقول : يتبعُ بعضُها بعضاً[3] .

٢٩ ـ وقولُه جلَّ وعزَّ : ﴿ وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ .. ﴾ [آية ٤٤] .

= واترت كُتُبي عليه : أتبعت بعضها بعضاً ، إلا أن بين كل واحد منها وبين الآخر مُهْلة . اهـ. قال في تاج العروس : تَرَى يَتْرِي كرَمَى يَرْمِي : أي تراخى في العمل ، فعمل شيئاً بعد شيء ، وأَتْرَى عمل أعمالاً متواترة ، بين كل عملين فترة . اهـ. مادة ترى .

(١) هذه قراءة ابن كثير ، وأبي عمرو ﴿ تترىً ﴾ بالتنوين ، وهي من القراءات السبع ، وانظر النشر ٣٢٨/٢ .

(٢) عبارة القرطبي ١٢٥/١٢ : وقيل هو من الوتر وهو الفرد ، فالمعنى أرسلناهم فرداً فرداً . اهـ .

(٣) الأثر أخرجه ابن جرير في جامع البيان ٢٤/١٨ ، وهذا القول أرجح الأقوال في الآية الكريمة وهو الذي ذهب إليه ابن عباس ، والمعنى : أرسلنا رسلنا متتابعين ، متتالين ، يتبع بعضهم بعضاً ، كلما ذهب رسول أعقبه رسول كما قال سبحانه ﴿ ولقد بعثنا في كل أمة رسولا ﴾ .

قال أبو عبيدة : أي مثَّلْنا بهم ، ولا يُقال فِي الخير جعلتُه حديثاً(١) .

٣٠ ـــ **وقولُه جلَّ وعز** : ﴿ **وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً** ..﴾ [آية ٥٠] .

قال قتادة : ولدتْهُ من غير أب(٢) .

قال أبو جعفر : ولم يقل : « آيتيْنِ » لأنَّ الآية فيهما واحدة(٣) .

ويجوز أن يكون مثل قوله تعالى ﴿ **وَاللَّهُ وَرَسُوْلُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضُوْهُ** ﴾(٤) .

٣١ ـــ **وقولُه تعالى** ﴿ **وَآوَيْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ** ..﴾ [آية ٥٠] .

---

(١) ﴿ أحاديث ﴾ قال القرطبي ١٢/١٢٥ : جمع أحدوثة ، وهي ما يُتحدث به ، كأعاجيب جمع أعجوبة ، وهي ما يتعجب منه ، قال الأخفش : إنما يقال هذا في الشرِّ ﴿جعلناهم أحاديث﴾ ولا يقال في الخير ، كما يقال : صار فلان حديثاً أي عبرة ومثلاً ، ومنه قوله تعالى : ﴿ فجعلناهم أحاديث ومزَّقناهم كل ممزَّق ﴾ . اهـ .

(٢) ذكر هذا الأثر الطبري ١٨/٢٥ والسيوطي في الدر المنثور ٥/٩ .

(٣) قال في البحر ٦/٤٠٨ : أي جعلنا قصتهما آية للعالمين ، وهي آية عظمى بمجموعها ، وهي آيات مع التفصيل ، ويحتمل أن يكون حُذِف من الأول « آية » لدلالة الثاني أي جعلنا ابن مريم آية وأمه آية . اهـ. وقال الزجاج ٤/١٤ : إن الآية فيهما واحدة ، لأنها ولدته من غير فحل . وعلى هذا مذهب الفراء : وجعلناها آية للعالمين وابنها ، مثل قوله تعالى ﴿ والله ورسوله أحق أن يُرضوه ﴾ وحَّد الضمير .

(٤) سورة التوبة آية رقم ٦٢ .

رَوَى إسرائيلُ عن سِمَاكٍ عن عكرمة عن ابن عباس في قوله جلَّ وعزَّ : ﴿ **وَآوَيْنَاهُمَا إِلَى رِبْوَةٍ** ﴾ قال : نُبِّئْتُ أنَّها دمشقُ[1].

قال أبو جعفر : وكذا المعروفُ من قراءةِ ابنِ عباس ﴿ **إلَى رِبْوَةٍ** ﴾ ويُقال : « رَبْوَة » بفتح الرَّاءِ[2] ، ويُقال « رَبَاوَةٌ » بفتح الراء والألف ، وقرأ بها الأشهبُ العُقَيْلي ، ويُقال : « رُبَاوَة » بالألف وضمِّ الرَّاء ، ويُقال « رِبَاوَةٌ » بكسر الراء، ومعناه : المرتفع من كل شيء .

ومعنى الرَّبْوَةِ : ما ارتفعَ من الأرضِ ، يُقال : رَبَا إذا ارتفع وزاد ، ومنه الرِّبَا في البيع[3] .

وقد اختُلِفَ في معنى هذا الحرف :

فقال ابن عباس ماذكرناه .

وكذلك رَوَى يحيى بن سعيد ، عن سعيد بن المسيِّب

---

(١) الأثر أخرجه ابن جرير ٢٦/١٨ وابن كثير ٤٧٠/٥ .

(٢) هذه من القراءات السبع ، قرأ عاصم وابن عمر ﴿ إلى رَبْوَةٍ ﴾ بفتح الراء ، وقرأ الباقون ﴿ رُبْوة ﴾ بالضم ، وانظر السبعة في القراءات ص ٤٤٦ ، وأما قراءة رَبَاوَةٌ فهي من الشواذ .

(٣) قال أبو عبيدة ٥٩/٢ : الرُّبوة يُضم أولها ويُكسر ، وهي النَّجوة من الأرض ـــ أي المرتفع منها ـــ ومنه قولهم : فلان في رَبوة من قومه أي في عز وشرف وعدد . اهـ. مجاز القرآن .

﴿ وَآوَيْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ ﴾ قال : دمشقُ[1] .

وروَى **مَعْمرٌ عن قتادة** قال : بيتُ المقدس[2] .

وقال **كعب الأحبار** : بيتُ المقدسِ أقربُ إلى السماء بثمانية عَشَر ميلاً[4] .

وقال **وهبُ بنُ مُنبِّهٍ** : مِصْرُ[4] .

وروَى **سَالمُ الأفطسُ عن سعيدِ بنِ جُبَيْرٍ** ﴿ وَآوَيْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَة ﴾ قال : النشَزُ من الأرض[5] .

وقال **الضحَّاكُ** : ما ارتفَعَ من الأرض[7] .

وقد **رُوِي عن النبي** ﷺ أن الرَّبْوة ههنا : الرَّملةُ[7] .

فأمّا ابنُ زيدٍ فقال : إلى رَبْوةٍ من رُبَى مِصْرَ ، قال : وليس الرُّبى إلاَّ بمصر ، والماءُ حين يُرسَلُ تكونُ الرُّبى عليها القُرَى ، ولولا

(١ــ٦) هذه الأقوال أن الربوة دمشق ، أو بيت المقدس ، أو مصر ، أو ما ارتفع من الأرض ، كلها أقول منقولة عن السلف ذكرها السيوطي في الدر المنثور ٥/١٠ والطبري ٢٦/١٨ وأبو حيان في البحر المحيط ٦/٤٠٨ .

(٧) الحديث أخرجه الطبراني في الأوسط ، عن مُرَّة البَهْزيِّ قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : الرَّبوة : الرَّمْلة ، وفي رواية عن أبي هريرة : هي الرملة في فلسطين ، وانظر الدر المنثور ٥/١٠ .

الرُّبى غرقتْ تلك القُرى[1] .

قال أبو جعفر : والصوابُ أن يُقال : إنَّها مكانٌ مرتفعٌ ، ذو استواءٍ ، وماءٍ ظاهر .

٣٢ ــ ثم قال تعالى ﴿ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ﴾ [آية ٥٠] .

قال قتادة : ذاتُ ماءٍ وثمار[2] .

ورَوَى سالمٌ عن سعيدِ بنِ جُبَيْرٍ ﴿ ذَاتِ قَرَارٍ ﴾ مستوية و﴿ **مَعِينٍ** ﴾ ماءٍ ظاهر[3] .

ورَوَى عليُّ بن الحَكَم عن الضحَّاك ﴿ وَمَعِينٍ ﴾ قال : الماءُ الجاري[4] .

---

(١) الأثر أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان ٢٦/١٨ والسيوطي في الدر المنثور ٩/٥ وعزاه إلى ابن أبي حاتم ، قال الألوسي في تفسيره روح المعاني ٣٨/١٨ : ذكروا أن قرى مصر كل واحدة منها على ربوة مرتفعة ، لعموم النيل في زيادته جميع أرضها ، فلو لم تكن القُرى على الرُّبى لغرقت . اهـ .

(٢ــ٤) ذكر هذه الآثار الطبري في تفسيره ٢٨/١٨ وصاحب البحر المحيط ٤٠٨/٦ وقال يعني أنه من أجل الثمار يستقر فيها ساكنوها ، وذكرها السيوطي في الدر المنثور ١٠/٥ .

قال الحافظ ابن كثير ٤٧٠/٥ : وأقرب الأقوال في ذلك ما رواه العوفي عن ابن عباس في قوله سبحانه ﴿ وآويناهما إلى رَبوة ذات قرار ومَعِين ﴾ قال المعينُ : الماء الجاري ، وهو النهر الذي قال الله تعالى ﴿ قد جعل ربك تحتك سَرِياً ﴾ وكذا قال الضحاك ، وقتادة ، وهو في بيت المقدس ، فهذا ــ والله أعلم ــ هو الأظهر لأنه المذكور في الآية الأخرى ، والقرآن يفسِّر بعضه بعضاً . اهـ.

قال أبو جعفر : معنى ﴿ **ذات قرارٍ** ﴾ في اللغة : يُسْتَقَرُّ فيها ، والذي قال سعيد بن جبير حَسَنٌ .

و﴿ مَعِينٌ ﴾ فيه ثلاث تقديرات :

إحداهن : أن يكون مفعولاً .

قال أبو إسحاق : هو الماءُ الجاري في العيون[1] .

فالميمُ على هذا زائدةٌ ، كزيادتها في « مبيع » .

وكذلكَ الميمُ زائدةٌ في قول من قال : إنه الماء الذي يُرى بالعين .

٢ ـ وقيل إنه « فعيلٌ » بمعنى « مفعول » .

قال علي بن سليمان[2] : يُقال : مَعَنَ الماءُ إذا جرى وكثر ، فهو معين ، ومَمْعُون ، قال وأنشدني محمد بن يزيد بيتاً ، لم يَحْفَظْ منه إلاَّ قولَه :

« وماءٍ مَمْعُون »

قال ويُقال : معينٌ ، ومُعُن ، كما يُقال : رَغِيفٌ ، ورُغُف .

---

(١) انظر معاني الزجاج ٤/١٥ .

(٢) علي بن سليمان بن الفضل البغدادي المتوفى سنة ٣١٥هـ المشهور بالأخفش الصغير ، أحد أئمة العلم والأدب سمع المبرد ، وثعلب ، وانظر ترجمته في معجم الأدباء ١٣/٢٤٦ .

٣ ــ **والقول الثالث** : حدثناه محمد بن الوليد عن أحمد بن يحيى عن ابن الأعرابي قال : مَعَن الماءُ يَمْعَن مُعُوناً : جرى وسَهُل ، وأمعَنَ أيضاً وأمعنتُه أنا ، ومياهٌ مُعْنانٌ[1] .

٣٣ ــ **وقولُه جلَّ وعزَّ : ﴿ يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوْا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوْا صَالِحًا ..﴾** [آية ٥١] .

قال أبو إسحق[2] : هذا مُخَاطبةٌ للنبيِّ ﷺ ، ودلَّ الجَمْعُ[3] على أنَّ الرُّسَل كلَّهم كذا أُمِرُوا ، أي كُلُوا منَ الحَلَالِ[4] .

٣٤ ــ **وقولُه جلَّ وعزَّ : ﴿ وَأَنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً ..﴾** [آية ٥٢] .

المعنى : « ولأنَّ » أيْ ولأنَّ دينَكم دينٌ واحدٌ ، وهو الإسلامُ فاتَّقُون .

---

(١) قال ابن منظور : ﴿ ذاتِ قرار ومعين ﴾ قال الفراء : ﴿ ذاتِ قرار ﴾ أرض منبسطة ، و ﴿ معين ﴾ الماء الظاهر الجاري ، قال : ولك أن تجعل المعين مفعولاً من العيون ، وأن تجعله فعيلاً من الماعون ، ويكون أصله المعن . اهـ. لسان العرب مادة مَعَن .

(٢) هو الإمام الزجاج المتوفى سنة ٣١١هـ « إبراهيم بن السَّرِي » عالم بالنحو واللغة ، له كتاب إعراب القرآن . وانظر الأعلام ١/٤٠ .

(٣) في المخطوطة « الجميع » وهو خطأ ، وصوابه « الجَمْعُ » كما أثبتناه ، وكما ذكره القرطبي ١٢٨/١٢ نقلاً عن الزجاج .

(٤) قال الفراء في معاني القرآن ٢٣٧/٢ ﴿ يا أيها الرُّسُل ﴾ أراد النبي ﷺ فجمع ، كما يُقال في الكلام للرجل الواحد : أيها القوم كفُّوا عنا أذاكم . اهـ. وقال في البحر : ونداء الرسل وخطابهم بمعنى نداء كل واحد في زمانه ، وإنما أتى بصيغة الجمع ، ليعتقد السامع أنَّ أمراً نُودي له جميع الرسل ووصُّوا به ، حقيق أن يُستمسك ويُعمل به . اهـ. البحر المحيط ٤٠٨/٦ .

٣٥ ــ ثم خبَّر أن قوماً فرَّقوا أديانهم فقال جل وعزَّ : ﴿ فَتَقَطَّعُوْا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُراً ..﴾ [آية ٥٣] .

قال قتادة : أي كُتباً[١] .

قال الفراء : أي صاروا يهودَ ونصارى[٢] .

وقرأ الأعمش : ﴿ فتقطَّعُوا أمرَهُمْ بينَهُمْ زُبَراً ﴾[٣] وهو جمع « زُبَرَةٍ » أي قِطَعاً وفِرَقاً .

٣٦ ــ ثم قال جلَّ وعزَّ : ﴿ كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ[٤]﴾ [آية ٥٣] .

أي معجبون .

٣٧ ــ ثم قال تعالى ﴿ فَذَرْهُمْ فِي غَمْرَتِهِمْ حَتَّى حِينٍ﴾ [آية ٥٤] .

---

(١) الأثر أخرجه السيوطي في الدر ٥/ ١٠ وهو تفسير لقوله « زُبُراً » قال ابن زيد : يعني كتباً وضعوها ، وضلالات ألفوها ، قال القرطبي : يعني الأمم افترقوا ، فجعلوا دينهم أدياناً ، بعدما أُمروا بالاجتماع .

(٢) انظر معاني القرآن للفراء ٢/ ٢٣٧ .

(٣) هذه قراءة الأعمش ، وأبي عمرو ، قال الطبري ١٨/ ٣٠ قرأته عامة قراء المدينة والعراق « زُبُراً » جمع زبور بمعنى أن القوم تفرقوا في الدين الواحد ، والملة الواحدة ، فدان كل فريق منهم بكتاب غير الذي دان به الفريق الآخر ، وقرأ عامة قرّاء الشام « زُبَراً » بفتح الباء بمعنى أنهم تفرقوا أمرهم بينهم قِطَعاً كزُبر الحديد ، فصار بعضهم يهوداً وبعضهم نصارى .

(٤) الفرح هنا ليس فرح غبطة وسرور ، بل هو فرح أشر وبطر ، ولذلك فسَّره بقوله : معجبُون .

قال قتادة : ﴿ **فِي غَمْرَتِهِمْ** ﴾ أي في جهالتهم[1] .

﴿ **حَتَّى حِينٍ** ﴾ قال مجاهد : حتَّى الموت[2] .

٣٨ ــ **ثم قال تعالى** ﴿ **أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُمْ بِهِ مِنْ مَالٍ وَبَنِينَ . نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ ..** ﴾ [آية ٥٥ ، ٥٦] .

الخبرُ محذوفٌ ، والمعنى : نسارع لهم به ، وهذا قول أبي إسحق .

ولهشامَ الضرير[3] فيه قولٌ ، وهو أنَّ « ما » هي الخيراتُ ، فصار المعنى : نسارعُ لهم فيه ، بغير حذف : ﴿ **أَيَحْسَبُونَ أَنَّ مَانُمِدُّهُمْ بِهِ مِنْ مَالٍ وَبَنِينَ** ﴾ مجازاةٌ لهم وخيرٌ[4] .

وقرأ عبد الرحمن بنُ أبي بَكْرَةَ[5] ﴿ **يُسَارِعُ لَهُمْ في**

(١،٢) انظر الطبري ٣١/١٨ والدر المنثور ١١/٥ وابن كثير ٤٧٢/٥ .

(٣) هو هشام بن معاوية الضرير المتوفى سنة ٢٠٩هـ كوفي نحوي ، من كتبه « الحدود ، والمختصر ، والقياس » وكلها في النحو ، وانظر ترجمته في الأعلام ١٨٨/٨ الطبعة الحديثة ، وقد وقع خطأ في اسمه في البحر المحيط فقال : هشام بن معونة الضرير ، والصواب ما أثبتناه كما في الأعلام .

(٤) عبارة الفراء أوضح حيث قال : « ما » في موضع الذي ، وليست بحرف واحد ، وقوله ﴿ نسارع لهم في الخيرات ﴾ يقول : أيحسبون أن ما نُعطيهم في هذه الدنيا ، من الأموال والبنين ، أنَّا جعلناه لهم ثواباً ؟ إنما هو استدراج منَّا لهم . اهـ. معاني القرآن للفراء ٢٣٨/٢ .

(٥) عبد الرحمن بن أبي بكرة نفيع بن الحارث الثقفي ، أول مولود ولد في الإسلام بالبصرة ، ذكره ابن حبان في الثقات توفي سنة ٩٦هـ وانظر ترجمته في التهذيب ١٤٨/٦ .

الخَيْراتِ ﴾[١] بالياء وكسرِ الراء .

وهـــذا يجوز أن يكـــون على غير حذفٍ ، أي يُسارع لهم الإمدادُ .

ويجوز أن يكون فيه حذفٌ ، ويكون المعنى : يُسارع اللّـهُ لهم به في الخيرات[٢] .

٣٩ ـ **وقولُه جلّ وعز : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَـةِ رَبِّهِـمْ مُشْفِقُـونَ** .. إلى قولـه جلَّ وعـزَّ **﴿ وَالَّذِيـنَ يُؤْتُـونَ مَا آتَـوْا وَقُلُوبُهُـمْ وَجِلَـةٌ ..﴾** [آية ٥٧ ـ ٦٠] .

قال عبدالرحمن بن سعيد الهَمَداني عن عائشة رضي الله عنها قالت : « سألتُ رسولَ الله ﷺ عن قوله تعالى : ﴿ **وَالَّذِيـنَ يُؤْتُونَ ما آتَوْا وَقُلُوبُهُـمْ وَجِلَـةٌ** ﴾ أهـو الرجـل يَزْني ، أو يسرِقُ ، أو يشربُ الخمر ؟ فقـال : لا يا ابنـةَ الصِدِّيق ، ولكنـه الرجـل يُصلِّي ،

---

(١) هذه القراءة شاذة ، وانظر المحتسب ٩٤/٢ والطبري ٣١/١٨ والقرطبي ١٣١/١٢ والبحر المحيط ٤١٠/٦ .

(٢) الآية وردت مورد الذم والتوبيخ على سوء الفهم ، قال قتادة : مُكِرَ والله بالقوم في أموالهم وأولادهم ، يا ابن آدم ، فلا تعتبر الناس بأموالهم وأولادهم ، ولكن اعتبرهم بالإيمان والعمل الصالح . اهـ. تفسير ابن كثير ٤٧٣/٥ .

ويصومُ ، ويتصدَّقُ ، ويخاف ألاَّ يُتقَبَّل منه »[1] .

وَرَوَى ابن مجاهد عن أبيه عن ابن عباسٍ في قوله جلَّ وعزَّ ﴿ **والَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا** ﴾ قال : يُعطون ما أَعْطَوْا[2] .

قال أبو جعفر : هكذا رُوِي هذا ، وهكذا معنى ﴿ **يُؤْتون** ﴾ يُعْطون ، ولكنَّ المعروف من قراءة ابن عباس ﴿ **وَالَّذِينَ يَأْتُونَ مَا أَتَوْا** ﴾[3] وهي القراءة المرويَّةُ عن النبي ﷺ وعن عائشة .

ومعناها : يعملون ما عملوا ، كما رُوي في الحديث .

٤٠ — **وقولُه جلَّ وعز ﴿ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ ﴾** [آية ٦٠] .

---

(١) الحديث أخرجه أحمد في المسند ١٥٩/٦ والترمذي في سننه رقم ٣١٧٥ والحاكم وصححه بلفظ متقارب ، ولفظ الترمذي : عن عائشة زوج النبي ﷺ قالت : « سألت رسول الله ﷺ عن هذه الآية ﴿ والذين يُؤْتون ما آتَوْا وقلوبهم وجلة ﴾ قالت عائشة : أهم الذين يشربون الخمر ويسرقون ؟ قال : لا يا بنتَ الصديق !! ولكنهم الذين يصومون ، ويصلُّون ، ويتصدَّقون ، وهم يخافون ألا يُقبَل منهم » ﴿ أولئك يُسَارعون في الخيرات وهم لها سابقون ﴾ وانظر الدر المنثور ١١/٥ فقد جمع فيه الروايات التي وردت عن رسول الله ﷺ .

(٢) انظر الطبري ٣١/١٨ وابن كثير ٤٧٣/٥ والدر المنثور ١١/٥ .

(٣) هذه القراءة وردت أيضاً عن الأعمش ، والحسن ، والنخعي ﴿ يأتون ما أَتَوْا ﴾ من الإتيان أي يفعلون ما فعلوا من الطاعات والأعمال الصالحات ، وقرأ الجمهور ﴿ يُؤْتون ما آتَوا ﴾ أي يعطون ما أعطوا من الصَّدقات ، والزكوات ، وقلوبهم خائفة ألا يتقبل الله منهم ، قال الإمام الفخر : وترتيب هذه الصفات جاء في نهاية الحسن ، لأن الآية الأولى دلت على حصول الخوف الشديد الموجب للاحتراز ، والثانية على تحصيل الإيمان بالله ، والثالثة على ترك الرياء في الطاعة ، والرابعة على أن المستجمع لهذه الصفات الثلاثة يأتي بالطاعات ، مع الوجل والخوف من التقصير ، وهو نهاية مقام الصديقين . اهـ. التفسير الكبير ١٠٧/٢٣ .

قال الفرَّاء : المعنى : من أنهم[1] .

وقال أبو حاتم[2] : المعنى : لأنهم إلى ربِّهم راجعون .

٤١ ــ **ثم قال تعالى** ﴿ **أُوْلَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الخَيْرَاتِ** ﴾ [آية ٦١] .

قال أبو جعفر : سَارَع ، وأَسْرَع ، بمعنىً واحدٍ .

٤٢ ــ **ثم قالَ جلَّ وعَزَّ** : ﴿ **وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ** ﴾ [آية ٦١] .

فيه ثلاثةُ أقوالٍ :

١ ــ **المعنى** : وهم إليها سابقون ، كما قال ﴿ **بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا** ﴾[3] أي أوحى إليها ، وأنشد سيبويه :

تَجَانَفُ عن جَوِّ اليَمَامَةِ نَاقَتِي
وَمَا قَصَدتْ من أَهْلِها لِسَوَائِكا[4] .

٢ ــ **وقيل** : **معنى** : ﴿ **وَهُمْ لَهَا** ﴾ : من أجلها ، أي من أجل

---

(١) أي خائفون من أنهم إلى ربهم راجعون ، وانظر معاني الفراء ٢/٢٣٨ وفي البخاري في كتاب التفسير ٨/٤٤٤ ﴿ قلوبُهم وَجِلةٌ ﴾ خائفين ، قال ابن عباس : يعملون خائفين . اهـ وانظر فتح الباري .

(٢) أبو حاتم هو سهل بن محمد السجستاني المقرىء اللغوي النحوي وقد تقدمت ترجمته ١/٧٨ .

(٣) سورة الزلزلة آية ٥ .

(٤) البيت للأعشى وهو في ديوانه ص ٨٩ واستشهد به القرطبي ١٢/١٣٣ وفي المخطوطة « عَنْ جَوٍّ » وفي تهذيب اللغة « عَنْ جُلٍّ » قال الأزهري : سَوَاءُ الشيء : نفسُه ، قال الأعشى : « وما عدلتْ عن أهلها لسوَائِكا » يريد بها نفسك أي وما قصدت غيرَك ، وانظر الصحاح للجوهري ٦/٢٣٨٤ .

اكتسابها ، كما تقول : أنا أُكرمُ فلاناً لك ، أي من أجلك .

٣ ـــ **وقيل : لما قال ﴿ وهم لها سابقـون ﴾** دلَّ على السَّبْـق ، كأنـه قال : سبقُهم لها[١] .

٤٣ ـــ **وقوله جلَّ وعزَّ : ﴿ بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمْرَةٍ مِنْ هَذَا ..﴾** [آية ٦٣] .

أي في غفلةٍ وغِطَاءٍ ، متحيِّرة .

ويُقال : غَمَره الماءُ إذا غَطَّـاه ، ونهرٌ غَمْـرٌ يُغطِّـي منْ دَخَلـه ، ورجلٌ غُمْرٌ تَغْمُره آراء الناس[٢] .

وقيـل : غُمْـرةٌ لأنها تُغَطِّي الوجـه ، ومنـه : دخـل في غُمـار الناسِ[٣] .

ـــ في قول من قاله ـــ معناه : فيما يغطِّيه من الجمع .

وقوله ﴿ مِنْ هَذَا ﴾ فيه قولان :

---

(١) قال القرطبي ١٣٣/١٢ : وقال ابن عباس في معنى ﴿ وهُـم لها سابقـون ﴾ سبـقت لهم من الله السعادة ، فلذلك سارعوا في الخيرات ، وقيل : المعنى : وهم من أجل الخيرات سابقون .

(٢) قال في لسان العرب : رجلٌ غُمْرٌ وغَمْرٌ : لا تجربة له بحرب ولا أمر ، ولم تحنِّكه التجارب .

(٣) قال القرطبي : يقال دخل في غُمار الناس وخُمارهم ، أي فيما يُغطِّيـه من الجمـع ، وقولـه تعـالى ﴿ بل قلوبهم في غَمْرة ﴾ أي في حيرة وعمى . اهـ. تفسير القرطبي ١٣٤/١٢ .

١ ــ **أحدهما : أن مجاهد قال** : بل قُلوبُهم في عِمَايةٍ من القرآن[١] .

فعلى قول مجاهد ﴿ **هَذَا** ﴾ إشارةٌ إلى القرآن .

وقال قتادة : وصَفَ أهلَ البِرِّ فقال ﴿ **وَالَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ** ﴾ والَّذينَ .. والَّذِينَ .

ثم وصفَ أهلَ الكفر فقال ﴿ **بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمْرَةٍ مِنْ هَذَا ..** ﴾ .

فالمعنى على قول قتادة : من هذا البِرّ[٢] .

٤٤ ــ **ثم قال تعالى ﴿ وَلَهُمْ أَعْمَالٌ مِنْ دُوْنِ ذَلِكَ هُمْ لَهَا عَامِلُونَ﴾** [آية ٦٣] .

فيه قولان :

أحدهما : أن الحَسَنَ[٣] قال : ولهم أعمال رَدِيَّة ، لم يعملوها وسيعملونها .

---

(١) الأثر ذكره القرطبي ١٢/١٣٤ قال مجاهد : أي في غطاء وغفلة وعِماية عن القرآن ، ورواه أبو حيان في البحر المحيط ٦/٤١١ فقال : المعنى أي قلوب الكفار في ضلال قد غمرها كما يغمر الماء﴿من هذا﴾ العمل ، أو من القرآن ، وقال القرطبي ١٨/٣٥ وعنى بالغمرة ما غمر قلوبهم فغطَّاها عن فهم ما أودع الله في كتابه المواعظ والحجج والعِبَر ، وعنى بقوله :﴿من هذا﴾ من القرآن ، وهو قول مجاهد .

(٢) قول مجاهد هو الأظهر ، وقول قتادة ذكره في الدر المنثور ٥/١٢ وهو قول مرجوح .

(٣) إذا أطلق الحسن فيراد به الحسن البصري رحمه الله وهو من كبار المفسرين من التابعين .

قال مجاهد : أي لهم خطايا ، لابدَّ أن يعملوها[1] .

ب ــ **وقال قتادة** : رجع إلى أهل البِرّ فقال ﴿ **وَلَهُمْ أَعْمَالٌ مِنْ دُونِ ذَلِكَ** ﴾ **قال** : **أي سِوَى ماعَدَّد** .

٤٥ ــ **وقولُه جلَّ وعزَّ** : ﴿ **حَتَّى إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِمْ بِالْعَذَابِ إِذَا هُمْ يَجْأَرُوْنَ** ﴾ [آية ٦٤] .

قال قتادة : أي يجزعون .

وحكى أهلُ اللغة : جَأَر ، يَجْأَرُ ، إذا رفع صوته[2] .

قال مجاهد والضحَّاك : العذابُ الذي أُخذوا به : السَّيفُ[3] .

قال مجاهد : يوم بدر .

---

(١) ذكره في الدر ٥/١٢ والطبري ١٨/٣٦ قال ابن كثير ٥/٤٧٥ أي قد كتب عليهم أعمال سيئة لا بد أن يعملوها قبل موتهم لتحق عليهم كلمة العذاب . اهـ.

(٢) قال الأزهري : جأرت البقرة جؤاراً رفعت صوتها ، وجأر القوم إلى الله جؤاراً ، وهو أن يرفعوا أصواتهم إلى الله متضرعين . اهـ. تهذيب اللغة مادة جأر ، وأصل الجؤار رفع الصوت بالتضرع .

(٣) هذا القول ذكره الطبري ١٨/٣٧ والألوسي ١٨/٤٧ والسيوطي في الدر ٥/٤ ورُوي عن الضحاك قول آخر ، وهو أن المراد بالعذاب « عذاب الجوع » وذلك أنه ﷺ دعا على أهل مكة لما كذَّبوه فقال : « اللهم اشدد وطأتك على مُضَر ، اللهم اجعلها عليهم سنين كسني يوسف » فابتلاهم الله بالقحط والجوع ، حتى أكلوا العظام ، والميتة ، والكلاب ، والجيف ، وهلك الأموال والأولاد ، والأولى أن العذاب يجمع القولين ، وهو ما أصابهم من الجوع ، والقتل ، والأسر ، والله أعلم .

٤٦ ــ **وقولُه جلَّ وعز : ﴿ قَدْ كَانَتْ آيَاتِي تُتْلَى عَلَيْكُمْ ..﴾** [آية ٦٦] .

قال الضحَّاكُ : قبل أن تُعَذَّبوا بالقتل .

٤٧ ــ **ثم قال تعالى ﴿ فَكُنْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ تَنْكِصُونَ﴾** [آية ٦٦] .

قال مجاهد : تستأخرون .

٤٨ ــ **ثم قال تعالى ﴿ مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ ..﴾** [آية ٦٧] .

قال ابن عباس ، ومجاهد ، وقتادة ، والضحاك ، والحسن ، وأبو مالك : مستكبرِينَ بالحَرَم[1] .

قال أبو مالك : لأمنهم ، والنَّاسُ يُتخَطَّفون حولهم .

قال أبو جعفر : وقيل مستكبرِينَ بالقرآن ، أي يحضرهم عند قراءته استكبارٌ .

والقولُ الأوَّلُ أولى .

والمعنى : إنهم يفتخرون بالحَرَمِ ، فيقولون : نحن أهلُ حَرَمِ اللَّهِ عزَّ وجلَّ .

---

(١) الضمير في « به » إما أن يعود إلى البيت الحرام ، أو إلى القرآن ، والجمهور على الأول ، قال ابن الجوزي : الضمير عائد إلى البيت الحرام ، وهو كناية عن غير مذكور لشهرة الأمر ، والمعنى : أنكم تستكبرون وتفتخرون بالبيت والحرم لأمنكم فيه ، تقولون : نحن أهل الحرم فلا نخاف أحداً ، ونحن أهل بيت الله وولاته . اهـ . زاد المسير ٤٨٢/٥ وقال ابن كثير : الضمير للقرآن كانوا يسمرون ويذكرون القرآن بالهُجْر من الكلام يقولون سحر وشعر .. إلخ .

٤٩ ــ **ثم قال تعالى ﴿ سَامِراً تَهْجُرُوْنَ﴾** [آية ٦٧] .

قال أبو العباس(١) : يقال للجماعة يجتمعون للحديث : سَامِرٌ ، وسُمَّار(٢) ، فسَامرٌ كما تقول : بَاقِرٌ لجماعة البَقرِ ، وجَامِلٌ لجماعة الجِمَالِ .

أي يجتمعون للسَّمر ، وأكثرُ ما يُستعمل « سَامِرٌ » للذين يَسْمُرُون ليلاً .

قال أبو العباس : وأصلُ هذا من قولهم : « لا أكلِّمهُ السَّمَر والقَمَر » أي الليلَ والنَّهار .

وقال الثوري : يُقال لظلِّ القمر : السَّمَرُ .

قال أبو إسحق : ومنه السُّمْرةُ في اللَّونِ ، ويُقال له : الفَخْتُ ومنه فاختة(٣) .

---

(١) هو الإمام المبرد محمد بن يزيد المتوفى سنة ٢٨٥هـ النحوي اللغوي أبو العباس ، وقد تقدمت ترجمته ١/٥٥ .

(٢) قال القرطبي ١٢/١٣٧ : ﴿ سامراً ﴾ نصبٌ على الحال ومعناه سُمَّار ، وهم الجماعة يتحدثون بالليل ، مأخوذ من السَّمَر ، وهو ظل القمر ، وكانوا يتحدثون حول الكعبة في ظل القمر ، فهو اسم مفرد بمعنى الجمع ، كالحاضر ، وهم القوم النازلون على الماء ، والباقر جمع البقر ، والجامل جمع الإبل ، ذكورتها وإناثها ، ومنه قوله تعالى ﴿ ثم يخرجكم طفلاً ﴾ أي أطفالاً ، يقال : قوم سَمْرٌ ، وسُمَّرٌ ، وسَامِرٌ . اهـ. وانظر الصحاح مادة سمر .

(٣) انظر معاني الزجاج ٤/١٨ .

قال أبو جعفر : وفي قوله ﴿ **تَهْجُرُوْنَ** ﴾ قولان :

١ ــ **قال الحسن** : تهجرون نَبِيِّ ، وكتابي[١] .

٢ ــ **وقال غيرهُ** : ﴿ **تَهْجُرُوْنَ** ﴾ تَهْذُون ، يُقال هَجَر المريضُ ، يَهْجُرُ ، هُجْراً إذَا هَذَى[٢] .

وقرأ ابنُ عبَّاسٍ ﴿ **تُهْجِرونَ** ﴾[٣] بضم التاء وكسر الجيم .

وقال : يَسْمرون برسول الله ﷺ ويقولون الهُجْرَ[٤] .

وقال عكرمة : ﴿ **تُهْجِرُوْنَ** ﴾ تُشْرِكُون[٥] .

وقال الحسن : تسبُّون النبي صلى الله عليه وسلم[٦] .

وقال مجاهد : تقولون القول السَّيِّءَ في القرآن[٧] .

---

(١) هذا الأثر ذكره السيوطي في الدر ١٣/٥ عن الحسنِ ، وذكره الطبري ٤٠/١٨ عن ابن عباس والسُّدِّي وهو من الهَجْر بمعنى الترك ، وقيل : من الهُجْر وهو الكلام الفاحش البذيء ، من هَجَرَ المريض إذا هَذَى ، والمعنى : تسمرون بذكر القرآن ، والطعن فيه ، وتقولون الكلام الفاحش في النبي عليه السلام .

(٢) في المصباح : هجر المريض في كلامه هَذَى ، والهُجْر بالضم مصدر بمعنى الفُحش . اهـ. المصباح المنير .

(٣) هذه قراءة نافع وهي من القراءات السبع ، وانظر النشر في القراءات العشر ٣٢٩/٢ والسبعة في القراءات لابن مجاهد ٤٤٦/٢ .

(٤ــ٧) انظر الآثار في الطبري ٤١/١٨ والبحر المحيط ٤١٣/٦ والقرطبي ١٣٦/١٢ وروح المعاني ٥٠/١٨ .

قال أبو جعفر : وهذه الأقوالُ متقاربةٌ ، يُقال : أَهْجَر ، يُهْجِر إذا نَطَقَ بالفُحْش ، وقال الخَنَى ، والإسم منه الهُجْر ، ومعناه أنه تجاوز ، ومنه قيل : الهَاجِرة ، إنما هو تجاوزُ الشَّمسِ ، من المشرقِ إلى المغرب .

وقرأ أبو رجاء « سُمَّاراً »[1] وهو جمع سَامِر ، كما قال الشاعر :

فقالتْ سَبَاكَ اللَّهُ إنكَ فَاضِحي
أَلَسْتَ تَرَى السُّمَّارَ والنَّاسَ أَحوالي[2]

٥٠ ــ **ثم قال جلَّ وعزَّ : ﴿ أَفَلَمْ يَدَّبَرُوا القَوْلَ ..﴾** [آية ٦٨] .

أي القرآن[3] .

---

(١) هذه من القراءات الشاذة ، وانظر المحتسب ٩٦/٢ وذكرها ابن عطية في المحرر ٣٨٠/١٠ وهي قراءة سُمَّراً وهي شاذة أيضاً .

(٢) البيت لامرىء القيس وهو في ديوانه صفحة ٣١ من قصيدة مطلعها :

أَلَا عِمْ صَبَاحاً أَيُّهَا الطَّلَلُ البَالِي

والشاهد فيه لفظ « السُّمَّار » وهم المجتمعون للسَّمر ليلاً ، وفي المخطوطة « أحوالي » بالياء ومعناها حَوَالِيَّ ، وفي الديوان بدون ياء « أحوال » قال السيوطي في همع الهوامع ١٥٨/٣ : ومنها : حَوْلٌ ، وحَوَالي ، وحَوْلي ، وحَوَالِيَّ ، وأَحْوَالِي ، وحَوَال ، وأحوال ، واستشهد ببيت امرىء القيس ، وبالحديث : « اللهم حَوَالَيْنا ولا علينا » .

(٣) ويؤيده قوله تعالى ﴿ أفلا يتدبرون القرآن ﴾ وسُمِّي القرآن قولاً ، لأنهم خُوطبوا به ، وأُمروا بتلاوته ، قال في البحر : والقول : هو القرآن الذي أتى به محمد ﷺ أي أفلم يتفكروا فيما جاء به عن الله ، فيعلموا أنه الكلام المعجز الذي لايمكن معارضته ، فيصدِّقوا به ، وبمن جاء به ؟! . اهـ . البحر المحيط ٤١٣/٦ .

٥١ ــ **وقوله جلَّ وعزَّ : ﴿ وَلَوِ اتَّبَعَ الحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ .. ﴾** [آية ٧١] .

رَوَى سفيانُ عن إسماعيل عن أبي صالح ﴿ **ولـو اتَّبـع الحقُّ** ﴾ قال : اللَّهُ عزَّ وجل[١] .

وقيل : المعنى : بل جاءهم بالقرآن ، ولو اتَّبَعَ القرآنُ أهواءَهُـم أي لو نزل بما يحبُّون ، لفسدت السَّموات والأرض ومن فيهنَّ .

٥٢ ــ **ثم قال تعالى ﴿ بَلْ أَتَيْنَاهُـمْ بِذِكْرِهِـمْ فَهُـمْ عن ذِكْرِهِـمْ مُعْـرِضُونَ ﴾** [آية ٧١] .

رَوَى مَعْمرٌ عن قتادة ﴿ بِذِكْرِهِمْ ﴾ قال : بالقرآن .

قال أبو جعفر : والمعنى على قوله : بل آتيناهم بما لهم فيه ذِكْرُ ما يوجب الجنَّة لو اتَّبعوه .

---

(١) روى هذا القول السيوطي في الدر المنثور ٥/١٣ وأبو حيان في البحر ٦/٤١٤ والقرطبي ١٢/١٤٠ وقد اختلف المفسرون في تفسير « الحق » على قولين :
الأول : أن المراد به « الله » سبحانه وتعالى ، وهو قول مجاهد ، وأبي صالح ، والسدي ، والمعنى : لو أجابهم الله تعالى إلى ما في أنفسهم من الهوى ، وفَعَل ما يوافق أهواءهم ، لاختلَّ نظام الكون وفسد العالم ، لأن آراءهم متناقضة .
الثاني : أن المراد بالحق « القرآن » وما جاءهم به الرسول عليه السلام ، والمعنى : لو نزلَ القرآنُ بما يحبُّون ، لفسدت السموات والأرض ، ومن فيهن من الإنس والجن ، وسائر المخلوقات ، قال في البحر ٦/٤١٤ والظاهر أنه الحق الذي ذُكر قبل في قوله ﴿ بل جاءهم بالحقِّ ﴾ والمراد به الأمر اليقين الثابت .

وقيل : الذِّكْرُ ههنا : الشَّرفُ .

٥٣ ــ وقولـه جلّ وعـزَّ : ﴿ أَمْ تَسْأَلُهُـمْ خَرْجَاً فَخَـرَاجُ رَبِّكَ خَيْــرٌ .. ﴾ [آية ٧٢] .

قال الحسن : « خَرْجاً » أي أجراً[١] .

قال أبـو حاتم : الخَـرَاجُ : الجُـعْلُ ، والخَـرَاجُ : العَطَـاءُ إن شاء الله ، أو نحو ذلك .

٥٤ ــ وقولـه جلَّ وعـزَّ : ﴿ وَإِنَّ الَّذِيـنَ لَا يُؤْمِنُــونَ بِالآخِرَةِ عَنِ الصِّرَاطِ لَنَاكِبُوْنَ ﴾ [آية ٧٤] .

رَوَى عليُّ بنُ أبي طَلْحـةَ عن ابـنِ عبـاسٍ قال يقـول ﴿ عَنِ الصِّرَاطِ لَنَاكِبُوْنَ ﴾ عن الحقِّ لعادلون[٢] .

قال أبـو جعفـر : والصِّراطُ في اللُّغـةِ : الطريــقُ المستقيــمُ ،

---

(١) الأثر أخرجه ابن كثير ٤٧٨٣٥ : قال الحسن : خَرْجاً : أجراً ، وقال قتادة : جُعْلاً ، والمعنى : أنت يا محمد لا تسألهم أجرةً على دعـوتك إياهـم إلى الهدى ، بل أنت تحتسِب عنـد الله جزيـل ثوابه ، كما قال سبحانه ﴿ قل لا أسألكم أجراً ﴾ . وانظر أيضاً الـدر المنثور ١٣/٥ وزاد المسير ٤٨٥/٥ .

(٢) قال في اللسان : نَكَب عن الطريق يُنكب نُكُوباً إذا عدل عنه . اهـ. لسان العرب ، وقال الفـراء ٢٤٠/٢ : ﴿ لَنَاكِبون ﴾ أي لمعرضون عن الدين ، والصراطُ ههنـا هو الديـن ، والأثـر أخرجـه الـطبري ٤٤/١٨ ، وابـن كثير ٤٧٩/٥ قال : نَكَب فلان عن الطريـق إذا زاغ عنها ، والمعنـى : إنهم لعادلون ، جائرون ، منحرفون عن طريق الله ، قال ابن عباس ﴿ لناكبون ﴾ لعادلون ، وقال قتادة : حائرون ، وقال الكلبي : معرضون ، وهذه أقوال متقاربة .

ويُقال : نَكَبَ عن الحَقِّ إذا عَدَل عنه .

والمعنى : إنهم عن القصد لعادلون .

٥٥ ــ **وقولُه جلَّ وعزَّ : ﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُمْ بِالعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ﴾** [آية ٧٦] .

﴿ **ولَقَدْ أَخذناهُمْ بِالعَذابِ** ﴾ أي بالخوف ، ونَقْصِ الأموال ، والأنفس[١] .

﴿ **فما اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ** ﴾ أي فما خَضَعُوا .

٥٦ ــ **وقولُه جلَّ وعز ﴿ حَتَّى إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَابَاً ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ ..﴾** [آية ٧٧] .

قيل : يعني الجوعُ ، وقيل : السَّيفُ .

﴿ **إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ** ﴾ أي متحيِّرون يائسون من الخير[٢] .

٥٧ ــ **قوله تعالى ﴿ وَلَهُ اخْتِلَافُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ..﴾** [آية ٨٠] .

---

(١) فسَّر المصنف العذاب بالخوف ، ونقص الأموال والأنفس ، وهو قول ابن جريج فقد قال : العذابُ هو الجوعُ والجدبُ ، وقال الضحاك : هو الجوع ، وقيل : هو السبيُ والقتل ، وسبب نزول الآية ما روي أن النبي ﷺ دعا عليهم فأخذهم الله بالقحط والجوع حتى أكلوا الميتة والكلاب ، فجاء أبو سفيان فقال يا محمد : أنشدك الله والرحمَ ، ألستَ تزعم أن الله بعثك رحمة للعالمين ؟ قال : بلى ، قال : فوالله ما أراك إلا قتلت الآباء بالسيف ، وقتلت الأبناء بالجوع ، فنزلت الآية ، وانظر الطبري ١٨/٤٥ والبحر ٦/٤١٥ والدر المنثور ٥/١٣ .

(٢) الإبلاس : اليأسُ من كل خير ، قال القرطبي ١٢/١٤٣ : ﴿ إذ هم فيه مُبْلِسُون ﴾ أي يائسون متحيِّرون ، لا يدرون ما يصنعون ، كالآيس من الفرج ومن كل خير . اهـ.

قال الفراء : معنى ﴿ **وَلَهُ اخْتِلَافُ اللَّيْلِ والنَّهارِ** ﴾ : هو خالقُها ، كما تقولُ : لك الأجرُ والصِّلةُ[1] .

٥٨ – **وقولُه جل وعزَّ ﴿ قُلْ لِمَنِ الأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ . سَيَقُوْلُوْنَ للّهِ ..**﴾ [آية ٨٤] .

هذه الآيةُ لا اختلاف فيها[2] ، واللَّتان بعدَها ، يقرؤُهما أبو عَمرو ﴿ **سَيَقُولُونَ اللَّهُ** ﴾[3] .

وأكثرُ القُرَّاءِ يقرءون ﴿ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ﴾ .

فمن قرأ ﴿ **سَيَقُولُونَ اللَّهُ** ﴾ جاء بالجواب على اللفظ[4] .

ومن قرأ ﴿ **سَيَقُولُونَ لِلَّهِ** ﴾ جاء به على المعنى ، كما يُقال : لمن هذه الدَّارُ ؟ فيقول : لزيدٍ ، على اللفظِ ،، وصاحبُها زيدٌ على المعنى .

---

(١) عبارة الفراء في معانيه ٢/٢٤٠ ﴿ وله اختلاف الليل والنهار ﴾ يقول : هو الذي جعلهما مختلفين ، كما تقول في الكلام : لك الأجر والصِّلة ، أي إنك تُؤْجر وتُوْصَل . اهـ.

(٢) أي هذه القراءة ﴿ لِلَّهِ ﴾ بدون ألف ، عند جميع القراء ، لأنها جواب الاستفهام ﴿ قل لمن الأرض ﴾ ؟ .

(٣) قال ابن مجاهد : اختلفوا في قوله ﴿ سيقولون لله ﴾ في الآيتين الأخيرتين ، ولم يختلفوا في الأولى ، فقرأ « أبو عمرو » وحده ﴿ سيقولون لله ﴾ في الأولى ، و ﴿ سيقولون الله ﴾ في الأخيرتين ، وقرأ الباقون الثلاثة ﴿ لله ﴾ . وانظر السبعة في القراءات لابن مجاهد ٢/٤٤٧ .

(٤) قال الفراء : وقراءة أهل البصرة ﴿ الله ﴾ أبين في العربية ، لأنها مردود مفعول ﴿ قل من رب السموات ﴾ مرفوع لا خفض فيه . اهـ. معاني القرآن ٢/٢٤٠ .

ومَنْ صاحب هذه الدار ؟ فيقول : زيدٌ على اللفظ ، ولزيد فيجزئك عن ذلك .

ويجوز في الأولى ﴿ سَيَقُولونَ اللَّهُ ﴾ في العربية .

٥٩ ــ وقولُه جلَّ وعزَّ : ﴿ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ .. ﴾ [آية ٨٨] .

أي وهو يُجيرُ[1] من عذابِهِ ، ومن خلْقِهِ ، ولا يُجِيرُ عليه أحدٌ من خلقِهِ .

٦٠ ــ و قوله جلَّ وعز ﴿ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ ﴾ [آية ٨٩] .

معنى ﴿ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ ﴾ فأنَّى تُصْرفون عن الحقِّ[2] ؟

٦١ ــ وقوله جلَّ وعز : ﴿ مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذاً لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ .. ﴾ [آية ٩١] .

في الكلام حذفٌ ، أي لو كانت معه آلهة ، لا نفرد كلُّ إلهٍ بخلقه .

---

(١) يُجِيرُ : يَمْنع ويحمي من استغاث به ، يقال : أجَرْتُ فلاناً على فلان : إذا أغثته ومنعته منه ، ومعنى الآية : أنه سبحانه يحمي من استجار به ، والتجأ إليه ، ولايُغيث أحد منه أحداً .

(٢) « أنّى » بمعنى كيف أي كيف تُخدعون وتُصرفون عن طاعته وتوحيده ؟ أو كيف يُخيَّل إليكم أن تشركوا مع الله ما لا يضرُّ ولا يَنْفع ؟ قال في التسهيل : رتب سبحانه في الآيات هذه التوبيخات الثلاثة بالتدريج ، فقال أولاً ﴿ أفلا تذكرون ﴾ ثم قال ثانياً ﴿ أفلا تتقون ﴾ وذلك أبلغ ، لأن فيه زيادة تخويف ، ثم قال ثالثاً ﴿ فأنى تسحرون ﴾ وفيه من التوبيخ ما ليس في غيره . اهـ. التسهيل لعلوم التنزيل ٣/٥٥ .

﴿ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ ﴾ أي لغالب بعضُهم بعضاً(١) .

٦٢ – وقولُه جلَّ وعزَّ ﴿ قُلْ رَبِّ إِمَّا تُرِيَنِّي مَا يُوْعَدُوْنَ . رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِي فِي القَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [آية ٩٣ ، ٩٤] .

النِّداءُ معترضٌ .

والمعنى : إمَّا تُرِيَنِّي ما يُوعدون ، فلا تجعَلْني في القوم الظَّالمينَ .

٦٣ – وقولُه جلَّ وعز : ﴿ ادْفَعْ بالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةَ ..﴾ [آية ٩٦] .

قال مجاهد وعطاء وقتادة : يعني السَّلامَ ، إذا لقيتَهُ فسلِّم عليهِ(٢) .

---

(١) عبارة القرطبي : ﴿ ولَعَلَا بعضهم على بعض ﴾ أي ولغالب وطلب القويُّ الضعيف ، كالعادة بين الملوك ، وكان الضعيف المغلوب لا يستحق الإلهية . اهـ. تفسير القرطبي ١٤٦/١٢ والآية برهان على الوحدانية ، وبيانه أن يقال : لو كان مع الله إله آخر ، لانفرد كل واحد منهما بمخلوقاته عن مخلوقات الآخر ، واستبدَّ كل واحد منهما بملكه ، وطلب غلبة الآخر والعلو عليه ، كما ترى حال ملوك الدنيا وعظمائها ، ولكن لمَّا رأينا جميع المخلوقات ، مرتبطة بعضها ببعض ، حتى كأنَّ العالم كله كتلة واحدة ، علمنا أن مالكه ومدبِّره واحد ، لا إله غيره ، وهذا كما يقول ابن عطية وغيره يسمى برهان « التمانع والتدافع » .

(٢) الأثر أخرجه الطبري ١٥/١٨ والسيوطي في الدر ١٤/٥ وهو تفسير للتي هي أحسن ، قال الحافظ ابن كثير : أرشده إلى الترياق النافع في مخالطة الناس ، وهو الإحسان إلى من يُسيء إليه ، ليستجلب خاطره ، فتعود عداوته صداقة ، وبغضه محبة . اهـ. تفسير ابن كثير ٤٨٥/٥ .

٦٤ ــ **وقولُـه جلَّ وعـزَّ : ﴿ وَقُـلْ رَبِّ أَعُــوذُ بِكَ مِنْ هَمَــزَاتِ الشَّيَاطِينِ ..﴾** [آية ٩٧] .

أصلُ الهَمْـزِ : النَّـخْسُ والدَّفـعُ ، وقيـل : فلانٌ هُمَـزَةٌ ، كأنـه ينْخُس مَنْ عَابَه ، فهمزُ الشَّيطانِ[١] : مسُّهُ ووسوسَتُه .

٦٥ ــ **وقولُـه جلَّ وعـزَّ ﴿ حَتَّـى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُــمُ المَــوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ ..﴾** [آية ٩٩] .

يعني المذكورين الَّذينَ لا يؤمنون بالبعث .

﴿ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ ﴾ ولم يقل : ارجعْـنِ[٢] ، فخـاطبَ على ما يُخْبـرِ اللَّـهُ جلَّ وعـزَّ به عن نفسهِ ، كما قال **﴿ إِنَّـا نَحْـنُ نُحْــيِ المَوْتَى ﴾** وفيه معنى التوكيد والتكرير .

٦٦ ــ **وقولُه جلَّ وعزَّ : ﴿ كَلاَّ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا ..﴾** [آية ١٠٠] .

---

(١) ﴿ همزات الشياطين ﴾ : الوساوس والنزغات ، جمع هَمْزة ، وهي الدفع والتحريك الشديد ، وهو كالهزِّ والأزِّ ، قال أهل اللغة : الهمزُ : النَّخْسُ والدفعُ ، يُقال هَمَزه ، ولَمَزه ، ونَخَسَه دفعه ، وهمزات الشياطين نزغاتها الشاغلة عن ذكر الله .

(٢) لم يقل : ربّ ارجعني ، وإنما قال ﴿ ربِّ ارجِعون ﴾ بصيغة الجمع ، للتعظيم لجناب الله جل وعلا ، على عادة الملوك والعظماء ، حيث يقول الملك أو السلطان : نحن فلان أمرنا بكذا ، وهذا ما أشار إليه المصنف بقول : « فخاطب على ما يخبر الله به عن نفسه » كما قال الشاعر :

أَلاَ فَارْحَمُونِـــي يَا إِلَـــهَ مُحَمَّــــدٍ ... فإن لم أكُــنْ أهـــلاً فأنتَ له أهــــلُ

﴿ كَلاَّ ﴾ رَدْعٌ ، وزَجرٌ ، وتنبيهٌ[1] .

٦٧ — **ثم قال جل وعزَّ ﴿ وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾**
[آية ١٠٠] .

قال أبو عبيدة : أي من أمامهم[2] .

قال مجاهد : البَرْزَخُ : حجابٌ بين الموتِ ، والرجوعِ إلى الدنيا[3] .

قال الضحَّاك : هو ما بين الدنيا والآخرة[4] .

قال أبو جعفر : والعربُ تُسمِّي كلَّ حاجزٍ بين شيئين برزخاً[5] ، كما قال سبحانه ﴿ **بَيْنَهُما بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ** ﴾[6] .

---

(١) قال في التسهيل : « كلا » حرف ردع وزجر ، وقيل : إنها للنفي : أي ليس الأمر كما ظننت . اهـ. ومعنى الآية : لا رجوع إلى الدنيا فليرتدع هذا الفاجر عن طلبه ذلك ، فإن طلبه للرجعة لا فائدة فيه ، لأنه ذاهب أدراج الرياح .

(٢) لفظة « وراء » في اللغة : تطلق على الخلف ، وعلى الأمام ، ومنه قوله سبحانه ﴿ وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصباً ﴾ أي أمامهم ملك ظالم غاشم ، قال في المصباح : « وراء » كلمة مؤنثة ، تكون خَلْفاً ، وتكون قدَّاماً ، فيقال : وراءك برد شديد أي قدامك برد شديد. اهـ. وانظر مجاز القرآن لأبي عبيدة ٦٣/٢ .

(٣،٤) انظر الآثار في الطبري ٥٣/١٨ وزاد المسير ٤٩٠/٥ والدر المنثور ١٥/٥ .

(٥) البرزخ : الحاجز والمانع ، وكل حاجز بين شيئين فهو برزخ قال الجوهري : البرزخ الحاجز بين الشيئين ، وعالم البرزخ هو ما بين الدنيا والآخرة ، من وقت الموت إلى وقت البعث ، فمن مات فقد دخل في البرزخ . اهـ. قال القرطبي ١٥٠/١٢ : قال رجل بحضرة الشعبي : رحم الله فلاناً فقد صار من أهل الآخرة ، فقال : لم يصِرْ من أهل الآخرة ، ولكنه صار من أهل البرزخ . اهـ.

(٦) سورة الرحمن آية ٢٠ .

٦٨ ـ **وقولُه جلَّ وعزَّ : ﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّوْرِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ﴾** [آية ١٠١] .

قال أبو عبيد : هو جمع صُوْرة[١] .

قال أبو جعفر : يذهب إلى أن المعنى : فإذا نَفَخَ في صُوَرِ النَّاسِ الأرواحَ وهذا غَلَطٌ عند أهل التفسيرِ ، واللُّغةِ .

رَوَى أبو الزعراء[٢] عن عبد اللهِ بنِ مسعود **﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ ﴾** قال : في القَرْنِ .

ورَوَى عطيةُ عن أَبِي سعيد الخدري عن النبي ﷺ قال : « كيفَ أَنْعمُ وقد التقمَ صاحبُ القَرْنِ القَرْنَ ، وحَنَى جَبْهَتَهُ وأَصْغَى سمعه ، ينتظر متى يُؤْمر ، قال المسلمونَ يارسول الله : فما نقول ؟ قال : قولوا حسبُنا اللَّهُ ونعم الوكيلُ ، عليه توكلْنا »[٣] .

ولا يعرفُ أهلُ اللغةِ في جمع « صورة » إلاَّ « صُوَراً » ولو كان جمع صورة ، لكان « ثم نُفِخَ فيها »[٤] إلا على بُعْدٍ من الكلام .

---

(١) ذكره في البحر عن بعضهم ، وهو ضعيف كما قال المصنف .

(٢) جاء في تهذيب التهذيب ٦١/٦ : « عبد الله بن هانئ أبو الزعراء الكبير الكوفي ، قال العجلي : ثقة من كبار التابعين وذكره ابن حبان في الثقات .

(٣) الحديث أخرجه الترمذي في القيامة رقم ٢٤٣١ وقال : هذا حديث حسن ، ورواه أحمد في المسند ٣٢٦/١ .

(٤) يخطِّئ المصنف من قال إنَّ الصُّور جمع صورة ، ولو كان كذلك لقال تعالى ﴿ ثم نفخ فيها ﴾ بينما الآية ﴿ ثم نُفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون ﴾ وهذا وجه دقيق .

قال أبـو جعفـر : وهـذه الآيةُ مشكلـةٌ لأنـــه قال جلَّ وعـــزَّ ﴿ **فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ** ﴾ وقال في موضعٍ آخر ﴿ **وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ** ﴾ ؟!

والجواب عن هذا ــ وهـو معنـى قول عبـد الله بن عبـاس[1] وإن خالف بعضَ لفظِـه والمعنـى واحـد ــ أنـه إذا نفـخ في الصور أول نفخة ، تقطَّعت الأرحـامُ ، وصَعِـقَ من في السمـواتِ ومـن في الأرض ، وشُغِلَ بعضُ النـاس عن بعضٍ بأنفسهـم ، فعنـد ذلك لا أنساب بينهم يومئذٍ ولا يتساءلون[2] .

قال أبو جعفر : ومعنـى ﴿ **يَوْمَئِـذٍ** ﴾ في قولـه ﴿ **فلا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ** ﴾ كما تقول : أنا اليوم كذا ، أي في هذا الوقت ، لا تريـد وقتاً بعينِهِ .

٦٩ ــ **وقولُـه جلَّ وعـزَّ : ﴿ تَلْفَحُ وُجُوهَهُـمُ النَّـارُ وَهُـمْ فِيهَـا كَالِحُـونَ ﴾**
[آية ١٠٤] .

---

(١) قال ابن عباس : لا يفتخرون بالأنساب في الآخرة كما يفتخرون بها في الدنيا ، ولايتساءلون فيها كما يتساءلـون في الدنيـا : من أي قبيلـة أنت ؟ ولا من أي نسب ؟ ولا يتعارفـون لهول ما أذهلهـم . اهـ. القرطبي ١٢/١٥١ .

(٢) قال في التسهيـل : فإن قيـل : كيـف الجمـع بين هذا وبين قولـه ﴿ وأقبـل بعضهـــم على بعض يتساءلون ﴾ ؟ فالجواب أن ترك التساؤل عند النفخـة الأولى ، ثم يتساءلـون بعـد ذلك ، فإن يوم القيامة يوم طويل ، فيه مواقف كثيرة . اهـ. التسهيل ٣/١٢٢ .

رَوَى أبـو الأَحْوص عن عبـد الله بن مسعـود قال : الكَالِـحُ : الذي قد بدتْ أسنانُه ، وتقلَّصتْ شفتهُ ، كالرأسِ المُشَيَّط بالنَّارِ(١) .

٧٠ ــ **وقولُه جلَّ وعـزَّ : ﴿ قَالُــوا رَبَّنَــا غَلَــبَتْ عَلَيْنَــا شِقْوَتُنَــا .. ﴾** [آية ١٠٦] .

قال مجاهد : أي التي كُتِبتْ علينا .

٧١ ــ **وقولُـه جلَّ وعــز : ﴿ قَالَ اخْسَؤُوا فِيهَــا وَلَا تُكَلِّمُــونِ .. ﴾** [آية ١٠٨] .

يُقال : خسأتُه إذا باعَدْتَه بانتهار(٢) .

٧٢ ــ **وقوله جلَّ وعز : ﴿ فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّاً حَتَّى أَنْسَوْكُمْ ذِكْرِي .. ﴾** [آية ١١٠] .

قال الحسنُ وقتادةُ وأبـو عمـرو بن العـلاء ــ وهـذا معنـى ما قالوا ــ السُّخْرِيُّ : بالضَمِّ ما كان من جهةِ السُّخْرةِ ، والسِّخْرِيُّ :

---

(١) الأثر في الطبري ١٨/٥٦ وفي اللسان : كَلَحَ يَكْلَحُ كلوحاً ، والكلوح : تكشُّر في عبوس ، وقال ابن سيده : الكلوح بدوُّ الأسنان عند العبوس . اهـ. وفي الترمذي ٥/٣٠٧ عن النبي ﷺ مرفوعاً ﴿ وهم فيها كالحون ﴾ قال : تشويه النار ، فتقلَّص شفته العليا حتى تبلغ وسط رأسه ، وتسترخي شفته السفلى حتى تضرب سرته » وقال : حديث حسن صحيح .

(٢) انظر الصحاح ١/٤٧ .

٧٣ ـ بالكسر ما كان من الهزؤ[1] .

وقولُه جل وعزَّ : ﴿ إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الفَائِزُونَ﴾ [آية ١١١] .

أي لأنهم[2] .

ويجوز أن يكون المعنى : إني جزيتهُم الفوز .

٧٤ ـ **وقولُه جلَّ وعزَّ : ﴿ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْماً أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَاسْأَلِ العَادِّينَ﴾** [آية ١١٣] .

قال مجاهد : ﴿ فَاسْأَلِ العَادِّين ﴾ الملائكة[3] .

---

(١) انظر معاني القرآن للفراء ٢/٢٤٣ ، وروح المعاني للألوسي ١٨/٦٩ والجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٢/١٥٤ .

(٢) قرأ حمزة والكسائي عن نافع ﴿ إنهم هم الفائزون ﴾ بكسر الهمزة ، على ابتداء المدح من الله تعالى لهم ، وقرأ الباقون بالفتح ﴿ أنّهم ﴾ أي لأنهم هم الفائزون ، قال في البحر ٦/٤٢٣ : ومفعول جزيتهم الثاني محذوف تقديره : جزيتهم الجنة أو رضواني ، وقال الزمخشري : من قرأ بالفتح هو المفعول الثاني أي جزيتهم فوزهم ، والظاهر أنه تعليل أي جزيتهم لأنهم . اهـ. وانظر القرطبي ١٢/١٥٥ .

(٣) انظر الآثار كلها في الدر المنثور ٥/١٧ وفي البحر المحيط ٦/٤٢٤ وقال القرطبي في تفسيره الجامع لأحكام القرآن : ﴿ فاسأل العادين ﴾ أي سَلِ الحُسَّاب الذي يعرفون ذلك فإنا قد نسيناه ، أو فاسأل الملائكة الذين كانوا معنا في الدنيا ، الأول قول قتادة ، والثاني قول مجاهد . اهـ. تفسير القرطبي ١٢/١٥٦ .

وقال **قتادة** : أي الحُسَّابَ .

٧٥ ــ وقوله جلَّ وعز : ﴿ **وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ** .. ﴾ [آية ١١٧] .

قال **مجاهد** : أي لا بيِّنةَ له به .

* * *

انتهت سورة المؤمنون

تفسير سورة النور

مدنية وآياتها ٦٤ آية

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة النور وهي مدنية(١)

١ ـ من ذلك قوله جلَّ وعزَّ : ﴿ سُوْرَةٌ أَنْزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا .. ﴾ [آية ١] .

أي هذه سورة(٢) .

وقرأ الأعرجُ ومجاهد وقتادة وأبو عَمْرٍو ﴿ وفَرَّضْنَاهَا ﴾(٣) .

قال قتادة : أي بيَّناها .

وقال أبو عمرو : أي فصَّلناها .

ومعنى ﴿ فَرَضْنَاهَا ﴾ فرضنا الحدود التي فيها ، أي أوجبناها ، بأن جعلناها فرضاً .

---

(١) قال القرطبي ١٥٨/١٢ : مدينة بالإجماع ، والمقصود من هذه السورة ذكر أحكام العفاف والستر .

(٢) قال الزجاج والفراء والمبرِّد : سورة بالرفع لأنها خبر الابتداء ، لأنها نكرة ، ولا يُبتدأُ بالنكرة في كل موضع ، أي هذه سورة ، وقال القرطبي ١٥٨/١٢ ويحتمل أن تكون مبتدأ ، وما بعدها صفة لها ، أخرجتها عن حدِّ النكرة المحضة ، فحَسُن الابتداء لذلك . اهـ .

(٣) ﴿ وفرضناها ﴾ قُرِئ بتخفيف الراء ، وهي قراءة الجمهور ، أي فرضنا ما فيها من الأحكام عليكم وعلى من بعدكم ، وبالتشديد ﴿ وفرَّضناها ﴾ وهي قراءة ابن كثير وأبي عامر ، والقراءتان سبعيتان ، وانظر السبعة ص ٤٥٢ والنشر ٣٣٠/٢ والمعنى أنزلنا فيها فرائض شتَّى مختلفة . اهـ. القرطبي ١٥٨/١٢ .

٢ ــ **وقولُه جلَّ وعزَّ ﴿ الزَّانِيَـةُ والزَّانِـي فَاجْلِـدُوا كُلَ واحـدٍ مِنْهُمَـا مِائَـةَ جَلْدَةٍ ..﴾** [آية ٢] .

قال أبـو جعفـر : ليس بين أهـل التـفسير اختـلافٌ ، أنَّ هذا ناسخٌ لقوله تعالى : ﴿ **وَاللَّاتِي يَأْتِينَ الفَـاحِشَةَ مِنْ نِسَائِكُـمْ ..** ﴾[1] إلى آخر الآية ، ولقوله ﴿ **وَاللَّذَانِ يَأْتِيَانِهَا مِنكُمْ فَآذُوهُمَا** ﴾[2] .

فكان من زنى من النِّساء ، حُبِستْ حتى تموت ، ومـن زنى من الرجال أُوذي .

قال مجاهـد : بالسبِّ ، ثم نُسخ ذلك بقولـه تعـالى ﴿ **الزَّانِيـةُ والزَّانِي فَاجْلِدُوا كلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ** ﴾[3] .

واختلفوا في المعنى :

فقال أكثر أهل التفسير : هذا عامٌّ يُراد به خاصٌّ[4] .

والمعنى : الزانيةُ والزاني من الأبكار ، فاجلدوا كلَّ واحـدٍ منهمـا مائة جلدة .

(٢،١) سورة النساء آية ١٥ ، ١٦ . قال القرطبي : وهذه الآية ناسخة لآية الحبس وآية الأذى ، اللتين في سورة النساء باتفاق . اهـ. الجامع لأحكام القرآن ١٥٩/١٢ .

(٣) الأثر أخرجه ابن جرير ٢٩٦/٤ وهو في تفسير مجاهد ١٤٨/١ .

(٤) يعني أن اللفظ عام يشمل كل زان ، سواء كان محصناً أو غير محصن ، وقد اتفق العلماء أنه يراد به الخاص ، وهو « البكر » غير المتزوج ، رجلاً كان أو امرأة ، وهـذا معنى قولـه : عام يراد به خاص .

وقال بعضهم : هو عامٌّ على كلِّ مَنْ زنى ، من بِكرٍ ومحصنٍ[1] ، واحتجَّ بحديث عُبادة[2] ، وبحديث عليٍّ رضي الله عنه ، أنه جَلَد شُرَاحَةَ[3] يوم الخميس ، ورجمها يوم الجمعة ، وقال : جلدتُها بكتاب الله عزَّ وجلَّ ورجمتُها بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم[4] .

٣ ــ **وقوله جلَّ وعزَّ : ﴿ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ .. ﴾** [آية ٢] .

قال مجاهدٌ ، وعطاء ، والضحَّاكُ : أي في تعطيل الحدود[5] .

---

(١) هذا رأي أهل الظاهر ، ورأي الجمهور أن حدَّ المحصن « المتزوج » هو الرجم فقط .
قال الحافظ ابن كثير : وقد أمر رسول الله ﷺ برجم هذه المرأة ــ وهي زوجة الرجل الذي استأجر الأجير فزنى بامرأته ــ ورجم النبي ﷺ ماعزاً ، والغامدية ، وكل هؤلاء لم يُنقل عن رسول الله ﷺ أنه جلدهم قبل الرجم ، وإنما وردت الأحاديث الصحاح بالاقتصار على رجمهم ، وليس فيها ذكر الجلد ، وهذا مذهب جمهور العلماء . اهـ. ابن كثير ٦/٥ .

(٢) حديث عبادة هو ما رواه مسلم والإمام أحمد وأهل السنن الأربعة من قول النبي ﷺ : « خذوا عني ، خذوا عني ، قد جعل الله لهن سبيلاً ، البكرُ بالبكر جلد مائة وتغريب عام ، والثيِّب بالثيب جلد مائة والرجم » وأجاب الجمهور عن هذا الحديث بأنه منسوخ ، لأن النبي ﷺ رجم ماعزاً والغامديَّة ، ولم يثبت أنه جمع لهما بين الجلد والرجم .

(٣) « شُرَاحة » كسُراقة امرأة من همدان أقرَّت بالزنى عند علي رضي الله عنه ، وانظر القاموس المحيط مادة شرح .

(٤) فعل علي رضي الله عنه محمول على أنه ظنَّ أنها بكر فجلدها ، ثم أُخبر بأنها متزوجة فرجمها ، فليس فيه حجة لأهل الظاهر .

(٥) الأثر في الطبري ٦٧/١٨ وابن كثير ٦/٦ والدر المنثور ١٨/٥ .

والمعنى على قولهم : لا تَرْحَموهُما فتتركُوا حدَّهما إذا زنيا[1] .

٤ ــ **وقوله جلَّ وعز** ﴿ **وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ** ﴾ [آية ٢] .

رُوي عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قال : الطائفةُ : الرجلُ فما فوقه[2] .

ورَوَى ابنُ أبي نَجِيحٍ عن مجاهد قال : الطائفةُ : الرجلُ فما زاد[3] .

وكذا قال الحسن والشَّعبيُّ[4] .

وروى ابنُ عُيينة عن ابن أبي نجيح عن عطاء قال : الطائفةُ الرجلان فصاعداً[5] .

وقال مالك : الطائفة أربعة[6] .

---

(١) قال الطبري ١٨/٦٨ وقيل : المعنى لا تُخففوا الضَّرب عنهما ، ولكن أوجعوهما ضرباً ، وهو قول الحسن ، وسعيد بن المسيب ، فقد قالا : هو الضرب الشديد . اهـ .

(٢ــ٦) كل هذه الأقوال وردت عن السلف الصالح ، فقد قال مجاهد : الطائفة رجل فما فوقه إلى الألف ، وقال ابن زيد : لا بدَّ من حضور أربعة قياساً على الشهادة في الزنى ، وهو قول مالك ، والليث ، وقال عكرمة وعطاء : لا بدَّ من اثنين ، وقال الزهري : ثلاثة ، لأنه أقلُّ الجمع ، إلخ وانظر البحر المحيط ٦/٤٢٩ والطبري ١٨/٧٠ والألوسي ١٨/٨٣ وفي الدر المنثور نقلاً عن قتادة ٥/١٨ : قال : أمر الله أن يشهد عذابهما طائفة من المؤمنين ، ليكون ذلك عظة وعبرة ونكالاً لهم . اهـ .

قال أبو إسحاق : لا يجوز أن تكون الطائفةُ واحداً ، لأن معناها معنى الجماعة ، والجماعة لا تكون لأقلَّ من اثنين لأن معنى « طائفة » قطعة ، يُقال : أكلتُ طائفةٌ من الشّاةِ أي قطعةً منها[1] .

وقد رَوَى ابنُ أبي نجيح عن مجاهد في قولِ الله عزَّ وجل ﴿ **وإنْ طَائِفَتَانِ مِنَ المُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا..** ﴾ أنَّهما كانا رجلين .

قال أبو جعفر : إلاَّ أنَّ الأشبه بمعنى الآية ــ واللّهُ أعلمُ ــ أن تكون الطائفة ، لأكثر[2] من واحدٍ في هذا الموضع ، لأنه إنما يُراد به الشُّهْرةُ ، وهذا بالجماعة أشبهُ .

٥ ــ **وقولُه جلَّ وعز : ﴿ الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إلاَّ زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إلاَّ زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى المُؤْمِنِينَ ﴾** [آية ٣] .

قال مجاهدٌ والزهريُّ وقتادة : كان في الجاهلية نساءٌ معلومٌ منهنَّ الزِّنى ، فأراد ناسٌ من المسلمين نكاحهنَّ ، فنزلت الآية[3]

---

(١) انظر معاني القرآن للزجاج ٤/٢٨ .

(٢) في المخطوطة « الأكثرُ » ولعل الصواب : لِأَكْثر .

(٣) في الدر المنثور ٥/١٩ : لما قدم المهاجرون المدينة قدموها وهم بجهد ، إلا قليل منهم ، والمدينة غالية السعر ، شديدة الجهد ، وفي السوق زوانٍ متعالنات من أهل الكتاب ، قد رفعتْ كل امرأة منهن علامةً على بابها ، لتُعرف أنها زانية ، وكنَّ من أخصب أهل المدينة وأكثرهم خيراً ، فرغب أناس من مهاجري المسلمين ــ للذي هم فيه من الجهد ــ أن يتزوجوا بعض هؤلاء الزواني فنزلت الآية .

﴿ **الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إلاَّ زَانِيةً أَوْ مُشْرِكة** ﴾ وهذا القول الأول .

وقال الحسن : الزاني المجلودُ لاينكح إلاَّ مثلَه .

قال حبيب المعلِّم : فقال رجلٌ لعَمْرو بنِ شُعَيبٍ : إنَّ الحسنَ يقول كذا ، فقال : ما عَجَبُكَ مِنْ هذا ؟ حدثني سعيدُ بن سعيدٍ المَقْبُريُّ عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : « لاينْكحُ الزاني المجلودُ إلاَّ مثلَه »[1] .

وقال إبراهيم النَّخعيُّ نحوه .

ورَوَى سعيدُ بن جُبير عن ابن عباس قال : النكاح ههنا الجِماع[2] .

ورَوَى عليُّ بنُ أبي طلْحَةَ عن ابن عباس قال : الزَّاني من أهل القِبلة ، لا يزني إلاَّ بزانيه من أهل القِبلةِ أو مُشْركة .. والزانيةُ من أَهلِ القِبلة ، لا تزني إلاَّ بزانٍ من أهل القَبْلةِ أو مشرك[3] .

---

(١) الحديث رواه أبو داود في النكاح رقم ٢٠٥٢ وإسناده حسن ، وأحمد بن حنبل في المسند ٣٢٤/٢ .

(٢) قال القرطبي ١٦٧/١٢ : مقصد الآية تشنيع الزنى وتبشيع أمره ، وأراد بقوله « لا ينكح » أي لا يطأ ، فيكون النكاح بمعنى الجماع ، والمعنى : الزاني لا يطأ في وقت زناه إلا زانية من المسلمين ، أو من هي أخسُّ منها من المشركات .

(٣) وقال في البحر : قال الزمخشري : وقولهم أراد بالنكاح الوطء ، ليس بقول لأمرين :
أحدهما : أن هذه الكلمة أينما وردت في القرآن لم يُرد بها إلا معنى العقد . =

قال أبو جعفر : فهذه ثلاثةُ أقوالٍ .

وفي الآية قولٌ رابعٌ كأنَّه أَولَاها .

حدثنا إسحاقُ بنُ إبراهيمَ المعروف بالقطَّانِ ، قال حدثنا يحيى ابن عبدالله بنُ بُكيْر ، قال حدثنا اللَّيثُ ، قال : حدثنا يحيى بن سعيد ابن قيس الأنصاري ، عن سعيد بن المسيَّب أنه قال : يزعمون أن تلك الآية ﴿ **الزَّانِي لا يَنْكِحُ إلاَّ زَانِيةً أوْ مُشْرِكَةً ، والزَّانِيةُ لايَنْكِحُها إلاَّ زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ** ﴾ نُسِختْ بالآيات التي بعدها ﴿ **وَأَنْكِحُوا الأَيَامَى مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وإمَائِكُمْ** ﴾[٣] فدخلت الزانيةُ في أَيَامَى المسلمين .

وإنما قلنا « كأنَّ هذا أولى » لأن حديث القاسم عن عبدالله مضطربُ الإسنادِ ، وحديثُ سعيدٍ عن أبي هريرة عن النبي ﷺ يجوز أن يكون رسولُ الله ﷺ قاله قبل نزول الآية النَّاسخة .

= والثاني : فساد المعنى وأداؤه إلى قولك : الزاني لا يزني إلا بزانية ، والزانية لا تزني إلا بزان ، انتهى وماذكره من الأمر الأول أخذه من الزجاج حيث قال : لا يُعرف النكاح في كتابْ الله إلا بمعنى التزويج ، وأما الأمر الثاني فالمقصود به تشنيع الزاني وتبشيع أمره ، وأنه محرم على المؤمنين ، قال الزمخشري : ومعنى الآية أن الفاسق الخبيث الذي من شأنه الزنى والخُبْثُ ، لا يرغب في نكاح الصوالح من النساء ، وإنما يرغب في فاسقة خبيثة من شكله ، أو في مشركة ، والفاسقة الخبيثة المسافحة كذلك لايرغب في نكاحها الصلحاء من الرجال . اهـ . البحر المحيط ٤٢٩/٦ .

(١) سورة النور آية (٢٣) .

والقولُ الثالثُ : أن يكون النِّكاحُ هو الجماعُ ، زعم أبو إسحاق[1] أنه بعيدٌ ، وأنه لايُعرف في القرآن النكاحُ بمعنى الجماع[2] ، وقولُه تعالى : ﴿ **وَحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ** ﴾ فدلَّ على أنه التزويجُ لأنه لا يُقال في الزنى ، هو محرَّمٌ على المؤمن خاصَّةً .

وقولُ من قال : إنهن نساءٌ معلوماتٌ ، يدلُّ على أن ذلك كان في شيءٍ بعينه ثم زال ، فقد صار قولُ سعيد أَوْلاهَا[3] .

وأيضاً فإن سعيداً قال : يزعمون ، فدلَّ على أنه أخذه عن غيره ، وإنما يأخذه عن الصحابة .

٦ ــ **ثم قال جلَّ وعزَّ** : ﴿ **وَحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ** ﴾ [آية ٣] .

---

(١) أبو إسحاق هو الإمام الزجاج ، فقد قال في كتابه معاني القرآن ٢٩/٤ « لا يعرف شيء من ذكر النكاح في كتاب الله تعالى إلا على التزويج » . اهـ. وانظر القرطبي أيضاً ١٦٧/١٢ .

(٢) قال القرطبي ١٦٨/١٢ : وليس كما قال ففي القرآن ﴿ حتى تنكح زوجاً غيرَه ﴾ وقد بينه النبي ﷺ أنه بمعنى الوطء بقوله « حتى تذوق من عُسَيْلَتِهِ ويذوق عُسَيْلتك » ورجحه الطبري ٧٥/١٨ فقال : وأولى الأقوال أنه عنى بالنكاح الوطء . اهـ .

(٣) هذا يؤيد قول من قال : إن نكاح الزاني أو الزانية جائز ، وأن الآية منسوخة بقوله تعالى ﴿ وأنكحوا الأيامَى منكم ﴾ فالزانية من أيامى المسلمين ، وقد روي أن رجلاً زنى بامرأة في زمن أبي بكر رضي الله عنه ، فجلد كلَّ واحد منهما مائة جلدة ، ثم زوَّج أحدهما من الآخر ، وسئل ابن عباس عمن زنى بامرأة ثم أراد أن يتزوج بها فقال :« أوله سفاح وآخره نكاح » ومَثَلُ ذلك كمثل رجل سرق من بستان ثمراً ، ثم أتى صاحب البستان فاشترى منه ثمره ، فما سرق حرام ، وما اشترى حلال . اهـ. وانظر القرطبي ١٧٠/١٢ .

قال ابن عباس : يعني الزِّنَى[1] .

٧ ــ **وقوله جل وعزَّ** : ﴿ **وَالَّذِينَ يَرْمُوْنَ المُحْصِنَاتِ[2] ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً ، وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَداً ، وَأُوْلَئِكَ هُمُ الفَاسِقُون ، إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ** ..﴾ [آية ٤و٥] .

قال أبو جعفر : في هذه الآية ثلاثة أحكامٍ على القاذف : منها جَلْدُهُ .

وترك قبولِ شهادتِهِ .

وتفسيقُهُ .

وفيها ثلاثةُ أقوال :

أحدها : **قاله الحسنُ** ، **وشُرَيْحٌ** ، **وإبراهيمُ** : أنَّ الاستثناء من قوله ﴿ **وَأُوْلَئِكَ هُمُ الفَاسِقُونَ** ﴾ وقالوا : لا تُقبلُ شهادتُه وإن تابَ ، وهذا قول الكوفيِّين[3] .

---

(١) الأثر أخرجه ابن كثير ٦/٧ والسيوطي في الدر المنثور ٥/١٩ ونسبه إلى ابن أبي حاتم والبيهقي .

(٢) قال القرطبي ١٧٢/٢١ ذكر الله تعالى في الآية النساء ، من حيث إنهن أهم ، ورميُهنَّ بالفاحشة أشنع ، وأنكى للنفوس ، وقذف الرجال داخل في حكم الآية بالمعنى ، والإجماع . اهـ.

(٣) الاستثناء ﴿ إلا الذين تابوا ﴾ لا يرجع إلى الجلد باتفاق ، واختلف في ردِّ شهادة القاذف ، فالجمهور على قبول شهادته إذا تاب ، وقال الحنفية : لا تقبل شهادته ولو تاب وصار أصلح الصالحين ، لقوله سبحانه ﴿ أبداً ﴾ فإنها تفيد الدوام والاستمرار ، وانظر القرطبي ١٧٩/١٢ .

والقولُ الثاني : أن يكون الاستثناءُ من قوله تعالى ﴿ **وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا** ﴾ أي إلَّا من تاب ، فإنه تقُبل شهادتُه .

وهذا قولُ مسروقٍ ، وعطاءٍ ، ومجاهدٍ ، وطاووسَ .

ويُرَوَى عن عمر بن الخطاب أنه قال لأبي بكرة[1] : إنْ تُبْتَ قبلتُ شهادتك ، وهذا قول أهل المدينة .

والقولُ الثالث : يُروى عن الشعبيِّ أنه قال : الاستثناءُ من الأحكام الثلاثة[2] .

فإذا تاب ، وظهرتْ توبتهُ لم يُحدَّ ، وقُبلت شهادتُه ، وزالَ عنه التَّفْسيقُ ، لأنه قد صار ممَّن يُرْضَى منَ الشُّهداء ، وقد قال الله عز وجل ﴿ **وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وآمَنَ وعَمِلَ صَالِحاً ثُمَّ اهْتَدَى** ﴾[3] .

---

(١) « أبو بكرة » هو نُفَيْع بن الحارث ، وكان قد قذف المغيرة بن شعبة ، فأقام عليه عمر الحدَّ ، وفي صحيح البخاري « جلد عمر رضي الله عنه أبا بكرة ، وشِبْلَ بن مَعْبد ، ونافعاً ، بقذف المغيرة ، ثم استتابهم وقال : من تاب قَبِلْتُ شهادته » وانظر روح المعاني ١٨/١٠٢ والبحر المحيط ٦/٤٣٢ .

(٢) الأثر أخرجه ابن جرير ١٨/٧٧ والسيوطي في الدر ٥/٢١ وكان الشعبيُّ يقول : يقبل الله توبته وتردُّون شهادته ؟

(٣) سورة طه آية ٨٢ .

قال أبو جعفر : يجوز أن يكون الاستثناءُ من قولـه ﴿ **وَأُوْلَئِكَ هُمُ الفَاسِقُونَ** ﴾ كما ذكرنا في القول الأول ، ويكـون ﴿ **الَّذِينَ** ﴾ في موضع نَصْبٍ ، إلَّا أنه يجبُ أن يزول عنه اسم الفسوق ، فيجبُ قبولُ شهادتِهِ ، ويكون عَدْلاً .

ويجوزُ أن يكون الاستثناء من قوله ﴿ **وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا** ﴾ ويكـون ﴿ **الَّذِينَ** ﴾ في موضع خفضٍ ، بمعنى ﴿ **إلَّا الَّذِينَ تَابُوْا** ﴾ ويكون قبولُ شهادتِهِ أوْكد ، وهو أيضاً متعارفٌ عن عمرَ ، فهو أَوْلى أيضاً لهذا .

ويجوز أن يكون كما رُوي عن الشعبيِّ ، إلَّا أن الفقهــاء على خلافه[1] .

وفي الكلام حذفٌ ، المعنى : والذين يرمون المحصنات بالزنى ، ثم حُذف لأن قبلَه ، ذكرُ الزَّانيةِ والزَّاني .

والفائدةُ في قوله جلَّ وعزَّ ﴿ **وَلَا تَقْبَلوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا** ﴾ أنَّ ﴿ **أَبَدًا** ﴾ مقدارُ مُدَّة حياةِ الرجل ، ومقدارُ انقضاء قصَّته .

فإذا قلت : الكافرُ لا تُقبلُ له شهادةٌ أبداً ، فمعناه مادام كافراً .

---

(١) الحد لا يسقط عمن قذف محصناً عفيفاً باتفاق الفقهاء حتى ولو تاب ، لأن التوبة لا تُسقط عنه الحد ، وإنما يسقط عنه الفسق وردُّ الشهادة على خلاف بينهم في ذلك ، وانظر البحر المحيط ٤٣٢/٦ وروح المعاني ١٠٢/١٨ .

وإذا قلت : القاذفُ لا تُقبل له شهادة أبداً : فمعناه مادام قاذفاً . وهذا من جهة اللُّغةِ ، وكلامُ العرب يؤكِّد قبولَ شهادتِهِ ، وألَّا يكون أسوأ حالاً من القاتل[1] .

٨ ــ **وقولُه جلَّ وعزَّ** : ﴿ **وَالَّذِينَ يَرمُونَ أَزْواجَهُمْ** .. ﴾ [آية ٦] .

في هذا قولان :

أحدهما : **أن المعنى** : والذين يقولون لأزواجهم يازواني ، أو يقولُ لها : رأيتُكِ تزنينَ ، وهذا قولُ أهلِ الكوفة .

والقول الآخر : أنه يقول لها : رأيتُكِ تزنينَ لا غيرُ ، وهذا قولُ أهل المدينة .

قال أبو جعفر : والقولُ الأول أَوْلى ، لأنَّ الرَّميَ في قوله ﴿ **والَّذِينَ يَرْمُونَ المحصنَاتِ** ﴾ هو أن يقول لها : يازانيةُ ، أو رأيتُكِ تزنينَ ، فيجب أن يكون هذا مثلَه .

---

(١) قال القرطبي ١٨١/١٢ : قال أبو عبيد : الاستثناء يرجع إلى الجمل السابقة ، وليس من نُسِبَ إلى الزنى بأعظم جرماً من مرتكب الزنى ، ثم الزاني إذا تاب قُبلت شهادته ، لأن التائب من الذنب كمن لا ذنب له ، وإذا قبل الله التوبة من العبد ، كان العباد بالقبول أولى . اهـ.

وقال الزجاج ٣١/٤ : وليس القاذف بأشد جرماً من الكافر ، فحقُّه إذا تاب وأصلح أن تُقبل شهادته ، وقوله تعالى « أبداً » أي ما دام قاذفاً كما تقول : لا تقبل شهادة الكافر أبداً ، فإن معناه ما دام كافراً . اهـ. وانظر أقوال الفقهاء في الموضوع فإنه نفيس .

٩ ـــ **ثم قال جلَّ وعز : ﴿ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ .. ﴾** [آية ٦] .

رَوَى إبراهيمُ عن عَلْقَمَةَ عن عبدالله[١] قال : « كان رجلٌ معنا جالساً ليلةَ جُمُعةٍ ، فقال : إنْ أَحَدُنا وجدَ مع امرأتِهِ رجلاً ، فإن قتَلَه قتلتموهُ ، وإن تكلَّم حدَدتُموه ، وإنْ سكتَ سكَتَ على غَيْظٍ ، اللهم احكم[٢] ، فأُنزلتْ ﴿ **وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ شُهَدَاءُ إلاَّ أَنْفُسُهُمْ** ﴾ إلى آخر الآية .

وقال سهلُ بنُ سعْدٍ : جاء عويمر[٣] إلى النبي ﷺ في وسط النَّاسِ فسأله ، وذكر الحديث .. وقال في آخره : فطلَّقها ثلاثاً .

وقال عبدالله بن عمر : فرَّق رسولُ الله ﷺ بينهما .

١٠ ـــ **وقولُه جلَّ وعزَّ : ﴿ وَالْخَامِسَةُ أَنَّ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كَانَ مِنَ الكَاذِبِينَ**[٤] ﴾ [آية ٧] .

---

(١) هو عبد الله بن مسعود الصحابي الجليل ، والمفسِّر الشهير .

(٢) الحديث في مسند الإمام أحمد ٤٢١/١ بلفظ « كنا جلوساً عشية الجمعة في المسجد ، فقال رجل من الأنصار : أحدنا إذا رأى مع امرأته رجلاً فقتله .. » إلى آخره .

(٣) هو « عُوَيمر بن أبي أبيض العجلاني » صحابي أخرج الشيخان قصته ، وذكر في الموطأ أنه « عويمر بن أشقر » وهو خطأ ، وصوابه ما أثبتناه ، وانظر الإصابة ٧٤٦/٤ .

(٤) سبب نزول الآية ما رواه أبو داود عن ابن عباس أن « هلال بن أمية » قذف امرأته عند النبي ﷺ بشريك بن سَحْماء ، فقال النبي ﷺ : « البيِّنة أو حدٌّ في ظهرك » قال يا رسول الله : إذا رأى أحدنا رجلاً على امرأته ينطلق يلتمس البيِّنة ؟ فجعل النبي ﷺ يقول : « البيِّنة وإلَّا =

وتُقرأُ « وَالْخَامِسَةَ » بمعنى : ويَشهدُ الشَّهادةَ الخامسةَ .

والمعنى : أنَّه لعنةُ اللَّهِ عليه ، وأنشد سيبويه :

في فِتْيـةٍ كَسُيـوف الهِنْـدِ قَدْ عَلِمـوُا

أنْ هَالِكٌ كُلُّ مَنْ يَحْفى ويَنْتَعِلُ[1] .

١١ ـــ وقولُه جلَّ وعزَّ ﴿ وَيَدْرَأُ عَنْهَا العَذَابَ ..﴾ [آية ٨] .

معنى ﴿ يَدْرأُ ﴾ : يدفع .

وفي معنى العذاب ههنا قولان :

أحدهما : أنَّه الحَبْسُ .

والآخر : أنه الحدُّ[2] .

= حدٌّ في ظهرك » فقال هلال : والذي بعثك بالحق إني لصادق ، ولينزلـنَّ الله في أمـري ما يبـرّئ ظهري من الحدَّ ، فنزلت الآية وانظر القرطبي ١٨٣/١٢ .

(١) البيت في شواهد سيبويه ص ١٢٤ وهو للأعشى في ديوانه ص ١٤٧ .

(٢) في البحر ٤٣٤/٦ ﴿ ويدرأ عنها العذاب ﴾ أي يدفع عنها العذاب ، والعـذاب قال الجمهـور : إنه الحدُّ « حدُّ الزِّنى » وحكى الطبري أن العذاب هو الحبس ، حكاه عن آخرين . اهـ. والقـول الأول هو مذهب الحنفية ، والثاني هو مذهب الشافعية والمالكية قال الألوسي : فإن امتنـع الـزوج عن الملاعنة ، حبسه الحاكم حتى يلاعن أو يكذِّب نفسه فيحدَّ ، وعند الشافعي : إن امتنـع حُدَّ حَدَّ القذف ، وإن امتنعت تحدُّ عنده حدَّ الزنى ، وعندنا تُحبس حتى تلاعن . اهـ. روح المعاني ١٠٨/١٨ .

١٢ ـ **وقوله جلَّ وعزَّ : ﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ﴾** [آية ١٠] .

في الكلام حذفٌ .

والمعنى : ولولا فضلُ اللّهِ عليكم ورحمتُه ، لنالَ الكاذبَ منكم عذابٌ عظيمٌ[١] .

١٣ ـ **وقولُه جلَّ وعزَّ : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ ..﴾** [آية ١١] .

قال الضحَّاك : هم الذين قالوا لعائشة ما قالوا[٢] .

قال أبو جعفر : يُقال للكذِب : إفكٌ ، وأصلُه من قولهم : أَفَكَهُ يأْفِكُهُ ، إذا صرَفه عن الشيء ، فقيل للكذب إفْكٌ ، لأنه مصروف عن الصِّدق ومقلوبٌ عنه ، ومنه المؤتفكات .

والذين جاءوا بالإفك ـ فيما رُوِيَ ـ « عبدُاللّهِ بنُ أُبيّ »[٣]

---

(١) جواب « لولا » محذوف للتهويل ، وكما قيل : ربَّ مسكوتٍ عنه أبلغ من منطوق ، وقد قدَّره المصنف بما ذُكر ، وقال التبريزي تقديره : لهلكتم ، أو لفَضَحكم ، أو لعاجلكم بالعقوبة ، وقال ابن عطية : تقديره لكشف الزناة بأيسر من هذا ، أو لأخذهم بعقاب من عنده ، ونحو هذا من المعاني . اهـ. البحر المحيط ٤٣٥/٦ وانظر روح المعاني ١١١/١٨ .

(٢) أي رموها بحادثة الإفك وهي الزنى ، وانظر تفصيل القصة في الصحيحين .

(٣) هو « عبد الله بن أُبَيّ بن سلول » رأس الفتنة ، وزعيم المنافقين ، وهو الذي تولى كبر الحديث ، أي معظمه ، وأشاعه وأذاعه ، ورمى أمَّ المؤمنين عائشة بفاحشة الزنى ، حتى نزلت براءتها من السماء رضي الله عنها وأرضاها .

و« مِسْطَحُ بنُ أُثَاثَة »[1] ، و« حَسَّانُ بنُ ثَابتٍ » .

ثم قال تعالى ﴿ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ بَلْ هَوَ خَيِّر لكُمْ ﴾

[آية ١١] .

فالمخاطبة لعائشة ، وأهلِها ، وصفوانٌ[2] .

أي تُؤجرون فيه[3] ، ونزل فيهم القرآن .

١٤ ــ وقولُه جلَّ وعزَّ : ﴿ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾

[آية ١١] .

روى ابنُ أبي نجيح عن مُجاهد قال : ﴿ الَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ ﴾
عبدالله بنُ أبيّ بن سلول .

وروى الزُّهْري عن عُروةَ عن عائشة قالت : هو عبدالله بن أبيٍّ .

---

(١) مسطح بن أثاثة بن عبَّاد القرشي المطلبي ، ابن خالة أبي بكر ، كان ممن خاض في الإفك على عائشة ، فجلده النبي ﷺ فيمن جلد ، توفي سنة ٣٤ وانظر ترجمته في أسد الغابة ١٥٦/٥ .

(٢) هو « صفوان بن المعطَّل السُّلمي » ثم الذكواني كما في المسند ١٩٤/٦ وهو الذي اتهمت به عائشة الصديقة .

(٣) قال في التسهيل : والخير في ذلك من خمسة وجوه : تبرئة أم المؤمنين ، وكرامة الله بإنزال الوحي في شأنها ، والأجر الجزيل لها في الفرية عليها ، وموعظة المؤمنين ، والانتقام من المفترين . اهـ. التسهيل ١٣١/٣ .

وقرأ **حُميدُ بن قيسٍ ويعقوبُ ﴿ والَّذِي تَوَلَّى كُبْرَهُ ﴾** بضم الكاف[1] ،

قال يعقوبُ كما تقول : الذي تولَّى عُظْمه .

قال الفراء : هو وجه جيِّدٌ في النحو .

قال أبو جعفر : وخالفه في ذلك الرؤساء من النَّحْويِّين ، قيل لأبي عَمْرو بن العلاء : أتقرأ ﴿ **والَّذِي تَوَلَّى كُبْرَهُ** ﴾ ؟ فقال : لا ، إنما الكُبْرُ في النَّسب .

قال أبو جعفر : يريد أنه يُقال : الكُبْرُ من ولِدِ فلانٍ لفلان[2] .

١٥ ــ **وقولُه جَّل وعزَّ : ﴿ لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا ..﴾** [آية ١٢] .

---

(١) عبارة الفراء في معانيه ٢٤٧/٢ قال : اجتمع القراء على كسر الكاف ، وقرأ حُميد الأعرج « كُبْره » بالضم ، وهو وجه جيد في النحو ، لأن العرب تقول : فلان تولَّى عُظْم الأمر : يريدون أكثره . اهـ.

أقول : وقد ذكر ابن الجزري في كتابه النشر في القراءات العشر ٣٣١/٢ هذه القراءة ﴿ والذي تولى كُبره ﴾ بضم الكاف ، وقراءة الجمهور بالكسر .

(٢) قال في لسان العرب ٢٠٩/١١ : قاس الفراء « الكُبْر » على « العُظْم » وكلام العرب على غيره ، أخبرني المنذريُّ عن ابن السكِّيت أنه قال : كِبْرُ الشيءِ : مُعْظمه بالكسر ، فأمَّا الكُبْر بالضم ، فهو أكبر ولد الرجل . اهـ .

أي هلاَّ ظنَّ المؤمنون والمؤمناتُ بأنفسهم خيراً ؟

أي بأهلِ دينهم ، ومن يقوم مقامهم .

ومعنى قوله ﴿ **أَفَضْتُمْ فِيهِ** ﴾ خُضْتُم فيه(١) .

١٦ ــ **وقولُه جلَّ وعزَّ :** ﴿ **إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ** .. ﴾ [آية ١٥] .

قال مجاهد : أي يرويه بعضُكُم عن بَعْض(٢) .

وقرأت عائشةُ وابنُ يَعْمُر : ﴿ **إِذْ تِلَقُوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ** .. ﴾(٣)

بكسر اللَّام ، وضمِّ القاف ، يُقال : وَلَق ، يَلِق ، إذا أسرع في الكذب وغيره .

١٧ ــ **وقولُه جلَّ وعزَّ :** ﴿ **يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا** .. ﴾ [آية ١٧] .

قال مجاهد : أي ينهاكم .

---

(١) في الصحاح ١٠٩٩/٣ : فاض الخبر يَفيض واستفاض : أي شاع ، وهو حديث مستفيض أي منتشر في الناس ، ولا تقل : مستفاض إلا أن تقول : مستفاض فيه ، وأفاضوا في الحديث : أي اندفعوا فيه . اهـ. الجوهري .

(٢) الأثر في الطبري ٩٨/١٨ وابن كثير ٢٧/٦ والدر المنثور ٣٣/٥ .

(٣) هذه من القراءات الشاذة كما في المحتسب ١٠٤/٢ وذكرها الطبري ٩٨/١٨ وفي البحر ٤٣٨/٦ والقرطبي ٢٠٤/١٢ ومعاني القرآن للفراء ٢٤٨/٢ .

١٨ ــ **وقولُه جلَّ وعز : ﴿ إنَّ الَّذينَ يُحِبُّونَ أنْ تَشِيعَ الفَاحِشَةُ في الَّذِينَ آمَنُوا ..﴾** [آية ١٩] .

رَوَى سعيد عن قتادة قال : أَنْ يظهرَ الزِّنى(١) .

١٩ ــ **وقولُه جلَّ وعزَّ : ﴿ وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ ..﴾** [آية ٢٢] .

قل أبو جعفر : فيه قولان

أحدهما : رواه عليُّ بنُ أبي طَلْحةَ عن ابنِ عباس قال : لايُقسموا أَلاَّ ينفعوا أحداً(٢) .

والآخر : أن المعنى : لا يقصِّروا ، من قولهم ما أَلَوْتُ أن أفعلَ .

قال هشام : ومنه قولُ الشاعر :

أَلَا رُبَّ خَصْمٍ فِيكَ أَلْوى رَدَدْتُهُ
نَصِيحٍ عَلَى تَعْذَالِهِ غَيْرُ مُؤْتَلي(٣) .

---

(١) قال القرطبي ٢٠٦/١٢ : الفاحشة : الفعل القبيح المفرط في القبح ، وقيل : الفاحشة في هذه الآية : القول السيِّئ . اهـ .

(٢) قال الطبري : يأتل من الأليَّة وهي القسم بالله والمعنى : ولا يقسم أولو الفضل منكم والسعة أن يصلوا أرحامهم ، ونسب هذا القول إلى ابن عباس . الطبري ١٠٢/١٨ والدر المنثور ٣٤/٥ .

(٣) البيت لامرئ القيس من قصيدته التي مطلعها : قفا نبك من ذكر حبيب ومنزل .. وهو في ديوانه ص ١٨ وفي المنصف لابن جنى ٨٣/٣ والشاهد فيه قوله « غير مؤتلي » أي غير مقصِّر في نُصحي ، والألوى : الشديد الخصومة .

قال أبو جعفر : القولُ الأولُ أَوْلى ، لأنَّ الزُّهريَ روى عن سعيد بن المسيّب ، وعروةَ ، وعلقمةَ بنِ وقّاص ، وعُبيدِ اللَّهِ بن عبدِ اللَّهِ ، عن عائشةَ قالت : كان أبو بكر يُنفقُ على « مِسْطَحِ بنِ أُثَاثة » لقرابتِهِ وفقرِه ، فقال : « واللَّهِ لا أُنفقُ عليه بعدما قالَ في عائشة ما قال » فأنزل الله عزَّ وجل ﴿ **وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الفَضْلِ منكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتوا أُوْلِي القُرْبَى** .. ﴾[1] .

قال أبو جعفر : والتقديرُ في العربية : ولا يحلفْ أولُو الفضلِ كراهةَ أن يُؤْتوا ، وعلى قول الكوفيِّين : لأَنْ لا يؤتوا .

ومن قال معناه : ولا يُقصِّرْ[2] ، فالتقديرُ عنده : ولا يُقصِّرْ أولو الفضلِ عن أن يُؤْتوا .

فإن قيل : ﴿ **أُولُو** ﴾ لجماعةٍ ، وفي الحديث أن المرادَ أبو بكرٍ ؟

فالجوابُ : أنَّ عليَّ بنَ الحَكَم رَوَى عن الضحَّاك قال قال أبو بكرٍ

---

(١) هذا طرف من حديث طويل مشهور هو حديث الإفك ، أخرجه البخاري في التفسير ١٣٢/٦ والترمذي رقم ٣١٨٠ وقال : حديث حسن صحيح ، وانظر تمام الحديث في الطبري ١٠٢/١٨ والقرطبي ٢٠٧/١٢ وابن كثير ٣٠/٦ والبحر المحيط ٤٤٠/٦ .

(٢) إلى هذا ذهب الزمخشري في الكشاف ٧٧/٢ فقال : المعنى : لا يحلفوا على ألا يُحسنوا إلى المستحقين للإحسان ، أو لا يُقصِّروا في أن يُحسنوا إليهم ، وإن كانت بينهم شحناء ، لجناية اقترفوها ، فليعودوا عليهم بالعفو والصفح .. اهـ .

وغيرُه من المسلمين[1] : لانَبَرُّ أحداً ممَّن ذكَرَ عَائشةَ ، فأنزل اللَّهُ عزَّ وجلَّ ﴿ ولا يَأْتَلِ أولُو الفَضْلِ منكُمْ والسَّعَةِ ﴾ إلى آخر الآية .

٢٠ ــ **وقولُه جلَّ وعزَّ** : ﴿ **إنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ المُحْصَنَاتِ ، الغَافِلَاتِ ، المُؤْمِنَاتِ ، لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ ، وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ** ﴾ [آية ٢٣] .

[رَوَى سفيانُ عن خُصيفٍ قال : سألتُ سعيدَ بنَ جُبَيْرٍ ، مَنْ قَذَفَ محصنةً لُعِنَ في الدنيا والآخرة ؟] فقال : هذا خاصٌّ بعائشة[2] .

ورَوَى « **سَلَمةُ بنُ نُبَيْطٍ** »[3] عن الضحاك قال : هذا في أزواج النبي ﷺ خاصَّة[4] .

قال أبو جعفر : وقولُ ابن عباسٍ ، والضحَّاكِ أولى من القول الأول ، لأن قوله ﴿ **المحصناتِ** ﴾ يدلُّ على جمع .

---

(١) الأثر عن الضحاك ذكره في الدر المنثور ٣٥/٥ والبحر المحيط ٤٤٠/٦ والألوسي في روح المعاني ١٢٥/١٨ .

(٢) ما بين الحاصرتين سقط من المخطوطة وأثبتناه من الهامش ، وانظر الطبري ١٠٣/١٨ والقرطبي ٢٠٩/١٢ والدر المنثور ٣٥/٥ .

(٣) سَلَمة بن نُبيطٍ تابعيٌّ من الطبقة الخامسة ، وضبطه في تقريب التهذيب ٣١٩/١ بالتصغير « نُبَيْطٍ » وقال هو الأشجعُي ثقةٌ .

(٤) الأثر أخرجه السيوطي في الدر المنثور ٣٥/٥ .

وقيل : خُصَّ بهذا أزواجُ النبيِّ ﷺ فقيل لمن قذفهنَّ : ملعونٌ في الدنيا والآخرة ، ومن قذف غيرهنَّ ، قيل له : فاسقٌ ، ولم يُقَلْ له هذ[(1)] .

٢١ ــ وقوله جلَّ وعزَّ : ﴿ يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ .. ﴾ [آية ٢٥] .

الدِّينُ ههنا : الحسابُ ، والجزاءُ ، كما قال تعالى ﴿ ذَلِكَ الدِّينُ القَيِّمُ ﴾[(2)] و﴿ مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴾ .

٢٢ ــ وقولُه جلَّ وعزَّ : ﴿ الخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ ، والطَّيِّبَاتُ للطَّيِّبِينَ والطَّيِّبونَ للطَّيِّبَات .. ﴾ [آية ٢٦] .

قال سعيدُ بنُ جبير وعطاءٌ ومجاهد : أي الكلماتُ الخبيثاتُ

---

(١) قال الزمخشري في تفسيره الكشاف ٧٧/٢ وأجاد وأبدع : « ولو قلَّبتَ القرآن كلَّه ، وفتَّشت عما أوعد به العصاة ، لم تر اللَّه عز وجل قد غلَّظ في شيء تغليظه في الإفك ، وما أنزل فيه من الآيات القوارع ، المشحونة بالوعيد الشديد ، والزجر العنيف ، واستفظاع ما أقدم عليه ، ما نزل فيه على طرق مختلفة ، وأساليب متفنَّنة ، كلٌّ واحدٍ منها كافٍ في بابه ، ولو لم يُنزل اللَّهُ إلاَّ هذه الآيات الثلاث ، لكفى بها ، حيث جعل القَذَفة ملعونين في الدارين جميعاً وتوعدَّهم بالعذاب العظيم في الآخرة ، وأن ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم تشهد عليهم بما أفكوا وبهتوا به ، فأوجز في ذلك وأشبع ، وفصَّل وأجمل ، وأكدَّ وكرَّر ، وجاء بما لم يقع في وعيد عبدة الأصنام والأوثان . انتهى .

(٢) سورة التوبة آية رقم ٣٦ واستشهاد المصنف بالآية ضعيف ، لأن المراد بالدين هنا : الشرعُ المستقيم وهو ملة إبراهيم كما قال المفسيرون ، واستشهاده بالثانية صواب ، لأن المراد بالآية أنه تعالى مالك يوم الجزاء والحساب ، قال في التسهيل ٣٣/١ : الدينُ له خمسةُ معانٍ : الملة ، والعادةُ ، والجزاءُ ، والحسابُ ، والقهرُ .

للخبيثينَ من النَّاس ، والخبيثون من النَّاسِ للخبيثاتِ من القول والخبيثاتِ من النَّاس ..

والطيِّباتُ من الكلام للطيِّبين من الناس ، والطيِّبُونْ من النَّاسِ ، للطيِّباتِ من القول ، والطيِّباتِ من الناس(١) .

قال أبو جعفر : وهذا أحسنُ ما قيل في هذه الآية .

والمعنى : الكلماتُ الخبيثاتُ لايقولهنَّ إلاَّ الخبيثونَ والخبيثاتُ من النَّاس ، والكلماتُ الطيِّباتُ لايقولهنَّ إلاَّ الطيِّبونَ والطيِّباتُ من الناس(٢) .

ودلَّ على صحَّةِ هذا القول : ﴿ **أُوْلَـئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا**

---

(١) انظر الطبري ١٨/١٠٦ والتسهيل ٣/١٢٦ والبحر المحيط ٦/٤٤١ وهذا قولُ ابن عباس والضحاك .

(٢) قال في البحر : والظاهر أن « الخبيثات » وصفٌ للنساء ، وكذلك الطيّباتُ ، والمعنى : النساء الخبيثاتُ للرجال الخبيثين ، ويرجِّحهُ مقابلتهُ بالذكور أي إن الخبيثات من النساء ينزعن للخِباثِ من الرجال ، فيكون قريباً من قوله ﴿ الزاني لاينكح إلا زانية أو مشركة ﴾ وكذلك الطيبات من النساء للطيّبين من الرجال ، ويدل على هذا التأويل قول عائشة : ولقد خُلقتُ طيبةً عند طيِّب . اهـ البحر ٦/٤٤١ أقول ما ذكره هنا هو قول ابن زيد ، وهو الأوضح والأظهر وكما قيل في الأمثال : « إن الطيور على أشكالها تقع » وقد ذكر هذا القول أيضاً الحافظ ابن كثير ٦/٣٥ قال : والمعنى : ما كان الله ليجعل عائشة زوجةً لرسول الله ﷺ إلاَّ وهي طيِّبة ، لأنه أطيبُ من كل طيِّبٍ من البشر ، ولو كانت خبيثةً ما صلحت له ، لا شرعاً ولا قدراً ، ولهذا قال تعالى ﴿ أولئك مبرَّءون ممَّا يقولون ﴾ أي هم بعداء عما يقوله أهل الإفك والعدوان .

يَقُولُونَ ﴾ أي « عائشةُ » و « صَفْوانُ » مبرَّءون مما يقولُ الخبيثون والخبيثاتُ .

وجمِعَ وإن كانا اثنيْن ، كما قال تعالى ﴿ **فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ** ﴾(٤) هذا قولُ الفراء في الجمع .

وفي قوله تعالى ﴿ **الخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ** ﴾ قولان آخران :

أ ــ **قيل المعنى** : الخبيثاتُ من الكلام ، إنما تُلْصقُ بالخبيثينَ والخبيثاتِ من النَّاسِ ، لا بالطِّيِّبين والطِّيِّبات .

ب ــ **وقيل المعنى** : الخبيثونَ من الرجال ، للخبيثات من النساء ، والخبيثاتُ من النِّساء ، للخبيثين من الرجال(١) .

٢٣ ــ **وقولُه جلَّ وعزَّ : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتاً غَيْرَ بُيُوتِكُمْ ، حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ..﴾** [آية ٢٧] .

قال عبدُاللَّهِ بن عباس : إنما هو حتَّى تستأذنوا .

---

(١) يريد أخوين فما زاد ، والآية في سورة النساء رقم ١١ وانظر توجيه الآية في معاني الفراء ٢/٢٤٩ .

(٢) في إعراب القرآن للنحاس ٢/٤٣٧ في قوله تعالى ﴿ الخبيثاتُ للخبيثين والخبيثون للخبيثات ﴾ قد ذكرنا فيه أقوالاً ، فمن أحسن ما قيل فيه أن المعنى : الزُّناةُ للزُّناة . الخ وهذا المعنى هو الأظهر كما بينَّا وحيث كان رسول الله ﷺ أطيب الطيبين ، وخيرة الأولين والآخرين ، كانت عائشة أم المؤمنين من أطيب الطيبات وأطهر الطاهرات ، رضي الله عنها وأرضاها .

قال مجاهد : هو التَّنحنُح ، والتَّنخُّمُ[1] .

قال أبو جعفر : الاستئناسُ في اللُّغة : الاستعلامُ ، يُقال : استأنستُ فلم أَرَ أحداً ، كما قال النَّابغةُ :

كَأَنَّ رَحْلَي وَقَدْ زَالَ النَّهَارُ بِنَا
بِذِي الجَلِيلِ عَلَى مُسْتَأْنِسٍ وَحِدِ[2]

أي على ثور قد فَزِع ، فهو يستعلم ذلك ، ومنه قول الشاعر :

آنَسَتْ نَبْأَةً وَأَفْزَعَهَا القَنَّا
صُ عَصْراً وَقَدْ دَنَا الإِمْسَاءُ[3]

ومنه قولُه جلَّ وعز ﴿ **فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْداً** ﴾[4] أي علمتم .

ويُبيِّن لك هذا الحديثُ المرفوُع .

---

(١) قال ابن جرير : وقال آخرون معنى الآية : حتى تؤنسوا أهل البيت بالتنحنح والتنخم وما أشبهه ، حتى يعلموا أنكم تريدون الدخول عليهم ، ثم ذكر بسنده قول مجاهد . انظر تفسير الطبري ١٨/١١١ .

(٢) البيت للنابغة الذبياني وهو في ديوانه ص ١٧ ومعنى « مستأنِسٍ وَحِدِ » الثور الوحشي المنفرد ، شبَّه ناقته به في شدة الخوف والفزع ، وانظر الخصائص لابن الجني ٣/٢٦٢ وأمالي ابن الشجري ٢/٢٧١ وشرح المفصل لابن يعيش ٦/١٦ .

(٣) البيت للحارث بن حِلِّزة من معلقته المشهورة ، وانظر المصون لأبي أحمد العسكري ص ٩٥ . وذكره في لسان العرب ١/١٦٤ قال : والنبأةُ : الصوت ليس بالشديد . اهـ ومراده أنها شعرت بصوت خفي ففزعت من القنَّاص وقد دنا المساء .

(٤) سورة النساء آية ٦ .

رَوَى أبو بُردةَ عن أبي موسى الأشعريِّ قال : (جئت إلى عمر بن الخطاب أَستأذنُ عليه ، فقلتُ : السَّلامُ عليكم أندخل ؟ ثلاث مرات ، فلم يُؤْذَنْ لي ، فقال : فَهَلاَّ أقمت ؟ فقلتُ إني سمعتُ رسول الله ﷺ يقول : « لِيَستأْذِنِ المرءُ المسلمُ على أخيهِ ثلاثَ مرَّاتٍ ، فإن أُذِنَ وإلاَّ رَجَعَ » فقال : لتأتينِّي على هذا بمن يشهدُ لك ، أو لتَنالَنَّك مني عقوبةٌ ! فجئتُ إلى « أُبيِّ بن كعبٍ » فجاءَ فشَهد لي)[1] .

قال أبو جعفر : فهذا يبيِّن لك أنَّ معنى ﴿ **حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا** ﴾ حتى تستعلموا : أَيُؤْذَنُ لكم أم لا ؟

٢٤ ـ وقوله جلَّ وعزَّ : ﴿ فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَداً فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّى يُؤْذَنَ لَكُمْ ..﴾ [آية ٢٨] .

---

(١) الحديث أخرجه البخاري في الاستئذان ٦٨/٨ ومسلم في كتاب الآداب ٣٧/٣٣ بلفظ (جاء أبو موسى إلى عمر بن الخطاب فقال : السلام عليكم ، هذا عبدُاللهِ بنُ قيسٍ ، فلم يَأْذنْ له ، فقال : السَّلامُ عليكم هذا أبو موسى ، السَّلامُ عليكم هذا الأشعريُّ ، ثم انْصَرف ، فقال : ردُّوا عليَّ ، ردُّوا عليَّ ، فجاء فقال : يا أبا موسى ماردَّك ! كنَّا في شُغْلٍ ، قال : سمعتُ رسول الله ﷺ يقول : « الاستئذان ثلاثٌ ، فإن أُذِنَ لكَ وإلاَّ فارْجِعْ » قال : لتأتينِّي على هَذا ببيِّنةٍ ، وإلاَّفَعلتُ وفَعَلتُ ، فذهب أبو موسى ، فلما أن جاء بالعشيِّ وجدوه ، قال : يا أبا موسى ما تقول ؟ أقد وجدتَ ؟ قال : نعم « أبيَّ بن كعب » قال : عدلٌ ، قال ياأبا الطُّفَيْل ما يقول هذا ؟ قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول ذلك يا ابن الخطاب ، فلا تكونَنَّ عذاباً على أصحاب رسول الله ﷺ ، قال : سبحان الله !! إنما سمعتُ شيئاً فأحببتُ أن أتثبَّتَ) ورواه ابو داود والترمذي وابن ماجة .

المعنى : حتى يأذن لكم أصحابُها بالدخول ، لأنه لا ينبغي له أن يدخل إلى منزل غيره ـــ وإن علم أنه ليس فيه ـــ حتى يأذن له صاحبُه .

٢٥ ـــ **وقوله جلَّ وعز : ﴿ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتاً غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَاعٌ لَكُمْ ..﴾** [آية ٢٩] .

قال مجاهد : كانت بيوتٌ في طُرُق المدينة ، يجعل النَّاسُ فيها أمتعاتِهم ، فأُحِلَّ لهم أن يدخلوها بغير إذنٍ(١) .

وروَى سالمٌ المكيُّ عن محمد بن الحنفيَّة قال : هي بيوتُ الخاناتِ والسُّوقِ(٢) .

وقال الضحاك : هي الخاناتُ(٣) .

وقال جابر بن زيد : ليس يعني بالمتاع الجهازَ ، وإنما هو البيتُ ينظر إليه ، أو الخَرِبة يدخلها لقضاء حاجة ،وكل متاع الدنيا منفعة(٤) .

و قال عطاءٌ : **﴿ فِيهَا مَتَاعٌ لَكُمْ ﴾** للخلاء ، والبول(٥) .

---

(١) الأثر ذكره الطبري في تفسيره ١١٤/١٨ والسيوطي في الدر المنثور ٣٩/٥ وأبو حيان في البحر ٤٤٦/٦ .

(٢) الخانات : الفنادقُ ، استثنى الله من البيوت التي يجب الاستئذان على داخلها ما ليس بمسكونٍ منها ، نحو الفنادق وهي الخانات ، والرُّبُط ، وحوانيت البيَّاعين ، قال في البحر وهو مروي عن ابن عباس وعكرمة والحسن وانظر البحر ٤٤٦/٦ .

(٣ــ٥) انظر الآثار في الطبري ١١٤/١٨ والقرطبي ٢٢١/١٢ .. قال الفراء ﴿فيها متاعٌ لكم﴾ أي =

وهذه الأقوال متقاربةٌ ، وأبينُها قولُ مجاهد ، لأنه تعالى حَظَر عليهم بَدْءاً أن يدخلوا غير بيوتهم ، ثم أذِنَ لهم إذا كان لهم في بيوت غيرهم متاعٌ ، على جهةِ اكتراءٍ أو نظيره أن يدخلوا .

والذي قاله غيرُ مجاهد جائزٌ في اللغة ، لأنه يُقال لكل منفعةٍ متاعٌ ، ومنه ﴿ **فَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى الْمُوسِعِ قَدَرُهُ وَعَلَى الْمُقْتِرِ قَدَرُهُ** ﴾[1] .

٢٦ ــ **وقوله جلَّ وعز ﴿ قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ..﴾** [آية ٣٠] .

قال قتادة : أي عمَّا لا يحلُّ لهم[2] .

« مِنْ » ههنا لبيان الجنس .

قال جرير بن عبدالله : « سألتُ رسولَ الله ﷺ عن نظرة الفُجْأةِ فقال : اصرِفْ بَصَرَكَ »[3] .

= منافع لكم تنتفعون بها وتستظلون بها من الحر والبرد ، قال الفراء : الفندقُ مثل الخان ، وسمعت أعرابياً من قُضاعة يقول : فُنْتُق . اهـ معاني القرآن ٢/٢٤٩ .

(١) عبارة القرطبي : وقال جابر بن زيد : ليس يعني بالمتاع الجهازُ ،ولكنْ ماسواه من الحاجة ، إما منزلٌ ينزله قومٌ من ليلٍ أو نهار ، أو خربةٍ يدخلها لقضاء حاجة ، أو دار ينظر إليها ، فهذا متاعٌ ، وكل منافع الدنيا متاع . اهـ وهذا الكلام أشملُ وأوضحُ وانظر تفسير القرطبي ١٢/٢٢١ .

(٢) الأثر أخرجه الطبري عن ابن زيد ١٨/١١٧ والسيوطي في الدر المنثور عن قتادة ٥/٤٠.

(٣) الحديث أخرجه مسلم في كتاب الآداب ٦/١٨١ وأبو داود في النكاح ٨/٦١ والترمذي في الاستئذان رقم ٢٩١٦ وقال : حسن صحيح ، ورواه أحمد في المسند ٤/٣٦١

فأمره ﷺ بصرف بصرِه ، لأنه إذا لم يصرف بصرَه ، كان تاركاً ما أَمَرَه اللَّهُ جلَّ وعزَّ به ، وكان ناظراً نظرةً ثانيةً اختياراً ، كما قال أبو سَلَمةَ عن عليّ بنِ أبي طالبٍ عن النبي ﷺ قال : (يا عَلِيُّ إنَّ لكَ كَنْزاً في الجنَّة ، وإنك ذُو قَرْنَيْها[1] ، فلا تُتْبِع النَّظرة النَّظْرة ، فإنَّما لكَ الأُولى ، وليستْ لكَ الآخِرة)[2] .

٢٧ ــ وقولُه جلَّ وعزَّ : ﴿ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا .. ﴾ [آية ٣١] .

رَوَى أبو إسحق عن أبي الأَحْوصِ عن عبدالله[3] قال : القُرْطُ ، والدُّمْلُجُ ، والسِّوارُ .

٢٨ ــ ثم قال جلَّ وعز : ﴿ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْها ﴾ .

في هذا اختلافٌ .

رَوَى أبو الأحوص عن عبدالله قال : الثِّيابُ[4] .

---

(١) قوله « ذو قَرْنَيْها » أي طرفيْ الجنة وجانبيها . اهـ النهاية لابن الأثير ٤/٥١ .

(٢) رواه أبو داود في النكاح ، باب ما يؤمر من غض البصر رقم ٢١٤٩ وليس فيه لفظ « وإنك ذو قرنيها » وقال الترمذي : هذا حديث حسن غريب ، وأخرجه أحمد في المسند ٣/٣٥٣ .

(٣) إذا أطلق لفظ « عبدالله » فإنه يراد به « عبدالله بن مسعود » رضي الله عنه ، وهو من كبار الفقهاء من الصحابة ومن كبار المفسرين ، والقُرْطُ : ما تتحلى به المرأة في أذنها ، والدُّملج : المِعْضَدُ من الحلي ، كذا في لسان العرب ٢/٢٧٦

(٤) الأثر أخرجه الطبري في تفسرة ١٨/١١٧ عن ابن مسعود قال : الزينةُ زينتان : فالظاهرة منها الثياب ، وما خفي الخلخالان ، والقرطان ، والسواران .

وهذا مذهبُ أبي عُبَيْدٍ .

ورَوَى نافع عن ابن عمر قال : الوجهُ ، والكفَّان[1] .

ورَوَى سعيدُ بنُ جُبير عن ابن عباس قال : الوجهُ ، والكفُّ[2] .

وبعضُهم يقول عن ابن عباس : الكُحْلُ ، والخِضَاب ، وكذلك قال مجاهدٌ ، وعطاء[3] .

ومعنى الكحلِ والخِضَابِ ، ومعنى الوجهِ والكفِّ ، سواءٌ[5] .

ورَوَتْ أمُّ شبيبٍ عن عائشة قالت : القُلْبُ ، والفَتَخَةُ[5] .

والفَتَخَةُ : الخاتَمُ ، وجمعُها فَتَخٌ ، وفَتَخاتٌ[6] .

قال أبو جعفر : وهذا قريبٌ من قولِ ابنِ عمرَ ، وابنِ عباس ، وهو أشبهُ بمعنى الآيةِ من الثِّياب ، لأنَّه من جنس الزينة الأُولى .

وأكثرُ الفقهاء عليه ، أَلَا ترى أنَّ المرأة يجب عليها أن تستر في

(١ــ٥) هذه الأقوال منقولة جميعها عن السلف ، وانظر الطبري ١٨/١١٨ وابن كثير ٦/٤٧ والدر المنثور ٥/٤١ .

(٦) قال الجوهري : الفَتَخَةُ بالتحريك : حلقةٌ من فضة لا فصَّ فيها ، فإذا كان فيها فصٌّ فهي الخاتم ، والجمع فَتَخٌ ، وفَتَخَاتٌ . اهـ الصحاح ١/٤٢٨ .

الصَّلاةِ كلَّ موضعٍ منها يراه المرءُ ، وأنَّه لايظهر منها إلاَّ وجْهُهَا وكفَّاها ؟!

والقُلْبُ : السِّوارُ[1] ، قال ذلك يحيى بن سلمان الجُعْفيُّ[2] .

٢٩ ــ **وقولُه جلَّ وعزَّ : ﴿ أَوْ نِسَائِهِنَّ ﴾** [آية ٣١] .

يعني النِّساءَ المسلمات[3] .

ولا يجوز أن يُبْدين ذلك للمشركاتِ ، لقوله سبحانه ﴿ **أَوْ نِسَائِهِنَّ** ﴾ .

٣٠ ــ **ثم قال جل وعز : ﴿ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ ﴾** [آية ٣١] .

فيه أقوالٌ :

الأول : أنَّ لهنَّ أن يُبْدين ذلكَ لعبيدهنَّ ، وأن يَرَوْا شُعُورهنَّ ، وهذا القولُ معروفٌ من قولِ عائشةَ ، وأمّ سَلَمة[4] .

---

(١) في المصباح : وقُلْبُ الفضة : بالضمِّ ، سوارٌ غير ملوي . اهـ أي من طاق واحدٍ لا من طاقين .

(٢) هو أبو سعيد يحيى بن سليمان الجعفي المقرىء توفي بمصر سنة ٢٣٧ هـ ذكره ابن حبان في الثقات ، وقال الدارقطني : ثقة ، وقال العقيلي : ثقة وله أحاديث مناكير ، وانظر ترجمته في التهذيب ١١/٢٢٧ .

(٣) هذا قول ابن عباس ومجاهد كما في تفسير ابن كثير ٦/٥٠ .

(٤) انظر الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٢/٢٣٣ فقد جاء فيه : ظاهر الآية ﴿ أو ما ملكتْ أيمانهنَّ ﴾ يشمل العبيد والإماء ، والمسلماتِ والكتابيات ، وهو الظاهر من مذهب عائشة وأم =

جَعَلتَا العبدَ بمنزلةِ المَحْرَمِ في هذا ، لأنّه لا يحلُّ أن يتزوَّج بسيِّدته مادام مملوكاً لها ، كما لايحلُّ ذلك لذوي المحارم .

ويُقوِّي هذا قولُه سبحانه ﴿ لِيَسْتَأْذِنْكُمُ الَّذِينَ ملكَتْ أيمانُكُم ، والَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الحُلُمَ منكُمْ ﴾(١) ..

والقولُ الثاني : أنه ليس لعَبِيدهنَّ أن يَرَوْا منهنَّ ، إلاَّ ما يرى الأجنبيُّ .

كما رَوَى عليُّ بنُ أبي طلحة عن ابن عبَّاس أنه قال : ولا ينظر عبدُهَا إلى شَعَرها ، ولا نَحْرِها ، وأمَّا الخلخال فلا ينظُر إليه إلاَّ الزَّوجُ .

وهو مذهب عبدالله بن مسعود ، ومجاهد ، وعطاء ، والشعبي(٢) .

ورَوَى أبو مالك عن ابن عبَّاس خلاف هذا ، قال : يَنْظُر العبدُ إلى شعر مولاته(٣) ، ويكون التَّقديرُ على القول الثاني ﴿ **أَوْ مَا**

= سلمة رضي الله عنهما ، وقال ابن عباس : لا بأس أن ينظر المملوك إلى شعر مولاته ، وقال أشهب : سئل مالك أتُلقي المرأة خِمارَها بين يدي الخِصِيِّ ؟ فقال نعم : إذا كان مملوكاً لها أو لغيرها ، وقال سعيد بن المسيب : لاتغرنكم هذه الآية ﴿ أو ما ملكت أيمانهن ﴾ إنما عنى بها الإماء ، ولم يعن بها العبيدَ ، وكان الشعبي يكره أن ينظر المملوك إلى شعر مولاته ، وهو قول مجاهد وعطاء .

(١) سورة النور آية ٥٨ .

(٢)و(٣) انظر الطبري ١٨/٢٠ والدر ٤٢/٥ .

مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ ﴾ غير أولي الإرْبَة ، أو التابِعيـنَ غير أولي الإربـة ، ثم حُذف كما قال الشاعر :

نَحْـنُ بِمَـا عِنْدَنَـا وأنْتَ بِمَـا
عِنْـدَكَ رَاضٍ وَالـرَّأْيُ مُخْتَلِـفُ[1]

على أن يزيدَ بن القعقاع وعاصماً قَرَءا ﴿ **غَيْرَ أُوْلي الإرْبَـةِ** ﴾[2] بنصب غيرَ ، فعلى هذا يجوز أن يكون الاستثناء منهما جميعاً .

والقولُ الثالث : أن يكون ﴿ **أَوْ مَامَلكتْ أَيْمَانُهُنَّ** ﴾ للإماء خاصَّةً ، قال ذلك سعيد بن المسيّب ، وقيل : الصِّغارُ خاصَّة .

قال أبو جعفر : هذا بعيدٌ في اللغة ، لأن « ما » عامة .

٣١ ــ **وقولُه جلَّ وعز** : ﴿ **أَو التَّابِعِينَ غَيْرِ أُوْلي الإرْبَةِ** ﴾ [آية ٣١] .

قال عطاء : هو الذي يَتْبعُك ، وهمُّهُ بطنُه[3] .

رَوَى علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قال : هو المغَفَّلُ ، وقيل : الطِّفلُ[4] .

وقال الشعبي : هو الذي لا أَرَبَ له في النساء[5] .

وقال عكرمة : هو العِنِّينُ[6] .

---

(١) تقدم ذكر هذا الشاهد في الجزء الثالث صفحة ٢٢٩ وهو لعمرو بن قيس الخزرجي ، وهو من شواهد سيبويه .

(٢) هذه من القراءات السبع ، وانظر النشر ٣٣٢/٢ والسبعة في القراءات ص ٤٥٥ .

(٣ــ٦) انظر الآثار في الطبري ١٢٢/١٨ وابن كثير ٥١/٦ والدر النثور ٤٣/٥

وهذه الأقوال متقاربةٌ ، وهو الذي لا حاجة له في النساء ، نحو الشيخ الهَرِم ، والخُنْثى ، والمَعْتوهِ ، والطِّفلِ ، والعِنِّين[1] .

والإرْبَةُ والأَرَبُ : الحاجةُ، ومنه حديث (وأَيّكُم أَمْلَكُ لِأَرَبه من رسولِ الله ﷺ)[2] ؟ ومن رواه « لإرْبه » فقد أخطأ ، لأنه يقال : قطَّعتهُ إرْباً ، إرْباً ، أي عُضْواً ، عُضْواً[3] .

٣٢ ـ **وقولُه جلَّ وعزَّ : ﴿ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَورَاتِ النِّسَاءِ ..﴾** [آية ٣١] .

الطِّفْلُ ههنا بمعنى : الأطفال ، يدلُّ على هذا قوله ﴿ **الَّذِينَ لم يَظْهروا عَلَى عَوْراتِ النِّسَاءِ** ﴾ أي لم يُطيقوا ذلك ، كما تقول : ظَهَر فلانٌ على فلانٍ ، أي غَلَبه وقَوِىَ عليه[4] .

---

(١) العِنِّين : بكسر العين هو الذي لايستطيع إتيان النساء .

(٢) هذا طرف من حديث أخرجه البخاري في الصوم ٤/١٣١ ومسلم رقم ١١٠٦ في الصوم أيضا ، ولفظه عن عائشة قالت (كان رسول الله ﷺ يقبِّلني وهو صائم ، وأيكم يملك أربه كما كان رسول الله ﷺ يملك إربه ؟

(٣) في المصباح : الأرب والإربة بالكسر : الحاجة ، والإرب بالكسر يستعمل في الحاجة ، وفي العضو ، والجمعُ آراب مثل حِمْل وأحمال ، وفي الحديث (كان أملَكَكُمْ لإِرْبِهِ) أي لنفسه عن الوقوع في الشهوة . اهـ المصباح مادة أرب . وفي النهاية لابن الأثير ١/٣٦ ومنه حديث عائشة (كان ﷺ أملككم لأَربِهِ) أي لحاجته ، تعني أنه كان غالباً لهواه ، وأكثرُ المحدّثين يروونه بفتح الهمزة والراء ، يعنون الحاجة ، وبعضهم يرويه بكسر الهمزة وسكون الراء ، تأويلان : أحدهما أنه الحاجةُ ، والثاني أرادت به العضوَ ، وعَنَتْ من الأعضاء الذَّكَر خاصة . اهـ .

(٤) قال القرطبي ١٢/٢٣٦ : ﴿ لم يَظْهروا ﴾ أي لم يكشفوا عن عوراتهن للجماع لصغرهنَّ ، وقيل : لم يبلغوا أن يُطيقوا النِّسَاءَ ، يُقال : ظهرتُ على كذا أي علمتُه ، وظهرتُ على كذا أي قهرته اهـ .

٣٣ ـ ثم قال جلّ وعزّ : ﴿ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ ..﴾ [آية ٣١] .

قال أبو الجوزاء[١] : كنَّ يضربن بأرجلهنَّ لتبدوَ خلاخيلُهنَّ[٢] .

وقال أبو مالك[٣] : كنَّ يجعلن في أرجلهنَّ خرزاً ، ويحرِّكنَها حتى يُسْمعَ الصَّوتُ[٤] .

قال غيرُه : فنُهين عن ذلك ، لأنه يحرِّكُ من الشهوة[٥] .

٣٤ ـ وقولُه جَلَّ وعزَّ : ﴿ وَأَنْكِحُوا الأَيَامَى مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ ..﴾ [آية ٣٢] .

قال الضحاك : هنَّ اللَّواتي لا أزواج لهنَّ[٦] ، يُقال : رجلٌ أيِّمٌ ، وامْرأةٌ أيِّمٌ ، وقد آمَتْ ، تَئِيمُ .

---

(١) أبو الجوزاء : هو (أوس بن عبدالله الرَّبَعي) تابعي ثقةٌ توفي سنة ٨٣ هـ وانظر تقريب التهذيب ٨٦/١ وتهذيب التهذيب ٣٨٣/١ .

(٢،٤،٥) انظر الآثار في الطبري ١٤٣/١٨ وابن الجوزي ٣٤/٥ وابن كثير ٥١/٦ .

(٣) أبو مالك : اسمه سعد بن طارق الأشجعي الكوفي ثقة من الطبقة الرابعة . مات في حدود سنة ١٤٠هـ انظر التقريب ٢٨٧/١ .

(٦) قال القرطبي ٢٣٨/١٢ : ﴿ولَايضْرِبنَ بأَرْجُلهَنَّ﴾ أي لاتضرب المرأة برجلها إذا مشتْ لتُسمعَ صوتَ خلخالها فإسماعُ صوتِ الزينة كإبداء الزينة وأشدُّ ، والغرضُ التستُّر ، وقال الزجاج : وسماعُ هذه الزينة أشد تحريكا للشهوة من إبدائها . اهـ .

وقرأ الحسن : ﴿ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عَبِيدِكُمْ ﴾[1] يقال : عَبْدٌ ، وعِبَادٌ ، وعَبِيدٌ .

٣٥ ــ **وقولُه تعالى ﴿ إنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ .. ﴾** [آية ٣٢] .

وكذا قولُه ﴿ **وَإِنْ يَتفرَّقَا يُغْنِ اللَّهُ كُلًّا مِنْ سَعَتِهِ** ﴾ أي بالنكاح ، لأنه لم يجعل كل زوج مقصوراً على زوجٍ أبداً .

والفقرُ : الحاجةُ إلى الشيء المذكورُ بعَقِبِهِ ، ومثلُه ﴿ **إنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ** ﴾[2] أي للفقراء إلى الصَّدقات ، وقد يكون الرجل فقيراً إلى الشيء ، وليس بمسكين .

٣٦ ــ **وقولُه جلَّ وعزَّ : ﴿ وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُم إنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْراً .. ﴾** [آية ٣٣] .

قيل : هذا على الحضِّ والنَّدبِ ، لاعلى الحتْمِ والوجوبِ[3] ، ولولا الإذنُ لَمَا علمنا أنَّ ذلك يجوز .

---

(١) في البحر ٦/٤٥١ وهذه قراءة مجاهد والحسن ، وأكثر استعمال العبيد في المماليك .

(٢) سورة التوبة آية رقم ٦٠ وتمامها ﴿ إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها ، والمؤلفة قلوبهم ، وفي الرقاب ، والغارمين ، وفي سبيل الله ، وابن السبيل ﴾ الآية .

(٣) قال ابن جرير ١٨/١٢٧ قال الثوري : إذا أراد العبد من سيِّده أن يكاتبه ، فإن شاء السيد كاتبه ولايُجبر على ذلك ، وقال ابن زيد : ليس بواجب عليه أن يكاتبه ، وإنما هذا أمرٌ أَذِنَ اللهُ فيه اهـ .

وكِتَابٌ ، ومُكَاتبةٌ بمعنى واحد ، كما يُقال : قِتَالٌ ، ومُقَاتلةٌ .

٣٧ ــ **ثم قال جلَّ وعزَّ** : ﴿ **إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا** ..﴾ [آية ٣٣] .

قال أبو جعفر : في هذا اختلافٌ .

قال الحسن : أي دِيناً وأمانةً(١) .

وقال إبراهيم النَّخعي : أي صِدْقاً ووفاءً(٢) .

وقال عبيدة : إن أقاموا الصلاة(٣) .

وقال سعيد بن جبير : إن علمتم أنهم يريدون بذلك الخير(٤) .

قال أبو جعفر : وأجمعُها قولُ سعيدِ بنِ جُبَيْر ، لأنه إذا أراد بذلك الخير استعمل الوفاء ، كما يستعمل أهلُ الدين والوفاء ، والصدق والأمانةِ ، ومن يقيمُ الصلاةَ ويرى لها حقاً .

وفي الآية قولٌ آخر .

قال مجاهد وعطاء : الخيرُ ههنا : المالُ(٥) .

(١ــ٤) هذه الآثار والأقوال كلُّها وردت عن السَّلف ، وأجْمَعُها ــ كما قال المصنِّفُ ــ قول من ذهب إلى أن الخيرَ يُراد به الدِّينُ والصِّدقُ ، والأمانةُ والوفاء .. الخ وانظر الطبري ١٨/١٢٧ والقرطبي ١/٢٤٥ .

(٥) الأثر أخرجه ابن جرير ١٨/١٢٩ وابن الجوزي ٦/٣٧ ورجح الطبري أن المراد بالخير القوة على الاحتراف والاكتساب .

وهـذا بعيـدٌ جداً ، لأنـه كان يجب على هذا أن يقــول : « إن علمتم لهم خيراً » .

وأيضاً فإن العبـد مالٌ لمولاه ، فكيـف يُقـال : إن علـمتم لهم مالاً ؟

وقال أشهبُ : سُئِلَ مالِكٌ عن قولـه جلَّ وعـزَّ ﴿ **إنْ علمتُـمْ فِيهِمْ خَيْراً** ﴾ فقال : إنه ليُقال « الخيرُ » القوَّةُ ، والأداءُ .

قال أبـو جعفـر : وهـذا قولٌ حسنٌ ، أي قوَّةً على الاحتـرافِ والاكتساب ، ووفاءً بما أوجب نفسه ، وصِدْق لَهْجـة ، فأمَّـا المالُ وإن كان من الخيرِ ، فليس هو في العبد ، وإنما يكون عنده أَوْ لَهُ .

٣٨ ــ **ثم قال جلَّ وعـزَّ ﴿ وَآتُوهُـمْ مِنْ مالِ اللَّــهِ الَّــذِي آتاكُــمْ ..﴾** [آية ٣٣] .

قال أبو جعفر : في هذا ثلاثةُ أقوال :

أحدها : أن يكون على الحضِّ والنَّدبِ .

كما رَوَى ابنُ بُرَيدة[1] عن أبيه ، قال : حثَّهم على هذا ..

ويُروى هذا عن عُمَر ، وعثمانَ ، والزبير ، وعن إبراهيم النَّخَعي .

---

(١) ابن بُريدة تابعي واسمه « عبدالله بن بُريـدة بن الـحُصَيب » الأسلمـي أبـو سهـل المروزي قاضي مرو ، وأخو سُليمان وكانا توأمين ، قال عنه ابن معين ، وأبـو حاتم : ثقـة ، توفي سنـة ١١٥ هـ وانظر ترجمته في التهذيب ١٥٧/٥

ويكون المعنى : وأعطوهم ما يستعينون به على قضاءِ الكتابةِ ، بدفع إليهم ، أو بإسقاطٍ عنهم[1]

والقولُ الثاني : أن يُسْقِط المكاتِبُ عن مُكاتَبِهِ شيئاً محدوداً .

رُوي عن عليٍّ بنِ أبي طالبٍ قال : الرُّبُع ، وكذا قال مجاهد[2] .

وعن ابن مسعود قال : الثُّلُثُ[3] .

والقولُ الثالث : قاله سعيدُ بنُ جُبَيْرٍ ، قال : يضعُ عنه شيئاً من كتابته ، ولَم يُحدُّوه[4] .

قال أبو جعفر : قيل : أَوْلَاها القولُ الأول ، لجلالةِ من قال به .

وأيضاً : فإنَّ قوله تعالى ﴿ **وآتُوهُمْ مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذي آتَاكُمْ** ﴾ معطوفٌ على قوله ﴿ **فَكَاتِبُوهُمْ** ﴾ فيجب في العربية أن يكون مثلَه على الحضِّ والنَّدب .

---

(1) قال القرطبي في تفسيره الجامع لأحكام القرآن ٢٥١/١٢ : هذا أمرٌ للسادة بإعانتهم في مال الكتابة ، إمَّا بأن يعطوهم شيئاً مما في أيديهم أعني أيدي السادة — أو يحطُّوا عنهم شيئاً من مال الكتابة . اهـ وانظر الطبري ١٢٩/١٨ وابن كثير ٥٦/٦ .

(٢ — ٤) انظر الآثار في الطبري ١٣٠/١٨ وزاد المسير ٣٧/٦ وابن كثير ٥٧/٦ ومعنى قوله « ولم يَحدُّوه » أي لم يحدِّدوا مقداراً معيناً من المال .

وأيضاً فإن قولَ « عليٍّ » عليه السلام : الرُّبُع ، وقولَ عبدالله : « الثُّلُث » لا يوجب أن يكون ذلك حتماً واجباً ، ويحتمل أن يكون على النَّدب .

٣٩ ــ **وقولُه جلَّ وعزَّ ﴿ وَلَا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى البِغَاءِ .. ﴾** [آية ٣٣] .

قال مجاهد : نزلت في « عبدالله بنِ أبيٍّ بنِ سَلُول »[1] أَمَرَ أَمَتَه أن تزني ، فجاءته بِبُرْدٍ ، فأمرها أن تعود إلى الزنى فأبتْ ، فأنزل الله عز وجل **﴿ ولا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى البِغَاءِ ﴾**[2] .

ورَوَى أبو سفيان عن جابر وعكرمة عن ابن عباس قال : نزلت في « عبد الله بن أبيٍّ » أَكْرَهَ أَمَتَه على الزِّنى ، فأنزل الله جل وعز **﴿ وَلَا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى البِغَاءِ ﴾**[3] .

---

(١) « عبدالله بن أبيٍّ بن سلول » هو رئيس المنافقين في عهد النبي ﷺ وهو الذي نزلت فيه الآية الكريمة ﴿ وَلَا تُصَلِّ على أَحَدٍ منهمْ مات أبداً .. ﴾ الآية من سورة التوبة .

(٢) روي عن جابر عن عبدالله أن هذه الآية نزلت في « عبدالله بن أبيٍّ » وكانت له جاريتان إحداهما تسمى « مُعَاذة » والأخرى « مُسَيْكة » وكان يكرههما على الزنى ، ويضربهما عليه ، ابتغاء المال وكسب الولد ، فشكتا ذلك إلى النبي ﷺ فنزلت الآية فيه وفيمن فعل فعله من المنافقين . اهـ تفسير القرطبي ١٢/٢٥٤ .

(٣) الأثر أخرجه ابن جرير عن مجاهد ١٨/١٣٣ وأصله في صحيح مسلم من كتاب التفسير ٤/٢٣٢٠ عن جابر أن جارية لعبد الله بن أبيٍّ بن سلول يقال لها « مُسيكة » وأخرى يقال لها : « أميمة » وكان يكرههما على الزنى ، فشكتا ذلك إلى النبي ﷺ فأنزل الله ﴿ ولاتُكرهوا فتياتكم .. ﴾ الآية .

ويُسْأَلُ عن قولِهِ جَلَّ وعزَّ ﴿ إنْ أَرَدْنَ تَحَصُّناً ﴾ !!

فالجواب أن المعنى : ولا تُكرهوا فتياتكم على البِغَاءِ البتَّة ..

وقولُه جلَّ وعزَّ ﴿ **إنْ أَرَدْنَ تَحَصُّناً** ﴾ متعلِّقٌ بقوله سبحانه ﴿ **وَأَنْكِحُوا الأَيَامَى منكُمْ .. إنْ أَرَدْنَ تَحَصُّناً** ﴾[1] .

ومعنى قوله ﴿ **لِتَبْتَغُوا عَرَضَ الحَيَاةِ الدُّنْيَا** ﴾ لتبتغوا أجورهن مما يَكْسَبْن .

٤٠ ـ[**وقولُه تعالى** ﴿ **وَمَنْ يُكْرِهْهُنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَحِيمٌ** ﴾[2] [آية ٣٣] .

(١) قال المفسرون : ﴿ إنْ أردْن تَحصّناً ﴾ أي إن أردن التعفُّف عن مقارفة الزِّنى ، وليس هذا للقيد أو الشرط ، وإنما هو لبيان فظاعة الأمر وشناعته ، فالأصلُ في الامة المملوكة أن يُحصِّنها سيِّدُها ويكُفَّها عن القبيح ، أمَّا أن يأمرها بالزنى ويُكرهها عليه ، وتمتنع هي وتريد العفة ، فذلك منتهى الخِسَّة والدناءة منه ، فالآية بيان للواقع ، لا قيد ولا شرط فتنبه والله يرعاك .

قال ابن العربي : وإنما ذكر الله تعالى إرادة التحصن من المرأة ، لأن ذلك هو الذي يصوِّر الإكراه ، فأما إذا كانت هي راغبة في الزنى لم يتصور إكراه . وذهب هذا النظر عن بعض المفسرين ، فقال بعضهم إنه راجع إلى الأيامي ، وقال الزجاج في الكلام تقديم وتأخير أي وأنكحوا الأيامى والصالحين من عبادكم إن أردن تحصناً ، وقال بعضهم : هذا الشرط يُلغى ، ونحو ذلك مما يضعف من الأقوال اهـ . القرطبي ١٢/٢٥٥ .

(٢) سقطت الآية من المخطوطة وإثباتها ضروري لأنها مشروحة .

قال مجاهد : فإن اللَّـهَ للمُكْرَهَـاتِ من بعـد إكراههـن غفـورٌ رحيم(١) .

٤١ ــ **ثم قال جلَّ وعـز : ﴿ وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ آيَاتٍ مُبَيِّنَاتٍ .. ﴾** [آية ٣٤] .

قال قتادة : يعني القرآن ، فيه بيانُ الحلال من الحرام .

ويُقْرَأ « مُبَيَّنَاتٍ » بكسر الياء أي بيّنات هاديات .

٤٢ ــ **وقولُه جلَّ وعزَّ : ﴿ اللَّهُ نُورُ السَّمواتِ وَالأَرْضِ .. ﴾** [آية ٣٥] .

هو تمثيلٌ ، أي بنورِهِ يهتدي أهلُ السَّمواتِ والأرض .

والتقديرُ : اللَّهُ ذو نورِ السَّمواتِ والأرضِ(٢) .

والهُدَى يُمَثَّل بالنُّور(٣) .

٤٣ ــ **ثم قال جلَّ وعـز : ﴿ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فيها مِصْبَاحٌ .. ﴾** [آية ٣٥] .

رَوَى عليُّ بن أبي طلحةَ عن ابن عبـاس : ﴿ اللَّـهُ نُورُ

(١) قرأ ابن مسعود وجابر ﴿ لهنَّ غفور رحيم ﴾ وهذه القراءة كالتفسير للآية وقد عدَّها ابن جني في المحتسب ١٠٨/٢ من الشواذ .

(٢) على هذا التقدير يكون في الآية حذف المضاف ، وهذا معروفٌ في العربية .

(٣) كقوله تعالى ﴿ لتخرج الناس من الظلمات إلى النور ﴾ أي من الضلال إلى الهدى .

السَّمَوَاتِ والأَرْضِ ﴾ قال : هادي أهل أهـلِ السَّمـواتِ والأَرْض[1] ، كما هُدَاه في قلب المؤمن ، كما يكـاد الـزيتُ الصافي يضيء قبـل أن تمسَّه نارٌ ، فإذا مسَّتـه ازداد ضوءاً على ضوء ، كذا قلبُ المؤمـــنِ ، يعمـــل الهدَى قبل أن يأتيـه العلـمُ ، فإذا جاءه العلمُ، ازداد هدى ، ونـوراً على نور .

كما قال إبراهيم صلى الله عليه وعلى آله ــ قبـل أن تجيئـه المعرفـةُ حين رأى الكوكب ــ : ﴿ **هَذَا رَبِّي** ﴾ من غير أن يُخبره أحـدٌ أنَّ له رَبّاً ، فلمَّا أخبره اللَّهُ جلَّ وعزَّ أنه ربُّه ، ازدَادَ هَدُىً على هداه[2] .

قال ابن عباس : هذا للمؤمن .

وقال سعيد بن جبير : أي مَثَلُ نور المؤمن[3] .

---

(١) الأثر أخرجه ابن جرير ١٨/١٣٥ وإليه ذهب جمهور المفسرين ، قال الطبري : أي هادي من في السموات والأرض ، فهم بنوره إلى الحق يهتدون ، وبهداه من حيرة الضلالة يعتصمون اهـ . وانظر القرطبي ١٢/٢٥٦ والبحر ٦/٤٥٥ وإذا أردت التفصيل ، فارجع لكتابنا صفـوة التفـاسير ٢/٣٤٠ ففيه ما يشفي الغليل .

(٢) في كلام المصنـف نظـر ، فإنَّ إبراهيم عليه السلام ما قال ﴿ هذا ربـي ﴾ عن شكٍّ في الإلـــه الخالق ــ حاشاه ــ بل قالـه في معـرض المناظـرة للـردِّ على الخصم ، بدليـل قولـه تعـالى بعدهُ ﴿ وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه ﴾ وقوله تعالى عنه ﴿ ولقد آتينـا إبـراهيم رشده من قبـلُ وكنَّا به عالمين ﴾ فإبـراهيم عليـه السلام كان على الفطـرة ، وعلى الإيمان والتوحيـد ، منـذ حداثـة سنِّه ، وليس كما قال المصنف .

(٣) الأثر أخرجه الطبري ١٨/١٣٦ والضمير في قوله تعالى ﴿مَثَلُ نُوْره ﴾ عائـد على المؤمـن ، على قول ابن عباس ، وسعيـد بن جبير ، وقيـل : يعـود على اللـه جل وعـلا والمعنـى : مثـلُ نور اللـهَ =

ورَوَى أبـو العاليـة عن أُبَـيٍّ بن كعب أنـه قرأ ﴿ مَثَـــلُ نُورِ المُؤْمِنِ ﴾[1] .

وقال زيدُ بنُ أَسْلمَ : ﴿ مَثَلُ نُوْرِهِ ﴾ : يعني القرآن[2] .

قال أبو جعفر : ويجوز أن يكون المعنى : مَثَلُ نورِهِ للمؤمـن ، ويكون معنى قول ابن عباس للمؤمن .

ويجوز أن يكون معناه : مثلُ نورِ المؤمنِ كمِشْكاةٍ .

قال ابنُ عباس وابنُ عمر : المشكاةُ: هي الكُوَّةُ[3] .

ورَوَى أبــيُّ بن كعب في قولــه تعــالى **﴿ لا شَرْقِيَّـــةٍ وَلَا غَرْبِيَّـــةٍ ﴾** أي تصيبُهـــا الشمسُ وقتَ الشروق ، فهـــي شرقيـــة غربيَّة[4] .

= سبحانه في قلب عبده المؤمن ، كمشكـاةٍ ــ أي كوَّةٍ وطاقـة ــ فيها مصبـاح ، وانظـر الـطبري ١٣٧/١٨ والقرطبي ٢٥٧/١٢ والبحر المحيط ٤٥٥/٦ .

(١) هذه القراءة محمولة على التفسير ، وليست من القراءات المعتد بها وهي قراءة شاذة .

(٢)و(٣) انظر الطبري ١٣٧/١٨ وابن كثير ٦٢/٦.

(٤) قال القرطبي : اختلف العلماء في قوله تعالى ﴿ لا شَرْقِيةٍ وَلَا غربيّة ﴾ فقال ابن عبـاس وعكرمـة وقتادة : الشرقية التي تصيبها الشمس إذا أشرَقت ، والغربيةُ عكسها ، أي أنها شجـرة في صحـراء منكشفة من الأرض ، لايـواريها عن الشمس شيء ، وهـو أجـود لزيتها ، فلـيست خالصة للشمس فتسمى شرقية ، ولا للغرب فتسمَّى غربية ، بل هي شرقية غربية . اهـ القرطبي ١٢/٢٥٨ .

وقال عكرمة : لا تخلو من الشمس وقت الشروق والغروب ، وذلك أصفى لدهنها[1] .

ثم قال تعالى ﴿ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ ﴾ أي لصفائه **﴿ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ﴾** تمَّ الكلام .

٤٤ ـــ **ثم قال جلَّ وعزَّ : ﴿ نُورٌ عَلَى نُورٍ .. ﴾** [آية ٣٥] .

قال الضحَّاكُ : أي الإيمانُ ، والعَمَلُ[6] .

وقال غيرُه : نورُ السِّراجِ ، على نور الزَّيت والقِنديل[3] .

وقال أبيُّ بن كعب : مَثَلُه كمثَلِ شَجَرةٍ التفَّتْ بها الشَّجر ، لاتصيبها الشمسُ على حال[4] ، فهي خضراءُ ناعمةٌ ، فكذا المؤمنُ ، نورٌ على نور ، كلامُه نورٌ ، وعلمُهُ نورٌ ، ومصيرُه إلى النُّور يوم القيامة[2] .

وقال السُّدي : نورُ النَّارِ ، ونورُ الزَّيت ، لا يغيّر واحداً تَغَيُّرُ صاحبِهِ ، وكذا نور القرآن ، ونور الإيمان[6] .

(١ــ٣) انظر الآثار في الطبري ١٤٢/١٨ والبحر المحيط ٤٥٧/٦ وابن كثير ٦٣/٥ .

(٤) هذا القول روي أيضاً عن ابن عباس ، قال ابن عطية ٥١٢/١٠ : وهذا قولٌ لايصحُّ عندي عن ابن عباس ، لأن الثمرة التي بهذه الصفة يفسد جناها ، وذلك مشاهد في الوجود . اهـ .

(٥ــ٦) انظر الآثار في جامع البيان ١٤٢/١٨ وتفسير ابن الجوزي ٤٣/٦ والدر المنثور ٤٩/٥ .

٤٥ ــ وقولُه جلَّ وعزَّ : ﴿ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ ..﴾ [آية ٣٦] .

والمعنى : كمشْكَاةٍ في بيوتٍ(١) .

وقيل المعنى : المصباحُ في بيوتٍ(٢) .

وقيل المعنى : يُسبِّح له رجالٌ في بيوتٍ(٣) .

قال الحسن : ﴿ في بُيُوتٍ ﴾ أي مساجد ﴿ أَذِن اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ ﴾ أي تُعظَّمَ وتُصَانَ .

وقال عكرمة : هي البيوت كلُّها(٤) .

وقال مجاهد : ﴿ أَنْ تُرْفَعَ ﴾ أي تُبْنَى .

٤٦ ــ وقولُه جلَّ وعزَّ : ﴿ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالغُدُوِّ وَالآصَالِ . رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ ..﴾ [آية ٣٧] .

(١ــ٣) ذكر هذه الوجوه المفسرون ، ولكنَّ أقوى هذه الوجوه ، أن تكون الآية مستأنفة ، وتكون متعلقة بفعل محذوف ، دلَّ عليه ما بعده ، والمعنى : سبِّحوا ربكم أيها الناس في هذه المساجد ، التى أمر الله تعالى أن تُبنى وتُشاد على اسمه . الخ وهذا ما رجحه أيضاً أبو حيان في البحر المحيط ٤٥٨/٦ والجلالان السيوطي والمحلي ٢٢٦/٣ وهو الأظهر والأوجه .

(٤) قول الحسن هو الأصحُّ ، وليس كما قال عكرمة ، لأن الله تعالى ذكر من صفتها قوله ﴿ يُسَبِّح له فيها بالغدوِّ والآصالِ رجالٌ ﴾ وهذا لايكون إلا للمساجد بيوت الله .

قال عطاء : أي لاتُلهيهم تجارةٌ ولا بيعٌ ، عن حضور الصلاة في جماعة[1] .

وقال سالمٌ : جَازَ عبدُ اللّهِ بنُ عُمَرَ بالسُّوقِ ، وقد أغلقُوْا حَوَانيتِهم ، وقاموا ليصَلُّوا في جَمَاعة[2] ، فقال فيهم نَزلَتْ ﴿ **رِجَالٌ لا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ ولا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللّهِ ، وَإِقَامِ الصَّلاَةِ ، وَايتَاءِ الزَّكَاةِ** .. ﴾[3] .

٤٧ ــ وقولُه جلّ وعزَّ : ﴿ يَخافُون يَومَاً تَتَقَلَّبُ فِيه القُلُوبُ وَالأَبْصَارُ ﴾ [آية ٣٧] .

أي تعرف القلوب الأمر عَياناً ، فتنقلبُ عمَّا كانت عليه من الشكِّ والكفرِ ، ويزدادُ المؤمنون يقيناً ، ويُكْشَفُ عن الأَبْصار غطاؤُها

(١) هذا قولُ ابن عباس أيضاً ، وانظر الطبري ١٤٦/١٨ والقرطبي ٢٧٩/١٢ والدر المنثور ٥٢/٥ .

(٢) الأثر ذكره القرطبي ٢٧٩/١٢ والطبري ١٤٦/١٨ عن ابن مسعود وكذلك الحافظ ابن كثير ٧٤/٦ .

(٣) وفي التسهيل : نزلت الآية في أهل الأسواق ، الذين إذا سمعوا النداء بالصلاة ، تركوا كل شغلٍ وبادروا إليها ، والبيعُ من التجارة ، ولكنه خُصَّ بالذكر تجريداً ، كقوله تعالى ﴿ فيها فاكهةٌ ونخلٌ ورمَّانٌ ﴾ أو أراد بالتجارة الشراء . اهـ التسهيل لعلوم التنزيل ١٤٧/٣ .

فتنظُـر(١) ، ومثلُـه ﴿ فَكَشَفْنَـا عَنْكَ غِطَـاءَكَ فَبَصَرُكَ اليَـوْمَ حَدِيدٌ ﴾(٢) .

٤٨ ـ ثمَّ مثَّل جلَّ وعزَّ عملَ الكافر ـ بعد المؤمن ـ فقال :

﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ .. ﴾ [آية ٣٩] .

قال الفرَّاء : قِيعَةٌ جمعُ قَاعٍ ، كما يُقال جِيرَة وجَار(٣) .

وقال أبو عبيدة : قِيعَةٌ وقَاعٌ واحدٌ(٤) .

والقَاعُ والقِيعَةُ عند أهل اللغة : ما انبسط من الأرض ، ولم يكن فيه نبتٌ(٥) .

---

(١) هذا القول ذكره الفراء ٢٥٣/٢ فقال : المعنى من كان في دنياه شاكاً ، أبصر ذلك في أمر آخرته ، ومن كان لايشكُّ ازداد قلبُه بَصَراً لأنه لم يره في دنياه ، فذلك تقلبُّها . اهـ وهذا القول وإن كان له وجه لكنه خلاف الظاهر ، فإن الآية تتحدث عن الفزع والهول الذي يكون يوم القيامة ، قال في التسهيل ١٤٧/٣ أي تضطرب فيه القلوب والأبصار من شدة الهول والخوف ، كما قال سبحانه ﴿ وبلغت القلوب الحناجر ﴾ وهو ما ذهب إليه الطبري والقرطبي وصاحب البحر ، ويؤيده قوله تعالى ﴿ يخافون يوماً ﴾ فهو يوم خوف وفزع لايوم معرفة ويقين .

(٢) سورة ق والقرآن المجيد آية رقم ٢٢ .

(٣) انظر معاني القرآن للفراء ٢٥٤/٢ .

(٤) انظر معاني القرآن لأبي عبيدة ٦٦/٢ .

(٥) قال الأصمعي : يُقال : قَاعٌ ، وقيعَانٌ ، وقِيعَةٌ ، وقِيَعٌ ، وهو ما استوى من الأرض ، وقال الليث : القاع أرضٌ واسعة مطمئنة انفرجت عنها الجبال والآكام ، ويجمع القِيعة والقيعان وهو ما استوى من الأرض ، لاحصى فيه ولا حجارة ، ولا ينبت الشجر . اهـ تهذيب اللغة ٣٣/٣ .

٤٩ ـ **ثم قال جلَّ وعزَّ : ﴿ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً .. ﴾** [آية ٣٩] .

أي العطشان ، والسَّرابُ : ما ارتفع نصفَ النَّهار ، فإذا رُؤِيَ من بُعْدٍ ، ظُنَّ أنه ماءٌ[١] .

٥٠ ـ **ثم قال جلَّ وعز : ﴿ حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئاً ﴾** [آية ٣٩] .

أي حتى إذا جاء إلى الموضع الذي فيه السَّرابُ ، لم يجده شيئاً ممَّا قدَّره ، ووجد أرضاً لا ماءَ فيها .

وفي الكلام حذفٌ : فكذلكَ مَثَلُ الكافر ، يتوهَّم أن عمله ينفعهُ **﴿ حَتَّى إِذَا جَاءَهُ ﴾ أي مات ، لم يجد عمله شيئاً ، لأن الله جلَّ وعزَّ قد مَحَقَه ، وأبطله بكفره ﴿ وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ ﴾** أي عند عمله **﴿ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ ﴾** أي جزاءَه .

فمثَّل جلَّ وعزَّ عمَلَ الكافر بما يُوْجَد ، ثُمَّ مثَّلَه بما يُرَى[٢] فقال :

---

(١) عبارة القرطبي ٢٨٢/١٢ : والسَّرابُ : ما يُرى نصف النهار في اشتداد الحر ، كالماء في المفاوز يلتصق بالأرض ، وسُمِّي سراباً لأنه يسربُ أي يجري كالماء ، فيغترُّ به العطشان قال الشاعر :
فلمَّا كَفَفْنَا الحَرْبَ كانتْ عهودُهُمْ   كلَمْعِ سَرَابٍ بالفَلَا مُتَألِّقِ

(٢) في البحر ٤٦٠/٦ : مثَّل للكفرة ولأعمالهم مثلين : أحدهما يقتضي بطلان أعمالهم في الآخرة وأنهم لاينتفعون بها ، والثاني يقتضي حالها في الدنيا من ارتباكها في الضلال والظلمة .. شبَّه أولاً أعمالهم في اضمحلالها وفقدان ثمرتها ، بسرابٍ في مكانٍ منخفض ، ظنه العطشان ماء فقصده وأتعب نفسه في الوصول إليه ، حتى إذا جاء موضعه الذي تخيَّله فيه لم يجده شيئاً أي فقده ، كذلك الكافر يظن أن عمله نافعه ، حتى إذا أفضى إلى الآخرة صار وبالاً عليه ، وفي الثاني شبَّه أعمالهم وضلالهم بالظلمات المتكاثفة التي لا يرى معها الإنسان شيئاً . هـ .

٥١ ــ **قال جلَّ وعزَّ :** ﴿ **أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ** .. ﴾ [آية ٤٠] .

وهو منسوبٌ إلى اللُّجِّ وهو وسَطُ البحر(١) .

قال أبيُّ بن كعب : الكافرُ كلامُه ظُلْمَةٌ ، وعملُه ظُلْمَةٌ ، ومصيرُه إلى ظلمةٍ(٢) .

٥٢ ــ **وقولُه جلَّ وعزَّ :** ﴿ **إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا** .. ﴾ [آية ٤٠] .

قال أبو عبيدة : أي لم يرها ، و﴿ **لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا** ﴾ أي لا يراها إلاَّ على بعد(٣) .

قال أبو جعفر : وأصحُّ الأقوال في هذا ، أن المعنى : لم يُقارب رؤيتها ، وإذا لم يُقارب رؤيتها ، فلم يرها رؤيةً بعيدة ولا قريبة .

٥٣ ــ **وقولُه جلَّ وعزَّ :** ﴿ **أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ**

---

(١) في تهذيب اللغة ٤٩٣/١٠ لجَّةُ البحر : حيث لايدرك قعره ، قال الفراء : يقال بحرٌ لُجِيٌّ ، ولِجِّيٌّ بالضمِّ والكسر . اهـ وقال الزمخشري : اللُجيُّ : العميق الكثير الماء ، منسوب إلى اللُّجُ وهو معظم ماء البحر . اهـ الكشاف ٨٤/٢ .

(٢) الأثر أخرجه الطبري ١٥١/١٨ والقرطبي ٢٨٥/١٢ بلفظ : « الكافر يتقلَّبُ في خمس من الظلمات : كلامُهُ ظُلْمةٌ ، وعملُه ظُلْمة ، ومدخله ظُلْمةٌ ، ومخرجه ظلمة ، ومصيره يوم القيامة إلى الظلمات في النار ، وبئس المصير » .

(٣) انظر مجاز القرآن ٦٧/٢ قال المبرِّدُ : يعني لم يرها إلاَّ من بعد جُهدٍ ، كما تقول : ماكدتُ أراك من الظلمة ، وقد رآه بعد يأس وشدة ، وقيل المعنى قَرُب من الرؤية ولم ير ، كما تقول: كاد النعام يطير . اهـ الجامع لأحكام القرآن ٢٨٥/١٢ .

وَالأَرْضِ ، وَالطَّيْرُ صَافَّاتٍ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ ..﴾ [آية ٤١] .

حدثنا الفِرْيابيُّ ، قال أنبأنا أبو بكر بن أبي شيبة ، قال أخبرنا شبابةُ عن وَرْقَاءَ ، عن ابنِ أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله ﴿ **كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ** ﴾ الصَّلاةُ للإنسان ، والتسبيحُ لِمَا سوى ذلك من خلقه(١) .

٥٤ ــ **وقولُه جلَّ وعزَّ : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ..﴾** [آية ٤٣] .

أي يسوقه ﴿ **ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ** ﴾ أي يجمعُ القِطَعَ المتفرِّقَةَ ، حتى تتألَّف ﴿ **ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا** ﴾ أي بعضَه فوقَ بعضٍ ﴿ **فَتَرَى الوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ** ﴾ .

الوَدْقُ : المَطَرُ ، يُقال : وَدَقَتْ سُرَّتُه تَدِقُ ، وَدْقاً ، وَدِقَةً ، وكلُّ خارجٍ وَادِقٌ كما قال :

فَلَا مُزْنَةٌ وَدَقَتْ وَدْقَهَا
وَلَا أَرْضَ أَبْقَلَ إِبْقَالَهَا(٢)

---

(١) الأثر أخرجه الطبري عن مجاهد ١٥٢/١٨ والقرطبي ٢٨٦/١٢ وقال الزمخشري في الكشاف ٨٤/٢ : والصلاةُ : الدعاءُ ولايبعد أن يُلهم اللهُ الطير دعاءه وتسبيحه ، كما ألهمها سائر العلوم الدقيقة التي لايكاد العقلاء يهتدون إليها . اهـ .

(٢) البيت لعامر بن جُوَيْنٍ الطَّائي ، واستشهد به في الصحاح ١٥٦٣/٤ واللسان مادة ودق ، وهو في المغني ص ٣١٣ والطبري ١٥٣/١٨ والشنتمري ٢٤٠/١ والقرطبي ٢٨٩/١٢ ومجاز القرآن ٦٧/٢ .

و « خِلاَلٌ » جَمْعُ خَلَل ، يُقال : جَبَلٌ ، وجِبَالٌ .

٥٥ ـ **ثم قال جلَّ وعز : ﴿ وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ ..﴾** [آية ٤٣] .

قيل : المعنى من جبالِ بَرَدٍ فيها ، كما تقول : هذا خاتَمٌ في يدي من حديد ، أي هذا خاتَمُ حديدٍ في يدي .

كما يُقال : جبالٌ من طين ، وجبالُ طينٍ .

وقيل : إن المعنى من مقدار جبالٍ ، ثم حذف كما تقول : عند فلان جِبَالُ مالٍ .

والأخفشُ يذهب إلى أنَّ « مِنْ » فيهما زائدة(١) أي جبالاً فيها بَرَدٌ .

قال : وقال بعضهم : الجبالُ من بردٍ ﴿ **فِيهَا** ﴾ في السَّماء ، وتجعلُ الإنزال منها(٢) .

---

(١) هذا كلام الفراء في معانيه ٢٥٦/٣٢ حيث قال : المعنى : إن الجبال في السماء من بردٍ ، خِلْقَةً مخلوقة ، كما تقولُ في الكلام : الآدميُّ من لحمٍ ودمٍ ، فـ « مِنْ » ههنا تسقط فتقول : الآدمي لحمٌ ودمٌ ، والجبالُ بَرَدٌ . اهـ . وفي القرطبي ٢٨٩/١٢ قال الأخفش : إن « مِنْ » في الجبال ، و « من بَرَدٍ » زائدة في الموضعين ، أي ينزِّل من السماء برداً يكون كالجبال . اهـ .
أقول : وهذا القول هو الأظهر والأشهر .

(٢) انظر معاني القرآن للزجاج ٤٩/٤ فقد فصَّل في المعنى ووضَّح .

٥٦ ــ **وقوله جلَّ وعزَّ** : ﴿ **يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ** ﴾ [آية ٤٣] .

أي ضوءُ بَرْقه[١] .

ورَوَى ربيعةُ بن أبيضَ عن عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه قال : « البَرْقُ : مخاريقُ الملائكة »[٢] .

وقال عبدالله بن عَمْرٍو : هو ما يكون من جبال البَرَد[٣] .

حدثني محمد بن أحمد الكاتب قال : حدثني عبدُاللّهِ بن أحمد ابن حنبل ، قال : حدثني أبي ، قال : حدثنا أبو معاويةَ ، عن الأعمش ، عن طلحة بن مصرِّف أنه قرأ ﴿ **يَكَادُ سَنَاءُ بُرَقِهِ** ﴾[٤] .

قال أحمد بن يحيى[٥] : وهو جمعُ بُرْقَةٍ .

قال أبو جعفر : البُرْقَةُ : المقدارُ من البَرْق ، والبَرْقَةُ : المرَّة الواحدة ، مِثْل غُرْفَةٍ ، وغَرْفَة .

---

(١) قال الطبري ١٨/١٥٤ : السَّنا مقصورٌ : وهو ضوءُ البرق ، وكذلك قال أبو عبيدة في مجاز القرآن ٢/٦٨ .

(٢) قال ابن الأثير في النهاية ٢/٢٦ : المخاريقُ جمع مِخْراق ، وهو في الأصل ثوبٌ يلَفُّ ويضرب به الصبيان بعضهم بعضاً ، وأراد بالحديث « البرقُ مخاريقُ الملائكة » أنه آلة تَزْجُر به الملائكةُ السحاب وتسوقه ، ويفسِّره حديثُ ابن عباس : « البرقُ سَوْطٌ من نور ، تزجر به الملائكةُ السحاب » اهـ وانظر الطبري ١/١٥٣ .

(٣) انظر البحر المحيط ٦/٤٦٥ والقرطبي ١٢/٢٩٠ وروح المعاني ١٨/١٩١ .

(٤) هذه من القراءات الشاذة وانظر المحتسب لابن جني ٢/١١٤ .

(٥) احمد بن يحيى : هو الإمام ثعلب ، وقد تقدمت ترجمته ١/٥٢ .

٥٧ ــ وقولُه جلَّ وعزَّ : ﴿ وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ ..﴾ [آية ٤٥] .

يُقال لكل شيء من الحيوان ، مميَّزاً كان أو غيرَ مميّز : دابةٌ[١] .

٥٨ ــ ثم قال جلَّ وعزَّ : ﴿ فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ﴾ [آية ٤٥] .

ولم يقل « فمنها » ولا « فمنهن « لأنه غلَّبَ ما يُميِّزُ[٢] ، فلمَّا وقعتِ الكِنَايةُ على ما يكونُ لما يُميِّز ، جَاءَ بـ « مَنْ » ولم يأتِ بـ « ما » ألا تَرَى أنه قد خلط في أولِ الكلام ما يُميِّز مع ما لا يُميِّز[٣] ؟!

٥٩ ــ وقولُه جلَّ وعزَّ : ﴿ وَإِنْ يَكُنْ لَهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ﴾ [آية ٤٩] .

---

(١) الدابة : كلُّ مادبَّ على وجه الأرض ، من إنسانٍ أو حيوانٍ ، يقال : دبَّ يدِبُّ فهو دابٌّ ، والهاء للمبالغة ، ومنه قوله سبحانه ﴿ وَما من دابةٍ في الأرض إلَّا على اللَّهِ رِزْقُها .. ﴾ وانظر تهذيب اللغة ، واللسان مادة دبَّ .

(٢) هذا ما يسمَّى« باب التغليب » ، حيث يُغلَّب العاقل على غير العاقل ، قال الفراء ٢/٢٥٧ : يُقال كيف قال ﴿ مَنْ يَمْشِي ﴾ وإنما تكون « مَنْ » للناس ، وقد جعلها ههنا للبهائم ؟ قلت لما قال ﴿ خَلقَ كلَّ دابة ﴾ فدخل فيهم الناس كنَّى عنهم فقال ﴿ منهم ﴾ لمخالطتهم الناس ، ثم فسرَّهم بـ « مَنْ » لمَّا كنَّى عنهم كناية الناس خاصة ، ألا ترى أنك تقول : الرجل وأباعِرُهُ مقبلون ، فكأنهم ناسٌ إذا قلت مقبلون .

(٣) أشار إلى قوله تعالى ﴿ واللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ ﴾ وهي تشمل الإنسان والبهائم وسائر الدواب .

قال عطاءٌ : أي مُسْرِعين وهـم قريش ، يُقالُ : أذعن إذا جاء مُسْرِعاً طائعاً غير مُكْرَهٍ(١) .

٦٠ ــ **وقولُه جلَّ وعز** : ﴿ **أَمْ يَخَافُونَ أَنْ يَحِيفَ اللَّـهُ عَلَيْهِـمْ وَرَسُولُـهُ** ..﴾ [آية ٥٠] .

والمعنى : أم يخافون أن يَحِيفَ عليهم رسولُ الله ﷺ ؟

وقولُـه ﴿ **أم يَخافُونَ أن يَحيـف اللَّـهُ عليهم** ﴾ افتتـاحُ كلام(٢) ، أَلَا ترى أنَّ قبله ﴿ **وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِـهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ** ﴾ ولم يقل : ليحكما بينهم ؟!

وهذا كما يُقال : قد أعتقَكَ اللَّـهُ وأعتَقْتُكَ ، وما شاءَ اللَّـهُ ثمَّ شئتَ .

٦١ ــ **وقولُـه جلَّ وعزَّ** : ﴿ **إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّـهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمْ بَيْنَهُمْ** ..﴾ [آية ٥١] .

---

(١) قال أهل اللغة : الإذعانُ : الانقيادُ والخضوعُ يقال : أذعـن فلانٌ لفـلان : انقـاد له ، وخَضَع ، وذلَّ وأسرع في الطاعـة ، كذا في القامـوس المحيـط ، قال القرطبي ﴿ مُذْعنيـنَ ﴾ أي طائـعين منقادين ، لعلمهم أنه عليه السلام يحكم بالحق اه القرطبي ٢٩٣/١٢ .

(٢) افتتـاح كلام : أي افتتـح به الكـلام للتعـظيم قال الفـراء في معـاني القـرآن ٢٥٨/٢ : جعـل الحيـف ــ الجور ــ منسوبـاً إلى اللـه وإلى رسولـه ، وإنما المعنـى للـرسول ، وإنما بُدِىء باللـه إعظاماً له كما تقول : ماشاء الله وشئت وأنت تريد ما شئتَ . انتهى .

خبرٌ فيه معْنَى الأَمْرِ ، والتَّحْضِيضِ .

أي إنَّما ينبغي أن يكونُوا كذا[1] .

قُرِىءَ على بكْرِ بن سَهْلٍ ، عن عمْرِو بنِ هشام — وهو البَيْروتيُّ — عن ابنِ أبي كَرِيمَةَ[2] في قول اللَّهِ جلَّ وعزَّ : ﴿ **وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ، وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ ، فَأُولَئِكَ هُمُ الفَائِزُونَ** ﴾ [آية ٥٢] .

قال : ﴿ **وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ** ﴾ فيوحِّدُه ﴿ **وَرَسُولَهُ** ﴾ فيصدِّقُه ﴿ **وَيَخْشَ اللَّهَ** ﴾ فيما مضى من ذنوبه ﴿ **وَيَتَّقْهِ** ﴾ فيما بقي من عمره ﴿ **فَأُولَئِكَ هُمُ الفَائِزُونَ** ﴾[3] .

قال أبو جعفر : والفوزُ في اللغة : النَّجاةُ[4] .

---

(١) قال في التسهيل ١٥٢/٣ ومعنى الآية : الواجبُ أن يقول المؤمنون « سمعنا وأطعنا » إذا دُعوا إلى الله ورسوله اهـ .

(٢) هو سليمان بن أبي كريمة روى عنه عمرو بن هشام البيروتي ، ضعفَّه أبو حاتم ، وقال ابن عدي : عامة أحاديثه مناكير ، وانظر ترجمته في ميزان الاعتدال ٢٢١/٢ والجرح والتعديل للرازي ١٣٨/٤ .

(٣) ذكرها في البحر ٤٦٨/٦ وفي القرطبي ٢٩٥/١٢ وقال القرطبي : ذُكر أن رجلاً من دهاقين الروم أسلم لهذه الآية ، وقال : إنها جمعتْ كل ما في التوراة والإنجيل .

(٤) وفي المصباح ١٣٩/٢ : (فَازَ يفوزُ فوْزاً) ظَفِر ونجا . اهـ والفائزُ : من نجا من النَّار ، وأُدخل الجنة ، ويؤيده قوله سبحانه ﴿ فَمَنْ زُحْزِحَ عنِ النَّار وأُدخل الجنَّة فقد فاز ﴾ .

٦٢ ــ **وقوله جلَّ وعزَّ : ﴿ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ ، لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ لَيَخْرُجُنَّ ، قُلْ لَا تُقْسِمُوا ..﴾** [آية ٥٣] .

﴿ قُلْ لاتُقْسِمُوْا ﴾ تمَّ الكلامُ ، ثم قال **﴿ طَاعَةٌ مَعْرُوْفَةٌ ﴾** أي طاعةٌ معروفةٌ أمثلُ[٥] ، وهذا للمنافقين .

أي لاتحلفوا على الكذب فالطاعة أمثلُ .

ويجوز أن يكون المعنى : لِتَكُنْ منكم طاعةٌ .

٦٣ ــ **وقولُه جلَّ وعز : ﴿ فَإِنْ تَوَلَّوا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ ..﴾** [آية ٥٤] .

والمعنى : فإن تتولوا ثم حُذف ، ويدلُّ على أنَّ بعده **﴿ وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ ﴾** ولم يقل : وعليهم[٢] .

والمعنى : فإنما على النبي ﷺ التبليغُ ، وعليكم القبولُ ، وليس عليه أن تقبلوا .

(١) في التسهيل ١٥٢/٣ : « طاعةٌ معروفة » مبتدأ وخبرُه محذوفٌ أي طاعةٌ معروفةٌ أمثلُ وأولى بكم ، أو خبر مبتدأ محذوف أي المطلوب منكم طاعةٌ معروفة ، وقال البقاعي : لاتقدير في الكلام و« طاعة » مبتدأ، خبره « معروفة » وسوَّغ الابتداء بالنكرة العموم أي لاتقسموا فإن الطاعة معروفة منكم أنها باللسان لا بالقلب . وانظر الألوسي ١٩٩/١٨ .

(٢) المراد أن الفعل « تَوَلَّوْا » لو كان ماضياً لقال تعالى « وعليهم » ولكنه مضارع حذفت منه إحدى التاءين ، ولهذا جاء اللفظ « وعليكم ما حُمِّلتم » فدل على أن الفعل مضارع .

٦٤ — وقولُه جلَّ وعز : ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الأَرْضِ .. ﴾ [آية ٥٥] .

جاء باللَّامِ ، لأنَّ معنى « وَعَدَ » و« قَالَ » واحدٌ[1] .

والمعنى : ليجعلنَّهُمْ يَخْلُفون مَنْ قبْلهم .

﴿ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ﴾ وهو الإسلام .

٦٥ — وقولُه جلَّ وعزَّ : ﴿ لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مُعْجِزِينَ فِي الأَرْضِ .. ﴾ [آية ٥٧] .

أي هم في قبضة اللَّهِ جلَّ وعزَّ .

٦٦ — وقولُه جلَّ وعزَّ : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنْكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ .. ﴾ [آية ٥٨] .

في هذه الآية أقوالٌ :

---

(١) عبارة القرطبي ١٢/٢٩٩ أوضح فقد قال : واللَّامُ في ﴿ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ ﴾ جواب قسم مضمر ، لأن الوعد قولٌ ، مجازُها : قال اللهُ للذين آمنوا وعملوا الصالحات ، والله ليستخلفنهم في الأرض ، فيجعلهم ملوكها ، وسكانها . اهـ .
وقال الزمخشري : فإن قلتَ أين القسم المتلقَّى باللَّام والنُّون في ﴿ ليستخلفنَّهم ﴾ ؟ قلتُ : هو محذوف تقديره : وعدهم الله وأقسم ليستخلفنَّهم ، أو نُزِّل وعدُ اللهِ في تحقُّقِهِ منزلةَ القَسَم ، فتُلقِّي بما يُتلقى به القَسَمُ ، كأنه قيل : أقسم الله ليستخلفنَّهم . اهـ الكشاف ٢/٨٦ .

أ ـ **رَوَى ابن جريج عن مجاهد** قال : هم العبيدُ المملوكون[1] .

٢ ـ **ورَوَى اسرائيل عن ليث** عن نافع عن ابن عمر ﴿ **ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم** ﴾ الإناثُ[2] .

٣ ـ **ورَوَى سفيان عن أبي حُصين** عن أبي عبدالـــرحمن قال : هي للنِّساء خاصة[3] .

أي إنَّ سبيـلَ الرجـالِ أنْ يستأذِنُـــوا في كلِّ وقتٍ ، والـــنِّساءُ يستأذِنَّ في هذه الأوقاتِ خاصَّةً .

ولا يجوزُ في اللغة أن يُقال للنِّساءِ « الَّذِينَ » ولـو كان للنساء خاصَّةً لقيل « اللَّاتِي » أو « اللَّائِي » أو ما أشبهَ ذلك ، إلاَّ أن يجتمع مذكَّرٌ ومؤنَّثٌ ، فيقال « الَّذِينَ » لهم جميعاً .

ورَوَى عَمْرُو بنُ أبي عَمْرٍو ، عن عكرمة ، عن ابن عبَّاس : « أنَّ رجلين من أهلِ العراقِ ، سألاه عن قوله عزَّ وجـلَّ ﴿ **لِيَسْتَأْذِنْكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ** ﴾ فقـال : إنَّ الله جلَّ وعـزَّ سِتِّيـــرٌ ، يحبُّ السُّتْرَةَ ، ولم يكنْ للمسلمينَ يومئذٍ ستورٌ ، ولا حِجالٌ[4] ، فكـان ولـدُ

(١ـ٣) هذه الآثار كُلُّها مرويَّةٌ عن السلف ، وانظر الطبري ١٦١/١٨ والقرطبي ٣٠٤/١٢ والبحر ٤٧٢/٦ .

(٤) حِجَالٌ : جمعُ حَجَلَة وهي بيتٌ يزيَّـنُ بالثيـاب والأسرَّة والستـور كالقبَّـة ، ولـه أزرار كبـار . اهـ لسان العرب ١٥٢/١٣ .

الرَّجل ، وخادِمُه ويتيمُه ، ربَّما دخَلَ عليه وهو مع أهلِهِ ، فأمر اللَّهُ جلَّ وعزَّ بالاستئذانِ ، فلَّما بَسَط اللَّهُ الرِّزقَ ، واتَّخذَ النَّاسُ السُّتُورَ والحِجَالَ ، رأوا أن ذلك يغنيهم عن الاستئذان — وفي بعض الروايات — فترك الناس العمل بالآية[١] .

قال الشعبي : ليست بمنسوخةٍ[٢] .

وأَوْلَى ما في هذا ، وأصحُّه إسناداً ، ما رواه عبدُالملِكِ عن عطاءٍ ، قال : سمعتُ ابنَ عباس يقول : ثلاثُ آياتٍ تَرَكَ النَّاسُ العملَ بها :

أ — **قولُه ﴿ لِيَسْتَأْذنكُمْ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمانكُمْ ﴾** .

ب — **وقولُه ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾** .

ويقول فلانٌ : أنا أكرمُ من فلانٍ ، وإنَّما أكرمُهما أتْقَاهُما .

---

(١) الحديث أخرجه أبو داود في كتاب الأدب رقم ٥١٩٢ قال ابن كثير : وهذا إسناد صحيح إلى ابن عباس ، وانظر الطبري ١٦٢/١٨ ، والقرطبي ٣٠٣/١٢ وأخرجه ابن كثير ٩٠/٦ بلفظ قال ابن عباس : « إن الله ستّيرٌ يحب السِّتر ، كان الناس ليس لهم ستورٌ على أبوابهم ولا حِجَال في بيوتهم ، فربَّما فاجأ الرجلَ خادمُه أو ولده أو يتيمه في حجره وهو على أهله ، فأمرهم الله أن يستأذنوا في تلك العورات التي سمّى » اهـ .

(٢) انظر الأثر في الدر المنثور ٥٦/٥ وتفسير ابن كثير ٨٩/٦ وتتمته : قلتُ : فإن الناس لايعملون بها ؟ فقال : الله المستعانُ .

قال عطاء : ونسيتُ الثالثة[1] .

قال أبو جعفر : فهذا من ابن عباس على جهة الإنكار ، وهو مفسِّرٌ لما رواه عكرمة ، في روايةٍ من قال : « فترك الناسُ العمل بها » .

وقد روى ابن عُيَيْنة عن عُبَيْد اللَّهِ بن أبي يزيد عن ابن عباس قال : « إني لآمرُ جاريتي هذه ــ وأومأَ إلى جاريةٍ بيضاء قصيرة ــ أن تستأذن عليَّ »[2] .

٦٧ ــ **ثم بيَّنَ المرَّات فقال سبحانه** : ﴿ **مِنْ قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ** ﴾ لأنه الوقتُ الذي يلبس الناس فيه ثيابهم ، يخرجون من فُرُشِهم[3] . ﴿ **وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ مِنَ الظَّهِيرَةِ** ﴾ لأنه وقت القائلة[4] .

---

(١) الرواية في الدر المنثور للسيوطي ٥/٥٦ قال ابن عباس رضي الله عنهما : تَرَكَ الناسُ ثلاثَ آياتٍ ، فلم يعملوا بهن : ﴿ يا أيها الذينَ آمنُوا لِيَسْتَأذنكُمُ الذين ملكتْ أيمانكم .. ﴾ الآية والآيةُ التي في سورة النساء ﴿ وإذَا حَضَرَ القِسْمَةَ أولُوْ القُرْبى .. ﴾ الآية ، والآيةُ التي في سورة الحجرات ﴿ إنَّ أكرَمَكُمْ عند اللَّهِ أتقاكُمْ ﴾ أخرجه ابن جرير ، وابن أبي حاتم ، وانظر تفسير ابن كثر ٦/٨٩ .

(٢) الحديث أخرجه أبو داود برقم ٥١٩١ في باب الاستئذان وهو في الدر المنثور ٥/٥٦ والقرطبي ١٢/٣٠٣ وابن كثير ٦/٨٩ .

(٣) في المخطوطة « فروشهم » وهو خطأ ، لأن جمع الفراش « فُرُشٌ » وانظر المصباح المنير مادة فرش .

(٤) القائلة : القيلولة وهي النوم في الظهيرة منتصف النهار ، ومنه قوله تعالى ﴿ فجاءهم بأسنا بياتاً أوهم قائلون ﴾ .

﴿ وَمِنْ بَعْدِ صَلَاةِ العِشَاءِ ﴾ **قال الزهري** : وهي التي يسميّها النَّاسُ العَتَمة ، .

قال : فيستأذنون في هذه الأوقاتِ خاصَّةً ، فأمَّا غيرهم فيستأذنوا كل وقت[1] .

٦٨ ـــ **ثم قال تعالى ﴿ ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَكُمْ ..﴾** [آية ٥٨] .

أي أوقاتُ الاستئذان ثلاثُ عورات .

والنَّصبُ[2] بمعنى يستأذنون وقتَ ثلاثِ عورات لكم .

﴿ **لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ** ﴾ أي في الدخول بغير إذن .

﴿ **طَوَّافُونَ عَلَيْكُمْ** ﴾ أي يخدمونكم .

﴿ **بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ** ﴾ أي يطوفُ بعضكُم على بَعْضٍ[3] .

٦٩ ـــ **وقولُه جلَّ وعز : ﴿ وَإِذَا بَلَغَ الأَطْفَالُ مِنْكُمُ الحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا ..﴾** [آية ٥٩] .

---

(١) الأثر في الطبري ١٨/١٦٣ والقرطبي ١٢/٣٠٤ والبحر المحيط ٦/٤٧٢ .

(٢) هذه قراءة حمزة ، والكسائي ، وقرأ الجمهور بالرفع ﴿ ثلاثُ عوراتٍ لكم ﴾ وانظر السبعة لابن مجاهد ص٤٥٩ قال الفراء في معاني القرآن ٢/٢٩٠ : والرفعُ في العربية أحبُّ إليَّ ، لأن المعنى : هذه الخصالُ وقتُ العوارتِ ليس عليكم ولا عليهم جُناح بعدهن . اهـ .

(٣) يريد أنَّ بكم وبهم حاجة إلى المخالطة والمداخلة ، يطوفون عليكم للخدمة ، وتطوفون عليهم للاستخدام . اهـ الكشاف ٢/٨٧ .

قال الزهري : أي يستأذن الرجلُ على أمِّهِ ، وفي هذا المعنى نزلت هذه الآية[1] .

٧٠ ـ **ثم قال تعالى ﴿ كَمَا اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾** [آية ٥٩] .

يعني البالغِينِ .

٧١ ـ **وقولُه جلَّ وعزَّ : ﴿ وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ اللَّاتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحاً ..﴾** [آية ٦٠] .

قال أبو جعفر : أبو عُبيدة يذهب إلى أن المعنى : اللَّواتي قَعَدْن عن الولد[2] .

وقال غيرُهُ : يُراد بهذا العجوزُ الكبيرةُ ، التي قعدت عن التصرُّف ، لأنها قد تقعد عن الولد ، وفيها بقيَّة .

قال ربيعةُ : هي التي إذا رأيتَها استَقْذرتَها[3] .

(١) روي أن رجلاً سأل النبي ﷺ « أأستأذن على أمي ؟ قال نعم ، قال إني معها في البيت ؟ قال : استأذنْ عليها ، قال إني خادمها ، أفأستأذن عليها كلما دخلت ؟ قال : أفتحب أن تراها عريانة ؟ قال : لا ، قال فاستأذن عليها » . أخرجه البيهقي في السنن ، وانظر الدر المنثور ٥٧/٥ .

(٢) انظر مجاز القرآن لأبي عُبيدةّ ٦٩/٢ فقد قال فيه : القواعدُ : هنَّ اللواتي قد قعدن عن الولد ولا يحضن .

(٣) قال القرطبي في جامع الأحكام ٣٠٩/١٢ : القواعد واحدتها قاعدة وهنَّ العُجَّز اللواتي قعدن عن الولد ، والمحيض ، هذا قولُ أكثر العلماء ، وقال ربيعة : هي التي إذا رأيتها تستقذرها من كبرها .

٧٢ ــ **ثم قال تعالى ﴿ فلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَنْ يَضَعْنَ ثِيابَهُنَّ﴾** [آية ٦٠] .

رَوَى أبو وَائِلٍ[(١)] **عن عبدِاللّهِ بن مسعودٍ قال** : يعني الرِّداء .

قال أبو جعفر : والمعروفُ من قراءة عبدالله **﴿ أَنْ يَضَعْنَ مِنْ ثِيابِهِنَّ ﴾**[(٢)] .

٧٣ ــ **وقولُه جل وعزَّ : ﴿ وَأَنْ يَسْتَعْفِفْنَ خَيرٌ لَهُن﴾** [آية ٦٠] .

قال مجاهد : أي يلبسْنَ الجلبابَ خيرٌ لهنَّ[(٣)] .

٧٤ ــ **وقولُه جلَّ وعزَّ ﴿ لَيْسَ عَلَى الأَعْمَى حَرَجٌ ، وَلَا عَلَى الأَعْرَجِ حَرَجٌ ، وَلَا عَلَى المَرِيضِ حَرَجٌ ..﴾** [آية ٦١] .

حدثنا محمد بن جعفر الأنباريُّ ، قال حدثنا زيد بن أجزم ، قال أنبأنا بِشْرُ بن عمر الزَّهراني ، قال حدثنا إبراهيم بنُ سعدٍ ، عن صالح بن كَيْسان ، عن الزُّهري ، عن عروة ، عن عائشة قالت : كان

---

(١) « أبو وائل » اسمه « شقيق بن سلمة الأَسَدَي » الكوفي تابعيٌّ مخضرم ، كان أعلم أهل الكوفة بحديث ابن مسعود .

(٢) ذكره القرطبي ٣٠٩/١٢ وذكر الطبري ١٦٧/١٨ : أنها قراءةُ أبيٍّ بن كعب ، وهذه ليست من القراءات السبع ، وهي محمولةٌ على التفسير .

(٣) قال في التسهيل ١٥٥/٣ : أباح الله لهذا الصنف من العجائز ، ما لم يُبح لغيرهن من وضع الثياب ، قال ابن مسعود : إنما أبيح لهن وضع الجلباب الذي فوق الخمار والرداء ، وإنما أبيح لهن وضع الثياب ، بشرط ألا يقصدن إظهار الزينة ، والأولى لهن أن يلتزمن ما يلتزمه الشابات من الستر . انتهى .

المسلمون يُوْعبون[1] في النفير مع رسول الله ﷺ ، فكانوا يدفعون مفاتحِهم إلى ضَمْنَاهم ويقولون : إن احتجتُمْ فكلوا ، فيقولون : إنما أحلُّوه لنا عن غير طيب نفسٍ ، فأنزل الله جلَّ وعزَّ ﴿ **لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَأْكُلُوْا مِنْ بُيُوْتِكُمْ أَوْ بُيُوْتِ آبائِكُمْ** ﴾[2] إلى آخر الآية .

قال أبو جعفر : « **يوعبون** » : أي يخرجون بأجمعهم في المغازي .

يُقال : أوعبَ بنو فلانٍ لبني فلان : إذا جاءوهم بأجمعهم ، ويُقال : بيتٌ وَعِيبٌ : إذا كان واسعاً ، يستوعب كلَّ ما وُضع فيه .

والضَّمْنَى : هُمْ الزَّمْنى ، واحدُهم ضَمِنٌ ، مِثْلُ زَمِنٍ .

قال مَعْمَرٌ : سألتُ الزهريَّ عن قوله تعالى ﴿ **ليسَ على الأَعْمَى حَرَجٌ ، ولا عَلَى الأَعْرجِ حَرَجٌ ، ولا عَلَى المَرِيضِ حَرَجٌ** .. ﴾ ما بالُ هؤلاء ذُكِرُوا ههنا ؟ فقال : أخبرني عُبَيْد اللهِ بنُ عبدِ اللهِ ، أنَّ النَّاسَ كانوا إذا خرجوا إلى الغَزْوِ ، دفعوا مفاتِحَهُم إلى الزَّمْنَى ، وأحلُّوا لهم أن يأكلوا ممَّا في بيوتهم ، فكانوا لايفعلون ذلك ،

(١) في الصحاح ١/٢٣٣ : أَوْعب القومُ : إذا حشدوا ، وجاءوا موعبين : إذا جمعوا ما استطاعوا من جمع ، فلم يبق في البلد أحد . انتهى .

(٢) انظر الأثر في الدر المنثور للسيوطي ٥/٥٨ والطبري ١٨/١٦٨ وابن كثير ٦/٩٣ .

ويَتَوَقَّوْن ويقولون : إنما أطلقوا لنا عن غيرِ طيبِ نفسٍ ، فأنـزل اللـه الآية ﴿ **لَيْسَ عَلَى الأَعْمَى حَرَجٌ ..** ﴾[(١)] .

قال أبـو جعفـر : فالمعنـى على هذا بيِّـنٌ ، أي ليس عليهم في الأكل شيء[(٢)] .

والقـولُ الآخر : قولُ ابـنِ عبـاس ، حدثنـاه بكـرُ بنُ سهـل ، قال : حدثنا أبو صالح ، قال : حدثنا معاويةُ بن صالح ، عن عليِّ بنِ أبي طلحةَ عن ابن عباس قال : ﴿ **لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ ..** ﴾ إلى قوله ﴿ **جَمِيعاً أَوْ أَشْتَاتاً** ﴾ وذلك لمَّا أنزل الله جلَّ وعزَّ ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالبَاطِلِ** ﴾[(٣)] فقـال المسلمـون : إنَّ اللـهَ عزَّ وجـلَّ قد نهى أن نأكل أموالنـا بيننـا بالباطلِ ، والطَّعامُ هو منْ أفضلِ الأموالِ ، فلا يحلُّ لأحـدٍ منَّـا أن يأكل عند أحـدٍ ، فكـفَّ النَّـاسُ عن ذلك ، فأنـزل اللهُ جل وعـز بعـد ذلك ﴿ **لَيْسَ عَلَى الأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الأَعْرَجِ حَرَجٌ** ﴾ إلى قولـه

---

(١) الأثـر أخرجـه ابـن جريـر ١٦٩/١٨ وابـن كثير ٩٣/٦ والسيوطـي في الـدر ٥٨/٥ وعـزاه إلى عبدالرزَّاق ، وعبد بن حميد ، والبيهقي . وقال الفراء في معـاني القـرآن ٢٩١/٢ : كانت الأنصار يتنزهن عن مؤاكلة الأعمى والأعرج والمريض ، ويقولون : نُبصرُ طيِّبَ الطعام ولا يُبصرهُ ، فنسبقـه إليه ، والمريض يضعف عن الأكل ، والأعرجُ لا يستمكن من القعود ، فينال ما يناله الصحيح ، فكانوا يعزلونهم فنزلت الآية .

(٢) يريد أن في الآية حذفاً والمعنى : ليس على هؤلاء جناح في الأكل من هذه البيوت .

(٣) سورة النساء آية ٢٩ .

﴿ **أَوْ مَا مَلَكْتُمْ مَفَاتِحَهُ** ﴾ وهو الرجلُ يوكِّلُ الرجلَ بضَيْعَتِهِ[1] .

قال أبو جعفر : والذي رخّص الله جلَّ وعز أن يُؤكل من ذلك : الطَّعامُ والتَّمرُ ، وشربُ اللَّبنِ ، وكانوا أيضاً يتَّقُون ويتحرَّجون أن يأكلَ الرجلُ الطعامَ وحده ، حتى يكون معه غيرُه ، فرَّخص اللهُ لهم ، فقال جلَّ وعزَّ : ﴿ **لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَأْكُلُوا جَمِيعاً أَوْ أَشْتَاتاً** ﴾[2] .

قال أبو جعفر : فبيَّن ابنُ عباس في هذا الحديث ، ما الذي رُخِّصَ لهم فيه من الطعام .

وفي غير هذه الرواية عنه : أن الأعمى كان يتحرَّج أن يأكل طعامَ غيره لجعله يده في غير موضعه ، وكان الأعرج يتحرَّج لاتّساعه في الموضع ، والمريض لرائحته وما يلحقه ، فأباح الله جلَّ وعز لهم الأكل مع غيرهم .

وهذا معنى رواية صالح عنه .

٧٥ — **فأما قوله تعالى ﴿ وَلَا عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَنْ تَأْكُلُوا من بيوتكم .. ﴾**
[آية ٦١] .

فقيل معناه : من بيوت عيالكم .

---

(١) انظر الأثر في الدر المنثور ٥/٥٨ والطبري ١٨/١٦٩ والألوسي ١٨/١٢٨ .
(٢) انظر الطبري ١٨/١٧٠ والقرطبي ١٢/٣١٢ والبحر المحيط ٦/٤٧٤ .

وقيل معناه : من بيوت أولادكم ، لأن أولادهم من كسبهم ، فنسبت بيوتُهم إليهم(١) .

واستدلَّ صاحب هذا القول ، بأنه ذكَرَ الأقرباء بعدُ ، ولم يذكر الأولادَ .

ومعنى « إخوانكم » و« إخوتكم » واحدٌ .

وفي غير رواية معاوية عن ابن عباس ﴿ أَوْ مَا مَلَكْتُمْ مَفَاتِحهُ ﴾ يعني : العبيدَ .

وقيل : يعني الزَّمْنَى أُبيح لهم ما خزنوه من هذا للغُزَاة .

وقرأ سعيد بن جُبير ﴿ أَوْ مَا مُلِّكْتُمْ مَفَاتِحَهُ ﴾ بضم الميم وتشديد اللام(٢) .

وقال مجاهد : كان الرجل يذهب بالأعمى ، وبالأعرج ، وبالمريض إلى بيت أبيه ، أو غيره من الأقرباء ، فيتحرج من ذلك ويقول : هو بيتُ غيره ، فنزلت هذه الآية رخصة .

---

(١) القرطبي ٣١٤/١٢ وابن كثير ٦٣/٦ ويؤيده حديث (أنت ومَالُكَ لأبيكَ) أخرجه أحمد في المسند ١٧٩/٢ .

(٢) ذكرها في البحر ٤٧٤/٦ وروح المعاني ٢١٩/١٨ وليست من القراءات السبع ، وقراءة الجمهور « مَلَكْتُمْ » بالتخفيف .

وقيـل : ﴿ **لَيْسَ عَلَى الأَعْمَى حَرَجٌ** ﴾ أي في الغـزو[1] ، وكذا الأعرجُ المريضُ .

﴿ **وَلَا عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوْتِكُمْ** ﴾ .

أي من بيوت أنفسكـم ، لأنـه قد كان يجوز أن يُحْظَـر ذلك ، لأنه قد يكون في بيت الرجل ما ليس له .

وكان يجوز أن يُحْظَر عليـه مالُ غيره ، وإن أُذِن له ، فأُبيـح ذلكَ لهذا ، إذا أَذِنَ له أحدٌ من هؤلاء .

وذكر فيهم الخاصُّ والعامُّ ، لأن قولـه ﴿ **أَوْ بُيُـوتِ إِخْوَانِكُـمْ** ﴾ عامٌّ[2] .

---

(١) هذا قولُ ابن زيدٍ حكاه عنه الطبري في تفسيره ١٨/١٦٩ والقرطبي ١٢/٣١٣ .
قال الحافظ ابن كثير ٦/٤٢ : « اختلف المفسرون في المعنى الذي رُفع من أجله الحرجُ عن الأعمى ، والأعرج ، والمريض ههنا ، فقيل : نزلت في الجهاد أي إنهم لا إثم عليهم في ترك الجهاد ، لضعفهم وعجزهم ، وجعلوا هذه الآية كالتي في سورة الفتح ، فإنها في الجهاد لا محالة ، وكالأية في سورة التوبة ﴿ ليس على الضعفاء ولا على المرضى ، ولا على الذين لايجدون ما ينفقون حرج ... ﴾ الآية » اهـ .

(٢) قال في التسهيل ٣/١٥٥ : اختلفت في المعنى الذي رفع الله فيه الحرج عن الأعمى ، والأعرج ، والمريض في هذه الآية ، فقيل : هو في الغزو ، أي لا حجر عليهم في تأخرهم عنه ، وقولُه ﴿ وَلَا عَلَى أَنْفُسِكُمْ ﴾ مقطوعٌ من الذي قبله على هذا القول ، كأنه قال : ليس على هؤلاء الثلاثة حرجٌ في ترك الغزو ، ولا عليكم حرجٌ في الأكل ، وقيل : الآيةُ كلُّها في معنى الأكل ، فأباح الله للإنسان الأكل في هذه البيوت المذكورة فبدأ ببيت الرجل نفسه ، ثم ذكر القرابة على ترتيبهم ، ولم يذكر الابن لأنه دخل في قوله ﴿ من بيوتكم ﴾ لأن بيت ابن الرجل بيتُه لقوله عليه السلام « أنت ومالُك لأبيك » اهـ .

٧٦ ــ وقولُه جلّ وعز : ﴿ فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتَاً فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ .. ﴾ [آية ٦١] .

رَوَى عَمْرُ بنُ دينارٍ عن ابن عباس ﴿ فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتَاً ﴾ قال : المساجد[1] .

﴿ فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ ﴾ يقول : السَّلامُ علينا وعلى عباد الله الصَّالحين .

وقال أبو مالك : إذا دخلتم بيوتاً ليس فيها أحدٌ من المسلمين ، فقولوا : السَّلامُ علينا وعلى عبادِ اللّه الصَّالِحينَ[2] .

وقال ماهان[3] : إذا دخلتَ بيتاً ليس فيه أحدٌ ، فقلْ : السَّلامُ علينا من ربِّنا .

وقال الحسن : ﴿ فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ ﴾ ليسلِّمْ بعضكُمْ على بعض .

(١ ــ ٢) انظر الآثار في القرطبي ٣١٨/١٢ والطبري ١٧٤/١٨ والبحر المحيط ٤٧٤/٦ قال ابن العربي : القول بالعموم في البيوت هو الصحيح ، ولا دليل على التخصيص ، فهو عام في كل بيت .

(٣) « ماهان » أبو سالم الحنفي ، الكوفي العابد ، ذكره ابن حبان في الثقات ، كان لايفتر عن التسبيح ، قتله الحجاج سنة ثلاث وثمانين ، وانظر ترجمته في تهذيب التهذيب ٢٥/١٠ وتقريب التهذيب ٢٢٧/٢ .

كما قال تعالى ﴿ **فَتُوبُوا إِلَى بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ** ﴾[1] .

قال الضحَّاكُ : فسلِّموا على أهليكم وغيرهم[2] .

قال أبو جعفر : قولُ الحسن في هذا قولٌ صحيحٌ في اللغة ، والمسلمُ من المسلم بمنزلة نفسِهِ ، لأنَّ دينَهُما واحدٌ ، وعلى كل واحدٍ منهما نُصْحُ صاحبِهِ ، وقال الشاعر :

« قد جعلتُ نفسي في الأديم »

يعني الماءَ : لأنَّ الماءَ به العيشُ ، فجعله نَفْسَه ، فكذلك المسلمُ يطمئنُّ إلى المسلم كما يطمئنُّ إلى نفسِهِ .

والأَوْلَى أن يكون لجميع البيوت[3] ، لأن اللفظ عامٌّ ، والمعنى : فلْيحيِّ بعضكُم بعضاً ، تحيَّةً من عند اللَّهِ مباركةً طيِّبةً .

ثم خبَّر أن السَّلام طيِّبٌ مباركٌ فقال ﴿ تَحِيَّةً مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُبَارَكَةً طَيِّبَةً ﴾ [آية ٦١] .

٧٧ ــ **وقولُه جلَّ وعز : ﴿ إِنَّما المُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وإِذَا**

---

(١) سورة البقرة آية رقم ٥٤ .

(٢) الأثر أخرجه الطبري ١٨/١٧٤ وابن الجوزي ٦/٦٧ .

(٣) ما رجحه المصنف هنا هو الذي اختاره الطبري ١٨/١٧٥ وقال الطبري ١٢/٣١٥ : والأوجه أن يُقال إنَّ هذا عامٌّ في دخول كل بيت ، فإن كان فيه ساكنٌ مسلمٌ ، يقول : السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، وإن لم يكن فيه ساكنٌ يقول : السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين ، وإن كان في البيت من ليس بمسلم قال : السلام على من اتَّبع الهدى . اهـ .

كَانُوْا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ ..﴾ [آية ٦٢] .

قال سعيد بن جبير : إذا حَزَبَهم أمرٌ من حَرْبٍ أو غيرها ، استأذنوه قبل أن يذهبوا(١) .

وقال مجاهد : هذا في الغَزْوِ ، ويومَ الجُمعةِ(٢) .

وقال قتادة والضحاك : ﴿ **وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ** ﴾ أي على أمر طاعة(٣)

قال أبو جعفر : قولُ سعيدِ بن جُبَيْر أَوْلاَها ، أي إذا احتاج الإمام إلى جَمْعِ المسلمينَ ، لأمرٍ يَحتاج إلى اجتماعهم فيه ، فالإمامُ مخيَّرٌ في الإذنِ لمن رأى الإذنَ له .

فأمَّا إذا انتقضَ وضوءُه يوم الجمعة ، فلا وجه لمُقامهِ في المسجد ، ولا معنى لاستئذانه الإمام في ذلك ، لأنه لا يجوز له منعهُ .

٧٨ ــ **وقولُه تعالى ﴿ فَإِذَا اسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَنْ لمَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ ..﴾** [آية ٦١] .

قال قتادة : وقد قال سبحانه ﴿ **عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنْتَ**

(١ــ٣) انظر هذه الآثار كلها في الطبري ١٨/١٧٦ والدر المنثور ٥/٦٠ والبحر المحيط ٦/٢٢٣ .

لَهُمْ ﴾(1) فنسختْ هذهِ ــ يعني التي في سورة النُّورِ ــ التي في سورة بِراءة .

٧٩ ــ **وقولُه جلَّ وعزَّ ﴿ لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضاً ..﴾** [آية ٦٣] .

قال مجاهد : قولوا : يارسول الله ، في رِفقٍ ولين ، ولا تقولوا يا محمد بِتَجَهُّمٍ(2) .

وقال قتادة : أُمِرُوا أن يُفخِّموه ويُشرِّفوه(3) .

ويُروى عن ابن عباس كان يقول : دعوةُ الرسول عليكم واجبةٌ فاحذروها(4) .

وهذا قول حسنٌ ، لكونِ الكلام متَّصلاً(5) ، لأنَّ الذي قبله

---

(١) سورة براءة آية رقم ٤٣ وهي في المنافقين خاصة الذين استأذنوا الرسول ﷺ دون حاجة .

(٢ــ٣) انظر الآثار في الطبري ١٨/١٧٧ وتفسير ابن الجوزي ٦/٦٨ وابن كثير ٦/٩٦ .

(٤) قال الفراء في معاني القرآن ٢/٢٦٢ : أي لاتدعوه بقولكم يا « محمَّدُ » كما يدعو بعضكم بعضاً ، ولكنْ وقِّروه ، وعظِّموه ، فقولوا : يانبيَّ اللَّهِ ، يارسول الله ، يا أبا القاسم . اهـ وهذا رأي جمهور المفسرين ، قال الزمخشري ٢/٨٩ : لاتقولوا : يا محمد ولكنْ يانبيَّ الله ويارسول الله ، مع التوقير والتعظيم ، والصوت المخفوض ، والتواضع . اهـ .

(٥) هذا الرأي الذي رجحه المؤلف قولٌ مرجوحٌ ، ومعناه : دعاؤه عليكم مستجاب فاحذروه ، والآية إنما وردت في بيان مقام الرسول ﷺ والتأدب في حضرته وفي مخاطبته ، قال ابن عطية ١٠/٥٥٦ : ولفظ الآية يدفع هذا المعنى ، لأن الغرض توقير النبيِّ وإجلالُه . اهـ وكذلك قال ابن كثير ٦/٩٦ قال : وهو الظاهر من السياق .

والذي بعده ، نهيٌ عن مخالفته ، أي لا تتعرَّضوا لِمَا يُسخِطُه ، فيدعوَ عليكم فتهلِكُوا ، ولا تجعلوا دعاءَهُ كدعاءِ غيرِه من النَّاسِ .

٨٠ ـ **وقولُه جلَّ وعزَّ : ﴿ قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُمْ لِوَاذاً .. ﴾** [آية ٦٣] .

قال مجاهد : أي خلافاً[1] .

وقيل : حِياداً ، كما تقول : لُذْتُ من فلانٍ أي حُدْتُ عنه .

وقيل : ﴿ **لِوَاذاً** ﴾ في سُترةٍ ، ولُذْتُ من فلان : تنحَّيْتُ عنه في سُترة[2] .

قال أبو جعفر : وهذه الأقوالُ متقاربةٌ .

وقولُ مجاهدٍ يدلُّ عليه ﴿ فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ ﴾ .

و﴿ **لِوَاذٌ** ﴾ مصدرُ « لاَوَذَ » فأما « لاَذَ » فمصدرُه لِيَاذٌ[3] .

---

(١) الأثر في الطبري ١٨/١٧٨ والدر المنثور ٥/٦١ .

(٢) قال ابن الجوزي ٦/٩٦ : أي يلوذ هذا بهذا أي يستتر ذا بذا ، وإنما قال ﴿ لوذاً ﴾ لأنها مصدر « لاوذتُ » ولو كان مصدراً لـ « لُذْتُ » لقلتَ : لُذْتُ لياذاً ، كما تقول : قمتُ قياماً ، وكذلك قال ثعلب : وقع البناء على لاوذ لِوَاذاً ، ولو بنى على لاذ ، يلوذ ، لقيل : لياذاً . اهـ

(٣) في القاموس : اللَّوذ بالشيء : الاستتارُ والاحتضانُ به ، كاللَّواذ مثلَّثة . اهـ وفي التفسير أن المنافقين كانوا يخرجون متسترين بالناس ، من غير استئذان النبي ﷺ ، يلوذ بعضهم ببعض ، أي يستتر بعضهم ببعض لئلا يظهروا ويُكشفوا ففضحهم الله عز وجل .

وزعم أبوعبيدة أن قوله ﴿ فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ ﴾ .

معناه : يخالفون أمره[1] .

قال أبو جعفر : وهذا القولُ خطأٌ ، على مذهب الخليل وسيبويه ، لأنَّ « عَنْ » و « عَلَى » لا يُفعل بهما ذلك ، أي لا يُزادان ، و« عَنْ » في موضعها غيرُ زائدة .

والمعنى : يخالفون بعدَ ما أَمَر ، كما قال الشاعر :

« نَؤُوْمُ الضُحَّى لم تَنْتَطِقْ عَنْ تَفَضُّلِ »[2]

وحقيقةُ « عن » ههنا إن شئتَ خلافَهم أن تأمر ، فخِلَافُهم عن أمره ، وهذا مذهب الخليل وسيبويه ، كذا قالا في قوله جلَّ وعز ﴿ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ ﴾[3] .

انتهت سورة النور

* * *

(١) على رأي أبي عُبيدة أنَّ « عن » زائدة ، وعبارتُه كما في مجاز القرآن ٢/٦٩ : مجازُه: يخالفون أمره ، و« عن » زائدة .

(٢) هذا من معلقة امرىء القيس كما في ديوانه ص١٧ وتمامُ البيت :
وَتُضْحِي فَتِيتُ المِسْكِ فَوْقَ فِرَاشِهَا ... نَؤُومُ الضُحَى لم تَنْتَطِقْ عَنْ تَفضُّلِ
واستشهد به على أن المعنى « عن تفضل » أي لم تشدَّ نِطاقاً عليها ، بعد تفضل ، فعن ليست زائدة .

(٣) سورة الكهف آية ٥٠ .

تم الجزء الرابع من

معاني القرآن الكريم

بحمد الله وتوفيقه في البلد الحرام

« مكة المكرمة »

مطابع مؤسسة مكة للطباعة والاعلام
مكة المكرمة - ت: ٥٢٠٣٠٥٤